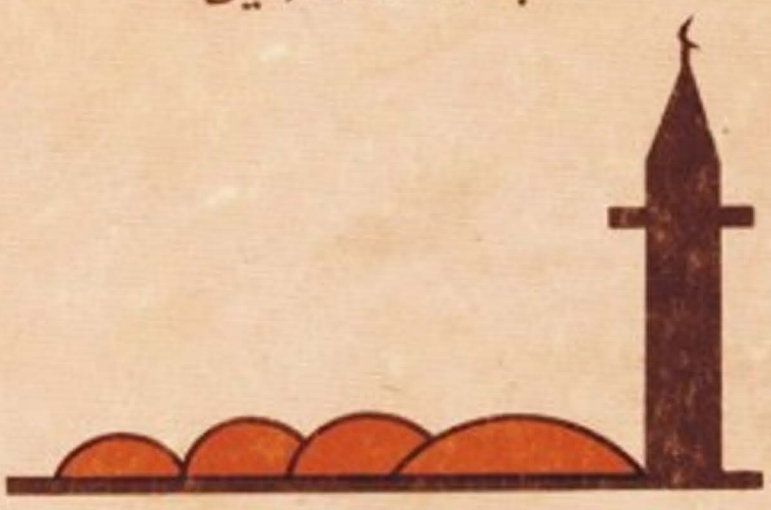
تاريخ اليمن الإسلامي

من سنة ٤٠ هـ إلى سنة ١٠٠٦

تأليف الأديب العلامة الشهيد
أحمد بن أحمد بن محمد المطاع

تحقيق
عبد الله محمد الحبشي



منشورات المدينة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تاريخ اليمن الإسلامي

من سنة ٤٠هـ إلى سنة ١٠٦

جَمِيع الحُقوق مَحفوظَة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تطلب كافة كتب « منشورات المدينة » من

شركة دار التنوير للطباعة والنشر

الصنوبرة
أول نزلة اللبان
بناية عساف

ص.ب: ٦٤٩٩-١١٣
هاتف: ٨٠٦٣٥٩
بيروت - لبنان

تاريخ اليمن الإسلامي

من سنة ٤٠١هـ إلى سنة ١٠٠٦

تأليف الأديب العلّامة الشهيد
أحمد بن أحمد بن محمد المطاع

تحقيق
عبد الله محمد الحبشي

الطبعة الأولى
١٩٨٦ م - ١٤٠٧ هـ

منشورات المدينة

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ۰۲۶۳۷۱
تاریخ ثبت:



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد
في التاريخ اليمني
(اليمن في مدارج التاريخ)
(التاريخ وفوائده)[1]

من القضايا المسلمة تقدم العلوم والمعارف في هذا العصر ، وارتقاء العقل البشري إلى غاية قصر عن التحليق فيها الآباء منذ أحيال قديمة ، ومن الفنون التي بلغت أقصى ما يتصوره العقل من العناية والاتقان فن التاريخ[2] ومعرفة أحوال الأمم ، إذ من بين صحائفه تشرق أنوار الهداية ، ومن أسفاره تشع شموس الدراية ، وفي حوادثه وما يلابسها من نعم وبؤس وإقبال وإدبار وما يتخلل ذلك : من قيام ممالك ، وهلاك أمم ، وسقوط عروش ، وزوال تيجان ، عبرة وأية عبرة ، ونذير مبين ، يحذر بلسان الأبدية غب المآثم وعاقبة الإعراض والإيغال في الجرائم .

ومن قمته الشامخة تستعرض مواكب العالم في مشارق الأرض ومغاربها ، وتلتمس معارف الشعوب ورقيها وادابها وحضارتها وأخلاقها وعلومها وعمرانها ومعتقداتها وكل ما له صلة ما وعلاقة بحياتها .

فإذا ما أراد الإنسان مرافقة الأمم ، ومسايرة الشعوب ساميّها وآريِّها ،

---

(١) الحكمة١ العدد ٦ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، ربيع الثاني ١٣٥٩ هـ (مايو/ يونيه ١٩٤٠ م) ص ١٢٥ ـ ١٢٩ .

(٢) التاريخ ومتعلقاته كعلم الاجتماع والاقتصاد والجغرافية وعلم الكتابات القديمة والعاديات والنقوش والآثار وعلم السجلات والاحصاء والنقد والمسكوكات وغير ذلك من العلوم التي كانت مجهولة أو بعضها عند العرب . اهـ

والاطلاع على تكون نهضاتها من أقدم عصورها ومشاهدة أجيالها وهي تخرج من الكهوف إلى الصروح ، ومن الأكواخ إلى القصور ، ومن الأودية والغابات إلى المحاكم والكليات ، ومن نقش الآثار على الأحجار إلى استنطاق الجماد واستخدام البخار ، فعليه بما خلدته الأيام على صحائف التاريخ

وإن شاء الرجوع إلى العصور العافية ، والتغلغل في مهاوي القرون السحيقة ، كي يرى الإنسان الأول يزاول أعماله بسائق الفطرة ، ويترصد فريسته في ألفاف الشجر ، وأجواف الحفر ، ويتعقب الطرائد في مخارم الجبال وبطون الأودية ، أيام كان يستوطن الكهوف والغيران ، ويتسلح الحجر ، فليرجع إلى آثار تلك العصور ، (ولكل نبأ مستقر) .

ولا نبالغ إذا قلنا ان التاريخ ما عرف في جميع أدواره عصراً هبت فيه الشعوب عن بكرة أبيها لدراسة الماضي والارتواء من مناهل ثقافته ، والتنقيب عن آثار البشرية من أقدم أزمنتها ، والبحث عن الحضارة الإنسانية كهذا العصر .

هبت أمم العالم اليوم تنقب عن مفاخر الماضي واثاره ، لتضع على كواهل أبنائها من قدسية ماضيهم وأمانة تاريخهم ما تنوء بحمله الجبال ، وتجعل من آثار ذلك الماضي أدوات تستخدم لإيقاد جذوة الوطنية في الصدور وإلهاب نار الحماسة في الرؤوس مستلهمة وحي النبوغ والتقدم من أرواح الآباء والأجداد .

ولذا كان لزاماً على كل أمة تحاول النهوض الالتفات أولاً إلى الماضي بدراسة تاريخها ، ومعرفة ما فيه من الحوادث والكوارث ، والوقائع والكوائن وأسباب الصعود والهبوط ، فإن حياة الأمم موصولة ، وحاضرها القريب وليد ماضيها البعيد ، ولذا قيل : «إن الأمة التي تهمل ماضيها ولا تعرفه مثل الرجل الذي يفقد ذاكرته» ، ويقول علماء الاجتماع وتباريس علم الأخلاق : (إن

ماضي الأمة لا يموت أبداً ، ولكنه يكون حياً) تاريخه إلى آلاف السنين يستوحى منه .

فدراسة التاريخ إذاً من ضروريات البقاء ، ومعرفة الأمة نفسها من أكبر عوامل الارتقاء ، ولا سيما إذا كان في تاريخ الأمة من أعمال المجد والعظمة ما يثير الفتوة ، ويبعث النشاط والقوة في شرايين الأجسام المنحلة ، ويدفع بالأبناء إلى ترسم آثار الآباء ، فإنه يستحيل أن يرضى لنفسه بالذل والمهانة من كان أبوه يعزم العزمة الفاصلة فيملي إرادته على الملوك والجبابرة ، ويقول الكلمة فتطفىء الحرب العوان وتشعل ، وإذا ريع كان له السيف والرديني أمنع معقل .

وكيف يجمل بأبناء الأرواع اللهاميم فراجو الغمم من دانت لسطوتهم الملوك ، وذلت لهيبتهم الأقاليم ، أن يكونوا نَقَداً تنتاشهم سباع الأطماع وهم في غفلتهم ساهون ، أو تنزل بهم عون الخطوب فيذلون ويسمدون ، و (يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) .

أجل ، إن من يدرس أصول النهضات العالمية يجد في قرارتها أثراً للتاريخ وضاح الجبين وعوالم وأرواح الآباء مصدر تلك القوة وأساسها المتين ، فلا غرابة إذا رأينا جبابرة العقول ، وفطاحلة الفكر الإنساني ، تعد التاريخ من أكبر الوسائل لتنمية العقل وتهذيب الشعور ، وبسط النفوذ ، وسعة الملك ، وتضخيم الثروة ، وعظمة الشأن ، ونرى علماء الغرب على اختلاف مشاربهم ، وتنوع معارفهم ، وتباين مباحثهم ، ومناحيهم ، عاكفين في جامعاتهم السنين الطوال : هذا يدرس أجناس البشر وأصول الشعوب ، ومتى وجد الإنسان على الأرض ، ومدنيته الأولى ، وصفاته وقسمات وجهه إلى آخر ما هنالك .

وذلك مكب على تمثال قديم يرجع فنه وجماله ودقته مبلغ حضارة الأمة التي وجد فيها ، كما أن زميله وضريبه قد شغلته لفظة لغوية في أدب أمة لا

يمت إليها بصلة عن كل ما في الوجود ، كل ذلك رغبة في العلم ، ووصلة إلى فهم الشعوب وعاداتها وأخلاقها ، لوسائل كثيرة ، منها : علمية محضة ، ومنها سياسية واقتصادية ونحو ذلك . ومن التواريخ التي أصبحت اليوم تدرس في جامعات الغرب كفن مستقل : تأريخ اليمن القديم وما به من النقوش والآثار والعاديات وما خلفه آباء اليمنيين من آداب وثقافة صقلت العقل الإنساني وازدانت بها حضارة البشر في أيامهم ، وهي اليوم كعبة تحج إليها أفئدة النوابغ افتناناً بروعتها وجلالها ، وترتشف من معينها العقول ويتخذ منها الأقوام درعاً لتوطيد أركانها وتخليد كيانها .

ذلك ما حدا بي إلى تقليب صفحة من صفحات تاريخ هذه الأمة الضخم ، والتنقيب عن بعض فرائد عقدها الثمين ، وإن كان ماضيها كثير الظنون قل أن يفوز الخرّيت منه بما يشفي الأوام ، ويطفي لاعج الغرام ، لما على لياليه الماضية ، وأيامه الخالية ، من غبار الدهور ، وكلاكل العصور.

وهيهات أن يجد المشتاق بالرسوم العافية ، والأطلال البالية ، ما يجده بمطرحات تفيض النعمة من ثناياها ، وتتسابق الشموس متطاولة من أبراجها وحناياها .

اللهم إلا أن تكون مرابع أنس ، ومراتع سرور ، أقوت عن القطان وفارقها السكان ، ونزع عنها الأخلاء ، ولم يبق من أثافيها إلا : (نقط يشك الشاك فيها) ، فإن لها ذكريات لا تقوى يد الحدثان على الدنو من قدس تذكرها .

وهذه الذكريات إحدى عناصر التاريخ ومميزات هذا الإنسان ، فهو لا يقنع بما هو آت ، ولا يسأم الوقوف أمام المخبآت : غاص أعماق البحار ، وركب متون الأخطار ، واستنطق الجماد ، وغزا اللانهاية بقوة فكره ، وحاول أن يفجع الغد في مخبآت سره رغبة في الاطلاع ، وهياماً بالرواية والسماع ثم هو مع هذا : (دائم الحنين إلى سالف خال والبكاء على دارس بال) ، لا

يقف عند غاية الأوهام بما خلفها ، وساقته الفطرة إلى استكشاف ما وراءها ، فلا غرو أن اصبح علم التاريخ من مشتهيات النفوس وأغراضها ، وشؤون الحياة ولوازمها .

وإذا كان من طبع الإنسان وغريزته الحنين إلى الفائت المندثر ، والالتفات إلى أطلال الأحبة ، والوقوف بآثارهم الدوارس ، والاعتزاز بتقاليده وماضيه ومجده وتاريخه ، وما كان لأجداده من سجايا ومفاخر ، وعادات ومآثر .

فأخلق بأبناء من ملكوا الخافقين ، وبسطوا سلطانهم على العالمين ، أن يعتزوا بتاريخهم ، ويفاخروا بماضيهم ، ويكاثروا بنوابغهم وأبطالهم الذين تساقطت تحت أقدامهم عروش الفاتحين ، وملكوا الأمور على من كان يملكها في أطراف الأرضين .

وأن يقفوا وقفات كبرى لا كلوث أزار أو كحل عقال ، بل وقوف جميل في عراص بثنية ، أو وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه ، بآثار أسلافهم الغر حيث كانوا يتناغمون ويتسامرون ويتنثرون طرائف الحكمة وروائع الكلم ، بان يعرجوا بأطلال ماضيهم المجيد لينظروا أبدع ثمرة تركها الإنسان ، وأجمل نتاج للعبقرية والنبوغ ، وأسمى حضارة عرفها التاريخ .

وبهذا الالتفات وذلك الوقوف ما يوقظ الهمم ، ويهيب بالأبناء إلى متابعة الآباء ، وبشوارد الأنفس إلى سواء السبيل ، ليقرنوا شرفهم التليد بمجدهم الطريف كما قيل :

إنا وإن كرمت أوائلنا ... لسنا على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل فوق ما فعلوا

---

(١) الحكمة : العدد ٢ ، المجلد الثاني ، السنة الثانية ، جمادى الأولى ١٣٥٩ هـ (يونية/ يولية ، ١٩٤٠ م)، ص ٢٠٤ - ٢١٠ .

ولا يدع فحفظ مناقب الآباء والاعتداد بآثارهم الصالحة من أكبر العوامل المثيرة لعزة النفس ويقظة الوجدان وسمو الغاية ، وقديماً كانت العرب تفاخر بأمجادها وآبائها في انديتها واسواقها ومجتمعاتها ومواسم حجها ، قال تعالى : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرى﴾ .

وكل شعب يحمل أمانة التاريخ ، وتجري في عروقه مناعة دم شريف ، وتدور في رأسه ذكريات الماضي ، لا يطمئن إلى حياة لا تصله بماضيه : «فإن من فاته حسب نفسه لا ينفعه حسب أبيه » .

والتاريخ كما قلنا هو سجل الحياة ، والصورة الفنية للعصور الغوابر ، ومحقق آمال المنبت الحائر ، وقد طمحت به النفس إلى ذرى المجد وسنام المفاخر ، وحفزته غريزته البشرية إلى معرفة تراثه من الأكابر ، ومشاهدة معرض الوجود الحاشر .

منه يستلهم وحي النبوغ ، ومن أرواح أبنائه وآثارهم يستملي روحاً تسمو به إلى أبعد شأو كتب له في الحياة ، بعزيمة أمضى من القضاء ، وصدر أوسع من الفضاء ، وشجاعة في الله يكلؤها الحجى .

وأحر ، بمن عرف الماضي ، وأفنى القرون ، وساير ركب الزمان ، ان تسمو نفسه وتتهذب مداركه ، وتلطف شمائله ، وتتحرك مشاعره ، وتحفزه المؤثرات الحرة إلى مطمح الإنسانية ومثلها العالية : (وان لا يكون كمستمعّ اللدم يسمع الناعي ويحضر الباكي ثم لا يعتبر ، وإنما البصير من سمع فتفكر ، ونظر بأبصر ، وانتفع بالعبر ، ثم سلك جدداً واضحاً يتجنب فيه الصرعة في المهاوي ، والضلال في المغاوي) .

فإن التاريخ هو الشاهد العدل ، والرقيب العتيد ، والمراقب المشرف على أعمال الأمم ومجرياتها لا تفوته صغيرة ولا كبيرة ، ولا يترك حسنة ولا سيئة إلا أتى عليها ونقلها ، يرمي فيقرطس ، ويضرب المحز ويقطع المفصل .

من عـادة التاريـخ ملء قضـائه عـدل ومـلء كـنـانـتيـه سـهـام

هذا وللتاريخ من الفوائد غير ما مر من تهذيب الأخلاق ، وإيجاد الشعور القـومي ، وإذكاء نيـران العواطف الكـامنة في القلوب ، وتوحيـد كلمـة الأمـة وصهرها في بوتقة واحدة ، وجعلها كتلة لا تتجـزأ ولا تتفرق ، يقـودها المجـد إلى ميـادين العظمـة ، وسعة السلطان ، وبسـطة النفـوذ ويـزجيهـا الاخـلاص والحرص على كنوز تراثها وتقـاليدهـا إلى المحل الـلائق بها تحت الشمس ، وتؤازرهـا في سيرهـا نحو الغـاية حـرارة عقيدة شب عليهـا الصغيـر ، وورثهـا مجموع الأمة عن أسلافه ، وغير ذلك من خلال الكمال .

مقام لا ينكر في خدمة الكتاب العزيز والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصـلاة والتحية ، فهـو عمدة المفسـر لمعرفـة النـاسـخ والمنسـوخ وغيـره من الأسبـاب المتوقفـة على نتائجهـا ، وهو دليـل المحدث ، ومعلم الفقيـه ، بـه تعرف الآجال وحلولها ، والأخبار ونـاقلوها ، قـال سفيان الثـوري رحمه الله : «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ» ، وقال حماد بن زيد : «لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ» .

وبمقـدار ما يستفيـد منه الملك لإصـلاح رعيته ، والسيـاسي لمهمتـه ، والفاتح لغايته ، والاجتماعي لعمله ، والمزارع لحاجته ، يستفيد منه القاضي والمرشد والمعلم والمحدث وغيرهم من جميع الأصناف في جميـع الشؤون ، فله بكل مقام مقال :

لا تقـل دارهـا بشـرقي نجـد كـل نـجـد للعـامـريـة دار
ولـهـا دمنـة عـلى كـل رسم وعـلى كـل دمـنـة آثـار

التاريخ لغة واصطلاحاً وكيف يجب أن يكتب

قـال المقريـزي رحمه الله في خـططه : «التأريـخ كلمة فارسية أصلهـا (ماروز) ثم عربت ، قال محمد بن يوسف البلخي في كتابـه مفاتيـح العلوم :

«وهـذا اشتقاق بعيـد لولا أن الـرواية جـاءت به » ، وقـال قدامـة بن جعفر في كتاب الخراج : «تأريخ كل شيء آخـره ، وهو في الوقت غـايته ، يقـال فلان تاريخ قومه أي إليه ينتهي شرفهم ، ويقـال ورخت الكتاب تـوريخاً ، وأرختـه تأريخاً ، الأولى لغة تميم والثانية لغة قيس . »

وقـال الأستاذ العـلامة محمـد كرد علي في كتـابـه خـطط الشـام ، قـال العلامة البروتي «التأريخ هي مدة معلومة من لدن أول سنة ماضيـة كان فيهـا مبعث نبي بـآيات وبـرهان ، أو قيـام ملك مسلط عظيم الشـأن ، أو هلاك أمـة بـطوفـان عـام مخـرب ، أو زلـزلـة خسف مبيـد ، أو وبـاء مهلك ، أو قحط مستـأصل ، او انتقـال دولة ، أو تبـديل ملة ، أو حـادثـة عـظيمـة من الآيـات السماوية أو العلامات المشهورة الأرضية التي لا تحدث إلا في دهور متطاولة، أو أزمنة متراخية تعرف به الأوقات المحددة ، فلا غنى عنه في جميع الأحـوال الدينية والدنيوية» ، انتهى

وكانت العرب تؤرخ بـالنجوم ، ومنـه قول الكـاتب :تجمعت على فلان كذا ليؤديه ، وبكل عام حدث فيه أمر مشهور ، فقد أرخوا بالختان لأنهم كـانوا قد تهاونـوا فيه وعظم عندهم أمره ، قال النابغة الجعدي :

فمن يـك سـائـلاً عني فـإني مـن الشـبـان أيـام الختـان

وقـد أرخـوا ببنـاء الكعبـة ، وبمـوت كعب بن لؤي ، وبعـام الفيـل ، واستمر ذلك حتى جاء الإسلام وكانت الهجرة ، فكان ذلك العام الأول تاريـخ هذه الأمة زادها الله شرفاً وعلواً وأعاد عليها سالف مجدها وهداها إلى منهـج الحق وصراطه المستقيم آمين

يلوح ممـا تقدم من مـدلول كلمـة تاريـخ أن معناهـا التوقيت ، وهـذا ما يظهر جلياً في كتب المتقدمين ، فإنه قل ان يجد القارىء فيما دوَّنه القدماء في فن التاريخ شيئاً في تعليل الحوادث وتحليلها والنظر في اسبابها وعواقبهـا ، أو استخلاص النتائج منها ، كما انهم لم يحومـوا حول بيـان الحالـة الاجتماعيـة

والاقتصادية وكيفية سير العلوم والمعارف وسير الأدب وعوامل العمران وكل ما له علاقة بالأمة ، وغاية ما صرفوا فيه عنايتهم أخبار الحروب ، ووصف المجازر الدموية ، والملاحم البشرية ، وحياة الملوك ، وذكر العزل والتولية ، وما إلى ذلك من الحوادث الطبيعية كهطول الأمطار ، وفيضان الأنهار ، وأخبار الزلزال والبراكين ونحو ذلك .

ولعل ذلك الداء سرى إلى المؤرخين من مدلول كلمة تأريخ الفارسية التي معناها التوقيت ، ولو أنهم عدلوا عنها إلى الكلمة اليونانية (هستوريا) ومعناها الرواية والتحقيق لكانت طريقتهم فيما أخال غير ما كان .

ولم تزل هوة البعد عن الحقائق والغرض الأصلي من كتابة التاريخ تتسع حتى أصبح سلطانه منهار الجرف ، منقض الدعائم لطول ما عبثت به أحداث الزمان وأحداث الانسان في عصور الوهم وأزمنة الانحطاط ، وصار أسوأ من الأدب حظاً ، وأنحس منه طالعاً ، تتلاعب به أدمغة العجائز وألسنة القصاصين والممخرقين والمخرفين ، محشوة أسفاره بالخرافات والأكاذيب إلا النادر القليل .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وسواء في ذلك من عني بتاريخ قرن أو حكومة أو قطر ، أو من اشتغل بالتاريخ العام ، وإنك لتجد كثيراً من المؤرخين وغيرهم يعتبرون المؤرخ «كحاطب ليل» ، ومنهم من جعل هذه الكلمة تكأة له في سيره المغلوط ، فاشتبهت عليه المخارج والموالج ، واختلط لديه الحابل بالنابل ، فجمع الغث والسمين ، ومزج الممكن بالمستحيل ، وليت الخطب وقف عند هذا المرض القتال ، والداء العضال ، وهو مزج الصحيح بالسقيم ، وخلط الجائز بالمستحيل ، ومجانبة النقد وعدم التمحيص ، ولكنه تعداه إلى ما هو أدهى وأمر ، وأسوأ حالاً مما مر ، وذلك ما أشار إليه الأستاذ المعاصر محمد كردعلي بقوله : «كان المؤرخون بعد القرون الوسطى بين عاملين قويين إما أن يكذبوا فيغضبوا الحق أو يصدقوا فيغضبوا الخلق» . وقال العلامة الفيلسوف

إمام المؤرخين ، واضع علم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون[1] رحمه الله أثناء خطبة كتابه المسمى بالعبر وديوان المبتدأ والخبر : «وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا اخبار الأيام وجمعوها وسطروها ، وفي صفحات الدفاتر أودعوها ، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها وابتدعوها ، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها ، واقتفى تلك الآثار الكثير من بعدهم وأدوها إلينا كما سمعوها ، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها ، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا رفعوها ، فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب كليل ، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل الخ » .

وقال السيد العلامة محمد رشيد رضا رحمه الله : «إن معرفة تاريخ الأمة هو الوسيلة الأولى للنهوض بها والصعود في مراقي الحياة بين الأمم ، وضرر الجهل والكذب فيه كضرر الجهل والكذب في بيان أحوال المريض وأعراض أمراضه للطبيب الذي يعالجه» .

فلا بد لكاتب التاريخ إذاً من تجري الحقائق ، وتمحيص الأخبار ، والابتعاد عن كل ما يشوب وجه الحقيقة من زيادة أو نقصان ومجانبة الهوى ونزعات النفوس ، وأن يحكم العقل لا العاطفة عملاً بقوله تعالى ﴿وإذ قلتم فاعدلوا﴾ مع ملاحظة الحالة الاجتماعية والاخلاقية والسياسية وكل ماله صلة بحياة الأمة ، وفي ذلك من المشاق والمتاعب مالا يفي الكلام بوصفه ولا يدرك كنهه إلا من خاض لجج هذه الأبحاث : «وفوق كل ذي علم عليم » ، قال بعض مؤرخي الأفرنج : «ليس التاريخ من العلوم السهلة فلأجل يوم واحد يصرف في التركيب ينبغي قضاء أعوام طويلة في التحليل » .

[2] وإذا تأملنا فيما دونه كبار المؤرخين القدماء كالطبري وابن الأثير

---

(١) هو المفكر الإسلامي العظيم له طريقة لم يسبق إليها في فلسفة الاجتماع والتاريخ .
(٢) السنة الثانية المجلد الثاني .

والمسعودي وابن خلدون في تأريخه دون المقدمة واضرابهم ، وجدنا بتلك المؤلفات روعة العلم وجلاله ، ولمسنا روح البحث والتحقيق والاستقصاء والانقطاع للعمل والشهوة العلمية لذاتها بارزة وماثلة .

ولكنها لم تتعد دائرة البحث عن الحالة السياسية ، ووصف حركات التجاذب والتغالب بين المتوافدين من الأمراء والملوك ، وما يتبع ذلك من نزوات ونزعات ، ولذا جاءت تلك المؤلفات غير كاملة بالمعنى المراد من التأريخ لأنهم لم يفوا المشكلة التاريخية حقها.

ويمتاز قدماء المؤرخين بسعة الإطلاع والإحاطة بالجزئيات والفهم للحقائق والقدرة على التعبير : «ولكنهم لم يقدروا على ربط الحوادث برباط جامع لها» . وقد طوع لهم إدراك الجزئيات الإحاطة بشتى الحوادث وما جرى في السنين من الأحداث ، فجمعوا في مؤلفاتهم الكثير الطيب ممزوجاً بغيره من دون نقد وتمحيص أو تعليل واستنتاج ، فكان من جراء ذلك أن برزت الحقائق محاطة بإطار من الخفاء يعوزها النضوج والاكتمال ، كأنها منجم الذهب يتوقف الحصول عليه على إزالة ما يخالطه من العناصر المتنوعة .

واستمر الحال على ذلك آماداً متطاولة ، وطرق التأليف في هذا الفن مشابهة حتى ظهر إمام المؤرخين عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله في القرن الثامن الهجري فعني بالتأريخ عناية خاصة واعتبره جزءاً من الفلسفة ولكن هذا الجزء ينبغي ألا يعنى بشيء سوى تقرير الحوادث والعمل على كشف ما بينها من اقتران الشيء بسببه على أساس النقد البريء من التشيع والهوى .

وأكبر قواعد البحث التاريخي هي أن الحوادث يرتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول[1] .

وقد أطال في مقدمته الكلام على هذه المباحث ، وأثبت فيها القوانين

---

(١) راجع تاريخ الفلسفة في الإسلام ومقدمة ابن خلدون.

العامة والأسس الأولية للمقايسة والتمييز وذلك بالإمكان ، والمقايسة والاستحالة ، فمقارنة الماضي بالحاضر تعطينا قانون التشابه ، وقياس الأخبار على أصول العادة ، وطبيعة العمران يعلمنا قانون الإمكان والاستحالة .

ومن المؤسف ان هذا الفيلسوف الاجتماعي العظيم لم ينتفع المسلمون بمبتكراته في علم الاجتماع وفلسفة التاريخ لتأخر زمانه عن زمن النهضة العربية الإسلامية ، وظلت آثاره آنفاً لم يمط عنها اللثام إلى أن شرع الغرب في النهوض .

أما من تقدمه من مؤرخي المسلمين فإنه بالرغم عن مقدرتهم العالية ، وملكتهم الكتابية ، ونزاهة مقاصدهم ، واتساع الفكر الإسلامي العربي وحريته في أيامهم ، نجدهم فيما نقلوه عن غيرهم قد تجنبوا النقد أو تهيبوه تقديساً للرواية أو لعلة أخرى ، وقليل منهم من أتى بشيء جديد ، أما ما يتعلق بأزمنتهم فلم يبعدوا عن الأسلوب المذكور أولاً .

على أن بعضهم قد تأثر بالنزعات الدينية والعصبية القومية والمذاهب السياسية إلى أمد بعيد فظهرت مؤلفاتهم في ثوب شفاف ينم عما تحته من سلطان الهوى وحكم العاطفة .

كما أن بعضهم لم يتورع عن خدمة الأغراض السياسية والمقاصد الشخصية ،وجعل البحث التاريخي شبكة لصيده ، ومطية لنزوات روحه ، ولا سيما أيام كانت السياسة تركض وراء الألسنة القوية ، والأقلام السليطة لتستفيد من نصرتها ، وتعتز بشهرتها ، ليتم لها احتكار السلطة في اشخاص القائمين بها ، وصرف البلاد والعباد عن التفكير المثمر والعمل النافع ، إلى ما يعود بالمجد الأجوف والخير المزعوم ، وقد سجل التاريخ من أعمال الفريقين ما يندى منه الجبين .

وصفوة القول أن هذا الفن لم يوله أربابه الأكفاء حقه من العناية كسائر الفنون : «ولم يمحصوا أخبارهم الموروثة تمحيصاً دقيقاً ، ومع هذا فقد كان

الكثيرون يعولون عليها تعويلهم على المشاهدة ، وكانوا يرجحونها على حكم العقل لأنه قد يسهل أن يسلم بنتائج غير صحيحة» .

وكان بين المؤرخين دائماً قوم يذكرون مختلف الروايات من غير تشيع ، وكان آخرون مع ما أظهروا من مراعاة لمطالب الحاضر لا يترددون في الحكم على الماضي أحكاماً يتفاوت حظها من الصحة ، وكثيراً ما يسهل على الإنسان أن يصيب في حكمه على الحوادث الماضية أكثر مما يسهل عليه الحكم على شؤون العصر الذي يعيش فيه »[1] .

وقد أنتج الفكر العربي عندما استبحر في العمران ، واتسع نفوذه ، وازدادت معارفه قسماً من أقسام التاريخ تفنن فيه تفنناً يفوق الوصف ، وبلغ فيه مبلغاً من الاتقان لا يدرك شأوه ، واستعمل فيه النقد والتمحيص إلى أبعد حدوده وذلك فن التراجم .

فإنه اتسع نطاق التأليف والمؤلفين فيه وذهبوا في الجودة والافتنان كل مذهب ، فقسموا كتبه إلى خاصة وعامة ، وبذلوا عناية كبرى في تتبع أحوال عظماء الرجال ، وآثارهم وكل ما يحيط بحياتهم ويلابسها من خير وشر ، وفضل ونقص ، وتعمقوا في مسايرة حياة من ترجموا لهم وتأثروهم خطوة خطوة . ولشدة عنايتهم بفن التراجم جعلوا المؤلفات العامة للنابهين في أي فن كان ، والخاصة لمن نبغ في فن مخصوص كالنحاة والأطباء والكتاب والشعراء والفقهاء والمتكلمين والحجاب والوزراء والزهاد والمتصوفة والأدباء والمغنّين ونحوهم .

فكانت هذه الكتب القيمة من أغزر الموارد في الأدب العربي ، وأروع الآثار في التاريخ ، لأنها تدلنا على كثير من الفوائد التي لا وجود لها إلا في التراجم ، ولولاها لافتقدنا حلقات من تاريخنا لا يكمل وجوده بدونها ، وكان

---

(١) راجع تاريخ الفلسفة في الإسلام.

لها الفضل أيضاً في تبيان ما طواه التاريخ السياسي وأهمله من شؤون الحياة العلمية والأدبية والدينية والأخلاقية ، وما يتصل بذلك من آراء وأفكار ومعارف وفنون .

ولما تدهور الأدب العربي قلت براعة الكتاب في ذلك ، وأصاب تلك الناحية ما أصاب غيرها من فنون الآداب ، وكأن بعض المؤرخين استشعر نقص الناحية الأولى من التأريخ فعمد الى الجمع بين الحوادث والتراجم فجاءت مؤلفاتهم : «كجونية العطار» .

ومما هو جدير بالذكر هنا لعلاقته بالموضوع الإشارة إلى عناية العرب العظيمة بعلم الجغرافية ، والبحث عن شكل الأرض وظواهر الطبيعة ومعرفة الأقاليم وخطوط الطول والعرض وتقسيم المناخ إلى مناطق ، والفحص عن أحوال الأمم وطبائع الشعوب ، وإجالة الفكر في كل ما يصلح أن يجول فيه عملاً بهداية القرآن ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ .

واهتمامهم الكبير بالبلدان وضبط أسماء المدن والقرى والجبال والأنهار والأودية والطرق والمسافات ومحطات البريد ، وتكبدهم الرحلات الشاقة والأسفار الطويلة في سبيل البحث والتنقيب عن كل ما يتعلق بهذا العلم من حقائق تستأهل التخليد والتسجيل ، وتأليفهم في ذلك المؤلفات النفيسة الممتعة ككتاب الجاحظ عن البلدان ، ومعجم ياقوت الرومي الحموي ، وصفة الجزيرة العربية للهمداني اليمني ، ورسالة فيلسوف العرب أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي ، وجغرافية عبدالله بن خرداذبة ، والمقدسي ، ومحمد بن رسته ، وأمثالهم .

كما أن إليهم يرجع الفضل أيضاً في تخطيط الخرائط . ووضع التقارير الضافية عن رحلاتهم البعيدة كما يفعل الغربيون اليوم .

وأقدم أثر عربي عثر عليه في تخطيط الخرائط كتاب أبي زيد البلخي ،

أحد تلامذة الفيلسوف الكندي ، عنى فيه بوجه خاص بالخرائط ، فصور العراق في زمانه سنة ٣٠٩ هـ بخريطة جعلها ياقوت الحموي دليله في رحلته كما نوه به في كتابه : إرشاد الأريب .

وكذلك فعل الشريف محمد الادريسي في كتابه : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، وهو من أجل الكتب الجغرافية وأنفسها ، وبه خريطة للبلاد المصرية وكان تأليف الكتاب المذكور بعناية (روجر الثاني) ملك صقلية وتايلي منتصف القرن السادس .

والمستبصر في تاريخه لجزيرة العرب صور فيه أهم مدن الحجاز واليمن في أيامه ، وذكر طرقها وتاريخ اختطاطها ، ومقدار المسافات إليها .

ومن أمثلة تقارير سواح المسلمين تقرير احمد بن فضلان سفير المقتدر العباسي في بلاط ملك البلغار سنة ٣٠٩ هـ ذكر فيه أحوال البلاد الطبيعية وعادات السكان وأخلاقهم وتقاليدهم باسلوب ممتع أورده ياقوت في معجمه .

وتقرير إبراهيم بن يعقوب احد تجار المغرب عن رحلته إلى أوربا والمانيا ، وأبو دلف مسعر بن مهلهل عن الهند وتركستان وأبو الريحان محمد بن أحمد البيروني عن الهند أيضاً .

والقاضي الحسن بن أحمد الحيمي الصنعاني ، سفير الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد ، إلى ملك الحبشة وصف فيه حالة البلاد الطبيعية والسياسية وبلاط ملك الحبشة ، وما كان يحتوي عليه من دسائس الرؤساء والقواد ونحو ذلك .

(١)تلك نظرة إجمالية وكلمة عامة عن المصادر التاريخية العربية كان إيرادها لبيان ما يعترض الباحث أو المؤرخ من عقبات في تاريخنا القديم على جهة

---

(١) الحكمة : العدد ١٠ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، شعبان ١٣٥٩ هـ (سبتمبر/ اكتوبر ١٩٤٠ م) ص ٢٩٥ ـ ٣٠١ .

الإجمال ، وفي المثال ما يغني اللبيب ، وذلك كله والمصادر التاريخية للأمة أو البلدة التي يريد البحث عن أحوالها متوفرة ، والمراجع التي يستنبط من منابعها بحوثه ، ويستقي من مناهلها نصوصه غنية ، والطرق الموصلة الى الغاية معبدة أو قريبة[1] .

ولكن قل لي بربك أيها القارىء ماذا يقول الباحث المفكر المنصف الخبير بمشاق البحث ومتاعب الطلب ، إذا وقف أمام التاريخ اليمني وأبحاثه الغامضة وفصوله المبعثرة بين مئات المجلدات وآلاف الصفحات ؟ وبماذا يحكم إذا عرف أن طريق البحث متعرجة ملتوية ذات أدغال وسلسلة جبال وعرة المسالك ، وأن السالك فيها لعلى قلَتٍ إلا ما وقى الله ؟

لا شك أنه يعذر الكاتب في تقصيره ، ويرضى منه بميسوره ، ويوسعه العذر ، ويقابله بمزيد الشكر ، وأيم الله إنه لشيء عسير « يضل فيه الخريت » ويحار فيه الحكيم » . وقديماً اضطربت أفكار المؤرخين في أمره ، كما احتار من بعدهم في قصصه وأخباره ، ففي سبيل الله ما يلاقي الباحث في تاريخ اليمن .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

غير أنه لما كان من الواجب المحتم على كل فرد وهبه الله حظاً من العلم ، ونصيباً من الادراك ، وقسطاً من المعرفة (٢٩٧) القيام بواجب الشكر ، وشكر كل نعمة بحسبها ، وكنت ممن أفنى السنين الطوال ، وشغل فراغ أيامه منذ الحداثة إلى زمن الكهولة ، في البحث والتنقيب والدرس

---

(١) وما أصدق ما قال الكاتب الكبير الأمير شكيب ارسلان في مقدمة كتابه تاريخ غزوات العرب في هذا الشأن ، ولا ينبئك مثل خبير ، قال: «ولعمري ان هذا التاريخ المجيد وإن سقته سيول المحابر، واخضرت له أعواد المنابر ، وسبقت فيه تآليف استولى اصحابها على الأمد اخراجا، ولمعت فيه كتب لو لاحت لكانت بروجا، ولو نضدت لكانت ابراجا، لا تزال فيه نواقص بادية العوار، ومعالم طامة الآثار، ومظان متوارية غامضة، ومعلومات قاعدة غير ناهضة تحتاج إلى همم بعيدة من الأفواج الآتية ليثيروا من دفائنها ومعارف واسعة عند السلائل للقبلة ليتقلوا من كنائنها) .

والتنقير عن علم التاريخ ، وما بصحائفه من عبر وعظات ، ومن بين تلك الأسفار ما يخص اليمن المبارك ، « مجر عوالينا ومجرى السوابق »، أحببت أن أقوم بذلك الواجب بعد أن بذلت الوسع ، واستفرغت الجهد في جمع الشوارد ، وقيد الأوابد ، واستقراء النصوص ، وتتبع الأدلة حسب الإمكان . وقد راعيت أمانة النقل ، وواجب العلم فيما احتجيت به من كلام الغير ، وأبحت القراء من عقلي ونفسي ما أبحتهم من عقول ونفوس من نقلت عنهم ، فلم أكتف بنقل ما قالوه وجادت به عقولهم من دون أن أبدي رأيي ، ولا سيما فيما تضاربت عنده الأفكار ، واختلفت فيه الروايات ، فإني لم أقف هنالك وقوف المشدود الحيران ، بل تقدمت ومحصت بقدر ما أستطيع ، (من قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) ، ومن الله استمد التوفيق ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وسأبتدي بذكر حضارة اليمن وأقوال المؤرخين في ذلك .

اليمن مهد الحضارة البشرية

اليمن الخضراء أو اليمن السعيد[1] ذات المروج الخضراء ، والسهول الممرعة ، والهضبات الخصبة ، والجبال الشاهقة ، والينابيع الفياضة ، والأنهار المتدفقة ، والأسداد المحكمة ، والآثار الخالدة ، مشرق شمس الحضارة ، ومطلع أفلاك المدنية ، مركز النبوغ ومعهد الثقافة ، مهد الإنسان الأول[2] وأقدم بلدان المعمورة رقياً ، وأروعها مدنية ، وأعظمها عمراناً ،

---

(١) قال المؤرخ المعاصر الدكتور اسرائيل ولفنسون : «يعتقد جلاوز أن كلمة العرب السعيدة عن اليمن إنما هي ترجمة حرفية لكلمة اليمن باليونانية لأنها مأخوذة من اليمن والبركة، لا كما يعتقد المستشرقون أن هذا اللفظ من اختراعات اليونان، هذه ملاحظة دقيقة وتعارض النظرية التي تقول بأن كلمة اليمن تعني ناحية اليمين، كما أن بلاد الشام من ناحية الشمال .

(٢) عن ابن قتيبة في كتاب المعارف.

تحت سمائها الصافية وعلى أديمها المنبت ، وفي مروجها النضرة مرحت أبطال الحروب ، وعباقرة الفنون ، ومهرة الرسامين ، ونوابغ الصناع ، وتركوا من نتاج عبقريتهم وآثار نبوغهم معاول الدهر ، وفل شباء القرون .

ولم تزل بعض تلك الآثار جاثمة كالخلود، تمثل لرأيها أجيالاً من ملوك حمير وسبأ ومعين والأذواء ، وينشد لسان حالها قبل سؤالها :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وما عليك أيها الباحث إلا أن تقف قليلاً بطلولهم الدوارس ، ورسومهم الطوامس ، بمعين ، وبراقش ، والحمراء ، وصرواح ، وسبأ ، وناعط ، وظفار ، وبينون وغمدان كي تناجيك آثارهم ، وتخبرك مآثرهم من نقوشهم المطلوسة على الأحجار ، وبقية أطلالهم الثابتة على كر الأعصار ، أنهم أساتذة العالم في تلك العصور ، فان بقية ما أسارته الأيام من القصور والهياكل والمدن والمعابد لا يزال قريباً ، مما كان ، والكثير منها سطا عليه الزمان ، فلم يبق منه غير العنوان .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

طلل عند دمنة عند رسم ككتاب محا البلا عنوانه
من رآها هذي ملوك الـ ـدهر هذا وقارهم والرزانة
وبقيا هياكل وقصور بين أخذ البلى ودفع المتانة

ثم تندس ذلك القلم المسماري والخط الهيروغلوفي وردد الطرف في آثار الأمم التي نالت حظها الكامل من الحضارة في تلك القرون ، تجد المشابهة الكاملة ، والمشاكلة التامة ، شبه الماء بالماء والغراب بالغراب ، وحينئذ لا يسعك إلا الجزم بوحدة الأصل والتسليم بما قضت به أساطين البحث ورجال التاريخ وعلماء الاجتماع وغواة الآثار من أن تلك الأنوار التي أنارت الشرق والغرب قبس من هذه النار ، فإذا عرفت ذلك فما عليك إلاّ أن تنشد بملء فيك .

الملك فيك وفي بنيك وأنه حق من الآباء للأحفاد
وأمانة التاريخ في أعناقهم من عهد بابل يوم نهضة عاد
وذوي حمورابي وآل سميذع وبني معين وحمير وأياد

وفيما تكاثفت عليه ظلمات الأعصار ، وطمرته أتربة النسيان ، وغمرته سواقي الزمان، وزوابع الطغيان، ولم يبق منه غير (نوء مثل خط بالقلم). من ذلك الماضي المشرق ، والشرف المؤنق ، والفخر التالد ، وما يشبع رغبات الباحثين ، وسد فراغ الخزائن ، ويسدي إلى التاريخ والإنسانية أعظم منه .

فمما لا شك فيه أن اليمن كانت لها حضارة موغلة في إثباج الماضي ، وأنها سبقت مدنية الإغريق والرومان في تشييد الصروح والقصور والمعابد وتجميلها بالزخارف والنقوش والتهاويل ، وأن سبأ ومأرب كانتا محط رحال النوابغ ، ومثابة لرجال الفنون كالبنائين والحفارين والمصورين ، وان فن العمران بها كان قد سبق زمن (اقليدس) أستاذ الهندسة الأكبر كما يستفاد ذلك من أطلالها التي تدل بنقوشها أنها كانت قبل أن يعرف العالم أقليدس[1] .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كانت اليمن وعرف وجودها قبل أن تشاد بيوت النيران ، ومعاقل الأوثان ، وبيع الصلبان ، وأديار الكهان ، قبل أن يبني خوفو[2] هرمه العظيم ، ويؤسس سرجون[3] الأول دعائم ملكه بالبحر المتوسط وجزر اليونان ، ويخرج موسى ببني إسرائيل من أرض الفراعنة : كانت شريعة

---

(١) اقليدس ابو الهندسة ومؤسس مذهب البحث العلمي وإليه يرجع الفضل في جعل عصر سيدة بطليموس سوتر، عصر نفوذ رياضي عظيم ، وبطليموس هو مؤسس دولة البطالسة في مصر بعد الاسكندر سنة ٣٢٣ قبل الميلاد.

(٢) خوفو من الملوك الفراعنة الذين بلغت مصر في عهدهم شوطاً بعيداً في المدنية .

(٣) سرجون الأول الآشوري أول من أسس ملكا سامياً كبيراً في أرض باجل سنة ٢٨٠٠ ق.م. وامتد نفوذه إلى البحر الأبيض المتوسط وانتقل إلى الجزر اليونانية، وسيأتي الكلام على الآشوريين عند ذكر الهجرات القديمة .

« حمورابي »[1] أول شريعة عرفها البشر ونظام سنة الإنسان ، واليمن تنظر إليه بعين الإعجاب لأنه فرع من دوحتها العظيمة ، وغصن من شجرتها الباسقة ، وذلك قبل أن ينشر بوذا[2] تعاليمه على ضفاف الكانج بقرون .

نقل المؤرخ الشهير استرابون اليوناني أن الإسكندر الكبير كان قد اختط خطة قبل موته ، قصاراها أنه يريد نقل عاصمة ملكه من الهند إلى اليمن ، وذلك يدل على ما كان لهذه القطعة المباركة من مكانة في نفس ذلك الفاتح العظيم ، وقديماً اطلق عليها الرومان والفرس واليونان اليمن السعيدة ، والجزيرة الخضراء ، ووصفها مؤرخوهم بما يعجز القلم عن وصفه .

عرفت اليمن وعرفت حضارتها الرائعة وعمرانها الزاخر ، وعلومها المنتجة ، وفنونها الجميلة ، قبل أن تعرف أي مدنية على وجه الكرة الأرضية ، ثم كانت مدنيات موغلة في القدم كالمدنية الكلدانية والآشورية والكنعانية والفرعونية ، والفينيقية ، وفي بعض بقاع المعمورة كالهند، والصين ، وما تلك إلا قبسات نور إنبثق من هذه البلاد كما سيمر بك قريباً :

مشت بمنارهم في الأرض رومـا ومن أنوارهم قبست أثينا

قال الكاتب العلامة الأمير شكيب أرسلان في تعليقاته على ابن خلدون ما لفظه : (كانت للعرب مدنية لا سيما في اليمن في غاية الإرتقاء والإزدهار في نحو الألف السنة قبل المسيح) ، ويذهب الأستاذ المستشرق « موريتز » الألماني إلى أن أصل إيجاد الكتابة بالحروف بعد الكتابة الهيروغلوفية كان في اليمن ، وهو يعتقد أن اليمانيين هم الذين اخترعوا الكتابة وليس الفينيقيون هم الذين اخترعوها كما هو الرأي المشهور ، وقد أفضى موريتز إليّ بأدلة على هذا الرأي وقال إن الفينقيين إنما بنوا كتاباتهم على الكتابة العربية اليمنية ، ثم

---

(١) من الاسرة الكنعانية التي ملكت بابل بعد الآشوريين حوالي سنة ٢٣٠٠ق.م.

(٢) ظهر بوذا في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وقيل إنه كان عايشاً في القرن السادس أو السابع قبل المسيح .

أن اليـونانيين أخـذوا الكتابـة عن الفينيقيين وأخذ عنهم الـرومـانيـون ، فيكـون العرب هم الذين أوجدوا الكتابة في العالم ، وبهذا الاعتبار هم الـذين أوجدوا المدنية .

ونقل عن المستشرق « هرمل » نقلاً عن الانسيكلوبيدية « دائرة المعـارف الاسلامية أن اليونان أخذوا عبادة « أبولون » وأمه « ليوتـو » عن العرب ، وقـال «روبيرتسون سميث» أن «ليوتو» هـذه هي اللات ، وأن اليـونانيين بحسب رأي بـريتوريـوس أخذوا بعض أحـرفهم عن كتابـة عرب اليمن والبعض الآخـر عن الكنعانيين .

وقال هومل أن جنوبي بلاد العرب كانت فيه مـدينة في أوائـل الألف قبل المسيح بالغة الحد الأقصى من الازدهار بما تركته من معابد وحصون ومحافـد وقصور ومكتبات .

[1]فاليمن إذن مهد الديانات ووطن الأساطير ، عانقت الصـابئية الأولى، واحتضنت المجـوسية ، كمـا حمت الوثنيـة وتغلغلت في جنباتهـا اليهـوديـة ، وربت فيها المسيحية : دحرت الرومان ، وقهرت الغزاة ، ولفظت الأحبـاش ، وهضمت الفرس ، وخرجت من معارك الدهر وصراع القـرون عربيـة إسلاميـة « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه » .

فانها لم تلبث الوثنية أن خنست ، كمـا تخاذلت المسيحيـة ، وانكمشت اليهـودية ، كمـا تراجعت المجـوسية ، وأصبحت هـذه القطعـة المبـاركـة وزر الأمن ، ومعتصم السعادة ، منبع الحكمة ، ومقر الإيمان ، والمحل الـذي منه يأتي نفس الرحمن، كما أخبر بـذلك من لا ينـطق عن الهوى صلى الله عليـه وسلم القائل : (الإيمان يمان والحكمة يمنية) ، هكذا صح عن سيد ولد آدم

---

(١) الحكمة: العدد ١١ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، رمضان ١٣٥٩ هـ (اكتوبـر/ نوفمبـر ١٩٤٠ م) ص ٣٢٨ ـ ٣٣٣ .

رجل العالم صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرناً ، قبل عصر البخار والكهرباء واستنطاق الجماد ، وحل الرموز وقراءة النقوش ، ومعرفة الآثار ، قبل أن يعثركريستوف‌كلمب على أمريكا بألف سنة قال سيد قريش « الحكمة يمانية » .

وهناك طوت سجل الماضي ، وقامت بحمل راية الفتح الإسلامي، فأنجبت من أبطال الحروب ، وكبار القواد، وأفذاذ الحكماء ، ونوابغ الشعراء ، ومشاهير العلماء، عداد نجوم السماء .

شهد الخلائق أنها لنجيبة بدليل من ولدت من النجباء

هب رجال اليمن لنشر راية التوحيد خفافاً وثقالا ، واحتملوا أبناءهم وأزواجهم ونزحوا إلى الطرف الأقصى من ديار الإسلام ، وهنالك في أرض الهجرة دافعوا دفاع الأبطال ، واقتحموا الأهوال، وصابروا وصبروا وقاتلوا حتى ظفروا باحدى الحسنيين[1]

بعد أن ملؤا العالم قديماً ، وأخذوا إمرة الأرض اغتصاباً ، واستولوا على الممالك أحقاباً ، وتسلموا زمام الحياة المادية والمعنوية دفعاً وانتزاعاً ، بمالهم من صفاء العقول ، ومضاء العزيمة ، وشدة البأس ، وعظمة المجد ، وكرم الأعراق، فقد كانوا أعجوبة الحياة بكل مظاهرها ، وللّه علامة اليمن نشوان بن سعيد حيث يقول :

قومي الذين تملكوا وتمكنوا في الأرض قبل تمكن الاسكندر
الخاتمون لسد يأجوج الذي لا يستطاع لردمه من مظهر
والضاربون الهام في يوم الوغى بين الصوارم والقنا المتكسر

(١) خرجت الموجة الأخيرة اليمنية لفتح مملكتي فارس والروم في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، قال الواقدي أن أبا بكر قال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه يا أبا الحسين أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إذا أقبلت حمير ومعها نساؤها وأولادها فابشروا بنصر الله على أهل الشرك، قال نعم

ولكم لحميـركم وكم من مفخـر بـاق إلى ميعـاد يـوم المحشـر

لا شك أن أهل اليمن بلغوا مبلغاً (٢٣٠) عـظيماً في الملك ، واتسـع نفـوذهم ، فشملت معـارفهم وحضـارتهم كـل مـا استـولـوا عليـه من الأقـاليم والبلدان ، لأنهم وصلوا إلى مـا لم تصل إليـه مـدارك الأمم في تلك العصـور كما تدل عليه آثارهم .

ولا سيما بمدينة سبأ الشهيرة ، ومأرب حيث كانت أعظم مدينة في ذلك الزمن ، فيها من المعابد والقصور والحدائق وأنواع طرف المدنية مـا يشهد لهـا بـالسبق ، ولأطلالهـا اليوم من العـظمـة والجـلال مـا تتضـاءل أمـامـه عـظمـة المدائن ، ويصغر بجانبه ملك كسرى وقيصر ، وحسبـك ما وصفهـا به القـرآن الكريم قال تعالى : ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آيـة جنتان عن يمين وشمـال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾ .

وقـوله تعـالى حاكيـاً عن هدهـد سليمان عليـه السلام في وصفـه عرش بلقيس وملكها : ﴿ إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ﴾ .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قال العلامـة شكيب أرسلان : « على أن مؤرخي الأفـرنج يعتـرفون بـأن في كتب مؤرخي الإسلام عن مدينة سبأ القديمة والأدوار التي تلتها تنطبق أشد الانطباق على الكتابات المنقوشة في الحجر وعلى المنابع اليونانية والرومانية ، وكلهـا تفيد أن مـدينة سبـأ كانت راقيـة جداً ، وأرقى من المـدنيـات العـربيـة الأخرى ، فالمباني القديمـة الدائـرة من آثار سبـأ ، والنقوش والتمـاثيل وبقـايا الأعمدة والهياكل والقصور والأسوار والأبراج وسدود المياه ، مما شاهـده سياح الأفـرنج بـأعينهم ، يطابق أشـد المطابقـة الأوصـاف التي وصف بهـا اليـونـان والرومان تلك الآثار المدهشـة ولا يجدون فيهـا مبالغـة ، كما أنـه عندمـا ينظر السائح إلى تلك الآثار لا يعود متعجباً مما جـاء عنها في كتب الإسـلام ، مما كان يظنه من أساطيـر الأولين ، وحسبك بمـا ذكره الهمـداني من قصر غمـدان

وغيره من قصور سبأ مثل قصر سلحين وبينون ، وما ذكره من عظمة سد مأرب ، وما كتبه مؤرخو اليونان والرومان عن فخامة تلك القصور وهاتيك الأسداد والقلاع ، فهو مطابق للمحسوس المشهود بالعيان » اهـ .

وقد جاء وصف مدينة سبأ عن كثير من قدماء المؤرخين غير العرب قال « أغاثر سيدس » : أنه كان يوجد في سبأ كل شيء يجلب السعادة لبني آدم ، وغير المحصولات المشهورة يوجد فيها اللبان والمر والقرفة ، وكانوا يطبخون مأكولاتهم بالأخشاب ذات الروائح الذكية ، إلى أن قال : دعائم بيوتهم تلمع بالذهب والفضة ، وأبوابهم من العاج مزينة بالجواهر وباطنها يشبه خارجها ، إلى آخر كلامه الذي يدل على أنهم وصلوا إلى ما لم تصل إليه حضارة نيويرك وباريس ولندن اليوم ولا روما وأثينا وبيزنطة والاسكندرية في العصور الغابرة » .

ونقل جرجي زيدان عن استرابون الرحالة اليوناني ، أن مأرب كانت في زمانه مدينة عجيبة ، سقوف أبنيتها مصفحة بالذهب والعاج والحجارة الكريمة ، وفيها من الآنية الثمينة المزخرفة ما يبهر العقول . وقال المستشرق (نيولد نيكلسون) الانقليزي في كتابه تاريخ العرب الأدبي : سبأ تستعمل غلطاً إذا قصد بها كل بلاد اليمن على حين لم تكن سوى أقليم منها ، وان كانت بلا جدال أقوى شكيمة وأعظم أهمية من كل الممالك والاقاليم التي ورد ذكرها في كتابات الأغريق والرومان القدامى ، ومهما بولغ في عظمتها وثراها فمن المحقق أن سبأ هذه كانت ذات مركز تجاري ممتاز قبل ظهور المسيح بعدة قرون .

وجاء في الأنسيكلوبيدية الاسلامية (دائرة المعارف) أنه لا مبالغة فيما نقلوه من أن أبواب منازل سبأ وجدرانها وسقوفها وأعمدتها كان منها الكثير مموهاً بالذهب والفضة ، مرصعاً بالحجارة الكريمة ، وأن آنيتهم كانت مصوغة من أنفس المعادن ، وهذا ما ذكره الهمداني والمسعودي وغيرهما من مؤرخي

العرب ، وما أيدته الكتابات الصخرية نفسها فيما ترويه عن التقادم العظيمة من الذهب والفضة ونفائس الأحجار ، وقد وجد كثير من المسكوكات السبئية ومن الحلى تؤيد أيضاً روايات الرواة من كل قبيل اهـ[1] .

وقد علل بعض الباحثين وجود المدنيات بعلل شتى ، منها طيب المناخ ، وكثرة المياه أو المعادن ، ومنهم من يعزوها إلى غرائز اختصت بها بعض الأجناس البشرية ، وصفات جادت بها الطبيعة على بعض الشعوب دون بعض ، وكل ذلك متوفر في هذه البلاد وأهليها .

فمن الذي يجهل ذكاء أهل اليمن الفطري ، ونبوغهم العجيب ونشاطهم ، وما في طباعهم من الوجدان، ونفوسهم من الحماسة ، وتلك بلا شك من أكبر عوامل النبوغ والتقدم . وفي تاريخهم الغابر كنوز لا تقدر بثمن محفوفة بسياج جلالة العلم ، وطرازه القوة ، وأسراره الذكاء والفطنة ، فكل حجر أقيم ، وكل تمثال نحت ، وكل نقش خلد، هو صفحة الخلود ، أما من غمرت عبقريتهم أتربة النسيان ، وطمست معالم خلودهم حوادث الأيام ، فلم تتصل بسمع التاريخ فهم أكثر .

وأما خصب التربة ، وبركة الأرض ، وكثرة الإنبات، وجودة الهواء ، وإعتدال الطقس فأشهر من نار على علم ، قال بعض المؤرخين[2] : إن مأرب كانت في بهاء ، مشاهدها الطبيعية على شاكلة مدينة دمشق ، يجري في وسطها نهر عظيم تجتمع إليه المياه المنحدرة من أعالي الجبال ، فيتألف من هذه السيول الجائشة بحر شديد الاغتلام ، يفيض مرة في العام على المراعي والحقول فلا يذر فيها حسناً ، ولا يستبقي من روائعها روعة ، وبذلك أصبحت مرتاداً للملوك والأمراء ، يرتادونه في فصل الصيف القائظ للترفيه عن أنفسهم ، وفي قوله تعالى : (بلدة طيبة ورب غفور) ما لا يحتاج إلى مزيد .

---

(١) تعليقات الأمير شكيب على ابن خلدون .

(٢) هو الاستاذ المعاصر معروف الارناؤود في كتابه سيد قريش.

(١) ألمعنا فيما سبق من أعداد (الحكمة) إلى عظمة اليمن التاريخية ، قيل في حضارتها القديمة ، ونقلنا ما جاء في وصف تلك المدنية عن قدماء المؤرخين من غير العرب كاليونان والرومان والفرس ونحوهم وكلهم أدلة متظافرة على تقدم المخترعين لتلك المدنية في الآداب والمعارف وتعمقهم في أسرار الطبيعة وما خفى من أمرها ، وبذلك يسهل الحكم بأن اليمن مهد الحضارة ، وأن مدنيتها من أقدم ما عرفه التاريخ .

قال العلامة ابن خلدون رحمه الله في مقدمته عند الكلام على العرب وبعدهم عن الصنائع لتوغلهم في البداوة ما لفظه ، وأما اليمن والبحرين وعمان والجزيرة وإن ملكه العرب إلى أنهم تداولوا ملكه آلافاً من السنين في أمم كثيرة منهم ، واختطوا أمصاره ومدنه وبلغوا الغاية من الحضارة والترف مثل عاد وثمود (٣٨) والعمالقة وحمير ومن بعدهم من التبابعة والأذواء إلخ . . .

وقد لحظ هذه الحقائق كتاب التاريخ الإسلامي كالمسعودي في كتابه مروج الذهب ، وابن هشام في كتابه المسمى بالتيجان ، والهمداني في الإكليل ، وغيرهم ممن كتبوا عن التأريخ القديم ، كل أولئك قص علينا من أخبار حمير ، وعظمة ملكهم ، وسعة ما استولو عليه من الأقاليم والأمم كالصين والهند والترك والبربر ونحوهم إلى ما يدعو إلى الدهشة والارتباك . وإليك ما رواه نشوان بن سعيد الحميري للربيع بن ضبع الفزاري في كتابه شمس العلوم ، عند الكلام على ظفار ، قال : وللربيع بن ضبع :

وقل في ظفار يوم كانت وأهلها ... يدينون قهراً شرقها والمغاربا
لهم دانت الدنيا جميعاً بأسرها ... يؤدي إليهم خرجها الروم دائبا
وغمدان إذ غمدان لا قصر مثله ... زهاء وتشييداً يحاذى الكواكبا

---

(١) الحكمة : العدد ٢ ، السنة الثالثة المجلد الثالث ، ذي الحجة ١٣٥٩ هـ (ديسمبر ١٩٤٠ / يناير ١٩٤١ م) ص ٣٧ ـ ٤٣ .

وأربـاب بيـنـون وأربـاب نـاعط خـلا ملكهم منهم فـأصبح عـازبـا
ومـأرب إذ كـانت وأربـاب مـأرب تـوافي جباء "صين بـالخـرج مـأربـا
فمن ذا يرجى الملك من عبد حمير ويـأمن تكـرار الـردى والنـوائبـا
أولئـك مـأوى لـلنعيـم كـفـاهـم ولكن وجدنـا الخير للشر صـاحبـا

وقـد أبطل هـذه الروايـات ابن خلدون في مقدمتـه ، وعدهـا من أغلاط المؤرخين ، وأطـال في نقـد كـل روايـة جـاءت بغـزو حميـر لأمم الشـرق أو الغرب ، وعلل امتناع ذلك بعلل جغرافية وأخرى إدارية وسياسية ، ولكنه وقـع فيما أنكره على غيره ، ولا أقول كمـا قال فيـه بعض المستشرقين من أنـه قليل الثبات على وتيرة واحدة ، وإليك ما قاله في نقد أقوال المؤرخين أولاً ، قال : (ومن الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة في أخبار التبـابعة وملوك اليمن وجزيرة العرب من أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى أفـريقيا والبـربر من بلاد المغرب وأن افريقش بن قيس بن صيفي من أعاظم ملوكهم الأول ، وكان بعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل ، غزا أفـريقيا وأثخن في البـربر ، وأنـه الـذي سماهم بهـذا الإسم حين سمع رطـانتهم ، وما قـال : ما هـذه البـربـرة الخ .

ثم ذكر رواية المسعـودي أيضاً من أن ذا الأذعـار من ملوكهم غـزا المغرب ودوخه ، إلى أن قال : « وكذلك يقولون في تبع الآخر من أنـه ملك الموصـل وأذربيجان ، ولقي الترك وهزمهم ، وأثخن ، ثم غزاهم ثانية وثالثة ، وأنـه بعد ذلك أغزى ثـلاثة من بنيـه بلاد فـارس والصغد والصين ، إلى أن قـال : وهذه الأخبـار كلها بعيـدة عن الصحة ، عـريقة في الـوهم والغلط وأشبه بـأحـاديث القصص الموضوعة وذلك أن ملك التبابعة إنما كان بجزيرة العرب وكرسيهم صنعاء ، وجزيرة العرب ، يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها ، فبحر الهنـد من الجنوب ، وبحر فـارس الهابط منـه إلى البصرة من المشرق، وبحر السـويس الهابط منه إلى السويس كما تراه في مصور الجغرافيا، فـلا يجد السـالكون من

اليمن الى المغرب طريقاً من غير السويس ، والمسلك هنالك ما بين بحر السويس والبحر الشامي قدر مرحلتين فما دونهما ، ويبعد أن يمر بهذا المسلك ملك عظيم في عساكر موفورة من غير أن تصير من أعماله ، هذا ممتنع في العادة ، وقد كان بتلك الأعمال العمالقة وكنعان بالشام ، والقبط بمصر ، ثم ملك العمالقه مصر ، وملك بنو إسرائيل الشام ، ولم ينقل قط أن التبابعة حاربوا أحداً من هؤلاء الأمم ، ولا ملكوا شيئاً من تلك الأعمال الخ .

وهو كلام ظاهر البطلان منقوض، ولا حاجة إلى بيان غلطاته والتنبيه عليها، وسرد الروايات التاريخية المناهضة لها، ولا سيما وقد نقضها هو، وأورد هذه الأخبار مستدلاً بها في عدة مباحث ، منها عند الكلام على الأمم المتوحشة، وسعة ما تملك مستشهداً بحمير، وكيف كانوا يخطون من اليمن إلى المغرب مرة، وإلى العراق والهند أخرى، وأن ذلك لم يكن لغير العرب من الأمم. وقال في صفحة ١٥٥ عند الكلام على طبائع الدولة في أدوارها الخمسة : وأعتبر ذلك بجوائز ابن ذي يزن لوفد قريش، كيف أعطاهم من أرطال، الذهب والفضة والأعبد والوصائف عشراً عشراً، ومن كرش العنبر واحدة، وأضعف ذلك بعشرة أمثاله لعبد المطلب، وإنما ملكه يومئذ فرارة اليمن خاصة تحت استبداد فارس، وإنما حمله على ذلك نفسه بما كان لقومه من التبابعة من الملك في الأرض والغلب على الأمم في العراقين والهند والمغرب، وقال في موضع آخر: «وقد كان الخط العربي بالغاً مبالغة من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف، وهو المسمى بالخط الحميري، وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها دولة آل المنذر، نسباً التبابعة في العصبية، المجددين لملك العرب وأرض العراق، انتهى» .

وعلى كل تقدير فإن أجل ما كتب في هذا الباب وأقربه إلى الحقيقة ، ما كتبه نشوان بن سعيد الحميري ، والحسن بن أحمد يعقوب الهمداني ، وهما من فحول رجال اليمن وأعيانها ، غير أنه من المؤسف بل

الموجع أن معظم ما كتبوه سطت عليه أيدي الزمان ، ونوائب الأيام ، وكثير من ذلك خرج من اليمن ولاذ بخزائن الغرب ، لاذ ببرلين ولندن وروما والاسكريال ، وما بقي منه بالمين انكمش بخزائن العظماء ، وانحجر في ظلمات البيوت ينادم الفيران والأرضة ، مع أن مؤلفاتهما لا تخلو من المبالغة والمجازفة في كثير من الأخبار ، وذلك لبعد ما بينهم وبين من كتبوا عنهم من القرون الطوال ، فقد نقلوا ما سمعوه وفيما كتبوه طرفاً من الخبر لأنباء عن الحقيقة. وزيادة على تقادم العهد، ميلهم العظيم إلى المجد السالف والتغني بمفاخر الآباء والأجداد إلى درجة التعصب ، وهو ما حال بينهم وبين نقد بعض (٤١) الأخبار المبالغ فيها ، مع أن تلك الأخبار ليست كذباً ، ولا يصح إهمال ما جاء فيه ، نوع من الغلو، قال الامير شكيب أرسلان : « جاء في الانسيكلوبيدية الإسلامية « دائرة المعارف : « أنه لم يوجد بين كتاب العرب من جاء بتاريخ حقيقي عن اليمن ، وبمعلومات مؤسسة على قواعد متينة ، مثل الهمداني، فقد كان هذا الرجل يمانياً مولوداً في صنعاء ، فحمله حب وطنه ، والإعجاب بقومه ، على تأليف كتاب الأكليل الذي ذكر فيه تاريخ اليمن ، ووصف العاديات التي هي في الجزء الثامن من الأكليل ، كان نشره مع ترجمة ألمانية الدكتور « مولر » ، وقد أخذ من الجزء العاشر معلومات تكمل ما ورد في كتاب الهمداني الآخر المسمى بصفة جزيرة العرب ، وقد كان في كتاب الهمداني قصص أشبه بالأساطير نقلها الهمداني على علاتها إلا انا برغم ذلك هو الكتاب العربي الوحيد الذي يفهم منه القارىء ماالمين ومن أهل اليمن وفيه تفاصيل عن أنساب اليمن وطبائع أهلها ، وعن مواقع مدنها ، وعن قصورها وحصونها ، لا توجد في كتب الإفرنج برغم تدقيقاتهم ، وكذلك في إكليل الهمداني عن سبأ وعن سيل العرم ما لا يتم تأريخ اليمن إلا به ، وقد ذهب مولر أن الكتابات الحجرية لا تكفي لجلاء وتأريخ سبأ ومعين وبلاد اليمن » .

وبالرغم على ما دونه الهمداني وغيره ، وما عثر عليه المستشرقون من

النقوش وكشفوه من الآثار ووجدوه من المسكوكات ، فان تاريخ أولئك الأقوام لا يزال في مرحلته الأولى ، وطريق الدراسة مهما أمعن فيها المتوغل ، وتقليب الصفحات وان استغرقت أيام الحياة ، لا تسد الحاجة ولا تروي الغلة لما هنالك من مجاهل لا تهتدي الأفكار إلى مهيعها، والحل الوحيد لهذه المشكلة إنما هو درس الآثار والتفهم لأسرارها ، وأظن الوقت قد حان للفوز بهذا الفخر العظيم ، فمن الخليق بتاج ذلك المجد الباهر يا ترى ؟ الأمل وطيد في همم رجال الجد ، ذوي الغايات البعيدة ، والمراتب الكبيرة ، والنفوس العالية ، والضمائر الحية ، وما ذلك عليهم بعزيز .

إذن فما الحيلة ؟ وكيف السبيل الآن إلى معرفة ما لا بد منه للمؤرخ ليعرف الحاضر حق العرفان ، لأنه لا يعرف بغير الماضي لما يستنتجه من المباحث التي تدرجت فيها الأمة وأدوار الانتقالات التي مرت عليها حتى يتسنى له وصف الروابط المعنوية والعادات الموروثة والأخلاق المتنقلة ، ليربط بين ماضيها وحاضرها برباط الوحدة التاريخية .

وهنا يقول القلم وهو يكاد يتعثر خجلاً ، ليس أمامك أيها الباحث غير ما كتبه المستشرقون عن هذه البلاد ، وذلك المجد الضارب أطنابه بالنجوم وبقية ما دونه أولئك الآباء الأمجاد ، ولا أقول أنه من العار نقل ما كتبه المستشرقون (فالحكمة ضالة المؤمن) ولكن من العار الجمود عليه والوقوف عند ما رسموه ، وأن نبقى عالة عليهم حتى في معرفة بلادنا ، ومهد آبائنا، ومدافن أجدادنا .

وعلى كل تقدير فإن للمستشرقين فضلاً لا ينكر على التاريخ لإكتشافهم الآثار ، وحلهم النقوش ، ومواصلتهم البحث عن حقائق لها قيمة عالية في عالم التأريخ ، فقد أوضحوا كثيراً من خفاياه ، وعرفوا من الدول الغابرة والأمم القديمة ما لم يعرفه مؤرخو اليونان ولا الرومان ولا العرب أنفسهم كما سيأتي إن شاء الله قريباً .

ومن أهم هذه المعلومات ما عثر عليه المستشرق هاليفي وقلازر وأرنو وغيرهم من آثار دول اليمن القديمة ، فانهم جزموا بوجود حكومات متعددة في جهة حضرموت وسبأ وما اتصل بها ، من أهمها : دولة معين وهي أقدم دول اليمن ، ثم دولة سبأ وحمير وحضرموت وقتبان ، بينما كان قدماء المؤرخين من العرب لا يزيدون (٤٣) على ذكر الدولة الحميرية ، وإليها ينسبون كل عظمة ، وبعض مؤرخي اليونان أشار إلى دولة معين بعدة كلمات

أحمد بن أحمد المطاع

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

لا بدّ لنا ونحن نستطلع خلاصة التاريخ فيما أنتجه أهل اليمن من آثار فكرية رائدة، أن نقف عند شخصيات هضم التاريخ حقها وتجاهلها في نفسها وآثارها الفكرية، وإذا ذكر هؤلاء يكون رأسهم الأديب الحر الشهيد احمد بن احمد المطاع فهذا الرجل ثمرة صالحة لتربة الأرض اليمنية برجالها المفكرين وأحرارها الأذكياء.

وكأني به وقد عاش في بيئة لا تشجع كثيراً المسلك الذي نحاه لنفسه، قد سبر الأغوار، وعرف ما يدور حوله من عوالم متقدمة ، وومضات رائعة تمنّى أن يكون لشعبه مثلها، فطالع وكتب واجتهد حتّى ظفر بما رامه فانتج وأبرز على الرّغم من قصر عاشها وقطف الثمرة ولَمّا تأتِ بعد بكل ما فيها من أكل وفاكهة.

نعم نجد في النشر القصير الذي حملته صفحات مجلة الحكمة ما يعطينا صورة كاملة للعقلية المنفتحة التي عرف بها أديبنا الشهيد احمد بن احمد المطاع، وكان ما كتبه منعطفاً تاريخياً في فكرنا الثقافي الحديث قاطبة، بل هو مرحلة مبكّرة من الإبداع لا نغالي إذا قلنا إنها الأولى من نوعها في الجزيرة العربية.

لكن الإنتاج الفكري الذي رأيناه في مجلة الحكمة ليس هو كل ما في جعبة شهيدنا من إبداع خلّاق، وإنما سوّد مئات الصفحات في دراسة التاريخ

اليمني وقد أراد بها أن تكون درساً عمليًّا وتشريحاً دقيقاً لجسم الأمة عبر أطوارها التاريخية المتعدّدة، وما اعتراه من أدواء متعمّقة، وأمراض نخرت في كيانه على إثر تفشّي الحكام المسيطرين الذين نهشوا جسمه وتركوه جثة هامدة لا تقوى على حراك.

وقد كان للشهيدأحمدالمطاع رسالة وطنية عظيمة، وفكر إصلاحي ثائر، يأخذ عليه كل كيانه لم يستطع المجاهرة به في ظل الحاكم المسيطر، فما كان منه إلاَّ أن جعل من دراسة التاريخ ستاراً يندرج تحته ويبني في أجوائه علمه وما أراده من قول.

فكان هذا الإنتاج الكبير الذي بين يديك، وهو ثمرة لجهد كبير، تكاتف على القيام به نخبة من مثقفي اليمن، ومفكريها في ذلك الوقت، وهو ثمرة حيّة لمدرسة الحكمة التي تصدَّرها الاستاذ احمد عبد الوهاب الوريث ورفقاؤه، وكانت تنتج وتؤلف تحت رعاية الأستاذ عبدالله بن يحي بن محمد الذي شارك شهيدنا المطاع السيف والموت، وكان الرجل قد رحل إلى مصر وشجّع نشر بعض الكتب اليمنية وتحقيقها فحقق اديبنا المطاع تحت نظره عطر نسيم وهو أول كتاب تراثي يقوم بتحقيقه باحث يمني في العصر الحديث، وفي مصر كلّف الأستاذ محب الدين الخطيب بتحقيق الجزء العاشر من الإكليل وطبعه على نفقته، ثم ترجمة كتاب رحلة ابونتى إلى اليمن ونشرها في مصر. وغيرها ثم تكونت لجنة التاريخ سنة ١٣٥٦ هـ لجمع شتات التاريخ اليمني ولمّ مصادره في تدوين شامل أضطلع به أعلام من اليمن في ذلك الوقت، كان على رأسهم المؤرخ اليمني المعروف محمد بن محمد زبارة والأستاذ احمد بن عبد الوهاب الوريث والشهيد احمد المطاع والاستاذ عبدالله بن محسن العزب والاستاذ عبدالله بن عبد الكريم الجرافي، وقد تقسموا أدوار التاريخ وعصوره.

فأخذ الأستاذ احمد بن عبد الوهاب الوريث تاريخ اليمن قبل الإسلام.

وأخذ المؤرخ محمد زبارة جانب التاريخ الإسلامي من صدره حتى القرن الثالث.

وتناول الأستاذ الشهيد احمد المطاع تاريخ اليمن من عصر الدول المستقلة حتى سنة ١٠٠٦ بداية الدولة القاسمية.

والأستاذ عبدالله بن عبد الكريم الجرافي تناول تاريخ اليمن من سنة ١٠٠٦ حتى سنة ١٣٠٧ هـ سنة قيام المنصور محمد بن يحيى.

أما الأستاذ عبدالله بن محسن العزب فإنه تناول تاريخ اليمن من سنة ١٣٠٧ حتى سنة ١٣٣٤ وقد وقفنا على قطعة من عمله وقمنا بنشرها.

قلت : لعلَّ الأستاذ عبدالله العزب شاركه فيه آخر في فترات التاريخ المكلف بها لم نعثر على اسمه لأن الذي بين أيدينا ليس كل الفترة التي أخذ على نفسه تاريخها.

ومضى هذا الجمع من كتابنا في المهمة التي كلّفوا بها ، وكأنهم في مسابقة أدبية يظهر كل واحد منهم براعته وتفوقه على أن بعضهم ـ يخيل إلي ـ لم يستطع انجاز عمله لأسباب قاهرة ، والذين انهوا عملهم هم ثلاثة المطاع في العمل الذي بين يديك، والجرافي في كتاب يحمل اسم انباء اليمن ونبلائه بعد الألف ، وهو موجود بمكتبة الجامع الكبير برقم (١٨ تاريخ و١٩ تاريخ) والعزب في قطعة تم لنا العثور عليها ونشرها.

وقد عبر كل قسم من الأقسام التي كتبت عن الشخصيات التي تناولتها، فمؤرخنا المفكر احمد المطاع حينما كتب تاريخه أتى بما لم نعرفه قبله عند مؤرخ يمني آخر من منهجية وسير للمجريات التاريخية وطبيعة الأحداث وملابساتها مع نقد للروايات والمصادر ليس لنا عهد به قبله فصحّ له بهذا ريادة وتفوق وحتى قال الدكتور الشاعر عبد العزيز المقالح : «لا أتردَّد عن القول بأنه عندما يصبح لنا مؤرخون وتكون لنا دراسات تاريخية، فلا بد أن يكون اسم أحمد المطاع على رأس أسماء أصحاب هذه الدراسات التاريخية

لأنه الأب الشرعي للكتابة التاريخية بمعناها الحديث الذي نطلع عليه » .

وقد أوفاه حقه من الدَّرس الدكتور السيد مصطفى سالم في كتابه عن مجلة الحكمة فانظره هناك .

الشهيد المطاع ﷺ

هو الأديب العلامة الشهيد احمد بن احمد بن محمد المطاع قال عنه زميله المؤرخ محمد زبارة في ترجمته له في نزهة النظرج ١ ص ٥٥ :

السيِّد الأديب النجيب أحمد بن أحمد بن محمد المطاع العباسي مولده سنة ١٣٢٥ هـ بصنعاء ونشأ بها وأقبل على العلم والأدب بفهم صادق وذكاء وألمعية ونجابة وهمّة علية ؛ له يد في حسن الإنشاء وإقبال على الكتابة تولّى الكتابة بجريدة الإيمان مع القاضي العلامة عبد الكريم بن أحمد مطهر وكتب رسائل «مقالات» في مجلة (الحكمة) التي أنشئت بصنعاء وراسل الأدباء والعلماء وله شعر حسن .

كتب صاحب الترجمة وهو في بند رميدي من تهامة سنة ١٣٤٤ هـ إلى صديق له بصنعاء هذه الأبيات :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أزكي التحيات تغشى ثاقب النظر ... سلام أنهى من الأزهار والزهر
ما غنّت الأيك في دوح الغصون وما ... ترنم الورق في داج من السحر
فنسمة الصبح لما بالصَّبا خطرت ... أهدت لنا نفحة من طيبها العطر
وبارق الجزع قد أبدى لنا خبراً ... عن الهمام خدين المجد من صغر
عن الذي بسويدا مهجتي سكنوا ... بيتا من القلب لا بيتاً من الشعر

وقد كتب صاحب الترجمة نبذة من التاريخ اليمني بعبارات شيّقة ، وذلك من حدود المائتين إلى رأس الألف أيام أسست لجنة لتأليف التاريخ اليمني ، وكان صاحب الترجمة والقاضي عبد الكريم الجرافي من أعضائها برئاسة المؤلف والمؤرخ محمد بن محمد زبارة .

وقد توفى صاحب الترجمة شهيداً بحجة بعد ثورة سنة ١٣٦٧ بتهمة اشتراكه في إغتيال الإمام «يحيى» .

هذا ملخص ترجمة حياة الشهيد المطاع من كتاب نزهة النظر يضاف إليها أنه سجن مع أخيه محمد المطاع ، وعلي الشماحي ، وصديقه عبدالله العزب، ومحمد المحلوي، وصالح السنيدار ، يقول شاهد الحادثة العلامة احمد بن محمد زبارة : «لما حبسوا اختلق الغوغا أسباباً لحبسهم بأنهم اختصروا القرآن ، وسموهم درارعة يهود منحرفين، ولعلّة أول حبس للأحرار ، وكان كاتب الأحرف أحمد بن محمد زبارة يزورهم إلى القلعة بسهولة «وأعطيتهم الصُّحف، وفيها مقالات لمحمد علي الطاهر ولمحي الدين العنسي ، ولوالدي المؤرخ زبارة ، من بغداد (سنة ١٣٥٤) ، وأرسل إليهم هدايا كعنب وغيره ، ثم كتبوا إلى الإمام يحيى إستعطافاً وتنويهاً يرجون إطلاقهم فأجاب بخطه: أصلح الله شأنكم ، صدرت «التصفية» للإمام يحيى بن حمزة في علم الباطن انسخوها وطالعوها ، لتصلح الباطن والظاهر ، ثم راجع لهم السيد قاسم العزي والقاضي راغب وغيرهما فأطلقوا» .

المطاع مؤرخاً

في فترة مبكرة من حياته كتب الشهيد المطاع العديد من البحوث التاريخية ، استطاع بهمته أن يوحّدها في قالب عصري متماسك شهد له فيه معاصروه فقال المؤرّخ زبارة :

«كتب نبذة تاريخية بعبارات شيقة».

وقد طالع كل ما وقعت عليه يده من كتابات تاريخية قديمة وحديثة، واستفاد من كتابات المتأخرين على وجه الخصوص في معرفة المنهج التاريخي ، فكان مؤرخنا صاحب هذا الشأن في كتابة التاريخ اليمني ، إذ لم يعرف قبله سوى كتابات متأثرة بطرق القدامى من حيث سرد الحوادث ونقلها دون تمحيص أو تعليل ، وقد شكا مؤرّخنا من هذه الظاهرة في كتابات

الإسلاميين القدماء عموماً ، فقال في سلسلة مقالاته في مجلة الحكمة : «وإنك لتجد كثيراً من المؤرخين وغيرهم يعتبرون المؤرخ كحاطب ليل ، ومنهم من جعل هذه الكلمة تكأة له في سيره المغلوط ، فاشبّهت عليه المخارج والموالج ، واختلط لديه الحابل بالنابل ، فجمع الغث والسّمين ، ومزج الممكن بالمستحيل » .

وليس لنا من قول بعد ما كتبه مؤرخنا من شرح واضح لمنهجه العصري في كتابة التاريخ ، ولعله من تحصيل الحاصل أن نقول أن مؤرخنا أسّس قواعد المنهج الحديث في كتابة التاريخ عبر شتّى عصوره ، لم يكتف في ذلك بالنّظرية المجرّدة وحدها ، وقد نشرها في فصوله الممتعة على صفحات مجلة الحكمة . وأوردناها كمقدمة لتاريخه هذا ، بل طَبّق منهجه عمليًّا بالتجرّد لكتابة التاريخ والخوض في غماره ناقلاً وناقداً أو محلّلاً ومختبراً .

وعلى كثرة مطالعتي في التراث اليمني ،لم أجد من المؤرخين اليمنيين من سبقه في عمله هذا ، سوى ما نجده عند المؤرخ الحسين بن عبد الرحمن الأهدل المتوفى سنة ٨٥٥ هـ ، الذي نقد بعض روايات الجندي ومجازفاته في تلخيصه لكتاب السلوك ، ولكن هذا النّقد لا يعدو أن يكون ملاحظات عابرة حول التراجم التي ضمّنها الجندي تاريخه .

وكان مؤرّخنا الشهيد المطاع قد استعمل مشرط النقد والتمحيص ، في كل مجالات التاريخ اليمني ، ولعله أول من تنبّه لهفوات المؤرخ عمارة ومبالغاته التاريخية التي كان لها الأثر السيىء على من جاء بعده، ونسمعه يقول ـ حينما يذكر عمارة في تاريخه «المفيد» أن حسين بن سلامة بنى من صعدة إلى صنعاء في كل مرحلة جامعاً ، إلى غير ذلك يقول «فيما ذكره عمارة مجازفة ظاهرة، فإن البلاد في عصر الحسين بن سلامة كانت في أعاصير هوجاء وزوابع غير مريحة ، وعلى الخصوص بلاد الزيدية، ولم يكن له نفوذ ظاهر عليها ، وهذه المباني تتطلب الهدو طبعاً ، أضف إلى ذلك انا لم نجد في

كتب التاريخ التي بأيدينا ما يدل على حدوث ما ذكره عمارة فيما بين صنعاء وصعدة ، وبين زبيد وصنعاء ، ومن البعيد أن تزول آثار هذه المباني وتندرس من عرض البلاد وطولها ، ولا يذكرها أحد بحرف ، أو لا يعلمها إلّا عمارة ، وعنه ، نقل أكثر المؤرخين ، ولكن على اسلوبهم المعهود من مجانبة النّقد والتمحيص ، وتحكيم العقل » .

بهذا المنهج الدّقيق سبر أغوار التاريخ ودسائس المؤرخين ومبالغاتهم ، وما أكثرها في التاريخ اليمني ، ولنا فيما أورده من الإنتقادات الكثير من النّصوص وقد توزّعت عبر تاريخه الكبير هذا في أكثر من موضع وحادثة ، وهو يرى أسباب تضارب الأقوال في الرّواية الواحدة إلى «اختلاف النقل ثم اختلاف كتب التاريخ ، وقد يكون المصنّف واحداً والتصنيف واحداً ويختلف ما يوجد بإحدى النسخ عن الأخرى» .

ولعل من أسباب المبالغة والكذب في تتبع الأخبار ان بعض المؤرخين لم ينظروا إلى التاريخ النّظرة التي يستحقها من اهتمام وعناية ، وقد «دوّن القدماء كتب التاريخ للتّسلية وقتل الوقت ، وقد شبّهوا المؤرخ بحاطب ليل ، فجاءت غالب مدوّناتهم في هذا الفن كثيرة الأغلاط ، ركيكة الأسلوب ، طافحة بالمبالغة مملوءة بالمزاعم والخرافات لا تسقط منها على حقيقة إلّا بعد إدماء الجفون ، وتقريح المحاجر ، وتقليب مئات الصّفحات وعشرات المجلّدات ، وقد تخرج بعد العنا الشديد مضطرب الفكر حيراناً » .

هذا ما أدركه مؤلفنا بعد معايشته التّامة لمصادر التاريخ وصعوباتها ، ومن ثم لم يكتب تاريخه لسرد الأحداث وحدها ، وإنما جعله نقداً عاماً لرواية التاريخ اليمني التي وصلتنا من خلال مصادره ، يقول بعد نقل عبارة للخزرجي في العسجد المسبوك وأخرى ليحيى بن الحسين في أنباء الزمن :

«وفيهما من الإضطراب ما لا يخفى وسيمر بك التفصيل لبقية الحوادث ومنها تعلم انهما أرادا أن يختصرا فخلّط عليهما » .

فمن أسباب رداءة الرواية عند مؤرخنا التّسرع في النقل واختصار العبائر دون فهم فحواها حقيقة.

وربما استعمل مؤلفنا لمحاولة فهم الحقيقة كما وردت شتّى معارفه المتنوعة من تحليل منطقي ، إلى معرفة جغرافية ، إلى غير ذلك أنظر إليه ينتقد قول صاحب أنباء الزمن حول توارد الجيوش على الحبوض في ظفار ، وتجنيد الدّولة الرسولية طاقاتها لمحاربته «فاين نَجْد من تهامة ، والعجب من صاحب أنباء الزمن كيف يقبل مثل هذه الرواية ، وهو لم يحدثنا قط فيما كتبه ، من أن نفوذ أمراء ظفار وقلاعهم كانت شحنت بها بلاد الجوف »

ويستعمل الأقيسة والبراهين التاريخية لنقد الحدث الواحد الذي لا يقبله الواقع ، يقول في إنتقاد قول صاحب انباء الزمن ان الطريق بين اليمن والبصرة انقطعت عن مرور التجار «وقد نقلنا عنه هذه الجملة التاريخية الجغرافية بالحرف الواحد والعهدة عليه، وسيأتي ما يدل على ان المواصلة بين اليمن وبغداد عن طريق البصرة والجوف وأرض الحشرات والعقارب الناهشات ، كانت مستمرّة يقطعها الواحد والجماعة فمن ذلك إرسال الملك المظفر سفيره إلى بغداد عن طريق براقش سنة ٦٥٠ والمرة الثانية عندما قُتل الإمام أحمد بن الحسين سنة ٦٥٦ أزعج المظفر رسوله إلى بغداد بذلك النبا » الخ .

فهو هنا يستعمل في نقده الوقائع التاريخية التي حدثت بالفعل معتمداً على تواريخ ، وأقوال مضبوطة لمؤرّخين معروفين .

وربما لا تسعفه المادة في بعض الأحيان لنقد خبرٍ واهٍ ، أو جملة جزافية ، فنجده يوردها بصيغة تضعيف تجعله في حلٍّ من تبعتها ، كأن يقول : كذا قول فلان ، أو : «وقد نقلنا هذه الجمل التاريخية بالحرف الواحد والعهدة عليه » .

وقد ينبّه صراحة على الخطأ بعد إعمال الجهد في تصحيحه ، والتنقيب

عن مصادره فيقول : «اعتمدنا في هـذه الأنباء على روايـة الخزرجي وفيهـا من الإضـطراب ما لا يخفى ، وقـد راجعنـا أنبـاء الـزمن ، وقـرة العيـون ، وبغيـة المستفيد ، وغيرها فوجدنا من الاختلاف ما تعذّر معه الوفاق والملاءمة »

ومن ثم يجـد مؤرخنا نفسـه أمام مسؤوليـة كبيرة في تـدوين التاريـخ فلا ينساق إلى أقوال المؤرخين في كتبهم كمـا تـرد ، وإنمـا يحلّل ويقيس ، وقـد وقف كثيراً عند قول صاحب البسـامة في غـزو الإمام النـاصر عـدن في القرن الثالث الهجري يقول مؤلفنا : «وقد أطلنا البحث في جميع المصادر المـوجودة بـأيدينـا عما أشـار إليه السيـد صارم الـدين بقولـه عند ذكـر الإمام النـاصر في البسامة :

ودوّخ الـيمـن الأقـصـى الـى عــدن مــع الجبــال كبغــداد وكــالشعــر

فلم نجد تفاصيل هاتيك الملاحم ما يستحق التصدير

ويرى قصور المؤرخين القدماء عن سبر الأمور وكنـه أغوارهـا من جميع الوجوه سبباً في البعد عن الحقيقة ففي الحديث عن ثورة أهل بحران يرى تأثير النّصارى الموجودين فيها خلال ذلك الوقت على تلك الحوادث أمـراً لم يفطن إليـه أحـد يقـول : «ولـو أن قـدمـاء المؤرّخين نـظروا إلى الحـوادث ، نــظر إستنتـاج ، ولاحظوا أحـوال البيئة ، والـوسط الذي عـاشت فيه هـذه الـطائفـة والظروف الداخلية والخارجية ، التي كان لها أثرها في تكوين طبـاعهم وتلوين مشاربهم لظهرت النتيجة معلنة بما كان لدعاة النصرانية من يد في «تأريث تلك النّار ، ولكنهم اكتفوا بـالنظر السّطحي في تدوين الملاحم البشرية ، والمعارك الدموية ، فجاءت الثمرة ناقصة يعوزها النضوج » .

ويتشعب البحث أمامه في تتبع هفوات المؤرخين ، ويعلل أسبـابها إلى أمـرين أدركهما من تتبعه الشّديد لطبيعة تلك الأخبار والروايـات وهما : «قـوة الإيحاء وفعـل المحاكـاة » يقول عن بعضهم : «فقـد تأثـر بغلط غيـره ، وانـدفـع إلى متابعته بقوة الإيحاء ، وفعل المحاكاة » .

على أن من أهم أسلحة مؤرخنا في تتبع تلك الأوهام وتصحيحها التَّنبيه على حيدها عن الواقع وتتبع المصادر ونقل أقوالها المختلفة في الحادثة الواحدة ، ففي تعليل أسباب خروج الأيوبيين إلى اليمن وإرجاعه عند بعض المؤرخين إلى رسالة ابن النساخ إلى خليفة بغداد يقول شهيدنا المطاع

« وعندي انه من البعيد وعند كل من له أدنى معرفة بنزعات النفوس واتجاهات من يحكم ، ولا سيما تلك القرون وصدور مثل هذه التهديدات القاسية من رجل يطلب النُّصرة ويرجو النُّصفة ، مع ما فيها من المدح والإشادة والتنويه والتعظيم للإمام المنصور وعماله».

«وإنما نستبعد صدورها على ذلك الأسلوب من رجل لا يملك إلاّ ثورة نفسه ، وقوة روحه وما يضطرم بين جوانحه من براكين الحقد والضغينة ، على من جرَّعه كأس التَّنكيل المريرة ، وهل من المعقول أن يحوّل جمر غضبه الماحق نحو خليفة بغداد الضعيف العاجز ، هذا ما يلوح للناقد من جهة الأسلوب ، وأما من الوجهة التاريخية فإنه لم ينقل أن الحكومة العباسية نهضت إلى اليمن في ذلك التاريخ ، وأنّى لها ذلك والخليفة لا يملك أمر نفسه فضلاً عن قَصْره ومدينته

وقد لا يكتفي بمجرد التَّنبيه اللفظي على شطط الخبر الموهوم ، وإنما يقتله بَحثاً من خلال تتبع المصادر التي أوردت ذلك الخبر ، ويبحث عنه في مظانه الأصيلة ، غير معتمد على قول واحد ، أنظر إليه مثلاً في تتبع خبر وفاة منصور ابن حسن حيث تجده ينقل عن أنباء الزمن وسيرة الناصر ، وقرة العيون ، واللآلىء المضيئة ، ويقول في نصِّ قرة العيون حول هذه المسألة : «وهو يخالف ماسبق في ترجمة الناصر في وقعة نغاش التي أباد بها القرامطة من ناحية مسور » فهو لم يكتف بتلك النصوص المستفيضة حول تلك المسألة ، وإنما استعان فيها بقرائن تاريخية أخرى يعزِّز بها قوله .

ويبلغ التحليل ذروته عند شهيدنا المطاع عندما يستعين بالجانب النفسي

لسبر غور الحادثة التاريخية أو النّص الأدبي كإيراده لشعر جياش في نبذ الحلم بقوله :

إذا كان حلم المرء عون عدوه عليه فإن الجهل أنقى وأروح
وفي العفو ضعف والعقوبة قوة إذا كنت تعفو عن كفور وتصفح

نجده يربط هذا بعمل جياش المشين بقتل وزيره ابن خلف الذي شاركه محنته وهربه إلى الهند يقول :

« وكأنه وخزه الضمير وأنّبه الوجدان وأهاب به العدل وسمع صوت الحق يلومه ، ويقبح فعله، لاذ بنزعات الطغاة ، وشذوذ العتاة ، فاستروح لكلمة الطاغية ابن الزّيات المأثورة ، إذا قال له المعذَّب : ارحمني قال : الرّحمة خور في الطبيعة ، فرقص على ذلك الإيقاع ونظم الأبيات المتقدمة » .

على أن أهم ما يشدُّك في الكتاب ويجذبك اليه هو حسن التناسق ، وروعة التبويب ، مع أنه ربط كتابه بطريقة الحوليات وذلك لمنهج ارتضاه ، حيث تتعدد الحوادث وتتشتّت اتجاهاتها ، بحيث يتعذّر حصرها ، وقد ألَمّ بذلك في اسلوب عصري حديث يقرّب إليك النافر ويسهِّل عليك الفهم ، إسمعه وهو يحدّثنا عن انقراض الدولة الصليحية وموت ملكتها : «وبموتها انقرضت الحكومة الصليحية بعد أن حكمت قرابة قرن سخّرت البلاد لمصالحها ، وتركت الأمة اليمنية تعيش في جو مختنق وميدان ضيق ، رهن القواعد المرسومة والنُّظريات المعلومة ، من دعاة الإسماعيلية ، وكانت الطبقة المسَيْطرة تتلعب بعقول العامة ، وتستأثر بكل موارد العيش ، ومرافق الحياة . . ولذلك تفككت عرى القومية ، وتلاشت العقلية والمنتجات الفنية . وفقدت ملكة الإبداع والابتكار » .

ويَتجلى في أسلوب أديبنا في أحيان كثيرة إشراقات أدبية رائعة، تحول النص التاريخي من سرد إجمالي مجرّد إلى قطعة أدبية فخمة ، تجذبك إليها وتضطرُّك إلى متابعة الحدث بتشوق ولهفة ، اسمعه وهو يصف حالة ذي

الشّرفين وهو محاصر ، وقد عزم على المغامرة والمخاطرة لسحق الجند المحاصر له يقول : «واستمر الحال على ذلك خمسة أشهر بعد عزم المكرم ، وبعدها رأى الأمير ذو الشرفين أن المآل سيىء وأن العاقبة وبيلة ، لما رأى من نفاذ ما عنده من المأكول والمشروب ، فعمد إلى محبرته ، وكتب وصيته الأخيرة ، وآل على نفسه أن يبذلها في سبيل قتال الظالمين ، ثم شحذ عزم أصحابه وحَمّسهم وانحدر وقد وزّع أصحابه طوائف ، وصَبَّح الجند المحاصر ، والنوم ملابس جفونهم ، فأوقع بهم وأثخن فيهم قتلاً وغنيمة ، وانقلب إلى المعقل بالغنائم الوفيرة ، ونفائس الأسلاب الطريفة ، وتناول قلمه وكتب هذه القصيدة :

ألا قل لربات الخدور الكواعب يقبلن أيدينا وحد القواضب

الخ ».

وهكذا يستمر في السرد ، فلا تحسّ بنفسك إلاّ وأنت تتابع أحداث قصة مشوقة زَيّنها أسلوب كاتبنا الرّصين وطريقته البلاغية المتماسكة تجذبك إليها وتضطرك إلى متابعة الحدث.

وخذ أيضاً هذه القطعة الأدبية من تعبير أديبنا :

« والتقى الجمعان فاقتتلا أياماً وثبت الفريقان يخطّان بدم القتلى صحيفة سوداء من أعجب ما سجّله طغيان القوة في صحائف التاريخ » .

ويقول في موضع آخر بعد إقدام جياش على قتل الغز الواصلين إلى اليمن باستدعاء منه «فهلك أكثرهم ولم يخلص إلى زبيد منهم إلاّ دون الألف فلم يطمئن فؤاد ذلك الأمير وظلّ شبح الخوف منهم سمير أحلامه وهو اجس أمانيه رغماً عن قلّتهم وأبت نوازع نفسه إلاّ جعل تلك الأرواح ضحايا طغيانه فجهز » الخ .

وإليك نصّا آخر تستبين منه مقدرة الرجل على التعبير وملكته في الإنشاء

«لما قتل القائد سرور على الصفة المذكورة عظم الخطب واستيقظ الهول ونشبت الفتنة واشتعل ولاة زبيد وأمراؤها بتنازع زهرة الحياة عن تدبير الملك وحياطته ، فكانت الأحداث تتوالى والمصائب تتعاقب على ما حول زبيد ، ومن بها لاهون بشهوة الحكم وفتنة المال ، وذلك البلاء المبرم والويل الرامل ، والعدو اللّدود يحصي عليهم أنفاسهم ، ويراقب حركاتهم ويستطلع أنباءهم حتى إذا غمرتهم الحيرة وأعماهم الهوى وحق عليهم القول، وآن أن يبتلعهم الفناء في ظلمات مهاويه وينظمهم التاريخ في فجائعه ومآسيه، وثب عليهم بجنود متعطشة » الخ .

إلى آخر تعابير المؤلف الفنية وقد طرّز بها كتابه ووشى بها عمله هذا ، مما أضفى على التاريخ حلّة جديدة من التعبير الأدبي الذي أحيا به ما أندرس من رفات القوم وشخوصهم .

ولما كان مؤلفنا أديبَ النزعة شاعري الهوى ، كان له عناية أخرى من البحث ، يفرد له زيادة ثانية في الثقافة وهي عنايته بتاريخ الأدب والحركة العلمية ، أثناء سرده لحوادث التاريخ ومجرياته فهو ما يكاد يفرغ من الحديث عن الوقائع حتى يلم إلمامة سريعة بحياة الأدب والشعر ، وكأنه متأثر بمعاصريه من أعلام الأدب العربي في مصر كطه حسين وأحمد أمين وغيرهما ، مثال ذلك قوله بعد الفراغ من الحديث عن الدولة الرسولية ووقائعها : «يجب أن نشير إلى نبذة قصيرة من الشعر ، لتكون مثالاً للباحث في الأدب اليمني في جميع أدواره ، وقد أوردنا في كل دور من الأدوار التي كتبنا عنها ، أمثلة صالحة ، لمناسبات مختلفة» الخ .

وكان معاصره الأستاذ عبدالله بن محسن العَزَبْ قد ألمّ بالتاريخ الأدبي في الفصول المسلسلة على صفحات «الحكمة» فجاء مؤلفنا ليؤيد الخطوة ويعمّق البحث ، وإن كان حديثه هنا إستطراداً عاجلاً .

ولم يكتف بالجانب الأدبي وحده والنّظرة الثقافية العامة للتاريخ

اليمني ، وإنما ألحقه ببحث آخر أبدع فيه مؤلفنا أيما إبداع حيث تتجلى فيه شخصيته البارزة وميوله المتحررة ذلك هو حديثه ، عن جانب العمران والتطور الحضاري وقد أدرج خلال صفحات كتابه ملاحظات عابرة عن حياة الناس والعمران يقول في أول الكتاب أثناء الحديث عن الدَّولة الزيادية «دفنت القرون أخبار هذه الإمارة ولم يصل الينا من أخبارهم إلاَّ نتفاً يسيرة وذلك ما سطرناه ولعل القارىء يستنتج من أخبار الخراج وجمل الضَّرائب بعض ما يريد عن الحركة العمرانية وسير التجارة ، وسعة النّفوذ ولكن بصورة إجمالية ، وبقدر ما فات المؤرخ من استيعاب المادة اللاَّزمة يضعف الإستنتاج ويتعذَّر الحكم ، والذي يلوح لنا أنه كان بكل جهة من جهات القطر دار ضرب للنقود وشبه استقلال للولاة » .

ويجعل للإستغلال وإيثار المصالح الخاصة دورهما البيّن في سقوط العمران وتدهور البلاد . فهذه دولة آل الحجوري وقد انشغل الإخوة بينهم البين بالتقاتل على الملك كان «لروح الإستغلال والإستيثار وما كان لتعارض المصالح والمنافع من أثر في العمران والسكان» .

وهكذا يكون تدهور العمران عاملاً لمؤثرات سياسية تنخر في جسم التّقدم والانفتاح وتحوزه عن الرخاء والازدهار الحضاري ، فهذه دولة بني أيوب في اليمن وقد أشادت الحضارات والرقي في مصر والشام ، تفشل في إيجاد هذا الأمر في اليمن ، لأسباب يرجعها المؤلف إلى القسوة والطيش في سياسة النّاس ، وعدم استعمال الرفق في الرعية: «وما رحبته اليمن ممن وصل إليها سوى العيث والدمار ، فأين الملك المعظم ومبّراته العلمية ومجمعه الذي أسسه لتأليف معجم اللغة العربية ، من طيش الملك المسعود وبطشه ، وغروره وفتكه بهذه البلاد ، وأين الإحسان الصلاحي ومكارمه ورفقه ، وحسن سيرته ، من شدة طغتكين وظلم عماله وتكالب الجميع على جمع الأموال وإرهاق الأمة » .

وهكذا ينقد المؤلف ويقارن ببصيرة وذكاء بين الحضارات المتفاوتة ، وقد نعمت بعضها بأمن وسلام وازدهار وأخرى بحروب وقلاقل وشقاء وما ذاك إلاّ ان اليمن مني بولاة جور طغاة .

ويدفعه استطراده هذا إلى أن يربط أسباب قيام الدّول وسقوطها بخصيّصة الرفق واللّين ، أو عكسهما من قبل بعض الحكام ، فعندما يأذن الله بزوال دولة يجعلها تجور على رعاياها ، فيكون هذا الأمر عاملاً في سقوط تلك الدولة ، فهذه دولة بني رسول التي عرفت في اليمن في أول دورها باللّين والرفق والتقدم العلمي والعمراني تنقض غَزْلها في آخر حياتها ، ويميل ولاتها إلى البطش والعدوان يقول : «كيف لا والحوادث تنطق بلسان فصيح ، وتعلن لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فيها سمق دوح هذه الحكومة، ورقّ ظلّها وامتدت أشعة شمسها على روابي اليمن وبطاحه وسهوله ، إبان مجدها ومیعة عظمتها واستقامة أخلاقها ، ولكنها لم تثبت طويلاً تلك الأوصاف الجميلة بل أصيبت بالداء العضال والسّم الناقع فنخر سوس الفساد في جرثومتها فشاخت وهرمت ، وتداعى بنيان فخارها وانهار ركن مجدها ، فكوّرت شمسها بمقدار ما لابسها من المرض والضعف ، وما زالت تكور حتى انزوت أشعتها الذابلة في تعز وزبيد وما جاورهما . . وما ذاك إلا عقوبة البغي وتفرق الكلمة ، وانقسام الوحدة واتباع الهوى والاسترسال في القسوة والإيغال في الجور » .

المؤرخ الثائر

وهذا يجرنا إلى الحديث عن المطاع المصلح الثائر ، الذي ضحّى بحياته وباع روحه رخيصة في سبيل مبادئه الوطنية وتقدم شعبه وبلاده ، وهو وإن عاش في أبّان قوة الإمام وصولته ، إلا أن هذا لا يمنعه من أن يوجّه الانتقادات ويجعل من درس التاريخ دروساً في أخلاق السياسة وسلوك الحكام. للعظة والإعتبار، فالتاريخ عنده ليس إلاّ أخلاقاً سياسية يجب أن

يحتذى بالصالح منها ويبتعد عن الطالح منهـا «فجلال التـاريخ وعلوّه إنمـا هما لما يَسْتَفيده الناظر فيه من آداب وأخلاق ، وتعاليم سياسيـة ، وعرفـان بمبادىء الأمور ومصائرها وتطورها » .

وفي غمار بحثه في التـاريخ يبحث عن مـوقع الأمّـة والشعب في خضم الأحداث العاتية ، وسيطرة القوي على الضعيف ، فالتاريخ اليمني في عمـومه عبر متكررة من تلك المآسي الدامية ، وها هو الشّعب الذي لا يملك من أمـره شيئـاً وقـد «تسلطن الأتـابـك وتحكمت المـرأة ، ولكـل واحـد من هؤلاء المتسلّطنين وجهة هو موليها ، فبعضهم كان يرهق الأمة باسمـه وبعضهم باسم الخليفـة وآخر بـاسم صاحب مصـر الأيوبي ، وهكـذا دوائـر الفـوضى وأزمنـة الإنحلال » .

وبقدر ما نعم الملوك بـرغد العيش وسلطان الجـاه ازداد الشعب بؤساً : «ولا شـك أن إفتتانهم في بنـاء القصور ومـظاهر النعيم ووسـائل التـرف حَمَّـل البـلاد والرعيـة أوزاراً باهـظة ، وأحمالاً لا تـطاق ، وكلمـا انغمس الـولاة في البذخ والترف انحسر ظلّ الحياة عن التاجر والفلّاح واقتـرب منهم شبح البؤس والفاقة » .

وهـو لا يستغرب من شيء كـاستغرابـه من استكانـة الأمة وسكـوتهـا عن الظلم فيقول ثائراً ومحرّضاً:

«ومن المؤسف والمخجل أن تعيش هذه الجـريمة ويستمـر ذلك العسف من ذلـك التـاريـخ إلى أيـام الأشـرف واغـرب من كـل هـذا رضـوخ الأمـة واستسلامها واحتمالها لهذه الأوزار الباهضة »

وبعد

تلك لمحة عابرة عن ثورة مؤلفنا في كتابـه هذا ، وسنجده موضـوعيًّا في كـل ما خـطّته يـداه ، وقد تحـرّى الصّدق والصّحـة في كـل عصـور التـاريـخ وأدواره ، لا يمنعه هوى ولا يستشط به مير عن قول الحق مهما كان

فهو دوماً يتحرّى الحقيقة من مصادرها المتعدّدة ولعلنا سنكبر المؤلف ونقدر عمله إذا علمنا أن كل مصادره التي رجع إليها في التاريخ كانت في ذلك الوقت لا تزال مخطوطة ، وقد لقي مشقة في حل طلاسمها ، وفك خطوطها حتى اننا نجده يقول : «ما أكثر التصحيف والتحريف بل المسخ في المصادر التي استقينا منها أخبار هذا القسم ولعمري ان تفهّم القلم المسماري وحل رموز المسند أقرب إلى الفهم من تحريف النّاسخ وسوء فهم الماسخ لتلك الأسفار »

وبقدر ما عانى المؤلف الشهيد رحمه الله من مشقة وجهد في إخراج الكتاب فإن المحقق الخفير قد بذل طاقته ومستطاعه من نسخ دؤوب وتعليق وتحقيق آملاً أن يكون خدمة متواضعة لتراث هذا الرجل الوطني العظيم وإفادة لأبناء الجيل الجديد ، الذين وجدوا الأمور ممهّدة متيسرة .

وبالله التوفيق وعليه التكلان

عبدالله محمد الحبشي .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(تنبيه)

ما كان من هوامش بخط مؤلف الكتاب العلامة الشهيد أحمد بن أحمد المطاع رمز إليه بـ «ص » أي في أصل المؤلف أو رمز للمصنف نفسه وما كان للمحقق ترك بدون اشارة .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي يا كريم

بنو زياد واول من ملك منهم واسباب خروجهم الى اليمن واختطاط مدينة زبيد

قال العلامة الخزرجي رحمه الله في كتابه المفيد الكبير تاليف ملك ظفار وابين جياش بن نجاح الحبشي ما كان سنة تسع وتسعين ومائة فانتهى الى المأمون العباسي فقدم انتسب احدهم الى ثعلب ابن وائل وبعضهم الى سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان وبعضهم الى يزيد بن معاوية (١) فقال المأمون اما الامويان فيقتلان واما الثعلبي فيعفى عنه رعاية لاسمه واسم ابيه وكان اسمه محمد بن هارون فقال له محمد بن عبد الله بن زياد والله يا امير المؤمنين ما نزعنا يداً عن طاعة وان كنت تقتلنا لحماية الاموية فبكم فان الله يقول ولا تزر وازرة وزر اخرى فاستحسن المأمون كلامه فلما كان في المحرم سنة مائتين واثنتين ورد على المأمون كتاب عامله على اليمن بخروج الاشاعرة وعكك عن الطاعة وهم جيل عرب تهامة فوجه المأمون محمد بن عبد الله بن زياد اميراً وارسل معه المرواني وزيراً وء الثعلبي حاكماً ومفتياً وهو جد القضاة آل ابي عمامة قضاة زبيد فخرجوا من بغداد في الجيش الذي انفذه المأمون لحرب ابراهيم بن المهدي فلما ان زياد ومن معه سنة ٢٠٣ وسار الى اليمن ففتح تهامة واختط مدينة زبيد في شعبان سنة ٢٠٤

أول المخطوطة بقلم مؤلفها العلامة

الشهيد أحمد بن أحمد المطاع

من جميع جهاتها ومن بها معتصمون بمناعة العقل الطبيعية ولم تكلفهم
اعمال الصليخ الا حراسة هينة مخافة ان يتوقل متوقل او يغامر مغامر
وطالت ايام الحصار فلم يثن من عزم المحصورين طول الامد ولا الانت لهم
عريكة فاعتزم المكرم العود الى صنعا حاضرة ملكه وعهد الى
طائفة من عسكره بمواصلة الحصر حتى يتحقق المآل وفعلا نفذ
هذه الخطة واب الى صنعا وترك ثلة من الجند في ارباض
شهارجه واستمر الحال على ذلك خمسة اشهر بعد عزم المكرم
وبعد هذا رأى الامير ذو الشرفين ان المآل شتى وان العاقبة
وبيلة لما رأى من نفاد ما عند القوم من المأكول والمشروب فعمد
الى محبرته وكتب وصيته الاخيرة وآلى على نفسه ان يبذلها
في سبيل صيال الظالمين ثم شحذ عزم اصحابه وحسم وانحدر
وقد وزع اصحابه طوائف وصبح الجند الماحر واللزم
ملابس لجفونهم فأوقع بهم واثخن فيهم قتلا وخشية وانقلب
الى المعقل بالغنائم الوفيرة ونفائس الاسلاب الرطيبة
وتناول قلمه وكتب هذه القصيدة

نموذج من المخطوطة
بقلم مؤلفها رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وأعن يا كريم

(بنو زياد وأول من ملك منهم
أسباب خروجهم اليمن واختطاط مدينة زبيد)

قال العلامة الخزرجي[1] رحمه الله عن كتاب المفيد الكبير تأليف الملك ظهير الدين[2] جَيَّاش بن نجاح الحبشي مما كان سنة تسع وتسعين ومائة أتى إلى المأمون العباسي بقوم انتسب أحدهم إلى تغلب بن وائل او بعضهم إلى سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وبعضهم إلى يزيد بن معاوية[3] فقال المأمون : أما الأمويان فيقتلان ، وأما التغلبي فيعفى عنه رعاية لإسمه وإسم أبيه ، وكان اسمه محمد بن هارون ، فقال له محمد بن عبدالله بن زياد : والله يا أمير المؤمنين ما نزعنا يداً عن طاعة ، وان كنت تقتلنا لجناية الأموية فيكم ، فإن الله يقول «ولا تزِرُ وازرة وزر أخرى[4] » . فاستحسن المأمون كلامه ، فلما كان في المحرم سنة ٢٠٢ ماءتين واثنتين ،

---

(١) هو العلامة ابو الحسن علي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢ والنقل من كتابه العسجد المسبوك ص ٩٦ ط وزارة الاعلام .

(٢) كذا في أصل المؤلف رحمه الله وفي المفيد لعمارة ص ٣٥ نصير الدين والمفيد هذا هو اصل الخزرجي .

(٣) كتب المؤلف رحمه الله تعليقاً على هذا قوله : «الذي في سائر النسخ الى زياد بن أبيه وهو الظاهر » قلت ملاحظة المؤلف هي الصحيحة ففي مفيد عمارة ص ٣٦ ط حسن سليمان «فانتسب احدهم واسمه محمد بن فلان بن عبيدالله بن زياد الى زياد » وفي السلوك للجندي عبيدالله بن زياد بن أبيه وفي قرة العيون لابن الديبع ج ١ ص ٣٢١ يزيد بن معاوية وهو صورة عن العسجد المسبوك .

(٤) الأية ١٢ سورة فاطر .

ورد على المأمون كتاب عامله على اليمن ، بخروج الأشاعر[1] وعك[2] عن الطاعة ، وهم جلّ عرب تهامة فوجه المأمون محمد بن عبدالله بن زياد أميراً ، وارسل معه المرواني وزيراً ،والتغلبي حاكماً ومفتياً ، وهو جدّ القضاة آل أبي عقامة قضاة زبيد ، فخرجوا من بغداد في الجيش الذي أنفذه المأمون لحرب ابراهيم بن المهدي فحج ابن زياد ومن معه سنة ٢٠٣ وسار إلى اليمن ، ففتح تهامة ، واختط مدينة زبيد في شعبان سنة ٢٠٤ سنة أربع ومائتين وجرت بينه وبين عرب تهامة معارك هامية ، كتب له فيها النصر فأذلّهم ، وكان وزيره المرواني فضرب المثل في الدهاء والحزم ، فكان يقال ابن زياد بجعذة قال عمارة : وإليه ينسب مخلاف جعفر وهو الذي اختط مدينة المديخرة[3] بجبل التومان[4] وقد غلّطه الجندي[5] وقال : (ان الذي اختط مدينة المذيخرة الأمير جعفر بن ابراهيم بن ذي المنار المناخي ، وإليه ينسب المخلاف والمناخيون ملوك ريمة[6] وقياض ويعرفون في عصرنا بسلاطين قياض)[7] وكان المأمون قد عهد إلى ابن زياد بولاية البلاد التهامية ، وما استولى عليه من بلاد الجبال ، وبادر ابن زياد بإرسال وزيره الأموي إلى بغداد بهدايا[8] وتحف وأموال وفيرة إلى المأمون في السنة الثانية من وصوله اليمن فحج الأموي وقصد بغداد بما حمله من اليمن ، فسرّ المأمون بذلك وأعاده في السنة السادسة، وأصحبه بألفي فارس فيهم من مسودة خراسان تسعمائة فارس

---

(١) الاشاعر قبيلة مشهورة من قبائل اليمن وهو ولد الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ . ومساكنهم وادي زبيد والحجري ص ٧٩ .

(٢) من قبائل اليمن من ولد عك بن عدنان بن عبدالله بن الازو .

(٣) المذيخرة: من بلدان العدين .

(٤) الثومان : غرب مدينة ذي السفال بمسافة خمس ساعات .

(٥) قلت ومنهم من يغلط عماره ويجعل الصواب قول الجندي .

(٦) ريمة : هي ريمة المناخي حصن منيع يقع غربي المذخيرة .

(٧) انظر السلوك ج ١ ص ٢١٧ .

(٨) في الأصل بهذيا « سهواً » .

لإخْضاع اليمن وبهذا الجيش غلظ أمر ابن زياد واتسع ملكه وشمل نفوذه حضرموت والشحر ومرباط وعدن والتهايم الى حلي بن يعقوب ، وملك من الجبال الجند وأعماله ومخلاف جعفر ، ومخلاف المعافر وصنعاء وأعمالها ونجران وبيحان والحجاز بأسره[1] وقلد مولاه جعفر الجبال واشترط على أهل تهامة ألاّ يركبوا الخيل ولم يزل موالياً لبني العباس يخطب لهم على المنابر ويحمل إليهم الأموال العظيمة والهدايا النفيسة مالكاً لليمن بأسرها إلى أن توفى سنة ٢٤٥ خمس وأربعين ومائتين.

وسنأتي على ذكر عمال حكومة بغداد على اليمن وتعدادهم تفصيلاً في السنين التي خرجوا فيها ، وكان ينبغي ذكرهم تباعاً من سنة ٢٠٦ وما بعدها ، ولكن حكومة بني زياد ستتفرق أنباؤها ، ويصعب على القارىء ضبطها ، وما عمدنا إلى هذا إلاّ لما قرأنا في كتب التاريخ اليمنية وغيرها ، من أن بني زياد ملكوا اليمن بأسره ، وبعضهم يستثني آخر أيام إسحق بن ابراهيم المعروف بأبي الجيش ، ويقول انه لما أسنّ وكبر ضعف عن إدارة الملك ، واستخف به بعض ولاته ، فتغلبوا عليه كما سيمر بك قريباً ، وعلى كل تقدير فإنه لا يُعْقل ان ترسل حكومة بغداد عاملها على اليمن يجبي الأموال وينفذ ما يريد ، ويبطش بمن ناواه وجاذبه حبل سيادته ، ومَلِك اليمن بأسره ، والحجاز بأسره كما زعم عمارة والخزرجي والجندي قابع قبوع القنفذ في قريته التي عمرها على وادي زبيد ، والذي يلوح لنا من خلال الحوادث انه كان يمتد نفوذ بني زياد على غير التهائم في بعض الفترات ، وقد جرى الأستاذ المعاصر الشيخ محمد الحضري في كتابه المحاضرات الإسلامية على منهاج المتقدّمين ، كأبي الفدا وصبح الأعشى ، وغيرهم ، فزعم أن محمد بن عبدالله بن زياد صار باليمن كملك مستقل إلا انه كان يوالي بني العباس .

ولما مات محمد بن زياد في التاريخ المذكور قام بالأمر بعده ولده

---

(١) راجع تاريخ الخزرجي ومفيد عمارة وتاريخ البهاء الجندي (المؤلف) .

ابراهيم بن محمد فقام بالأمر أتم قيام ، ولم يزل مالكاً لليمن سائرا سيرة حسنة إلى أن توفي سنة ٢٨٩ . هكذا في الخزرجي[١] وقرة العيون[٢] وشرح البسامة «اللآلى المضيّة» للسيد أحمد بن محمد الشرفي[٣] وغيرها ، وهو يخالف ما سيأتي فإن الروايات متضافرة ، على أن ظهور الإمام الهادي إلى الحق سنة ٢٨٤ في أيام أبي الجيش وقام بالأمر بعده ولده زياد بن ابراهيم بن محمد ولم تطل مدته قال الخزرجي : ولم أقف على تاريخ وفاته .

ابو الجيش اسحق بن ابراهيم[٤]

وبعد وفاة زياد المذكور قام أخوه اسحق بن ابراهيم بن زياد ويعرف بأبي الجيش فطالت مدته في الملك وبلغ فيه نحواً من ثمانين سنة ، فتشتّت عليه أطراف البلاد ، وتغلب عليه كثير ممن كان تحت يده منهم صاحب صنعا اسعد[٥] بن ابي يعفر بن إبراهيم بن محمد بن يعفر بن عبد الرحيم الحوالي ، ولكنه كان يخطب لأبي الجيش ويضرب الدراهم على اسمه ويستبد بحاصلات البلاد ، فلم يكن يحمل لأبي الجيش شيئاً. قال الخزرجي : وكان مبلغ إرتفاع أموال أسعد بن أبي يعفر لا يزيد عن أربعمائة ألف دينار في السنة يصرف معظمها في سبيل المروّة لوافديه وقاصديه .

وفي أيامه ظهر الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين وكان خروجه المرة الأولى سنة ٢٨٠ ، فوصل إلى الشرفة من بلاد نهم، وأقام بها مدّة ،

---

(١) العسجد المسبوك ص ٩٨

(٢) قرة العيون ج ١ ص ٣٢٣.

(٣) من العلماء المؤرخين وفاته سنة ١٠٥٥ .

(٤) وفي أنباء الزمن حوادث سنة ٢٩٠ قال وفيها : مات ابراهيم بن محمد بن زياد صاحب زبيد وقام بعده ولده اسحاق الملقب بأبي الجيش وطالت مدته وهذه الرواية تخالف كل ما سبق فتأمل (ص) .

(٥) هذا يشعر ان بني الحوالي كانوا مربوطين بآل زياد وسيأتي ما يفيد ان ولايتهم كانت مستمدة من حلفاء بغداد (ص) .

وعـاد إلى بلاده بجبـل الرس ، ولكن اضـطراب أحوال اليمن اضـطر كثيـر من رجالها المفكرين وزعمائها النابهين إلى استدعائه واستقدامه مرّة أخـرى ، وفي مقـدمتهم والي صنعاء وحـاكمها ابـو العتاهيـة مولى آل يعفـر وسيـأتي تفصيـل ذلك .

وممن امتنع على أبي الجيش وتنكر له من ولاة تهامـة الأمير سليمـان بن طرف صاحب عَثـر[1] ومبلغ ارتفاعـه في السنة خمسمـائة الف دينـار عثريـة ، وكان مع إمتناعه عن الوصول إلى ابن زياد يخطب له ويضرب السكة باسمـه ، ولا يصـل إليه ، وبعـد امتناع من امتنع بقي لأبي الجيش من البـلاد من عدن إلى شـرجه حـرض[2] نحواً من عشـرين مـرحلة طـولاً ، ومن غـلافقـة[3] إلى أعمال صنعاء عـرضاً نحـو خمس مراحـل قال عمـارة في مفيده[4] (رأيت مبلغ ارتفاع أعمال ابن زيـاد بعد تقـاصرهـا وذلك سنـة ٣٦٦ ألف ألف دينار عثـرية خارجاً عن ضرائبه على مراكب الهند من الأعواد المختلفة والمسـك والكافـور والنيـل ، وما أشبـه ذلك ، وخـارجاً عن ضـرائبـه على جـزيـرة دهلك[5] وهي خمسمائة وصيف وخمسمائة وصيفة من النوبة والحبش . وخارجـاً عن ضرائب العنبر ، في السواحل من باب المنـدب إلى الشحر وخـارجاً عن ضـرائبه على معادن اللؤلؤ) انتهى .

وفي أيام أبي الجيش ظهر الطاغية علي بن الفضل القرمطي ، وقيل انـه هو الذي قتل الأمير المذكور[6] وقيل بل هـرب منه ومـات سنة ٣٩١ وقيـل انه

---

(١) عثر : مدينة تهامية خربة على شط البحر الأحمر .

(٢) بلدة خربة كانت خرضة مدينة حرض .

(٣) قرية على ساحل البحر الأحمر من بلاد الزرانيف واعمال بيت الفقيه .

(٤) المفيد ص ٣٩ .

(٥) موقع جزيرة دهلك غربي مدينة حلى وبينها وبين بر اليمن نحو ثـلاثين ميلاً وملكهـا من الحبش المسلمين وهو يداوي صاحب اليمن قاله صاحب صبح الأعشى (ص) .

(٦) راجع سيرة الإمام الهادي والخزرجي وانباء الزمن .

مات سنة ٣٧١ وليس بشيء لما سيأتي عند ذكر موت الحسين بن سلامة .

وبموت أبي الجيش طوى التاريخ صفحة آل زياد وتلونت صفحاته وتشعبت مناحيه ، وانتقل الملك إلى عبيد آل زياد[١] ثم إلى عبيد العبيد وقد دفنت القرون أخبار هذه الإمارة ، ولم يصل إلينا من أخبارهم إلاّ نتفاً يسيرة ، وذلك ما سطرناه ، ولعل القارىء يستنتج من أخبار الخراج وجمل الضرائب بعض ما يريد عن الحركة العمرانية وسير التجارة وسعة النفوذ ، ولكن بصورة إجمالية ، وبقدر ما فات المؤرخ من استيعاب المادة اللازمة يضعف الاستنتاج ويتعذر الحكم ، والذي يلوح لنا انه كان لكل جهة من جهات القطر دار ضرب للنقود وشبه استقلال للولاة كما ان سير الحوادث وأسلوبها ، تؤيد نظرية القائلين باستقلال آل زياد لولا ما سيأتي ، وكيف كان فإن أخبار هذه الحكومة أو الإمارة غامضة جدًّا ، وعسى أن نجد في غير ما قد عثرنا عليه من المصادر ما يعين على البحث،ويلقي النور على ما تكاثفت عليه ظلمات القرون والله أعلم .

ايام ابن أبي الجيش : هند بنت أبي الجيش : مولاهم رشيد الزمام مملوك رشيد الحسين بن سلامة

خلف أبو الجيش صبيًّا اسمه عبدالله ، وقيل زياد ، وقيل ابراهيم فقام بكفالة الصبي المذكور هند بنت ابي الجيش[٢] ومملوك لأبي الجيش حبشي إسمه رشيد الزمام ، ولكنها لم تطل أيام رشيد المذكور ، وهلك من قريب ، وكان له عبد نوبي إسمه الحسين بن سلامة نسبة إلى أمه ، وكان حازماً عفيفاً مقداماً حسن السيرة كبير النفس عالي الهمة قد علت منزلته وامتثلت أوامره ،

---

(١) قال في بغية المستفيد وخرج أيضاً من ولاية ابي الجيش لحج وابين وما عداها من البلاد الشرقية (ص) .

(٢) قال الديبع : هند أخت ابي الجيش عمة الطفل لا أخته وكذلك صاحب أنباء الزمن والأولى رواية الخزرجي (ص) .

واشفقت النفوس من هبيته في حياة سيده[1] ، لما عرف من نجابته وصرامته ، وسداد طريقته ، فكان هو المتولي لجميع شؤون سيده فلما مات سدّ مسده ، وذب عن ملك مواليه ووازى الصبي ، واخته ، وملك آل زياد يومئذ متضعضع الأركان ضعيف السلطان تتناشه سباع الأطماع ، وتمزقه أيدي المتغلبين في جميع البقاع فقام الحسين بن سلامة ، وابدى من المهارة في علاج الدولة ، ما يعجز عنه كبار الرجال ، رغماً على سواد لونه ويد النخاس التي عركت اذنه :

قد يدرك الشرف الفتى ولباسه خَلَقٌ وجيب قميصه مرقوع

غزا المتغلبين من ولاة الأطراف ، ونازل أرباب الحصون ، حتى أتوه طائعين ، وحملوا إليه الأتاوة مذعنين ، وأعاد دولة آل زياد سيرتها الأولى ، قال الخزرجي : ولم تبق دولة في اليمن ولا حصن إلاّ استولى عليه واستناب فيه من يرضاه[2] .

وفي كلام الخزرجي تجوّز ، أو مجازفة على الأصح ، والأرجح ما ذكره الديبع في كتابه بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد عند ذكر الحسين بن سلامة قال : (وكانت دولتهم قد تضعضعت أطرافها وغلب ملوك الجبال على الحصون والمخاليف فحاربهم الحسين حتى رجع إليه غالب مملكة ابن زياد الأولى»[3] .

ولم يزل الحسين بن سلامة في الملك بالنيابة عن الطفل إلى أن توفى سنة ٤٠٢ وقيل ثلاث واربعمائة .

وكان رحمه الله عادلاً كريماً ، حسن السيرة طيب السريرة ، كثير

---

(١) راجع أنباء الزمن وقرة العيون واللآلىء المضيئة (ص) .

(٢) العسجد المسبوك ص ٩٩ .

(٣) بغية المستفيد ص ٤٠ ط المحقق .

المبرَّات كلفاً بالعمران ، أختط مدينة الكدرا في وادي مهام ، ومدينة المعقر ، على وادي ذؤال ، وعمر الجوامع الكبار ، والمنائر الطوال في المدن ، وحفر الآبار والقلب العادية ، وعمل المصانع وبنى الأميال والفراسخ والبرد في الطرقات ، من حضرموت إلى مكة نحو ستين مرحلة في كل مرحلة جامع[1] ومأذن وبئر ، وجدّد عمارة جامع عدن وعمر مسجد الجند المشهور ، وقال الخزرجي نقلاً عن عمارة ما لفظه : وللحسين بن سلامة في طريق مكة العليا عدّة مآثر ، فيها جامع الجوه ثم مسجد الجند المذكور ، ثم ذي اشرق ، ثم إب ، ثم النقيل ، ثم ذمار ، ثم ما بين ذمار وصنعاء مسافة خمسة أيام[2] ، في كل مرحلة منها بناء ، ثم جامع صنعاء وهو جامع عظيم ، ثم من صنعاء إلى صعدة عشرة أيام ، في كل مرحلة من ذلك جامع[3] ، ثم عقبة الطائف وهي مسيرة يوم للطالع من مكة ونصف يوم للهابط إلى مكة عمرها حسين بن سلامة عمارة متقنة يمشي في عرضها ثلاثة أجمال بأحمالها ، ثم أورد مآثره على طريقي تهامة الساحلية والوسطا ، وسور مدينة زبيد ، وهو أول من سَوّرها ، وقد أطال المؤرخون فيه ، حتى قال الخزرجي : وأخبار الحسين بن سلامة في اليمن تستغرق مجلداً بل مجلدات . وكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة

---

(١) هكذا روى الخزرجي وغيره ، ولم نجد ما يفيد ان نفوذ الحسين بن سلامة امتد هذه المسافة (ص) .

(٢) المسافة ما بين ذمار وصنعاء ثلاثة ايام (ص) .

(٣) فيما ذكره عمارة مجازفة ظاهرة فإن البلاد في عصر الحسين بن سلامة كانت في أعاصير هوجاء وزوابع غير مريحة وعلى الخصوص بلاد الزيدية ، ولم يكن له نفوذ ظاهر عليها ، وهذه المباني تتطلب الهدوء طبعاً ، أضف إلى ذلك إنا لم نجد في كتب التاريخ التي بأيدينا ما يدل على حدوث ما ذكره عُمارة فيما بين صنعاء وصعدة ، وبين زبيد وصنعاء ومن البعيد ان تزول آثار هذه المباني وتندرس من عرض البلاد وطولها ، ولا يذكرها احد بحرف اولا يعلمها إلاّ عمارة ، وعنه نقل أكثر المؤرخين ، ولكن على اسلوبهم المعهود من مجانبة النقد والتمحيص . وتحكيم العقل ، واذا عرفت ان عمارة ارّخ لليمن فيما علق بفكرة والفكر يخون وهو بمصر زال الاشكال (ص) .

ولا شك أنه من العظماء الذين أثبتوا نبوغهم وتفوقهم بالواقع الملموس ، فإنه فتح المعاقل وارشد الضلال ، وأدى الأمانة لمواليه ، ووفاء بالعهد، ونهض بمشروع الزعامة فظفر بغنيمة المسجد والثناء الصالح .

وآثار الرجال إذا تناهت الى التاريخ خير الحاكمينا

واستأثر بغاية وأسما من كل غاية، فكان يعمل الخير للخير ويتعب نفسه ليسعد المجموع ، وكان عصامياً ، ولو لم يكن كذلك ، لما قدر على إعادة ناموس الدولة الزيادية ، بعد ذهابها ولما استطاع أن يقف في وجوه كثير من المنازعين والمواثبين لتلك الدّولة التي شاخت وذوى غصن مجدها ، وانهار بنيان عظمتها ولم يبق لها من النفوذ والسطوة ما تحمي به حماها .

آخر طفل من بني زياد مرجان العبد واحداثه

قال الخزرجي[٢] : ولما مات الحسين بن سلامة انتقل الملك إلى طفل آخر منهم قال عمارة أظن اسمه عبدالله فكفلته عمة له وعبد حبشي اسمه مرجان ، وهو من عبيد الحسين بن سلامة فاستقرت الوزارة لمرجان ، وكان لمرجان عبدان حبشيان رَبّاهما صغاراً، وولاهما كباراً، وهما نفيس ونجاح، وكان نجاح يتولى أعمال الكدرا[١] والمهجم[٣] وبيش وهذه الأعمال الأربعة جل الأعمال الشامية غير زبيد ، وكان نفيس يتولى تدبير الحضرة ، فوقع التنافس بين نفيس ونجاح عند مرجان على تدبير الحضرة وكان نفيس ظلوماً غشوماً فكانت القلوب تنفر عنه طبعاً وتميل إلى نجاح لرفقه وزأفته وعدله غير أن مرجان مولاهما كان يميل إلى نفيس ويحبه ، وكان ابن زياد وعمته يفضلان نجاحاً على نفيس ، فلما علم نفيس بميل ابن زياد وعمته إلى نجاح

---

(١) العسجد المسبوك ص ١٠٣ .

(٢) الكدري : مدينة خاربة بني المراوعة والمنصورية واخرى في وادي سردد.

(٣) المهجم : بلدة خاربة في وادي سردد من أعمال الزيدية .

ومكاتبتهما له شكاهما إلى سيده مرجان ، فقبض مرجان عليهما وسلمهما إلى نفيس فأخذهما وعمر عليهما جدارا وهما قائمان يناشدانه الله عز وجل حتى ختمه عليهما، فكان آخر العهد بهما وذلك سنة ٤٠٧ سبع وأربعمائة[١]، وهكذا ختمت الحكومة الزيادية بمأساة مريعة بعد أن حكمت زيادة عن قرنين فسبحان من يُغَيّر ولا يتغير :

وكل حصن وإن طالت اقامته على دعائمه لا بد مهدوم

وكان نجاح يوم هذه المأساة غائباً بالأعمال الشامية ، وكان هذا الولد وعمته آخر من ولي من آل زياد ومدّة ولايتهم مئتا سنة وثلاث سنين من تأريخ اختطاط مدينة زبيد سنة ٢٠٤ ، وكان بنو زياد لما علموا باختلال الدولة العباسية من قتل المتوكل ، وخلع المستعين تغلّبوا على ارتفاع اليمن ، وركبوا بالمظلة وساسوا قلوب الرعية بإبقاء الخطبة لبني العباس ، ولم يزالوا على ذلك إلى التاريخ المذكور والله أعلم .

قال الجندي : وذكر المعلق أن الحسين بن سلامة توفى سنة ٣٠٤ بزيادة سنة على ما ذكره عمارة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(واعلم أن هذه الأخبار يدخلها الصّدق والكذب والزيادة والنقصان[٢]) وسبب ذلك اختلاف النقل ، ثم اختلاف كتب التاريخ ، قد يكون المصنف واحداً والتصيف واحداً،ويختلف ما يوجد باحدى النسخ عن الأخرى ، ويعرف

---

(١) راجع الخزرجي والجندي وقرة العيون

(٢) بهذا الاعتبار وهذه الفكرة دون القدماء كتب التاريخ للتسلية وقتل الوقت ، وقد شبهوا المؤرخ بحاطب ليل ، فجاءت غالب مدوناتهم في هذا الفن كثيرة الأغلاط ، ركيكة الأساليب طافحة بالمبالغات مملوءة بالمزاعم والخرافات لا تسقط منها على حقيقة ، إلّا بعد إدماء الجفون وتقريح المحاجر وتقليب مئات الصفحات وعشرات المجلدات وقد تخرج بعد العناء الشديد مضطرب الفكر حيرانا وهنا يشكو الجندي تضارب اخبار المصادر واختلاف الرّوايات التاريخية ، ولكنه يعد ذلك من لوازم كتب هذا الفن كما ترى (ص)

ذلك العارف ، فربما ينكر المنكر ، ما نقلت عن المفيد وغيره ولا ينسب ذلك لقصوره على الاطلاع إلى كتب التاريخ والنظر في عدة نسخها ، فقد تمحص لك ان ملك بني زياد أستقل عن مواليهم من سنة ٢٠٣ إلى سنة ٣٧١ مائة وثمانية وستون[١] سنة(١٦٨)وبالنيابة عنهم ثمانية وثلاثون سنة ٣٨ لقيام ابن سلامة ، ثم كانوا أعواناً لمواليهم متأدبين معهم ، حتى كان من انيس المذكور سابقاً ما قدمنا ذكره قال الديبع في كتابه بغية المستفيد[٢] : وقد ضبط الجندي نفيساً هذا فجعله انيساً بفتح الهمزة وكسر النون وهو وَهْم فليتنبه له والله أعلم .

انتقام نجاح واستيلاؤه على زبيد

ولما بلغ الخبر إلى نجاح استنفر الأحمر والأسود لحرب نفيس وقتاله ، وقصده إلى زبيد في جموع عظيمة ، والتحم القتال بينهما في عدة وقائع ، منها يوم رمع[٣] ويوم فشال[٤] وهما على نجاح ومنها يوم القعدة[٥] وهو على نفيس ، ومنها يوم العرف[٦] ، وفيه قتل نفيس على باب زبيد بعد أن قتل من الفريقين زهاء خمسة آلاف رجل ، ودخل نجاح زبيد وملكها في ذي القعدة سنة ٤١٢ ، وقبض على مرجان مولاه وقال له ما فعلت مواليك[٧] ومواليا

---

(١) هذا يرجح ان موت آخر بني زياد واسحاق بن ابراهيم سنة ٣٧١ وقد ذكرنا ان ظهور الإمام الهادي كان في زمان أبي الجيش سنة ٢٨٤ فتأمل كم سيكون مدة عمره اللهم إلا أن يكون ملك من طفولته مع انه لا نص على ذلك غير قولهم انه لما بلغ في الملك ثمانين سنة ضعف وعجز عن تدبيره كما سبق .

(٢) بغية المستفيد ص ٤٣ .

(٣) نسبة الى الوادي المشهور وهو بين وادي زبيد ووادي سهام وهو إلى زبيد أقرب.

(٤) بلدة قديمة كانت برمع شمالي زبيد .

(٥) في العسجد «العقدة» .

(٦) في العسجد «العرق» .

(٧) كذا في الأصل وفي العسجد ص ١٠٤ . «وقال له ما فعلت بمواليك» .

قال : هما في هذا المكان ، فاخرجهما نجاح ، وجهزهما ، وصلّى عليهما وجعل مرجان وجثة نفيس المقتول موضعهما ، وعمر عليهما ذلك الجدار حتى ختمه جزاء وفاقاً :

ونابش الموتى له ساعة تأخذه انبش من نبشه

وتم لنجاح ملك البلاد من التاريخ المذكور ، وركب بالمظلّة وضرب الدراهم باسمه ، وكاتب خليفة بغداد ، وبذل له الطاعة ونعت بالمؤيد نصير الدين ، وضبط أمر التهائم ، وخوطب بالملك واستمر كذلك ، حتى سمَّه علي بن محمد الصليحي ، على يد جارية أهداها إليه كما سيأتي ان شاء الله تعالى وفي أيام نجاح انتقضت معظم البلاد التي كانت خاضعة للحسين بن سلامة ، وتغلب كل رئيس على ما تحت يده .

ذكر عمال بني العباس على اليمن

لما كانت أخبار بني زياد غير مرتبة على السنين اضطررنا إلى سرد اخبارهم على ذلك الأسلوب ، وخالفنا المنهاج الذي رسمناه لأنفسنا في كتابة هذا التاريخ ، وها نحن نعود إلى خطتنا الأولى والله ولي التوفيق .

قال الخزرجي وغيره : ودخلت سنة ٢٠٦ فيها عزل الافريقي[1] عن اليمن بنعيم بن الوضاح الأزدي ، والمظفر بن يحيى الكندي اشتركاً في العمل ، وقدما صنعاء في صفر من السنة المذكورة ، وسار المظفر إلى الجند ، وأقام بها مدة يجبي مخاليفها[2] ثم رجع إلى صنعاء ومات بها بعد أيام من رجوعه وصار الأمر جميعه لنعيم بن الوضاح ، إلى أن عزل بمحمد بن عبدالله بن محرز مولى المأمون ، فقدم اليمن سنة ٢٠٨ وأمر ابناً له يقال له ابو

---

(١) هو من بني شهاب واسمه ابراهيم (ص) .

(٢) نزول عامل خليفة بغداد لجباية الجند يدل على ان ابن زياد كان عاملاً على زبيد وما والاها وهو الذي يقال انه ملك اليمن بأسره وزاد عمارة الحجاز بأسره (ص) .

الحميد يجبي الجند وكان في ولايته ضعف فخرج نحو الحجاز واستخلف عباد بن عمر الشهابي ، فقام بالأمر حتى قدم عليه عامل الخليفة اسحق بن العباس من ولد عبدالله بن عباس ، وكان قدومه آخر رجب سنة ٢٠٩ فأساء السيرة وعسف الرعية ، وظهرت منه اخلاق منكرة غليظة . ونال من أهل اليمن[١] كل منال ، وتعصب عليهم تعصُّباً لم يفعله أحد قبله ، كان لا يسأل أحداً عن نسبه فينسب إلى حمير إلاّ قتله ، ولم يترك لهم ذكراً حتى أمر بقلع الخوخ الحميري مما[٢] أسرف به في التحامل عليهم .

وفي أيامه في سنة ٢١٦[٣] كانت الزلزلة الشّديدة بصنعاء وعدن انهدمت منها المنازل ، وخربت القرى وهلك عالم لا يحصى ، ولم يزل هذا العامل يمرح في طغيانه لا يخاف خليفة بغداد لبعده ولا غيره حتى هلك بهذا العام ، واستخلف عند موته ولده يعقوب فلم تصف له اليمن ، وكان بينه وبين أهل صنعاء خلاف أفضى إلى قتال ، قتل فيه جماعة من أهل صنعاء ، ثم انهزم إلى ذمار ، فعزله المأمون بعبد الله بن علي بن عبدالله بن العباس ، فقدم في المحرم سنة ٢١٧ .

ولم يزل بها إلى أن مات المأمون سنة ٢١٨ فلحق بالعراق واستخلف عباد بن[٤] عمر الشهابي ، ولما ولي المعتصم أقر الشّهابي على عمله عدة سنين[٥] ، ثم عزله بعبد الرحيم بن جعفر بن سليمان الهاشمي ، ثم عزله المعتصم بمولاه جعفر بن دينار وذلك سنة ٢٢٥ ، فأرسل جعفر خليفة له يقال منصور بن عبد الرحيم التنوخي ، فقدم اليمن في صفر من السنة

---

(١) وليت شعري اين كان ملك اليمن بأسره والحجاز بأسره ليخلص اليمن من فضائح هذا الأحمق الغشوم .

(٢) في العسجد بما .

(٣) في العسجد سنة ٢١٢ .

(٤) في العسجد عبادة .

(٥) في الأصل سنين لعله سبق قلم .

المذكورة ، فضبط البلادَ ووَجّه العمال إلى المخاليف ، وقدم عليه عبد الرحمن بن علي بن عيسى[1] بن ماهان ، وقد أُشْرِكَ معه في العمل ، فأقام مع منصور في اليمن برهة ، ثم عزل جعفر بن دينار بايتاخ التركي ، مولى المعتصم ، فأقر منصور ، وعبدالله على عملهما فلم يزالا إلى أن مات المعتصم سنة ٢٢٧ .

أول دولة الحواليين[2]

لما تولى الخلافة الواثق بن المعتصم ، أقر ايتاخ التركي على اليمن فوجه أبا العلاء العامري ، فلما وصل صعدة أرسل الأمير يعفر[3] بن عبد الرحيم الحوالي غلامه طريف بن ثابت في عسكر نحو صنعاء فخرج إليهم منصور بن عبد الرحيم في أهل صنعاء فهزمهم وقتل من موالي آل يعفر بن عبد الرحيم نحواً من ألف رجل وأسروا آخرين ، فضرب أعناقهم ، وقدم أبو العلاء صنعاء بعد الوقعة فأقام بها حتى مات واستخلف أخاه عمر بن العلاء ، فأقام بها مدة ثم ان ايتاخ استعمل على اليمن هرثمة ، مولى المعتصم ، فوصل في آخر المحرم سنة ٢٣٠ ثلاثين ومائتين ، ومكث أياماً ثم خرج لمحاربة الأمير يعفر بن عبد الرحيم ، وهو بشبام ، فحاربه أياماً ، وعاد إلى صنعاء ثم إن الواثق عزل ايتاخ عن اليمن واستعمل عليها جعفر بن دينار ، فسار إلى اليمن وحاصر يعفر بن عبد الرحيم مدة بشبام ، ثم كان الصلح بينهما ، وعاد العامل إلى صنعاء فلبث فيها إلى أن توفى الواثق آخر ذي الحجة سنة ٢٣٠ [4] .

---

(١) في العسجد عبدالله بن محمد بن علي بن عيسى بن ماهان والمثبت هنا في غاية الاماني ص ١٥٤ .

(٢) الخزرجي .

(٣) هذا أول من ظهر من بني الحوالي مناهضاً للسلطة العباسية وتدل هذه الحادثة على تمكن وقوة لا بأس بها فقد بلغت القتلى من أصحابه نحو الألف فكتب الموفق فكم يكون مقدار الجيش (ص) .

(٤) انظر هذا الكلام بنصّه في العسجد ص ٣١ ـ ٣٢ .

وفي أنباء الزّمن[1] ان الذي حارب يعفر بن عبد الرحيم هو هـرثمة وانـه بقي إلى أن مات الواثق سنـة ٢٣٠ ، وقام بعـده المتوكـل فاستعمـل على اليمن جعفر بن دينار ، فأقام فيها أياماً واستخلف ولده محمد ، وخـرج إلى العراق ، فلم يـزل ولده محمـد على اليمن حتى قتل المتـوكل واستمر على اليمن مـدة المنتصـر والمستعين والمهتدي إلى أيـام المعتمـد ، فكتب المـوفق وكـان هـو المتولي شؤون الخلافة إلى الأمير محمدبن يعفر الحـوالي بولايـة اليمن فوجّـه عماله على المخاليف ، وفتح حضـرموت ، وكـانت قد تمنعت من قبل، قـال الخـزرجي : هذه روايـة الشريف ادريس[2] في كتـابـه «كنـز الأخبـار» ، وقـال الجندي : لما مات الواثق وقام بالأمـر بعده المتـوكل أقـر جعفر بن دينـار على اليمن مدة ، ثم عزلـه واستعمل حميـر بن الحرث فلم يتم لـه الأمر مـع الأمير يعفـر بن عبد الـرحيم وعاد حميـر إلى العراق هارباً ، واستولـى يـعفر بن عبـد الرحيم على صنعاء ومخـاليفها ، وقتـل المتوكـل عقيب ذلك إلى أن قـال ولما ولي الخلافة المعتمـد على الله واستوثقت لـه البلاد ، وامتـدت أيامـه ، أخذ البيعة له في اليمن الأمير محمد بن يعفـر بن عبد الـرحيم الحوالي ، وتـابع لـه الخـطبة ، فلمـا وصـل خبـره إلى المعتمـد كتب إليـه بنيـابتـه على صنعـاء ومخاليفها ، فغلب على صنعاء والجند وحضـرموت وكـان مع ذلـك يوالي ابن زياد ويحمل إليه الخراج ، ويـظهر أنـه نائب عنـه لعجزه عن مقـاومته ، وكـان وصول كتاب المعتمد سنة ٢٥٧ سبع وخمسين ومائتين ، فـأقام على عمله إلى سنة ٢٦٢ ، وعزم للحج واستخلف ابنه ابراهيم بن محمد .

وفي أيامه حصل في صنعاء سيـل عظيم وهـو السيل الثـاني في الإسلام وأخرب دوراً كثيرة .

قال الجندي[3] : وفي سنة ٢٦٥ بنى الأمير محمد بن يعفر جامع صنعاء

---

(١) غاية الأماني ص ١٥٤ .

(٢) من كبار المؤرخين توفى سنة ٦١٤ وسيأتي ذكره في الكتاب .

(٣) النقل هنا بواسطة الخزرجي في العسجد ص ٣٣ .

على الحال الذي هو عليه الآن[1] (في القرن السابع) ، ولم يزل ابراهيم بن محمد بن يعفر على ولايته الى سنة ٢٧٠ ، ثم أمره جدّه يعفر بن عبد الرحيم بقتل محمد بن يعفر واحمد بن يعفر فقتلا بعد المغرب ، في صومعة شبام فانتشرت على يعفر بن عبد الرحيم الأمور ، وخالف عليه الفضل بن نفيس المرادي بالجوف وولد طريف غلامه بيحصب ورعين والمكرمال ببيحان ، ومالوا إلى جعفر بن احمد المناخي ، فجهز لمحاربتهم ابراهيم بن محمد بن يعفر ، فكانت الحرب بينهم سجالاً واستعمل بن يعفر على الجوفين الدَّعام بن ابراهيم ، فتغير له الدعام ، ونصب له الحرب فسار إليه عسكر ابراهيم بن محمد بن يعفر والتقوا بورود فهزمهم الدعام وقتل منهم كثيراً ، وفي كفران الدعام لما أولاه هذا الأمير الحوالي يقول الشاعر :

---

(١) هذا يؤيد ما ذهبنا إليه من ان الحسين بن سلامة لم يكن هو الباني لجامع صنعاء او لم يكن من بناته، فان عصر الجندي قريب بالنسبة الى عصر ابن سلامة ، وايضاً فان الجندي روى تلك العبارة . ومع قوله على الصفة التي هو عليها الآن عن القاضي السّري بن ابراهيم ، وهذا القاضي هو قاضي الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ولّاه القضاء بصنعاء ومن البعيد أن يجهل من عمر جامع صنعاء وهو مؤرّخ أيضاً فيقول انه بناه ابن يعفر على الصفة التي هو عليها الآن (أي في ايامه) ويهمل ذكر الحسين بن سلامة ، وأغرب من هذا ما ذكره صاحب أنباء الزمن مؤرخ اليمن في القرن الحادي عشر من ان الجناح الشرقي من جامع صنعاء الكبير عمارة السيدة بنت احمد الصليحية الموجودة أول القرن السادس وقد شاعت رواية صاحب أنباء الزمن لشهرة تاريخه في اليمن ، وأصبحت تلك القضية مسلمة ، وقد انفرد بهذه الرواية ، ورواية الجندي عن القاضي السري تخالف ذلك والجناح الشرقي يعدّ من عجائب الآثار الاسلامية وابدعها ، لكثرة ما على اخشاب سقفه من الحفر والنقش، والأصباغ الملونة ، وقد رسمت بالحفر بعض سور القرآن الكبار ، على اطراف جدرانه فيما يلي السقف بالخط الكوفي ، وهو يقوى ما ذهبنا إليه من ان عمارته في ايام محمد بن يعفر ، وان كان لا يصح الاستدلال به وقد ذكرنا في خبر اسلام أهل اليمن انه عمر بأمر النبي صلى الله عليه وعلى آله في بستان باذان ثم توسيعه أيام الوليد بن عبد الملك الأموي على يد عالمه باليمن أيوب بن يحيى الثقفي ، ثم تبويبه على يد عمر بن عبدالمجيد نائب عامل السفاح ، وفي أيام ابن يعفر حصل السيل العظيم في صنعاء وخرب الجامع فعمره ابن يعفر كما سبق (ص) .

ودعـام جـدّ أبـنـاء يـعـفـر رفـعـوه في عـظيـم المـنـزلـه
كـان في طـوداتـان سـاكـنـا صـاحـبـا للفـقـر لا حيـلة لـه
فـحـبـاه مـلك ابـنـا يـعـفـر بـهـبـاة جـمـة مـتـصـلـه
ثـم ولاّه بـوادي غـرق فـغـدا يـعـمـل فـيـه عـمـله
ثـم جـازاه بـأن خـالـفـه مـن تـجـرّى جـر وسوء اكـله

وقدم[1] عهد يعفر بن ابراهيم بن محمد بن يعفر على صنعاء ومخاليفها من صاعد بن مخلد وزير المعتمد ، فاعتزل ابراهيم بن محمد عن الإمارة وولي ابراهيم بن عبد الرحيم فأقام بصنعاء مدة واستعمل على صنعاء ولاة كثراً ، وكان أكثر مقامه بشبام ، ثم اجتمع أهل صنعاء من الأبناء وغيرهم والشهابيين على عمال ابي يعفر فقاتلوهم واخرجوهم من صنعاء ونهبوا دار أبي يعفر واحرقوها ، ولم يلبث ابو يعفر ان قتل بشبام آخر المحرم سنة ٢٧٧ ، فقام بالأمر بعده ابن عمه عبد القاهر بن احمد بن يعفر اياماً حتى قدم من العراق احمد بن الحسين جفتم عاملاً على صنعاء ، وكان قدومه في صفر سنة ٢٧٩ ، فقاتله الدّعام في صنعاء فهزمه جفتم ، ودخل عليه صنعاء وطرده عنها ، ودامت صنعاء في يد جفتم الى ان توفى المعتمد في رجب سنة ٢٧٩ ، فقام بالخلافة المعتضد بن الموفق طلحة فأقر جفتم على ولايته بصنعاء فلم يزل بها إلى سنة ٢٨٢ ، وكان حازماً شديد الحذر ولما عاد إلى العراق في السنة المذكورة ، وثب الدّعام على صنعاء ثم هرب منها ، ورجع الأمر الى بني يعفر ، ولم يزل إبراهيم بن يعفر على صنعاء ومخاليفها ، وهو يهادن ابن زياد ولم تطل مدّته ، وقام بعده إبنه أسعد بن ابي يعفر بن ابراهيم بن محمد يعفر بن عبد الرحيم ، وفي أيامه ظهرت القرامطة فخرج قوم من اليمن إلى

(١) اعتمدنا في هذه الأنباء على رواية الخزرجي وفيها من الإضطراب مالا يخفى وقد راجعنا أنباء الزمن وقرة العيون وبغية المستفيد وغيرها فوجدنا من الاختلاف ما تعذر معه الوفاق والملائمة (ص) .

جبل الرُّس بالمدينة فقدم مولانا الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام[1] .

ظهور الدولة العلوية الإمام الهادي نسبه ومناقبه آثاره العلمية فتوحه وحروبه

مؤسس الدولة العلوية الامام المجتهد المطلق الهادي الى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام قال فيه الفقيه حميد الشهيد[2] رحمه الله في كتابه الحدائق الوردية[3] بعد ان ذكر صفاته ونعوته (فضله عليه السلام لا يُخفى ونور مجده لا يطفى ، وظهور حاله يغني عن ذكر محاسن خلاله ، إلَّا انا نذكر من أحواله طرفاً ، رعاية لحقه الواجب ، وهو الذي فقأ عين الضَّلال ، وأجرى معين العلم السَّلسال ، وضارب عن الدين كافة الجاحدين ، حتى عرف الله من أنكره ، ومناقبه أكبر من أن تنظم في سلك المدائح ، وقد روينا عن بعض علمائنا رحمهم الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أنه قال يخرج من هذا النَّهج وأشار بيده إلى اليمن رجل من ولدي اسمه يحيى الهادي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، يحيي الله به الحق ويميت به الباطل : فكان عليه السلام هو الذي نشر الاسلام في أرض اليمن بعد أن كانت ظلمات الكفر فيه متراكمة ، وموجات الالحاد متلاطمة ، حتى انهل من نحورهم الأسل الناهلة ، وأنقع من هامهم السيوف الضامية فانتعش الحق بعد عثاره ، وعلا بحميد سعيه مناره فسلام الله على شخصه الكريم)

---

(١) الخزرجي وفي ابناء الزمن ان المقتول بشبام والذي نهل أهل صنعاء داره هو ابراهيم بن محمد .

(٢) هو العلامة شيخ الاسلام حسام الدين حميد بن احمد بن محمد بن محمد المحلي الهمداني الوادعي ولد سنة ٨٢ ، وتوفي شهيداً قتيلاً سة ٦٥٢ .

(٣) الحدائق الوردية ج ٢ ص ١٣ ط المؤيد .

وقال فيه السيد صارم الدين الوزير[1] في بسامته[2]

وفي إمام الهدى الهادي المتوج بالعليا اكرم داع من بني مضر
من خص بالجفر من أبناء فاطمة وذي الفقار ومن اروى ظما الفقر
وصاحب المذهب المذكور في اليمن المشهور من غير لا إفك ولا نكر

ومنها في ذكر وقائعه عليه السلام :

وفي ابن فضل ومن لبى لدعوته وفي مسودة تدعو إلى سقر
قضت بتسع مع التسعين معركة غر كبدر وأوطاس وكالنهر
قضى بها نحبه صيد غطارفه مضوا وأشياع صدق من بني الطبر
سائل شباما وصنعاء وصعدة مع نجران منه وسفح القاع من عصر
وسل بني يعفر عنه وكندتهم وغلب همدان والأخلاف من مضر
تخبرك عن ضربات منه قاطعة قدت دروعاً وأودت كل ذي صعر

ذو الفقار سيف امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خرج بعد الإمام الهادي إلى اليمن وتقدم الكلام على ذي الفقار عند كلامنا على صمصامة عمرو بن معدي كرب الزّبيدي والجفر جلد ثور صغير مكتوب فيه علم ما سيقع لأهل البيت عليهم السلام مروى عن جعفر الصادق قال أبو العلاء المعري :

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم في سك جفر
ومرآة المنجم وهي صغرى أرته كل غامرة وقفر

كان خروج الإمام الهادي عليه السلام إلى اليمن المرة الأولى سنة

---

(١) هو العلامة ابراهيم بن محمد بن عبدالله بن ابراهيم بن علي الوزير ولد سنة ٨٣٤ وتوفى سنة ٩١٤ وقصيدته البسامة تسمى الجواهر المضيئة في سيرة الأئمة الأخيار المرضية جعلها على وزن قصيدة ابن عبدون الفهري في رثاء بني الأفطس وأول بسامة ابن الوزير :

الدهر ذو عبر عظمى وذو عبر وصرفه شامل للبدو والحضر

(٢) البسامة قصيدة للسيد صارم الدين ذكر فيها ائمة أهل البيت عليهم السلام (ص) .

٢٨٠[1] فوصل إلى الشرفة قرب صنعاء ومكث بها مدة ، اشتغل فيها بنشر مبادىء الإصلاح وتهذيب العقول ، ولكن الأمة كانت اذ ذاك في سبات عميق وجمود جاف ، وغفلة سادت على العقول واستولت على الأفكار ، فمنعتها عن التفكير في الوسائل المخلصة من آفات المقاصد الذّاتية والمطامع الشخصية ، فساءه ما عرف من خراب في الذّمم ، وفساد في الضمائر ، وتيقن ان الاصلاح لايستسيغونه بحال وما لبث أن غادر إلى بلده بالحجاز وبقيت الأمة ترزح بأصارها[2] وتنوء بأعبائها وشملها ما لا يطاق من البلاء والأرزاء والفتن العمياء، والغارات الشعواء كف[3] تقصيرهم ومعاندتهم للحق وأهله ، ولما اشتد بهم الحال وأضربهم البلاء كتبوا إلى الإمام الهادي يسألون النهوض اليهم ، ويعلمونه بتوبتهم ورجوعهم إلى الله من خطاياهم ، وعند ذلك رأى من الواجب عليه تلبية دعوة أهل اليمن وامتشاق الحسام لإصلاح الفاسد ، وتقويم مناد[4] المعاند ، واحياء ما اندرس من معالم الدين ونصر شريعة سيد المرسلين واقتحام الغمرات في سبيل ذلك :

فالحق أخفى ما يكون مجرّداً وتراه أوضح ما يكون مدرعا

ولم يحفل بما كان من تقصير اليمنيين وخذلانهم ، ولا بالى بما أمامه من العقبات ، بوجود الطامحين إلى السيادة من أهل اليمن والمتغلبين من غيرهم ، واثقاً بنفسه معتمداً على ربّه ، لاُ يثنيه عن وثبته العلوية ، طول المدى ووعورة الطريق غايته احدى الحسنيين الفوز أو الشهادة ولسان الحال منه تنشد :

---

(١) باستدعاء من بني فطيمة من قبائل خولان صعدة بعد وصوله الى الرسّ من ارض الحجاز كما في أنباء الزمن .

(٢) جمع أصر وهو الذنب .

(٣) كذا في الأصل.

(٤) كذا.

سأحمل اعباء الخطوب فطالما تماشت على الاين الجمال القناعس
وانتظر العقبى وان بعد المدى وارقب ضوء الفجر والليل دامس
واني لأقرى النائبات عزائما تروض أبي الدهر والدهر شامس
واحقر دنيا تسترق لها الطلا مطامح لحظي دونها متشاوس
تجافيت عنها وهي خود غريرة فهل ابتغيها وهي شمطاء عابس
ولي مقلة وحشية لا يروقها نفائس تحويها نفوس خسائس

قال مصنف سيرته السيد علي بن محمد بن عبيدالله العباسي رحمه الله : سمعت منه عليه السلام ما لا أحصيه إذا اجتمع عنده الناس يقول : (والله لإن أطعتموني لافقدتم من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاّ شخصه إن شاء الله[1]) . قال وسمعته ليلة وهو يقول : (والله لوددت ان الله أصلح الاسلام [بي][2] وان يدي معلقة بالثريا ، ثم أهوي إلى الأرض فلا أصل إلا قطعاً) قال وسمعته يوماً يحلف بالله مجتهداً ويقول : (لوددت أن صلح أمر هذه الأمة واني جعت يومين وشبعت يوماً) وكان أيضاً يتمنّى لو أن معه خمسمائة رجل ليدوس بهم اليمن[3] ، ومناقب هذا الإمام وآثاره وما خلّده في اليمن أجل من أن تحصر ، وقد أورد مصنف سيرته وغيره في فضله ومناقبه آثارا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها قوله : يخرج من هذا النهج ، وأشار بيده إلى اليمن الخبر المتقدم ، عن الفقيه حميد الشهيد ، وعن علي عليه السلام[4] قال رسول الله (ص) يخرج رجل من عترتي اسمه اسم نبي يملأ الأرض عدلاً كما ملِئت جوراً يميز بين الحق والباطل ، ، انتظروه في

---

(١) انظر سيرة الهادي ص ٤٩ ط سهيل زكار .
(٢) زيادة من سيرة الهادي ليستقيم المعنى .
(٣) انظر سيرة الهادي ص ٥٠ .
(٤)في سيرة الهادي ص ٣١ والحدائق ص ١٤ ورد هذا الحديث عن علي كرم الله غير مرفوعاً إلى صلى الله عليه وسلم .

الأربع والثمانين ومائتين ، في أول سنة واردة ، وأخرى صادرة قال كاتب سيرته ، وكذلك كان فاسمه اسم يحيى بن زكريا ، وطار علمه صلوات الله عليه في الآفاق حتى صارت أقواله في أقصى بلاد العجم ، يأنسون بها أكثر من بلاد اليمن ، وعليها يعتمدون وبها يفتون ويقضون ، وفي الحدائق الوردية[1] روى السيد ابو طالب باسناده عن المرتضى محمد بن الهادي عليهما السلام قال : ان يحيى بن الحسين بلغ من العلم مبلغاً يختار[2] عنده ويصنف ، وله سبع عشرة سنة وهذه من عجائب الرّوايات التي تضمنت خرق العادات ، ولا عجب ممن كانت أعراقه تنتهي إلى الذروة العالية النبوية ، أن يبلغ هذا الكمال ، ويفوز بمحاسن الخلال ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعل العلم والفقه في عقبي وعقب عقبي وزرعي ، وزرع زرعي فتناوله هذا الدعاء الشريف الموثوق باجابته فارتوى من سلسال العلم المعين ، وتفيأ ظلال العرفان ، حتى تفجر العلم من جوانبه ، ونطق من الحكم بغرائبه وصنف التصانيف الفائقة ، والكتب البديعة الرائقة ، نحو كتاب الأحكام ، وهو مجلدان في الفقه ، متضمناً تفصيل الأدلّة من الآثار والسنن النبوية ، ، والأقيسة القوية[3] ، ما يشهد له بالنظر الصائب والفكر الثاقب ومنها كتاب المنتخب[4] في الفقه أيضاً ، وهو من جلائل الكتب ، وفيه فقه واسع وعلم رائع ، ومنها كتاب الفنون في الفقه ، مهذب ملخص ، وكتاب المسائل ، ومسائل محمد بن سعيد ، وكتاب الرضاع ، وكتاب الزراعة ، وكتاب أمهات

---

(١) الحدائق ص ١٤ .

(٢) في الحدائق ص يحتار عنه وصنف.

(٣) ويعرف ايضاً بجامع الأحكام في الحلال والحرام بدأ تأليفه في المدينة ولم يتمه فقام بجمعه وتبويبه العلامة علي بن حسن بن ابي حريصة وعليه شرح ضخم للعلامة احمد بن ابراهيم الشرفي ومن الأصل عدة نسخ خطبه . انظر كتابنا مصادر الفكر الاسلامي في اليمن ص ٥٠٩ .

(٤) اجاب فيه على اسئلة الفقيه محمد بن سليمان الكوفي منه نسخة بمكتبة المتحف البريطاني انظر المصدر السابق ص ٥١٥ .

الأولاد ، وكتاب الولاء ، وكتاب القياس ، ومنها في التوحيد كتب جليلة القدر ، نحو كتاب التوحيد ، وكتاب المسترشد ، وكتاب الرد على أهل الزيغ ، وكتاب الإرادة والمشبه، ومنها كتاب الرد على ابن الحنفية في الكلام على الجبرية ، وفيه من الأدلة القاطعة ، والإلزامات النافعة ما يقضي بأنه السّابق في الميدان المبرز على الأقران ، وكتاب بوار القرامطة ، وكتاب أصول الدين ، وكتاب الامامة وإثبات النبوءة ، والوصية ، وكتاب الرد على الامامية وكتاب البالغ المدرك وهو قطعة لطيفة فيها كلام كأنّه الروض ملاحة ونظارة والسحر لطافة ، ودقة، وكتاب المنزلة بين المنزلتين ، ومنها كتاب الديانة ، وكتاب الخشية ، وكتاب تفسير خطايا الأنبياء ، وكتاب الرّد على ابن جرير ، وكتاب تفسير ستة أجزاء ، ومعاني القرآن تسعة أجزاء وكتاب الفوائد جزءان[٢]، وكتب سوى ذلك كثيرة ما تقرب من عشرين كتاباً تركناها ، وهي ظاهرة مشهورة قد شحنت من مسائل العلم ودور الفهم ما يشهد بأنه عليه السلام في العلم القمر الباهر ، والبحر الزاخر) انتهى

وفيما أوردناه من أسماء الكتب التي ألّفها هذا الإمام العظيم دلالة كافية على تفنّنه في العلوم واستبحاره في المعارف مع صفاء نفس وحِس مرهف وقريحة خصبة مواتية أضف إلى ذلك ما كان عليه من لين الكف وكثرة الإحتمال والزهد والورع ولعلماء الزيدية اعتماد عظيم على مؤلفاته وآرائه ، وإليه تنسب الهدوية مذهبها.

خبر صلح الإمام بين قبائل صعدة وعزمه إلى نجران

كان خروج الإمام الهادي إلى صعدة في شهر صفر سنة ٢٨٤ وكانت بين أهل صعدة وقبائل سعد وربيعة من قبائل تلك الجهات حروب مستعرة

---

(١) انظر هذه الكتب ومظان وجودها في الكتاب السابق.

وغارات مدمرة ، قد عظم أمرها ، واستحكمت أحقادها وطال أمدها ، فاضطرب حبل الأمن ، واجدبت البلاد ، وتقطعت السّبل وغلت الأسعار وهلكت المواشي :

رمى الدهر أهليها بحرب ولم يرد بها الشر لكن الحروب هي الشر

فلما وصل الإمام الهادي إليهم ، لم يدخل البلد حتى قطع دابر الفتنة ، وأصلح بين الفئتين ، فأنزل الله عليهم السماء مدراراً ، واخصبت أرضهم وصلحت ثمارهم ، ورخصت أسعارهم ، وامنوا في طرقهم ، بعد الذي كانوا فيه من الجدب والقحط والخوف والعداء المستحكم ، قال كاتب سيرته : ولقد أخبرني بعضهم، أن قائداً لآل يعفر كان معه ألوف من العسكر أتاهم ، فأراد الصّلح فيما بينهم ، وانهم يقتتلون ، وهو واقف ماله فيهم حيلة ، حتى وقع بينهم عشرون قتيلاً ما استوى له صلح بينهم)[1] .

ولما دخل الإمام صعدة ، كتب إلى عموم أهل اليمن يدعوهم إلى الجهاد ، وأرسل عماله على المخاليف ، وكتب لهم العهود ، وأوصاهم بتقوى الله والعدل والرفق ، وحسن السّيرة ، وأقام كذلك أربعة أشهر ، وكتب أهل اليمن تتوارد عليه ، ووصل إليه أهل نجران يطلبون خروجه إلى بلدهم ، وكان الوافد عليه منهم قبيلة شاكر[2] وثقيف[3] ووادعة[4] والأحلاف وجماعة من بني الحارث[5] ، فأجابهم الإمام وخرج من صعدة آخر يوم من جمادي الأولى من السنة المذكورة ، فدخل نجران وأقام فيها العدل وأصلح أمورها

---

(١) سيرة الهادي ص ٤٢ .

(٢) بطل من بكيل من ولد شاكر بن نهم .

(٣) قبيلة معروفة .

(٤) من قبائل حاشد الهمدانية

(٥) قبيلة من ولد الحارث بن كعب بن نمله بن جلد بن مذحج .

ونظم الأحوال ، وكان قد لفت نظره كثرة ما يملك أهل الذمة[1] من الأراضي والمزارع ، وسعة ثروتهم ، فخشي أن يستفحل أمرهم ، وينتقل مابأيدي[2] المسلمين من المزارع والنخيل إليهم ، لثروتهم ، فرأى أن يضع حدًّا لهذا ، ولاحظ في ذلك مراعاة حقوق الفقراء والمساكين من أهل البلد ، الذين حرموا بسبب انتقال الأموال من المسلمين إلى الذّميين ، جانباً كبيراً ، من واجبات هذه الأموال كما صرَّح به الإمام في كتاب صلحه المشهور [3] ، مع أهل الذمة بنجران فيما يجب عليهم من الخراج والجزية ، وهو كتاب طويل مشهور صالحهم فيه على التسع فيما يسقى سيحا[4] ، أو بماء السماء ونصف التسع فيما يسقى بالدَّوالي[5] والخطارات[6] إلى آخره .

عزم الإمام إلى وشحة ثم إلى برط

مكث الإمام بنجران إلى شهر رمضان من تلك السنة ثم رجع إلى صعدة واستخلف على نجران أحمد بن محمد بن عبيدالله العلوي من ولد العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فلم يلبث بصعدة إلاّ قليلاً ، وعزم إلى وشحة[7] فأصلحها ، وضبط أمورها ، وخلف بها محمد بن عبيدالله العلوي ، وعاد إلى صعدة ، ومنها عزم لإصلاح أحوال أهل برط[8]، وكان قد أرسل

---

(١) لم يبين كاتب سيرة الإمام الهادي ديانة من بنجران من أهل الذمة الذين صالحهم الإمام وكذلك صاحب انباء الزمن وغيره من المؤرخين وقد وجدنا في سيرة الامام القاسم العباني انهم نصارى وسيأتي ايضاح ذلك (ص) .

(٢) في الأصل ما بدى .

(٣) انظر نص الصلح في سيرة الهادي ص ٧٣ .

(٤) سيحا : من ساح الماء اذا جرى على وجه الأرض .

(٥) جمع دلو وهو معروف .

(٦) انظر سيرة الهادي ص ٧٦ .

(٧) وشحه : بلده في اعلى جبل حجور وهي مركز ناحية مربوطة بلواء حجة .

(٨) جبل مشهور في الشرق الشمالي من صنعاء لمسافة ٢٣٢ ك.م (المقحفي: معجم المدن اليمنية ص ٤٨).

عـامله على جبل بـرط قبل مسيـره إلى نجران ، فلمـا وصل عـامله إلى برط ، تمنـع عليه بعض أهـل بـرط ومنعـوه من صـلاة الجمعـة ، فكتب بـذلـك إلى الإمام ، فما كان بأسـرع من خروجـه إليهم ، ولما وصـل أسفل الجبـل أرادوا منعـه عن توغـل الجبل ، فنصحهم ، وحـذّرهم فلم يلتفتوا إلى نصحه ، فلم يتمهـل أن طلع واستـولى عليـه ، فبقي بـه مـدّة ، حتى أصلح الفـاسـد وقَـوّم المائل ، وأرشد الجاهل فسمعوا له وأطاعوا ، واستعمل عليهم رجـلاً يقال لـه عبد العزيز بن مروان ، وذلك لآخر يوم من صفر سنة ٢٨٥ ، وعاد إلى صعـدة فأقام بها شهر ربيع الأول وبعض أيام من ربيع الثاني

خلاف أبو دغيش الشهابي

في شهـر ربيع الثـاني من السنة المـذكورة ، ورد على الإمـام من عامله بوشحة ، محمد بن عبيدالله كتاب فيه : أن أبـا دغيش الشهابي جمـع جموعـاً كثيرة من الرّجال ومنع الصـدقة ، وأنـه قد اشتبـك معه في حـرب على ذلك ، فبادر الإمام الهادي بالخروج من صعدة وعسكر بقريـة يقال لهـا البقعة بـالقرب من صعـدة ، ثم وجّـه إلى أبي دغيش رجـالاً يـدعـونـه إلى الله ، ويسـألـونـه الـدخول في الحق والـرّجوع إليـه ، فأبى ، وتمنـع وكان الإمـام الهادي عليـه السلام ، لا يحارب قوماً حتى ينـذرهم ويحذرهم ، ويـدعوهم إلى الحق فـإن رجعوا ، وإلاّ قاتلهم متحرّياً العدل في كل أحواله ، مقتفياً سيرة أميـر المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وله في ذلك كلمات مـأثورة منهـا قولـه : (إن هي إلاّ سيرة علي وإلاّ فالنار) ولما عرف من أبي دغيش الإصرار ، وعدم الإنقياد وجه أخاه عبدالله بن الحسين في عسكر جرار لتأديب ذلك الثائر[1] :

نـادى إلى الحسنى فلمـا أعـرضـوا واستكبـروا شـرع الـرماح فـاسمعـا

---

(١) انظر هذا في سيرة الهادي ص ٨٦ .

والحق أعـزل لا يـروع فـإن بـدا مستلئمـاً لاقى الـطغـاة فـرزّعـا

فسَار الجيش مع أميرهم ، حتى نزلوا وشحة وبعد الانذار منهم ثانياً والدَّعوة لأولئك العصاة خرج عبدالله بن الحسين مع عامل وشحة إلى عفادة قرية أبي دغيش المذكور ، فنشب القتال بينهم وكانت الدائرة على أبي دغيش وأصحابه ، وانهزموا هزيمة منكرة ، فدخل الجيش قرية عفاده وملكوها وأحْرقوا منازل المقاتلين ومكثوا بها مدة لإصلاح أمورها ، وأعطى عبدالله بن الحسين ، أهل القرية ، وبعض المستأمنين من المحاربين ربع أموال الصدقة ، ونصف سدسها ، عوضاً عما أخذ عليهم ، واستحلهم من معرة الجيش .

ثم عاد أبو جعفر محمد بن عبيدالله إلى وشحة وأخو الإمام إلى صعدة .

وفي هذه السنة أيضاً خرج الإمام إلى نجران مرة ثانية ، وذلك انه خرج بعض عمال الصَّدقة بمال الصَّدقة ، حتى بلغوا موضع الرّكب في طريق نجران ، فتلقَّاهم رجل يقال له خبيش[1] بن وادعة ، في جماعة من أصحابه ، فأخذوا المال ، وقتلوا رجلاً كان مع العمال ، فلما بلغ الإمام هذا الحادث ، خفّ لتأديب المتمردين ، ونزل بقرية شوكان من قرى نجران ، وفي قرية المفسد خبيش المذكور ، وكان قد فرّ منها وله فيها أموال وأعناب ونخيل ، فأمر الإمام بقطع نخيله وأعنابه ، وهدم منزله وراسله ليردّ المال المنهوب ، ويرجع إلى الحق فعاند واستكبر ، وجمع لصوص البادية وعزم على الفساد ، وقطع الطريق ، ولما بلغ الإمام ما اعتزم عليه من العبث والفساد دعا عليه فأهلكه الله وأراح من شره.

---

(١) انظر خبره في سيرة الهادي ص ٨٩ وفيه حنيش بالحاء والنون .

الدعام وكتبه إلى الامام ، انتقال الإمام إلى خيوان وأثافت خبر الصلح وغدر أرحب بن الدعام

وفي هـذه السنة وصلت كتب الـدَّعام بن إبـراهيم إلى الامـام الهـادي ، يستمد منه الولاية على مـا تحت يده من البـلاد ، فأجـابه الإمـام إلى ما طلب وشرط عليه الطاعة والعمل بالكتاب والسنة ، وكان الدّعـام من الولاة المتغلبين الـذين لا يتقيدون بنـظام سوى نـظام الاستغلال والاستئثـار ولا يخضعون لغيـر قانون الارادة المطلقة ، وقد ذكرنا بعض أحداثه وأخباره في أيـام يعفر بن عبـد الـرحيم الحوالي ، ومـا بعده ، فلم يـوافقه مـا شرط الإمـام ، وتعبت الـرسـل بينهما على غير طائل ، وكان الإمام أثنـاء هذه المـراسلة بنجران ، فخـرج منه في خلق كثير ، وقصد خيوان فدخلها واصلح أمورها وفرح به الناس واطمـأنوا إليه فمكث بخيوان[1] زهـاء ثلاثـة أشهر ، ثم انتقـل إلى بطنـة حجور ، ولمـا قرب من البلد استقبله السّكان بالسمع والطاعة ، وجاؤوا إليه يهرعون بـالعلف ومـا يحتـاجـه الجيش ، فـأبى عليهم ذلـك ، ولم يقبـل لأحـد منهم علفاً ولا غيره ، وبعد ثـلاثة أيـام انتقل إلى قـرية يقـال لها الحضن[2] لقـوم من همدان فأصلح أمورها وانتقل منها إلى أثافت[3] ، فصلى بها الجمعة ودعـا الناس إلى البيعة ، فبايعه بشر كثير ، وبالقرب من اثافت محل يقال له بيت زود[4] في يد الـدعام فـوصل أهـل هذا المحـل ، فيمن وصل إلى الإمـام واستغاثـوا بـه من الدعام وجنوده ، فبعث معهم الإمام رجلاً من بني عمه والياً عليهم من قبله ، فلمـا وصل عـامله إلى بيت زود ، خرج من كـان فيه من ولاة الـدعام ، فـأمـر بالمعروف ونهى عن المنكر ونفى الفواحش .

---

(١) خيوان : بلد مشهور في حوث شمال صنعاء بمسافة ١٢٢ ك.م .

(٢) في سيرة الهادي الحصن بالصاد المهملة .

(٣) اثافت : بلدة خربة في بلاد حاشد على مقربة من دماج شرقي خمر

(٤) بيت زود : قرية من ناحية خارف وهي بالغرب من ريدة .

ثم كتب الإمام إلى صعصعة بن جعفر صاحب ريدة فأجاب بالسمع والطاعة ، فوجه إليه الإمام نفراً من همدان لضبط البلد ، وإخراج من فيه من ولاة الدَّعام ، ثم ان الدعام جمع جموعه ونهض يريد البون[1] فبلغ الإمام ، وكان قد انتقل من أثافت إلى خيوان ، فخرج من خيوان إلى بيت زود ، ونزل الدعام بحمدة من قرى البون ، فصار الإمام بعسكره إلى موضع يعرف بنجد الطين[2] ، وهنالك أمر بتعبية أصحابه ، ولما رآه الدعام كذلك عبأ عسكره ، وقبل أن يلتحم القتال ، بين الفريقين أرسل الإمام رسولاً إلى الدعام ، وقال له : يقول لك الهادي لا تقتل العرب فيما بيننا وابرز إليّ ، ويتوقف الناس حتى أقاتلك ، فإن قتلتني استرحت مني وإن قتلتك استراح منك أهل الإسلام ، فلما وصل الرّجل الدّعام واخبره بمقالة الإمام رد ردًّا جميلاً وقال انه لا يريد الحرب ، فأعاد إليه الإمام رسولاً يعظه ويوقفه على ما هو فيه من الضلال ، ودامت الرسل بينهما تختلف إلى ان انتهت بالصّلح ، ودخول الدّعام في عداد الخاضعين لراية الإمام ، وحلف له على السمع والطاعة ، واختلط العسكران[3] ، وعاد الإمام إلى بيت زود وسار الدَّعام إلى حمدة فأقاما ثلاثة أيام ، والرسل بينهما تختلف لتقرير مواد الصلح ، وفي اليوم الرّابع أغار أرحب بن الدَّعام على أثافت بقوم من همدان يقال لهم بنو سليمان[1] كانوا بطانة أرحب المذكور، وقد ساءهم الصلح فزيّنوا له الغدر ونكث العهود وجرّءوه على قتل عامل الإمام واظهار الفساد:

ومن يكن الغراب له دليلاً يمر به على جيف الكلاب

ولما بلغ الدَّعام الخبر اغتم، وانتقل إلى ورور ، ثم لحق باثافت ، وما

---

(١) البون : يقع شمال صنعاء بمسافة ٤٨ ك.م من قراه عمران وريدة .

(٢) في سيرة الهادي ص ٩٦ نجد الضير بالراء المهملة .

(٣) انظر خبر الهادي مع الدعام في السيرة ص ٩٦ .

(١) سيرة الهادي ص ٩٨ سلمان .

كاد نبأ الحادث يتّصل بالإمام حتى خرج من موضعه إلى موضع يقال له مشوط لبني ربيعة ، وذلك آخر يوم من رمضان ، وأرسل الصوارخ في الناس ، فاجتمعوا إليه لثلاث خلون من شوال ، وأجمع أمرهم على منازلة الدعام ومحاربته ليذوق وَبال أمره (ولا يحيق المكر السّيىء إلّا بأهله) فصار الإمام الهادي بجموعه إلى اثافت وجرت بينه وبين أصحاب الدّعام معركة حامية الوطيس ، ثبت فيها الإمام ثبات الأطواد الشوامخ ، وأظهر من شجاعته واقدامه ما حير الكماة ، وقهر الأبطال قال مصنف سيرته[1] حدثني سعيد بن ابي سورة وهو مع الدَّعام وكان من فرسان اليمن المعدودة ، قال انتخبت من عسكر الدعام ثلاثين فارساً من الرِّجال أهل البأس وقد مارست الشجعان فما رأيت مثل وقوف الهادي إلى الحق وقلة مبالاته بنا : ودامت المعركة سحابة ذلك اليوم ، إلى أن حجز اللَّيل بين الفريقين فانصرف كل فريق إلى معسكره ، وظل جيش الإمام يراوح من باثافت القتال ويغاديهم حتى سئموا وملُّوا واضناهم الحصار ، والبرد وانقطاع المدد فخرج الدَّعام متسلّلاً منها إلى خيوان لأربع بقين من ذي القعدة وهو يدعو بالويل والثبور على من الجأه لحرب الإمام (على نفسه يجني الجهول ويجرم) ولله القائل :

لا تنبش البئر فتبلى به ... فقلما تسلم من نبشه
إذا طغى الكبش بلحم الكلى ... ادرج لحم الكبش في كرشه

وقد كان بعض أهل خيوان يكاتبه ويسأله المصير إليهم رغبةفي إثارة الفتنة ، وإضرام نيران الخلاف ، ولما خرج الدَّعام من أثافت ، بادر بعض جند الإمام ، ودخل القرية ونهب ما بقي فيها والإمام لم يزل بعسكره ، ولما بلغه خبر النهب والاحتلال اغتم غَمًّا شديداً وقال : (لولا اني اخاف ضيعة الإسلام لما أقمت باليمن ولمضيت إلى بلدي فما احسب أن هؤلاء يحل

---

(١) سيرة الهادي ص ١٠٣ .

المقام بينهم ولا أستحل أقاتل بهم) وامر برد جميع ما نهب ، وارسل إلى أهل اثافت ، من كان له شيء فليحضر يأخذه ، فجعل أهل اثافت يحضرون فيتعرفون على امتعتهم فمن كان له شيء اخذه حتى استكملوا جميع ما أخد عليهم[1] .

ولأن الإسلام في نظره عليه السلام كما قال بعض الصَّحابة رضوان الله عليهم ، حائط منيع ، وباب وثيق ، فحائط الإسلام العدل وبابه الحق فإذا انقض الحائط وحطم الباب استفتح الاسلام ، فلا يزال الإسلام منيعاً ما أشتد السلطان ، وليس شدّة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط ، ولكن قضاء بالحق واخذاً بالعدل) انتهى .

وما الدين إلا أن تقام شرائح ... وتؤمن سبل بيننا وهضاب

وهكذا فهم أسلافنا روح الدين ولبابه وبذلك اخترقوا صفوف الأمم واختطوا ديارها ، فاستولوا على الممالك أحقاباً وأخذوا إمرة الأرض اغتصاباً ، وعنت لهم الوجوه إكباراً وإعجاباً ولله القائل :

نصر الله أمة اذ تولى ... أمرها العادلون بين الخلائق
وكماة في المكرمات تباروا ... وهم الأسد في صدور الفيالق
دَوَّخوا الأرض وطّدوا الملك ... قاموا بفروض الكتاب تحت البيارق
ثم عزوا والملك صار عضوضا ... فاستكنوا كأنهم في حدائق
وإذا الظلم والفساد اقاما ... نضب الحوض من حماة الحقائق

---

(١) كان الإمام الهادي من أحرص الناس على نصرة الحق ونشر العدل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم ، مهما كلفه الأمر وما ذاك إلاّ لعظم شعوره بتبعة ما تحمله من أعباء الخلافة والإمامة عملاً بقوله تعالى : ﴿الذين ان مكناهم في الأرض اقاموا الصَّلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ .

(أبو العتاهية ونسبه مكاتبته للإمام وامداده)

هو عبدالله بن بشر بن طريف بن ثابت ، مولى يعفر بن عبد الرحيم الحوالي ، ويكنى بأبي العتاهية ، والي صنعاء ومخاليفها لآل يعفر ، كاتب الإمام الهادي وراسله ، ووعده النصرة والمؤازرة ، ولما كانت وقعة أثافت ، وفرار الدَّعام إلى خيوان كما سبق عزم الإمام إلى التحول من بني ربيعة إلى موضع من بني صريم[1] يقال له الدرب أيضاً ، وذلك لأيام باقية من ذي الحجة سنة ٢٨٥ ، وكان قد أرسل إلى صنعاء إسماعيل بن مسلم يستنجز من أبي العتاهية الوعد بالمدد فأمدَّه ببعض الجنود وخرج اسماعيل بن مسلم إلى ريدة[2] بمن معه ، واقام بها ينتظر باقي العسكر ، ولما تأخر عززه الإمام بمحمد بن سليمان ، ولما وصل إلى أبي العتاهية ، وَجَّه معه أخاه جراحاً ، وبعد جماعة من الفرسان فلحقوا بالإمام إلى درب بني حريم آخر المحرم سنة ٢٨٦ فانتقل الإمام وجراح بن بشر ومن معه إلى خرفان والسبيع من أرحب ، وهم جند الدعام ، وقوته وأبناء عمومته ، ولما بلغهم إنتقال الإمام إليهم ، فَرُّوا من قراهم ، واعتصموا برؤوس الجبال وتركوا بيوتهم وما فيها ، فكف الإمام جنوده ومنعهم عن التعرض لشيء من زروع القوم وأشيائهم[3] ولم يزل بهم ، حتى أمنوا ونزلوا إليه فأمنهم واستحلفهم على السمع والطاعة ، فحلفوا ، وكان الدعام عند ان بلغه وصول المدد من أبي العتاهية جمع أهل خيوان وقال لهم: (اليس من العجب أني أصبحت مسوداً وأصبح ابو العتاهية

---

(١) بنو صريم من حاشد وهم صريم بن مالك بن حرب بن وادعة بن عمرو بن عامر بن كاشح بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد .

(٢)ريدة : بلدة اثرية في الشمال الغربي من صنعاء بمساحة ٤٩ ك.م.

(٣) انظر سيرة الهادي ص ١١١ .

مبيضاً)[1] فأمّا انا فقد عزمت على أن لا أقاتل ابن رسول الله فما تقولون ، فقال بعض أصحابه : بل تقاتل ونقاتل معك ، ولا يأخذ ملكاً قد قاتلت عليه آل يعفر وغيرهم ، ثم يدفعه إلى هذا العلوي ، وكانت كتب الدُّعام تترادف إلى الامام ايام إقامته بدرب بني ربيعة ، وكان يشترط فيها لنفسه شروطاً ، مثل جباية بعض البلد ، وولايته على بعض فكان الهادي ، يقول : لو سألني ان أوّليه شبراً من الأرض ما وليته على المسلمين، ولا جاز لي ذلك عند رب العالمين ، وبعد صلاح خرفان والسبيع ، انتقل الإمام ، إلى حوث لمناجزة الدُّعام فازداد قلق الدعام ، واغتم لذلك وغادر خيوان إلى غُرَق (الجوف الأعلى) وقبل تنفيذ ما اعتزم عليه من الخروج ومبارحة البلاد جمع أصحابه واستشارهم في أمر الإمام فاختلفت آراؤهم، فقال لهم : أما أنا فأوّل من أجْلب[2] هذا الرَّجل وأخرجه من بلده ، وراسله حتى قدم هذا البلد ، وقد كانت أمور الله المستعان عليها ، وقد عزمت على أن لا أقاتله أبداً وان اسمع له واطيع ، فاعلموا لأنفسكم ، وأنا خارج من خيوان إلى بلدي وأرسل جماعة من مشائخ خيوان وأعيانها بهذا الكلام إلى الإمام ، ولما وصلوا إليه طلبوا لأهل خيوان الأمان فأمنهم الإمام ، ثم انتقل إلى بلدهم ولبس الناس العافية واطمأنوا :

بعض الأنام إذا رآى نور الهدى ... عرف الطريق ولم يضل المهيعا
ومن البرية معشر لا ينتهي ... عن غيّه حتى يخاف ويفزعا

---

(١) هكذا في سيرة الإمام الهادي (ص) فلك يغني بالمسودّة اتباع بني العباس والمبيضة العلوية لأن السواد شعار بني العباس.

(٢) وكان الدعام قد استقدم الهادي من الحجاز ثم من طبرستان وحلف للهادي عليه السلام مراراً ذكر ذلك الهادي عليه السلام في رسالته المشهورة الى الدعام.

قال السيد العباس مؤلف السيرة[1] (ووصل خبر الدعام انه لما صار إلى بلده أمر بالأذان بحي على خير العمل ، وأضرب[2] عن الخمر وأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأرسل إلى الهادي إلى الحق يطلب منه لقاءه ، حتى يحلف له ويتوب إلى الله فما كان منه ، فأجابه الهادي إلى ذلك ولقيه بالقرب من خيوان ، فحلف له هو وبنو عمه وولده ثم انصرف إلى بلده) ووَجَّه الإمام معه أبا جعفر محمد بن سليمان والياً من قبله ليأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، ويجبي الصدقات ، ومكث الإمام يتردد إلى أثافت وبني حريم ، ويصلح ما بين القبائل في تلك الجهات ، حتى استقامت الأمور وصلح الجمهور وعاد إلى صعدة في النصف من جمادي الآخرة من السنة المذكورة ، ومنها عزم إلى نجران لتأديب المفسدين ، وأقام بها أياماً ، ثم رجع إلى صعدة ، ولم يلبث ان خرج إلى خيوان لإصلاح بعض قبائل تمرَّدت من حاشد وهم العمريون ، وفي أثناء قيامه باصلاح هذه القبائل تآمر أهل نجران بعماله ، وهجموا عليهم إلى منازلهم فاشتبكوا معهم في قتال وكتبوا بذلك إلى الامام .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عزم الإمام إلى نجران وثورة ابن عباد

لم يتريث الإمام وقد بلغه ما كان من أهل نجران بل بادر بالعزم لتقليم أظفار تلك القبيلة العاتية ، فتحوَّل من خيوان بمن معه من الجنود في ذي القعدة وقصد صعدة وكانت مؤامرة قد إمتدت ، واشترك بعض رؤساء خولان

---

(١) السيرة ص ١١٥ .

(٢) في السيرة وضرب.

منهم ابن عباد رئيس الاكيليين[1]، فلما علم بوصول الإمام وما ينويه من العزم لتأديب الثائرين بنجران أراد تثبيطه ، وبذل كل مجهود في صدّه عن المسير ، وصَمَّم الإمام على المضي إلى ما أتجه إليه فأيس ابن عباد، وعرف انه اخفق مسعاه في التّثبيط والمخادعة ، ولم يبق أمامه غير الظهور بالخلافة ، فاعلن بذلك وثار بمن معه داخل بلد صعدة ، فقابله بعض أصحاب الإمام ، وقضوا على ثورته سريعاً ، ثم تجهز الإمام وخرج أوّل ذي الحجة سنة ٢٨٦ ، ولم يلبث ان دخل نجران في عسكر عظيم ، فكانت له هناك وقعات هائلة ، منها وقعة الحضن وميناس[2] والهجر وغيرها ، دارت رحى معظم هذه المعارك على سيف الإمام وبسالته ، فإنه اقتحم ثيج الحروب فيها بنفسه ، واعتمد بعد الله على سيفه قال السيد العباسي عند الكلام على وقعة الهجر ما لفظه[3] : كسر الهادي ثلاثة أرماح في القوم ، ثم ضرب بسيفه حتى امتلأ قائم سيفه علقاً ولصقت أنامله على قائم السيف ، وفي ذلك يقول الإمام من قصيدة أولها :

طرقت لعمرك زاهر مولاها والحرب مسعرة يشب لظاها

ومنها :

نحن الفواطم لهونا طعن القنا ومدامنا حرب تدور[4] رحاها
هلا سألت فتخبري اذ لم تري اذ سار يطلب مهجتي أعداها

---

(١) من خولان .

(٢) ميناس من حصون نجران المشهورة (ص) .

(٣) سيرة الهادي ص ١٧٠ .

(٤) السيرة تدور.

لاح الضيـاء[1] وابـرقـوا بكتيبـة شـهبـاء تـدفـق خيلهـا وقنـاهـا
والجيش في ايـديـه كـل عقيقـة[2] الـقيـن احكـم سنّهـا وجـلاهـا
والمشـرفيـة في اكـفِ حمـاتـهـا تحكي البـوارق لمعهـا وسنـاهـا

إلى آخـرها ، وكـان النَّصر حليف الإمـام ، وقتل من أهـل نجـران خلق كثيـر قال في سيـرته[3] : ثم إنـه أمـر بجمـع القتلى ، وتعليقهم بعراقيبهم في الشجر منكسين على كل شجرة جماعـة موزّرين بـالخرق والشمـال[4]، وأقام بالقرية (الهجر) ثلاثة أيام أو أربعة إلى أن قـال ثم أتت بنو الحـرث واستوهبـوا الإمام جثث اخوانهم ودفنوها في الحفر والآبار .

أبو جعفر محمد بن عبدالله العلوي
وولايته على نجران

لمـا فرغ الإمـام من حرب الثـائرين ، أقـام فيهم مدة شهـرين لإصـلاح البلاد ، ثم أرسل إلى أبي جعفر محمد بن عبيدالله العلوي ، وكان عامله على صعـدة يستقدمـه إليه ، فلمـا وصل استخلفـه على نجـران ، وقفل راجعـاً إلى صعـدة في جمـادي الأولى سنـة ٢٨٧ ، ومـا كـاد يصلهـا ، حتى بـلغه خبـر إنتقـاض قبائـل خـولان ، وتمـردهـا ، وهم الأكيليـون وبنـو كليب والمهـاذر ، والغويرات ، والبحريون ، وطرف من بني جماعـة ، فأمـر الإمام بهـدم منازل الأكيليين ، وقـطع أعنابهم وجـرت بينه وبين المخـالفين عدَّة وقعـات ، انتهت بهزيمتهم وانظامهم في سلك الخـاضعين لسطوة الإمـام ، وبعد أن قضى على

---

(١) السبرة الصُّباح.
(٢) العقيقة : السهم الذي يرمى به نحو السماء .
(٣) مسيرة الهادي ص ١٧٣ .
(٤) جمع شمله معروف.

جميع حركات المشاغبين في الجهة الشمالية ، كما مرّ ، جمع جموعه وقصد صنعاء .

دخول الإمام صنعاء قتال الجفاتم[1] وآل طريف تسليم أبي العتاهية ، وتنقل الإمام في البلاد

ودخلت سنة ٢٨٨ في المحرم منها دخل الإمام الهادي صنعاء وذلك ليلة الجمعة لسبع بقين من المحرّم ، ومعه أبو العتاهية يسير بن يديه ، حتى أدخله إلى الدار التي كان فيها ، وكان قد دَبّر حيلة وأخرج الجفاتم ، وآل طريف إلى السّر[2] ، ليكونوا قوة في وجه الإمام تمنعه عن قصده ، وأظهر لهم انه يتجهز لمحاربته وصدّه عن صنعاء ، وكانت جميع المخابرات ، والمراسلات ، تجري بصورة سرّية لم يطلع عليها سوى وزيره ابن عباد المقتول مع الإمام في حرب شبام ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وبلغ عبدالله بن جراح والجفاتم صبيحة ذلك اليوم خبر دخول الإمام صنعاء فأقبلوا من السر يركضون وانضم إليهم آل طريف ، وآخرون من أصحاب أبي العتاهية ، وأميرهم ابراهيم بن خلف واجمع رأيهم على الوقيعة بالإمام وأصحابه وجعلوا موعد تنفيذ هذه الفكرة وقت صلاة الجمعة ، ولما خرج الإمام للصلاة بادروا بنهب أثقاله ، وبعض أصحابه ، فبلغه ذلك ، وهو على المنبر فأتم خطبته ، وصلّى بالناس ، ثم خرج في أصحابه حتى بلغ منزله ، وكان أبو العتاهية ، قد خرج إلى ابن عمّه ، ومن معه من رواد الفتنة ، وهم بالجبانة ، وعساكرهم على الدرب يحثّهم على السّكينة ، والهدوء ، والرجوع عما اعتزموه من المخامرة على الإمام ، وشَقّ عصا المسلمين فسبُّوه وشتموه ورموه بالنبل والحجارة ، وانضم إليهم من أهل صنعاء زهاء عشرة آلاف رجل من صغار الأحلام الهمج ، فزاد غرورهم ، وداخلهم العجب :

---

(١) الجفاتم هم جنود عامل بغداد الحسين بن أحمد جفتم (ص) .

(٢) السر : واد مشهور بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ٣٣ ك . م .

ولـو علمـوا عقبى الأمـور لقـابلوا أوائلهـا بـالحـزم واطّـرحـوا العجبـا
ولكنـه المقـدور يلوي بـذي الحجى فـيـسـلبـه ان حـم آراؤه سـلبـا

وبدأ القتال بينهم وبين الطَّبريين أصحاب الإمام ، فـانهزم الـطبريُّـون ، وخرج الإمام في أصحابه ، وحمـل عليهم حملة ، فانهـزموا وقتـل خيارهم ، وتبعهم إلى الجبانة[1] ، فسأله أبو العتاهية الرجـوع فرجـع ، ثم ان الجفاتم ، أرسلوا إلى أبي العتاهية يسألونه طلب الأمان لهم من الإمام ، فأمنهم الإمـام ، ورجعوا إلى دورهم ، وفي اليوم الثـاني أمر منـادياً ينـادي بالعـطاء للعسكـر ، فـركب بعض الجند إليـه ، وتخلف آخـرون ، وبلغ الإمـام عنهم كـلام قبيـح واجمعـوا على حربـه ، فلما كـان من الغد ، وَجَّـه الإمـام إلى كبـارهم وأهـل البأس منهم والعناد ، قال السيد العباسي[1] : (فلما أتوه وصاروا في داره أمـر بهم في الحبوس والحديد ، وأخذ سـلاحهم ودوابهم وفرَّقهـا على الطبـرِّيين ، وهدأ البلد ، وانقطعت الفتنـة ولبس النـاس العـافية : ولمـا استقرت الأحـوال بـالإمام سَلَّم أبـو العتـاهيـة جميـع مـا في يـده من الأمـوال والـدَّواب والخيـل والأسلحة وهجر الولاية وتزهَّد) .

من أخمـل النفس أحيـاهـا ورَوَّحهـا ولم يبت طـاويـاً منهـا على كـدر
ان الـريـاح إذا اشتـدت عـواصفهـا فليس ترمي سوى العـالي من الشجر

ولعل القارىء يستغـرب ما هنـا ولا يقتنع بـالبرهـان الشعري على مـدح الخمول وتحسينه ، ويستبعـد أن يكون الحـافز لأبي العتـاهية الى التنـازل عن الملك ومـأثرة الضنك والبؤس، حب الخمول ، وتغلب النـزعة الصـوفيـة على روحه ، ولا سيما إذا عرف انه لم يلبس المسوح ، ويطيل السّبحة ويأخذ زاوية المسجـد ، ينتـظر المـوت فحسب ، بـل نـزل عن منصَّـة الإمـارة إلى ميـدان الكفـاح ، فخاض المعـامع ، وقـارع الأبطال وزجَّ بنفسـه في غمرات المـوت

---

(١) يعني جبانة صنعاء

(٢) سيرة الهادي ص ٢١٠ .

طائعاً مختاراً ومات موت الجندي في ساحة القتال ، قصفاً بالسيوف وطعناً بالرماح :

ويلوح لنا أن زمن أبي العتاهية كان ملآناً بالاضطراب ، فَيّاضاً بالفتن لخلو البلاد عن السلطة الوازعة ، لضعف خلافة بغداد وسوء طالعها على هذه البلاد ، وضيق دائرة نفوذها في ربوع جنوب الجزيرة فنتج من ذلك طبعاً ، اختلال النظام ، واضطراب الحبل وانتشار الأمور ، واشتباه المخارج والموالج[1] ، ورفع كل مواثب عقيرته بما يريد ، بحيث أصبح كل طامع ، أو متغلب يناهض الآخر ، ويصاوله ، ويحاول بكل قواه القضاء عليه ، وسلبه كالوحوش الضارية ، والذئاب العاوية والأمة بين الغالب والمغلوب كالحبَّة تحت الرحا والخيط بين شقي المقراض

والناس في فتنة عمياء قد تركت أشرافهم بين مقتول ومحروب

وكان خليفة بغداد يقنع من المتغلب على القطر بالخطبة وضرب السكة ومن أولئك آل يعر[2] وبني زياد ، وهؤلاء وأولئك وجد فيهم الصالح والطالح ، ومن خانه البخت ، ومن ساعده الحظ ، والبلاء كالمرصد المهيأ لتدوين حركات الزَّلازل غرض النابل وفريسة الصائل.

ومن ملك البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد

فهي دائماً ترتقب راجفة . خسف وزلزال محنة لا تهدأ إلاَّ لتثور ، ولا تسكن إلا لتثب ، فلم ترق هذه الحياة المضطربة أبا العتاهية ورأى أنه لا ندحة له عن الإنغماس في ذلك التيَّار المخيف : إلاَّ بالقضاء على كل مشاغب ، وتقويم عناد كل معاند (وَهُم كثرٌ)[3] والفوضاء ضاربة أطنابها في

---

(١) كذا كتبها المؤلف رحمه الله ولعلها (الموائج) .

(٢) كذا في الأصل ولعله سبق قلم من المؤلف رحمه الله ويعني آل يعفر.

(٣) جز من بيت ابي فراس الحمداني (أراك عصي الدمع) .

جميع الأنحاء اليمنية ، كما أشار إلى ذلك كثير من مؤرخي اليمن ، وأسلفنا الإشارة إليه أيضاً .

فلما عرف حراجة الموقف وكثرة المثبِّطات ومفتِّرات السعي اختصر لنفسه طريق العمل بالا[1] إلى رجل عظيم فيه الأمل المنشود :

فيه ما تشتهي العزائم ان همَّم ذويها ويشتهي الأذكياء
فلمن حاول النعيم نعيم ولمن آثر الشقاء شقاء

وكانت الآمال مشرئبة والنفوس متطلعة ، والأعناق متطاولة من أبي العتاهية ، ومن غيره إلى الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين بن القاسم عليه السلام ، فكانوا يراسلونه ، ويفدون إليه كما فعل الدَّعام ، وأهل نجران ، وغيرهم ، بَيْد أن أطماع الكثير منهم كانت تحدوهم إلى الإنحراف عن جادَّة السلوك وتنبو بهم إلى هوة الحضيض، وتقطع أعناق الرِّجال المطامع ، فبادر أبو العتاهية ، إلى التخلي من متاعب الزعامة ، وانصاع الى التقشف والعزلة ، وآثر حياة الفرد وعيش الجندية على الملك والرفاهية ولسان الحال منه عند ذلك تنشد :

إذا ما لم تكن ملكاً مطاعاً فكن عبد المالك مطيعا
وان لم تملك الدنيا جميعاً كما تهوى فاتركها جميعا
هما سببان من ملك وترك ينيلان الفتى الشرف الرفيعا
فمن يقنع من الدنيا بشيء سوى هذين عاش بها وضيعا

وأقام الإمام بصنعاء وضرب السكة باسمه ، ودعا النَّاس إلى البيْعة له قال الشرفي في اللآلى ، نقلاً عن المنصور بالله عليه[2] السلام : أنه لما

---

(١) كذا وكتبها ولعله كتبها بالالتجا فمسح الأحرف الأخيرة، من الكلمة لأن الالتجاء لا يكون إلاّ إلى الله وقد ظهر أثر الكشط واضحاً .

(٢) المتوفى سنة ٦١٤ سيأتي .

فتح صنعاء وأهلها جبرية[1] ، وكان فيها سبعة آلاف فقيه ، وكانوا يصلّون خلف الهادي عليه السلام ، فاختاروا منهم سبعمائة فقيه ، ثم سبعين عالماً ، وشيخهم جميعاً القاضي يحيى بن عبدالله بن كليب جدّ بني النقوى ، وتقدّموا إلى بين يدي الهادي لمناظرته ، فتقدم يحيي النقوى ، وقال : ما تقول يا سيدنا في المعاصي ، فقال عليه السلام : ومن العاصي ، فسكت يحيي النقوى، ولم يجبه بشيء ، وقام وقام معه أصحابه إلى مؤخّر المسجد فوبّخه أصحابه ، وقالوا فضحتنا عند هذا الشريف ، فقال : يا قوم ان قلت ان الخالق العاصي كفرت ، وان قلت المخلوق العاصي ، خرجت عن مذهبي إلى مذهبه ، فقاموا بأجمعهم فبايعوا الهادي عليه السلام وصاروا على مذهبه :

وبعد أن أصلح شؤون صنعاء وبعث العمال على المخاليف انتقل إلى شبام كوكبان ، وبث عماله على البلاد ، ووعظ النّاس ، وذكرهم ورفع عنهم المظالم ، ونظم جميع الشؤون وعاد إلى صنعاء ، واستخلف ابنه أبا القاسم محمد المرتضى على شبام ، وجهاتها ، ولم يلبث بصنعاء إلاّ يسيراً ، وسار فيها إلى ذمار ويحصب[2] ورعين[3] وجيشان[4] ينتقد أمور رعيته هنالك ، وكان خروجه من صنعاء آخر شهر صفر من السنة المذكورة ، وخرج معه ابو العتاهية ، واستخلف على صنعاء أخاه عبدالله بن الحسين ، ولم يلبث أن عاد إليها ، ثم خرج إلى شبام مرة أخرى ، واستخلف على صنعاء ابن عمه سليمان بن علي ، وكان الإمام قد ألقى القبض على كثير من آل يعفر وآل طريف ، وسجنهم في صنعاء

---

(١) قال في التعريفات ص ١٠١ الجبرية من الجبر وهو إسناد فعل العبد الى الله والجبرية اثنان متوسطة تثبت للعبد كسباً في الفعل كالاشعرية وخالصة لا تثبت كالجهمية .

(٢) يحصب : قبيلة من حمير ومناطقهم ذمار وجهران ومن سمارة إلى ذي الكلاع .

(٣) مخلاف من لواء إب .

(٤) مدينة خربة في عزله الأعشور بالعود شمال قعطبة لمسافة ١٥ ك . م .

وشبام ، وقدم[1] ثم وجه ابنه ابا القاسم في جماعة من الجند إلى بلد همدان ، وبقي في عدد قليل ، فطمع آل يعفر ، وآل طريف في البلاد لقلة الجند بها ، وأجمع أمرهم على إثارة القبائل فخرج نفران من آل يعفر من شبام سرًّا إلى أهل قدم ، واستثاروا حماستهم ، وطلبوا منهم النجدة ، فلبوهم وبلغ أمرهم صعصعة بن جعفر صاحب ريدة البون فانضم إليهم ووثب على البون ، وفرق أموال الصَّدقة ، وخيلًا كانت للإمام هنالك ، وزحف الثّوار إلى بيت ذخار ، لمناجزة الإمام فطلب الإمام من عامله بصنعاء إرسال كل حامل سلاح من أهل صنعاء ، فخرج منهم بشر كثير ، ولما وصلوا إلى شبام ، طلع الإمام ، ومعه ابو العتاهية ، ومن معه من الجنود لطرد الثّوار من جبل ذخار[2] ، وخلف على شبام محمد بن عباد ، وأهل صنعاء ولما علم الثوار بخروج الإمام عن شبام ، باغتوها ، فدخلوها وأخرجوا من بالسجن من الجفاتم وغيرهم ، وما كادت تقع أعين الجند الصنعاني على الثائرين ، حتى فروا وانهزموا لا يلوون على شيء ، فقتل محمد بن عباد ، وطارت الأنباء إلى الإمام ، فأرسل أبا العتاهية ، ومحمد بن الدّعام ، لطرد الثّوار ، واسترداد شبام ، فانقضوا عليهم إنقضاض البواشق من جبل ذخار، وطردوهم عن شبام وفرقوهم شذر مذر ، وبات الامام ليلته بالجبل المذكور ، وهرع صبيحة اليوم الثاني إلى شبام ، وحضر دفن ابن عباد وجنازته .

إنتقاض أهل صنعاء وضهر على الإمام وتداعي سائر البلاد

لما انهزم أهل صنعاء وغيرهم من شبام ، فروا نحو صنعاء وضهر[3]

---

(١) قدم : بلاد جنوبي حجة وهم بطن من همدان .

(٢) ذخار : جبل مشهور يعرف اليوم بضلاع كوكبان .

(٣) هكذا في السيرة ولعل المراد به وادي ضهر المعروف(ص) .

والبـون ، ولقيهم في الطريق عدد كـان أرسله عبيـدالله بن محمـد الحسيني ، عامل الإمـام على ضهر لمن بشبـام ، فقال بعضهم لبعض : قـد قتل ابن عبـاد وخالفت العساكر والأولى أن نعود على من يظهر من جند الإمام لتكـون لنا يـد عن آل يعفر :

وكانوا كـذئب السوء لمـا رأى دما بصـاحبه يـومـا احـال على الـدم

ورجعـوا على اعقـابهم القهقـرى ، ووثبـوا على حبس ضهـر فكسـروه وأخرجوا أبا الغشام بن طريف ، ومن معه من آل يعفـر وخرج عـامل الإمـام لا يلوي على شيء (من نجا برأسه فقد ربح) وقصد صنعاء فما تلعثم أهل صنعاء ان (جاؤوا بمطفية الرَّضَف)[1] وصنعوا صنيع أهل ضهر واعلنوا الخلاف لأيـام بقيت من جمادي الأخرة بقيادة رجل منهم يقـال له احمـد بن محفوظ فكسـروا السجن ووثبوا على عامل الإمام علي بن سليمـان مفاقصـة ، فانفلت من بينهم في ستة فوارس من بني عمه ومن الطبـريين ، وكان في سجن صنعـاء جماعـة من آل طـريف والجفاتم ، وتـداعت سائـر البلاد فكـأنما كـانـوا على ميعـاد ، واخرجوا عمال الإمام من بين أظهرهم ودب دبيب الشر والفساد في عراصهم :

ومـن يتـعـود عادة ينـجـذب لهـا على الـرغم منه والعـوائـد أملك

وكان الإمام يومئذ في شبام ، فلما وافته الأنباء ، وعرف الحقيقة وجاهره الناس بالخلاف بعد أن ساعفته الأيام وانقادت له الأمور ، جمع حرمـه وأثقالـه وقبل أن يغادر البـلاد ، اطلق من كان بسجن شبـام من آل يعفر وآل طـريف ، وقد سيق ان الثّوار أخـرجوا من كـان في السجن ، ولعل هؤلاء غيـر من أخرج الثوار قال السيد العباسي [2]: (أطلق الهادي عليه السـلام أسعد بن ابي يعفـر وابراهيم بن خلف من حبس شبام وأعلمهم بما كان من سوء نيتهم إليه ، وقال

---

(١) اب بداعية اشد من الأولى وهو قتل عربي (ص) .

(٢) سيرة الهادي ص ٢٢٢ .

قد وهبت لكم أموركم فاتقوا الله في سركم وعلانيتكم) .

وكأنه أراد أن يعلّمهم درساً بليغاً في التسامح والعفو والإغضاء فأتى بأعجب ما عرف في تاريخ الفاتحين ، وأجل ماسطر في باب العدل والتسامح والعفو عند المقدرة ، وكظم الغيظ ، وعدم اللّجاج في الإنتقام ، وقديماً قيل «من انتقم فقد شفى غيظ نفسه وأخذ أقصى حقه ، ومن أخذ حقه وشفى غيظه لم يجب شكره ، ولم يذكر في العالمين فضله» ، ولم نر أهل النّهي والمنسوبين إلى الحجى والتّقى مدحوا الحكام بشدّة العقاب ، وقد ذكروهم بحسن الصّفح وبكثرة الاغتفار وشدة التغافل :

أخذ التاريخ مما تركوا عملاً أحسن أو قولاً أصابا
ومن الإحسان أو من هذه نجح الراغب في الذكر وخابا

ثم فيه أكبر برهان على حبّ الإمام للوئام والسلام مع قوة نفس ، وشدّة بأس وشجاعة ، وكرم أخلاق نادرة المثال تحلّت بها شخصيته الفذة حيث عامل أعداءه ، بهذه المعاملة ، في أشد الأوقات حرجاً وضيقاً ، ولو كانوا مع غيره لما كان حظهم منه غير السّيف ، وقد أشار بذلك محمد بن الدعام ، وأبو العتاهية كما نقله صاحب السيرة ، فلم يقبل الإمام ذلك منهم :

يفر جبان القوم عن أم رأسه ويحمي شجاع القوم من لا يناسبّه
ويرزق معروف الجواد عدوه ويحرم معروف البخيل أقاربه

وهكذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم ، وقّافون عند الشُّبهات ، ولولا صرامته في الحق ورغبته الشديدة في اتباع أثر السّلف لكان له مندوحة في معاقبتهم والتّشديد عليهم .

ثم إن أهل شبام تجمعوا ، وهَمّوا بالإمام قبل أن يقوم من مقامه ، ولما عرف ذلك منهم ، رجع عليهم ومعه ابو العتاهية ، فكانت معركة قتل فيها جماعة منهم ، وقتل الإمام أكثرهم ، وانقطع من الجمال ، التي كان عليها

رجل الإمام جملان كانا مثقلين لا يطيقان السير ، فأخذوهما ، ولما وصل البون عارضه أهل البون ، فحمل عليهم ابو القاسم ، وفلّ جمعهم ، وبات الإمام ومن معه في ريدة ، وانتقل اليوم الثاني إلى بيت زود وَوَجَّه بالحرم الى درب بني صريم ، وعاد إلى ريدة ، وفي اليوم الثالث باغت الإمام ، ومن معه أبو زبا[1] مولى آل طريف ، وصعصعة بن جعفر في جيش كثيف ، فدخلوا القرية ولزموها من كل جهة ، ففشل جند الإمام ، وفرُّوا على وجوههم ، لا يلوون على شيء ، وبقي الإمام في نفر يسير حمل بهم على المغيرين ، وأصدقوهم الطَّعن والضرب ، حتى أخرجوهم من القرية مدبرين والبواتر تعمل في أقفيتهم ، قال السيد العباسي : وكان مع الإمام عليه السلام ، في ذلك اليوم ذو الفقار سيف علي بن أبي طالب عليه السلام ، وبه كان يقاتلهم وفي ذلك يقول :

الخيل تشهد لي وكل مثقف ... بالصبر والابلاء والإقدام
حقا ويشهد ذو الفقار بأنني ... ارويت حدّيه نجيع طغام
نهلاً وعلاً في المواقف كلها ... طلباً بثار الدِّين والإسلام
حتى تذكر[2] ذو الفقار مواقفا ... من ذي المعالي السيد القمقام
جدّي علي ذو الفضائل والنهى ... سيف الإله وكاسر الأصنام
صنو الرسول وخير من وطى ... الثرى بعد النبي إمام كل إمام

وفر ابو زبا ، وصعصعة إلى قرية يقال لها الغيل من قرى البون فتعقَّبهم الإمام وقاتلهم بالغيل قتالاً شديداً ، حتى أمسى ثم انصرف الى ريدة سالماً ، لم يقتل من أصحابه أحد قال مصنف سيرته[3] : فلما كان في بعض الطريق

---

(١) في مطبوعة السيرة ابو زياد.
(٢) سيرة الهادي ص ٢٢٣ .
(٣) في السيرة تذكروا .
(٤) السيرة ص ٢٢٤ .

لقيه أصحابه الذين كانوا انهزموا عنه وخلوه فانصرف بهم ، فبات بريدة فلما أصبح أمر بقطع رؤوس المقبلين فقطعت ، ثم أمر بها فحملت إلى صعدة ونجران .

عودة الإمام إلى صنعاء المرة الثانية

ثم انه جمع جموعه وقصد صنعاء ومعه أخوه عبدالله بن الحسين على اثر عودته من الحجاز ، فلما علم آل يعفر وآل طريف بمقدمه تجمعوا من صنعاء وشبام وضهر ، وخرجوا في جيش عظيم لمقاتلته فالتقى الجيشان خارج صنعاء وكانت ملحمة عظيمة ، انهزم فيها آل يعفر ومن معهم ودخل الإمام صنعاء وكان قد أرسل إلى الدّعام يستنجده فتخاذل ولم يجب خوفاً من آل يعفر ، وكان دخول الإمام صنعاء يوم الجمعة آخر رجب سنة ٢٨٨ ولم يخسر من جنده سوى نفر واحد

وكان أهل صنعاء في خوف شديد لما يتوقّعونه من عقوبة الإمام لما سبق منهم من اخراج عامله علي بن سليمان وما أحدثوه ، فلما دخل صنعاء لم يعاقب أحداً قال في سيرته[1] ، ولما كانت الجمعة الثانية من دخوله صنعاء خرج إلى المسجد، ووعظ الناس، ثم قال: أيها النَّاس ما نقمتم عليّ إلا ما حكى الله سبحانه عن قوم لوط في قولهم : «أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون[2] » ، ولكني أقول لكم كما قال عمُي يوسف صلى الله عليه وسلم ولا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»[3] واستمرت الحرب بين الإمام وآل يعفر وآل طريف سجالاً من تاريخ دخوله صنعاء إلى جمادي الآخرة سنة ٢٨٩ تسع وثمانين ومائتين ملئت هذه الفترة بحروب ومعارك قتل فيها عدة من خيار أصحاب الإمام كأبي العتاهية ، وعلي بن سليمان وغيرهم ،

---

(١) السيرة ص ٢٢٦ .

(٢) الآية ٢٧ سورة النمل .

(٣) الآية ١٢ سورة يوسف ٩٢ .

وأصيب فيها الإمام بجراحات عظيمة ولم يتمكن من التوسع في البلاد ، بل ظلّ شبه محصور ، فلم تطمئن به الحال ، وكانت صنعاء وجبل مقم ، وحدّة ، وسناع ، وبيت بوس وحدين ، وعصر[1] ، ميادين النِّزال فاضطر والحالة كذلك إلى مغادرة صنعاء تفادياً من عواقب الفتن المستمرة والغارات الدائمة ، أضف إلى ذلك ضعف المالية فقد طلب من أهل صنعاء القرض أو المعونة ، فلم يسعفوه بشيء ، فخرج من صنعاء إلى صعدة في جمادي الآخرة من السنة المذكورة .

إنتقاض أهل نجران ومسير الإمام لتأديبهم

في أثناء هذه المدة وصلت الإمام كتب عامله بنجران بانتقاض قبائلها واجتماعهم على الفساد وإخراجهم العامل من قرية الهجر ، مركز ولايته إلى الحضن ، فلما وصل الإمام صعدة بادر بالخروج إلى نجران لتأديب الثائرين ، فلقيه أبو جعفر محمد بن عبيدالله وابنه علي بن محمد وأخوه القاسم بن محمد في جماعة من همدان ، ولما علمت بنو الحرث بمقدمه البلد، لابسهم من الخوف والوجل ، ما أفقدهم القرار ، فأتوه طائعين مستسلمين ، يلتمسون منه الصفح والتجاوز عما أحدثوه فأجابهم إلى ما طلبوا ، وشرط عليهم إرجاع ما أخذوه على الناس من الحقوق ، فامتثلوا لأمره ، وانصاعوا إلى إشارته ، ودخل الإمام مع عامله قرية الهجر وعادت المياه إلى مجاريها ، وبعد أن مكث بها أيّاماً رجع إلى صعدة واستقر العامل بموضعه .

ودخلت سنة ٢٩٠ فيها تحرك الإمام لمطاردة ابن عياد الأكيلي ، وكان ابن عياد بعد فشله وهزيمته في حركته التي أشرنا إليها سابقاً ، عزم إلى آل طريف ، والتمس منهم المدد لمحاربة الإمام فأمدُّوه ، وكانت الحرب بينه وبين الإمام بموضع يقال له الحدائق ، وبأول معركة انهزم ابن عباد ، واستولى

---

(١) قرى تحت صنعاء .

الإمام على حصنه حصن علاف ، وأمر بقطع أعنابه ، وهدم منازله ، ولما فرغ من أمر ابن عباد تحول بجيشه إلى بلد وائلة ، وكانت قد أحدثت في طريق نجران أحداثاً أيام كان الإمام بصنعاء قال مصنف سيرته[1] : فغدا حتى وصل موضعاً يقال له كتاف من بلد وائلة ، وكان موضع المحدثين فنهب العسكر ما وجدوا فيه من مال وغيره وقطع أعنابهم وخربها ، ثم تقدم إلى موضع آخر يقال له المطلاع ففعل به كما فعل بكِتاف ، ثم أقبلت إليه وائلة بسمعهم وطاعتهم وطلبوا منه الأمان ، فأمنهم ، وضمن بعضهم بعضاً ، وأخذ منهم جماعة من المحدثين ، ورجع إلى صعدة .

الخلاف بين آل يعفر وعبيدهم
واستقدامهم الإمام وما كان من الأحداث

وفي هذه السنة وقع الخلاف بين آل يعفر وعبيدهم فكتب آل يعفر إلى الإمام يستنجدون به ويستنهضونه فتثاقل لما يعرفه منهم من الغدر وقلة الوفاء بعد التجربة والإختبار (ان المعافى غير مخدوع) وكان الدَّعام هو المضطلع بأعباء هذه الوساطة حيث جعله أبناء يعفر الواسطة بينهم وبين الإمام ، وتكررت الكتب منهم فلم يسعفهم الإمام بما راموه ، ولا التفت إلى ما أملوه وكان الدَّعام يرغب في نهوض الإمام ولكنه لما عرف تثاقله عزم إليه بنفسه ، ورغبه في الوثوب على صنعاء لملاءمة الظّروف ومواتاة الأحوال ، وقال له قد استوت لك الأمور واستوثقت لك من القوم ، ولم يبق غير النّهوض ، فانخدع الإمام بذلك ، وخرج من صعدة ، وبرفقة الدَّعام ، ولسان الحال منه تنشد :

طورا يمان إذا لاقيت ذا يمن وإن لقيت معديّا فعدنان

وكأنه وقد أخطأه المجد من طريق المغالبة والمصاولة يريده الآن من

---

(١) السيرة ص ٢٤٤ .

جهة الانتهاز والاستغلال فطوّح بالإمام على حساب أمله المزعوم ، ولم يبال بما كان .

ولما وصل الإمام إلى خيوان مكث بها مدة وكان بها ابن الضحاك[1] من قبل آل طريف ففر من وجه الإمام ثم إن الإمام أرسل الدعام لأخذ العهود والمواثيق من آل يعفر ، فكتب إليهم الدّعام لملاقاته إلى البون ، ففعلوا وأخذ عليهم العهود والمواثيق ، واتفقوا على الاشتراك في العمل لفتح صنعاء فمضى الإمام مشرق خولان ، حتى نزل ببيت حاضر[2] ، وخرج لقتاله من صنعاء إبراهيم بن خلف ، ودارت بينهما عدة معارك ، لم يتمكن فيها الإمام من التغلّب على قوّة عدوه ، واستمرت الحال كذلك ، حتى عرف الإمام في جيشه الضّعف ، فانتقل من بيت حاضر ، إلى موضع يقال له مدر[3] ، وعندما حطّ رحله بهذه القرية ، استأذنه أصحابه من خولان وهمدان ونجران ، في الانصراف فأذن لهم ، وبقي في عدد قليل فبلغ آل طريف قلة من معه فانتهزوا الفرصة ، وأرادوا القضاء عليه ، ونهضوا لحربه في جموع كثيرة ، ونزلوا بالقرب منه، فانتقل من مدر إلى موضع يقال له إتوه[4]، وأرسل الصّوارخ في همدان تستنفرهم للقتال ، فلم يجبه أحد ، وكان كلما وصلت رسله قرية من قرى همدان نهض أهلها إلى آل طريف وصاروا لياً عليه وحرباً له :

ورها تخذل من يقوم بنصرها ... وتظل تنصر دونه الخذالا
واذا أهاب بها الهداة رأيتها ... تعصي الهداة وتتبع الضلالا

---

(١) هذا أول ذكر لابن الضحاك ولد فيما سيأتي أخبار كثيرة ولم يبن اسمه العلم في سيرة الامام ولا في غيرها (ص) . قلت وفي صفة جزيرة العرب تحقيق القاضي العلامة محمد بن علي الأكوع اسم المذكور هو احمد بن محمد بن الضحاك الحاشد ثار على الامام الهادي واسر ابنه محمد . ٣٠ ـ ٣١ .

(٢) بيت حاضر قرية أثرية في (وادي الأجبار) وادي التناغم من بلاد سنحان .

(٣) مدينة اثرية في ارحب بالشمال من صنعاء .

(٤)اتوه بكسر الهمزة وسكون التاء جبل وقرية في ارحب بالشمال من صنعاء .

وفي أول يوم من شهر رجب من السنة ، تحرك جند آل طريف ، وقصد الإمام إلى موضعه بالقرية المذكورة فلم يجبن الإمام عن عدوه ولا بالى بقوة عدوه ، وقلة عَدَدِه ، وعُدَدِه ، بل كان أملك ما يكون لنفسه وأضبط لشعوره ثبت في جماعة قليلة من الطبريين والعلويّين ، كأنهم حقيقة بين أغلاط لا ترهبهم الأهوال في مواقف القتال ، فكافحوا كفاح الأبطال ، وصبروا لعدوهم وقد أحاط بهم إحاطة السوار بالمعصم :

لقي الرجال الحادثات بصبرهم ... حتى انجلت غمم لها وغبار
لانوالها في شدّة وصلابة ... لين الحديد مشت عليه النار

وما زالوا يقاتلون حتى قتل أكثرهم ، وأسر محمد بن الامام[1] بعد أن أصيب بجراحات سقط منها عن فرسه مغشيًّا عليه ، فلحقه القوم ، وكان فيهم ابن الضحاك الخيواني ، فحال بين القوم وبين إصابته ، ومضوا به إلى ابن خلف ، ومعه جماعة من أصحابه ، وخرج الإمام من هذه المعمعة في نفر يسير ، وسار حتى نزل بَوْرَوَرْ ، وقد كان لما (التقت حلقتا البطان) و (وقعت بقَرّ)[2] أرسل ابنه أحمد إلى الدَّعام يسأله المصير إليه فيمن معه ، فكره الدَّعام ذلك ، وتثاقل ، وكان من ردّه عليه أن قل لأبيك ينجو بنفسه ، فليس هذا وقت قتال :

ولم يزل الإمام يكرر استصراخ همدان ويجيل قداح الرَّجاء في تلك الأنحاء عَلّه أن يجد المطلوب ، لاستئناف المقارعة ، حتى يحكم الله بينه وبين عدوّه ، فلم يظفر بما يريد (إذا عظم المطلوب قَلَّ المساعد) فقد صَمَّت

---

(١) انظر خبر اسر المذكور في سيرة الهادي ص ٢٤٩ ط سهيل زكار وعنه يلخص المؤلف الحوادث هنا .

(٢) يقال حابت بقراي نزل الأمر بقرارة وصابت من الصوب وهو النزول ويروى وقعت بقر مثل بضرب للشدة وكذلك ما قبله .

عنه همدان آذانها وجاهره الناس بالخلاف ، فكتب إلى الجعفري[1] يسأله أن يوجه إليه معونة من المال يستعين بها على حرب القوم ، فثقل عن ذلك فثبت الإمام مكانه والدّعام يكاتب ابن خلف في الصّلح والخلاص لمن عنده ، فلم يجبه ابن خلف إلى ما طلب ، وبعد لأي أسعد ابن خلف بشرط ، أن ينصرف الإمام من وَرْور فإذا وصل صعدة أطلق ابن خلف محمد بن الإمام وأصحابه ، وأخذ على ذلك الدّعام العهد والميثاق ، فأبى الإمام أن ينتقل ، وبينما هو يرجو ويؤمّل ان تساعده الأيّام، وينقاد له الحرون ، إذ وافته الأنباء بوصول علي بن الحسين جفتم ، عامل المكتفي على اليمن إلى مكة فخشي الإمام على ما خلفه ، وبادر باسراج جواد الأوبة ، وعاد إلى صعدة ، ولبث بها قليلاً ثم خرج منها إلى بلد وائلة ، وكانت هذه القبيلة ، قد أظهرت الفساد ، وخرجت عن الطاعة ، فنهض لتأديبها في عساكر كثيرة وذلك في النصف الأخير من ذي الحجة عام تسعين ومائتين (٢٩٠) .

ولما وصل بلاد وائلة أذاقهم كأساً مترعة بالبطش والتنكيل جزاء لما استمرؤوه من المرتع الوبيل :

هو دان الرباب اذ كرهوا الدي ـن دراكا بغزوة وصيال

قال السيد العباسي[2] : ومضى العسكر كله حتى قرية أملح[3] ونهبوا ما وجدوا فيها وأقاموا بها أياماً يخربون المنازل والآبار ، ويقطعون النخيل والاعناب ، والقوم في ذلك يطلبون الأمان وهو كاره لذلك ، لما يعلم من شرارهم وقلة وفائهم ، وما زال ينتقل في قراهم ويخربها قرية قرية ، حتى طرحوا عليه بأنفسهم فأمنهم ، ورجع إلى صعدة بعد النكاية الشديدة بهم :

---

(١) الجعفري المراد به جَعفر بن احمد المناخي وقد اطلق عليه في سيرة الامام اسم الجعفري فقط وانما استفدنا من هو من غير هذا الموضع من المصدر نفسه (ص).

(٢) سيرة الهادي ٢٥٠

(٣) املح : واد مشهور من أودية شاكر في صعدة.

دخول علي بن الحسين جفتم صنعاء
وخروج أبي القاسم محمد بن الإمام من السجن ،
وما كان من الأحداث

في شهر شوال من هذا العام ، وصل علي بن الحسين جفتم عامل حكومة بغداد[١] على اليمن إلى مخلاف بني شهاب وأقام بقرية ارتل[٢] ستة أيام ، وفي صنعاء إبراهيم بن خلف متغلِّباً عليها ، وفي اليوم السابع خرج ابن خلف في جماعة من أصحابه كالمسَّلِمين على جفتم ، ثم انهم قبضوه وحبسوه في بيت بوس[٣] ، فلم يلبث أن احتال وهرب من السّجن ، وقصد صنعاء ولما دخلها انضم إليه أصحابه والجند الذي بها ، فانتشرت الأمور على ابن خلف وارتبكت أحواله فهرب منها إلى تهامة ، وخرج أبو القاسم محمد بن الإمام في أثناء من حبس بيت بوس ودخل صنعاء في اليوم الذي دخل فيه جفتم صنعاء وقد مكث في سجن آل طريف في صنعاء وبيت بوس ، مقيَّداً[٤] بالحديد بعد أن طافوا به في أسواق صنعاء عند إدخاله إليها مقدار ستة أشهر ، ولد في محبسه ومحنته عدة قصائد كتبها إلى والده الإمام منها قوله[٥] :

امير المؤمنين تعزَّ عني	ولا تحفل ببعدي واغترابي[٦]
وهبني كنت في القتلى صريعاً	بأطراف الأسنة والحراب
وقم لله مجتهداً مجدًّا	فمثلك لا يعلَّم بالصواب
وكيف وأنت أفضل من عليها	وابصر بالعلوم وبالكتاب

---

(١) هذه الولاية هي المرة الثانية وقد سبق ذكر الولاية الأولى (ص) .

(٢) ارتل : من قرى بلاد البستان (بني مطر).

(٣) بيت بوس : قرية من ناحية البستان قرب صنعاء .

(٤) في الأصل مقديدا سبق قلم .

(٥) أوردها في السيرة ص ٢٦١ .

(٦) في مطبوعة السيرة اقترابي.

وكان أسعد بن أبي يعفر وابن عمه عثمان بن أبي الخير قد وثبا على صنعاء بعد فرار ابراهيم بن خلف ، فأحسنا إلى أبي القاسم محمد بن الإمام وسَيَّراه الى شبام وكانا يغدوان على جفتم كل يوم فارادهما على تسليم الأمر إليه فاستنظراه وعرف انهما يماطلانه ، ويراوغان ، فكبسهما وأرادا أن يهربا فلم يتمكّنا فخرجا في مواليهما ، ومن أنضم إليهما من أهل صنعاء وحاربا جفتما وقتلاه وجماعة من أصحابه ومال الجيش إليهما ، ويقال أن بعض أهل صنعاء أكل من لحم جفتم تشفّيا وانتقاماً لما كان يرتكبه أصحابه من المنكرات والقبائح[1] ثم ان أسعد بن أبي يعفر وثب على ابن عمه عثمان بن ابي الخير فحبسه واستبد بالأمر وحده إلى سنة ٢٩٣ كما سيأتي .

ولما قتل جفتم حاذر أبو القاسم محمد بن الإمام أن يبدو لآل يعفر في أمره ما لا يحمد ، وعزم على الخروج من شبام خلسة تحت جلباب الظلام فاتفق مع رجلين من خولان ، وتواعدوا لليلة معينة ، ينتظرانه الخولانيان بفرس معدّ خارج البلد في موضع معين ، وفي تلك الليلة بادر ابو القاسم[1] فتدلّى من السور ، وتبعه أصحابه وقصدوا المحل الذي تم الإتّفاق على إنتظار الخولانيين فيه ، وكان اللّيل قد تولج ، والنجم قد تبلج ، ولم يجدوا السروجي ولا المسرج[2] ، وبينما هم كذلك إذ ظهر أمرهم على الحامية التي في الطريق ، فأمسكوهم ، وأرجعوهم إلى شبام ، وعلم بما كان الأمير عبد القاهر ابن ابي الخير الحوالي فجرى بينه وبين أبي القاسم كلام ، وأمر باعادتهم إلى المنزل الذي كانوا فيه ، فكتب أبو القاسم إلى أسعد وعثمان كتاباً يشكو طول مقامه وضجره ، بموضعه ، فأرسلا إليه بدواب وخلع وسيف ونقود ، وكتبا يعتذران إليه وكتبا أيضاً إلى علي بن الحسين الأقرعي ليرافقه في الطريق وسيراه معزّزاً مكرماً ، ولما وصل ريدة تلقته عمال الدعام فصرف رفيقه

---

(١) يعني به محمد بن الإمام الهادي وهذه الرواية انظرها في السيرة ص ٢٧٣ .

(٢) من عبارة مقامات الحريري .

الأقرعي ورافقوه إلى غُرَق ، فأقام هنالك أياماً ثم صحبه ابن الدّعام إلى حضرة والده الإمام لأيام مضت من المحرم سنة ٢٩١ .

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ألا تلاقيا

وفي هذه السنة اشتد القحط وعَمّ الجوع عموم اليمن ، حتى أكل الناس بعضهم بعضاً ، قال أبو القاسم محمد بن الإمام ، انه لما دخل صنعاء في السنة الماضية ، كان السّعر بها خمسة مكاكي[1] بدينار ، فلم يزل ينقص حتى خرج وهو على مكوك بدينار والنّاس قد هلك عامتهم هولاً .

خلاف أهل نجران

ولما اشتدت أزمة القحط وتعاظم الهول على أهل نجران ، تحرك أهل الشر والفساد من يام وبني الحرث واضطربت البلاد واختل الأمن ، وساءت الأحوال ، فقابل العامل محمد بن عبيدالله تلك الحركة بالحزم واليقظة ، وتتبع الأشرار قبل استفحال شرّهم ، وضرب على أيديهم ، وطهّر البلاد بتشريدهم ، وإخراجهم منها إلى صعدة وحظر على الناس حمل السلاح من أعلى الوادي إلى أسفله ، فلم يحمل أحد سلاحاً فهدأت الأمور ، وأمن النّاس، ولم يكن معه إلاّ خدم له ، ستة وعشرون رجلاً ، بهذا العدد القليل ضبط البلاد ، وحفظ الأمن إلى شهر جمادي الأولى سنة ٢٩٢ اثنتين وتسعين ومائتين ، ورجعوا عوداً على بدءٍ وتنادوا من كل مكان شاحط[2] ، لاستئناف الثّورة ، وتحالفوا على الفساد والانتقاض ، وكان ذلك إبّان حضور الثمرة ، والمتولي كبر هذه الأحداث الهوج ابن حميد وبنو الحرث ، منيع الشر ومادته وارسلوا إلى أبي جعفر محمد بن عبيدالله يؤذنونه الحرب فكتب أبو جعفر إلى

---

(١) التغير ثمانية مكاكيك والمكوك صاع ونصف صاع ، أفاده الجاحظ في كتابه البيان والتبيين (ص).

(٢) بعيد.

الإمام ، فأجاب الإمام بكتاب طويل كله تهديد ووعيد ، وزجر وتنديد ، وذيله بقصيدتين حماسيتين، ولما وصل هذا الكتاب إلى المفسدين أجمع رأيهم على مناجزة العامل، والقضا عليه، فبادروا من ساعتهم عقيب قراءة الكتاب بالوثوب عليه إلى قرية الهجر ، وتبادلوا معه القتال إلى الليل ، وكان معه ابن بسطام ، ولما عرف إجتماعهم عليه وامتناع المقاومة بتلك المدرة[1] ، أشار عليه بالانتقال معه إلى حصن (ميناس) وهو في الظاهر معه ولكن هواه مع ابن حميد وبني الحرث ، غير أن ميله لم يظهر جليًّا لأبي جعفر إلاّ بعد أن صار معه بميناس ، وحين عرف القوم بتحوله إلى ميناس ، انقَضُّوا عليه كالسِّباع الضارية ، فصمد لهم صمود الشوس اللُّهاميم[2] ، وبعد قتال عنيف ، قال له ابن بسطام: إني لا آمن عليك هنا ولا آمن على نفسي ، فإن رأيت ان تصير في حمدان ، وأكون لك عيناً على بني الحرث ، فذلك رأيي ، وإن رأيت غير ذلك فافعل ، فلم يسعد غير التّحول والإنتقال إلى (وادعة) وأقام فيهم حتى قدم الإمام في رجب من السنة المذكورة ، وكانت قبيلة شاكر وثقيف قد انضمتا إلى وادعة وتحالفوا على نصرته.

وصول الإمام عليه السلام الى نجران

لما وصل الإمام أعلى الوادي لقيه أبو جعفر محمد بن عبيدالله في جماعة من الوادعيين ، فسار إلى الحضر ،وبات به ولما أصبح أتته الأحلاف ومن كان يسكن بنجران من يام يعتذرون من اجتماعهم مع بني الحرث على عامله ، لأنهم استرهبوهم فعذرهم الإمام ، وصفح عنهم ، وأقام ذلك اليوم بالحضن ، ثم سار إلى قرية الهجر ، فكان القتال بينه وبين بني الحرث ، فقتل منهم ثمانية رجال ، واستشهد أربعة من أصحابه فحملهم إلى الحضن ، ودفنهم هنالك ، ثم انتقل إلى قَرْقَرْ قريباً من الهجر ، وأمر بنهب جميع أسواق

---

(١) اي القرية .

(٢) الدهاة.

بني الحرث وخرابها ، فكانت العسكر تفسد واخِماصاً وتروح بطِانا ، واستمر يضيّق الخناق على من بالقرية يغاديهم القتال ويراوحهم النكال ، بقطع نخِيلهم ، وهدم صياصيهم ، فاستأمن إليه ابن بسطام ومن معه من بني ربيعة ، وذلك آخر رجب .

ولما رأى ذلك ابن حميد ، تحول من ميناس إلى الهجر لتلافي الخطر ، وتأييد من بقي ، فشدد الإمام عليهم وأصدقهم القتال ، وأمر بقطع نخيل بني حثيمة[1] أصحاب ابن حميد ، ولم يكن قطع عليهم قبل ذلك اليوم فلم يطيقوا عند ذلك صبراً ، وأسرعوا في طلب الأمان بعد التأبّي والامتناع واستماحوه العفو ، فعفا عنهم ، وخرجوا من القرية ، ودخلها الإمام ، في النصف الأخير من شعبان ، وأقام بها إلى آخر رمضان ، ثم وافته الأنباء بأن ابن حميد يستميل أعراباً من يام وبني الحرث ويحثهم على التّمرد والعصيان ، فبادر الإمام بالخروج ، لخضد شوكته والقضاء على بذرته فلم يجده بالمكان ، الذي قيل انه فيه ، فأمر بقطع نخِيله ، فجاءت بنو الحرث ترجوه أن يكفّ عن القطع يومه ، ريثما تجتمع بابن حميد فاسعدهم الإمام ، ورجع إلى الهجر .

وفي اليوم الثاني أقبل أولاد ابن حميد ، وطلبوا لأبيهم الأمان فوهبهم النّخل ، وأجاب أني لا أؤمنه حتى يطأ بساطي ، وسأطلب نفسه وإبله ، فإن ظفرت بشيء من ذلك فلا لوم لكم عليّ ، وبلغ ذلك ابن حميد ، فسار من ساعته إلى البادية يجوس خلال ديار شعب[2] ثائر صعب المقادة[3] ، نزاع إلى الشّر على استعداد تام وأهبة كاملة للعيث والانتقاض ، فلا يحتاج إلى مداورة وطول عناء لإثارتها ، داحسية[4] شعوى ، تضطر الإمام إلى مواصلة الزحف

---

(١) في سيرة الهادي بنو خثيمة بالخاء المعجمة .

(٢) اي بعيدة .

(٣) اي الانقياد .

(٤) نسبة الى حرب داحس معروفة .

وسوق الجيوش ، وتكبّد المشاق ، ثم لا يقف سيل هذه الفتنة ، حتى يجترف عامل الإمام ويقضي عليه القضاء الأخير كما سيمر بك قريباً ولله القائل :

إن الذئاب قد اخضرّت براثنها ... وليس يؤمن ذئب مسّه ضرر
ورب هيجا خير من موادعة ... ورب سلم هو السم الذي ذكروا

وأقام الإمام بنجران وقد ذلّت له الرقاب وتضاءلت له النفوس ، واستأمنت إليه جميع القبائل يام وبني الحرث وغيرهم ، ولم يبق غير ابن حميد كما مرّ ، ثم رجع الإمام إلى صعدة لسبع مضت من ذي القعدة .

نزول الإمام إلى تهامة
وعزم ابي القاسم محمد بن الإمام لحرب القرامطة

فيها وصلت الإمام كتب من الغطريف الحكمي[1] وإبراهيم بن علي الحكمي يسألانه المصير إليهما وإنهما سيسلمان إليه ما في أيديهما من مال وعسكر ، ومخلاف وأعطيا على ذلك العهود الغليظة والمواثيق الأكيدة ، فلم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) بنو الحكمي هم سلاطين المخلاف السليماني ونسبهم في الحكم بن سعد العشيرة ، وقد نسب المخلاف إليهم فيقال مخلاف حكم قال القاضي العلامة الحسن بن احمد عاكش الضمدي في كتابه (التاج الخسرواني) : واعلم ان هذا المخلاف من أحسن مخاليف اليمن ونسبته الى السّلطان سليمان بن طرف الحكمي كما ذكره الديبع ، وغيره من المؤرخين ، وقد تسلطن في هذا المخلاف وكان رجلاً عظيم الشأن ، ونسبة المخلاف إليه قبل سكون الأشراف فيه كما ذكره الوالد العلامة علي بن محمد النعمان رحمه الله في شرح الصادح والباغم وحدوده من حلي ، الى شرجة حرض ، كما قاله الديبع : وكان استيلاء الاشراف آل موسى الجون على المخلاف السليماني عام ثلاث وتسعين وثلثمائة ، وكان سلاطينه قبل ذلك الحكميين ، وهو مشتمل على أودية عظيمة ، ومحاريث جسيمة ، ومدن وقرى كثيرة ، والساكون فيه من الأشراف أمم كثيرة ، الخواجيون ، والذروات والأمرة وبنو النعمي وبنو المعانا والحوازمة والمهادية ، وقد تفرعوا الى بطون كثيرة ، وفخوذ واسعة وهم معروفون ، وتدريج أنسابهم مدون بأيديهم وأيدي العلماء من أهل جهتهم انتهى ، وتجد الكلام على الأشراف والمخلاف في القسم الذي بعد هذا في حوادث سنة ١٠٤٥ فراجعه .

يثق الإمام بما بذلا حتى أرسلا جماعة من ثقاتهما إليه ، ليوجبوا عليه الحجّة وسألوه أن يرسل إليهم من ثقاته من يستحلفهم على ما أعطوه ، فوجه إليهم نفراً من أصحابه لذلك ، وبعد أن أخذوا عليهم العهود والمواثيق ، عادوا إليه ، ولما صَحّ له ما أعطوه من أنفسهم أرسل الصوارخ في خولان فاجتمع إليه منهم عسكر كثير .

ووجه ابنه أبا القاسم إلى خيوان ، وأمره أن يكون على أهبة ، فإذا جاءته كتب من زبيد سار لحرب القرامطة ، إلى صنعاء بهمدان ، ومن قدر على جمعه من غيرهم ، وعزم الإمام بمن معه نحو تهامة حتى وصل إلى شرس[1]، فكتب إليه الحكمي أن يصير إلى محل يقال له طرطر[2]، وبذلك المحل تلقّته رسل الحكمي بالغنم والبقر والطعام والعلف ونحو ذلك، نُزلاً له ولأصحابه ، وبلغه ان جميع ذلك اخذ على الرعية ، وانه كما قيل (جَدَحَ جُوين من سويق غيره)[3] فأرسل الإمام إلى أهل القرية ، ورد عليهم ما أخذ منهم وأخبرهم ان ذلك لا يحل له ولا يستجيزه ، ولما علم الحكمي بما كان سقط في يده وندم على استدعائه الإمام ، ورجع القهقرى ، وكشّر للإمام عن نابه وجمع جموعه لمحاربته فالتقى الفريقان ، والتحم القتال بينهما فكانت الدائرة على الحكمي ، وعلى الباغي تدور الدوائر[4] .

وفيها قتل ابراهيم بن خلف مولى آل طريف وقد ذكرنا هربه من صنعاء

---

(١) شرس: بلدة اسفل مدينة حجة .

(٢) واد قريب من حرش وصعدة (صفة جزير العربي ص ٢٣٥).

(٣) انظر هذا المثل في مجمع الأمثال للميداني ص ١٤٠ والمستقصي ج ٢ ص ٤٩ .

(٤) الى هنا انتهت أنباء هذه الحادثة ولم نعثر على ما تم فيها بعد ، فإن المرجع الذي استقينا منه اخبار الإمام الهادي عليه السلام هو كتاب سيرته لمؤلفه علي بن محمد بن عبيدالله العباسي ، وقد جعل في النسخة التي لدينا بياضاً ، وزعم أنه كذلك بالأم المنقول عنها ، ثم راجعنا عدة نسخ من السيرة ، فوجدناهن كذلك فعدلنا إلى انباء الزمن واللآلىء المضيئة ، فلم نجد ما يدل على انهما وجدا غير ما وجدناه باعتبار سياق الحوادث بعد حادث شرس فتأمل . (ص) انظر سيرة الهادي ص ٢٩٦ .

إلى تهامة وكان استقراره بالكدرا ثم إنه طلع منها هذه السنة وأراد الاستيلاء على جبل ذخار فقتله عبد لعدنان صاحب الجبل وبعث برأسه إلى مولاه .

كلمة عن القرامطة وما قيل في هذه النحلة الباطنية أو الإسماعيلية

في أواخر القرن الثالث للهجرة كانت الدولة العباسية، قد كبرت وشاخت، وأصبحت تعيش في ظلّ الأمراء والمتغلبين ، من فرس ، وترك ، ودَيْلم ونحوهم، وكانت الدّعاية لأهل البيت النبوي عليهم السلام والإنتصار للدِّين تكأت كل ثائر ، وسلاح كل طامع ، وكان أهول الدعايات خطراً، وأبعدها أثراً النحلة القرمطية ، تلك النحلة التي أحدثت أعظم زلزلة هَزَّت الإسلام ، وساقطت شرفاته ، وأحدثت اكبر انقلاب عرفه تاريخ المسلمين ، وكان مثير هذه الفتنة التي طال جثومها واشتدت غيومها ، وتلونت مكائدها ، وتعدّد مصائدها ، رجل قدم من خوزستان ، ونزل بسواد الكوفة ، فمرض ذات يوم فساعده رجل يدعى كرميته ، لحمرة في عينيه واللُّفظة نبطية ومعناها ، حمرة العين فلما شفي شيخ القرامطة المذكور ، سمي باسم ذلك الرجل ، وخفف بعدئذ فسمي قرمط ، وقيل إنما لقب بقرمط لقرمطته أي تقريبه في خطه أو خطوه ، والقرمطة كلمة عربية معناها إخفاء الكتابة أي دقّتها ، وعدم إظهارها ، وكان ظهور هذه النحلة الضالة حوالي سنة ٢٧٨[1] وأول من أظهرها أبو سعيد الجنّابي القرمطي ، وكان ورعاً زاهداً متقشفاً لا يأكل إلاّ من كسبه كثير الصلاة والعبادة ، أقام على ذلك مدّة ، واعلم الناس انه يدعو إلى امام من أهل البيت عليهم السّلام ، فانتشر مذهبه في الشّام وسواد الكوفة ، وكثر أتباعه ، وخضعت لهم دمشق ، واستولوا على كثير من البلدان وأسّسوا دولة بالبحرين ، وامتد نفوذهم إلى الحجاز واليمن كما سيأتي ، وغاية نحلتهم تعطيل الشّرائع

---

(١) راجع ابي الفداء (ص) قلت تاريخ الاسماعيلية متشعب الأطراف وقد كتب فيه كثير من الباحثين منهم الدكتور محمد حسين كامل وعارف تامر ومصطفى وهما من اهل النحلة وبرنار لويس من المستشرقين ومن القدامى الطبري وابن الجوزي وابن الاثير ونشر الدكتور سهيل زكار كتابا في اخبار القرامطة لسنان .

وإنكار النبوءات والبعث والجزاء ، وتحريف نصوص الكتاب والسنة بتأويلها إلى باطن وظاهر في أول الأمر والخروج إلى الإلحاد والتعطيل في النهاية ، قال المقريزي في خططه[1] (وكان ابتداء أمر قرمطة هذا في سنة ٢٦٤ أربع وستين ومائتين ، وكان ظهوره بسواد الكوفة فاشتهر مذهبه بالعراق ، وقام من القرامطة ببلاد الشام صاحب الحال ، والمدثر ، والمطوق ، وقام بالبحرين منهم أبو سعيد الجنّابي من أهل جنّابة[2] ، وعظمت دولته ودولة بنيه من بعده ، حتى أوقعوا بعساكر بغداد ، واخافوا خلفاء بني العباس ، وفرضوا الأموال التي تحمل إليهم في كل سنة ، على أهل بغداد وخراسان والشام ومصر واليمن ، وغزوا بلاد الشام ومصر والحجاز ، وانتشرت دعاتهم بأقطار الأرض ، فدخل جماعات من الناس ، في دعوتهم ومالوا ، إلى قولهم ، الذي سمّوه علم الباطن ، وهو تأويل آيات القرآن ودعواهم فيها تأويلاً بعيداً انتحلوا القول به بدعاً ابتدعوها بأهوائهم فضلّوا ، وأضلوا كثيراً) انتهى .

وقد اختلف الناس في تسميتهم فمنهم من يسمّيهم بالقرامطة ، ومنهم من يطلق عليهم لقب الباطنية أو الإسماعيلية ، نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق عليه وعلى آبائه السلام ، ومذهب الإسماعيلية : أن الأئمة سبعة ، وهم علي عليه السلام والحسن والحسين وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي وجعفر بن محمد الصادق ، وهم مختلفون فيما بينهم ، فمنهم من يعد محمد بن اسماعيل بن جعفر ، ويسقط إسماعيل ، ومنهم من يعدّ إسماعيل ، ثم يعدّ بعده ابنه محمد ، وهذا مذهب خلفاء مصر[3] ، ومذهب الإسماعيلية ، ومذهب الامامية متفق في المبدأ العام للتشيّع وهو أنه لا بدّ للناس من إمام

---

(١) صفحة ١٨٣ الجزء الرابع (ص).

(٢) جنّابة : بلدة صغيرة من سواحل فارس وقبالتها في وسط البحر جزيرة خارك من شماليها من جهة البصرة مهروبان وجنوبيّها سينيز (مراصد الاطلاع ص ٣٤٨) .

(٣) راجع المقريزي .

معصوم يبلغهم الشريعة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأن الشريعة لا تؤخذ بالرأي ، ويتفقون منهم على إمامة الستة من علي بن أبي طالب إلى جعفر الصادق ، ومنه يبتدىء الخلاف فالإثنا عشرية ، ذهبوا إلى فرع موسى الكاظم ، والإسماعيلية ذهبوا إلى فرع إسماعيل[1] ولما كان الإمام ، هو حجة الله في ارضه على عباده ، ولا تبقى الأرض بغير إمام حجّة ، والإيمان بالإمام جزء من الإيمان وعبادة الله ، ومعرفته ، لا تتم إلّا بمعرفة الإمام ومن مات ، ولم يعرف إمامه ، مات ميتة كفر ونفاق ، ولم يقم احد من ولد إسماعيل ويظهر للناس ، قالوا : إن الإمام قد يكون مستوراً مكتوماً عن الناس خبره ، ولا بد له من نائب لتبليغ الدعوة وساقوا الإمامة إلى محمد بن اسماعيل ، ثم أولاده من بعده ، ولهم بعاليم يسترون كثيراً منها عن الناس ، ومن أجل ذلك يطلق عليهم اسم الباطنية : وبعضهم يقول : أن أصل هذه النحلة يرجع إلى النحلة الديصانية[2] ، وأن عبدالله بن ميمون القداح وأبوه ميمون كانا ديصانيين ، وان عبيدالله المهدي رأس الدولة الفاطمية العبيدية، من نسل هذا الرجل والخلاف في صحة هذا القول وعدمه مشهور ، وهو يدور حول نسب العبيدية وليس ذلك غرضنا الآن ، والذي يهمّنا من البحث معرفة الفرق بين الإسماعيلية والقرامطة والباطنية ، لعلاقة البحث بالتاريخ اليمني ، وهل الثلاثة الأسماء لمسمًّى واحد أم لعدة مسمّيات ، قال في تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام :«ان أعظم مسألة وأكبر مشكلة

(١) محاضرات تاريخ الامم الاسلامية .

(٢) نسبة إلى ابن ديصان رجل فارسي ، ظهر قبل الاسلام ببلاد فارس ثم ظهر بعده ماني وخلاصة مذهب ماني وابن ديصان ومرقيون متقارب فهم يقولون بوجود أصلين قديمين هما النور والظلمة. وان كوناً ثالثاً هو الحياة وهو عيسى وزعمت طائفة ان عيسى رسول ذلك الكون الثالث إلى آخر ما زعموه وإلى هذه المزاعم الباطلة اشار صاحب البسامة السّيد صارم الدين في ذكر وقعات الإمام الناصر احمد بن الإمام الهادي عليهما السلام بالباطنية :

وبالمصانع اخرى منه تشبهها حلت عرى الشرك من كوني ومن قدر

عـرفها التـاريخ حـركة الاسمـاعيلية ، فقـد قدروا على تـوفيق ما لم يـوفق من مصالح طبقات النّاس المتباينة وهذا تاريخ الإنسانيـة كله يشهد شهـادة صادقـة على أنه لم يقم حتى اليوم وأرجح انه لن يقوم في المستقبل ، حزب أو دين أو مذهب أو جميعة ، أو شركة تضم تحت لوائها الغالبين والمغلوبين ، وأصحاب الأفكـار الدينيـة ، والمتعصبين للدِّين من جميـع الـطوائف ، وتتخـذ المؤمنين واسـطة لنقل السلطة إلى الكـافرين ، وتستعمـل الغالبين آلـة لهدم مـا بنوه من الملك وتسليمه إلى غيرهم

ثم هي تؤلف حزباً كبيراً متلاحماً مطيعـاً تستند عليـه لوضـع تاج الملك عنـد سنوح الفـرصة إن لم يكن على رأس مؤسس ذلـك المـذهب فعلى رأس أحد خلفائه : هذه كانت غاية عبدالله بن ميمون القداح الأسـاسية وهـذه كانت أفكاره ، وهي كما نرى أفكار غريبة مدهشة جريئة ، وقد ساعـده على تحقيقها دهاؤه النادر ، ولياقته الغريبة ، ومعرفته العميقـة لمصالـح الناس ، فلو فتّشت صفوف الإسماعيلية لوجدت بينها ممثلي جميع الأمم الخـاضعة يـومئذ لخلفـاء بغـداد ، من عرب وعجم وكـرد وترك غيـرهم ، وجميـع الأحـزاب السيـاسيـة والاجتمـاعية ، ولـرأيت بينهم الفـوضـويين والشيوعيين، على إختـلاف نحلهم ومبـادئهم ، وممثلى جميـع الاديـان والمـذاهب ، من السنيـة والشيعـة إلى الملحدين والدهريين ، وغاية الكل واحدة[1] ، وهدفهم الوصول إلى نتائج لم يصل إليها أحد قبلهم ، وهذا من غرائب الأمور ، ولهم أسـرار لا يطّلع عليهـا إلاّ من قطع مراتب ، أو مراحل التكرس المطلوبـة ، واقسم القسم الغليظ أمام الداعي وهذه أسماء الدرجات :

التفـرس التأنيس التشكيـك التعليق الـربط التـدليس التـأسيس : ولكـل درجة من هذه الدرج علم يتلقاه المدعو[2] في تلك الـدّرجة ومن قـواعد هـذه

---

(١) اي الغاية الـسياسية .

(٢) وقد أشار إلى ذلك المقريزي في خططه .

الفرقة أنه لا يحلف القسم المطلوب ولا يؤخذ الرتبة الرابعة[1] ، وما عداهم إلى هذه الرتبة لا يعرفون من سر الجمعية إلا مبادئها الدينية والأدبيّة فقط .

أما تعاليمها الاساسية والاجتماعية فلم يكن يكشف لهم عنها إلاّ بعد الدرجة الرابعة ، والسّر في نجاح هذه الفرقة تغلبها على العصبيّة القومية التي لم يقدر عليها بنو أمية ولا بنو العباس فانهم أظهروا أن المسائل القومية لا تهمهم ، ولا هي من أغراضهم فسواء لديهم العربي والعجمي والنبطي والمسلم والكافر ، فقد كانوا ينشرون دعوتهم بين جميع الأمم الخاضعة للدّولة العباسية . وبين جميع الأحزاب والنحل لا يفرقون بين دين ودين ، ولا بين حزب وحزب انتهى .

فإذا عرفت ما تقدم وقدرت على درس كتبهم وعلى ما يلقونه من التشكيك والهذيان ، على المدعو الى نحلتهم والمجذوب إلى حظيرتهم ، من المفتريات الكاذبة والمزاعم الباطلة الموصلة إلى تعطيل الشرائع ، من أن لكل آية أو أثر معنيين ظاهر وباطن ، وان التّكاليف الشرعية أغلال ، المراد منها سياسة الإنسان غير المهذب ، عرفت سر تسميتهم بالباطنية هذه خلاصة ما قيل عن الفرق الثلاث ، أو الفرقة ذات الأسماء الثلاثة كما يؤدّيه ظاهر الكلام المتقدم .

وذهب الأستاذ محمد الخضري في محاضراته[2] إلى أن النحلة الفاطمية نحلة سياسية الغرض منها تحطيم الدولة العباسية والقضاء عليها ، إلاّ أنها شيبت بشيء من التعاليم لتكون مقدمة للدعوة وأساساً لها حتى لا يفجأ المدعو بالغرض السياسي لأول وهلة ، والتعاليم ، متى كانت سرّية حامت حولها الظنون ، وجعلتها الشكوك في ظلمات ، حتى لا تتميز حقيقتها وقد نشأ

---

(١) كتب المؤلف عند هذه الكلمة لفظة (سقط) ولكنه لم يدرج هذا السقط .

(٢) كتاب محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية للعلامة محمد الخضري المتوفي سنة ١٣٤٥ هـ من أقدم ما عرفه المثقفون اليمنيون من كتب عصرية لقدم طبعته وانتشارها .

عن هذا المذهب قوتان كبريان ، احداهما منظمة معتدلة ومركزها قرية سلمية بقرب حمص ، وهي موّئل الدّولة ، الفاطمية العبيدية ، ومجمع أسرارها ، والثانية قوة ذات فوضى وجور ، ونكوب عن حسن السياسة ، ومركزها كان لأول ظهورها بالعراق ، وهي القرامطة وهذه أولاهما في الظهور ، فإنها ظهرت بوادر شرّها في عهد المعتمد على الله :

وفي الأحداث الكائنة أيام الفاطمية ما يؤيد نظرية الأستاذ الخضري ، فقد كانت الحروب على أشدها بين الفاطميين والقرامطة ، وذلك على عهد المعز لدين الله أول من ملك مصر من العبيديين والقائد جوهر ، ولما هلك المعز ، وتولى بعده ابنه العزيز سنة ٣٦٥ أغارت القرامطة على دمشق وكان بها القائد جوهر ، ففر منهم إلى عسقلان فحصروه بها سبعة عشر شهراً حتى افتدى نفسه منهم بمال ، ثم قصدهم العزيز وقاتلهم[1] قتالاً شديداً ، وانتصر عليهم ، بعد أن قتل من أصحابه نحواً من عشرين ألفاً ،وهذه الأحداث وإن كانت تدل على العداء المستحكم والتباين بين الفريقين ، فإن في غيرها ما يدلّ على الإتصال الوثيق بين الطائفتين ، وذلك فيما رواه ابن الاثير وغيره ، عن أبي طاهر القرمطي ، لما أخذ الحجر الأسود وقتل الحاج ، وانتهك حرمة البيت الحرام ، كتب إليه المهدي عبيدالله الفاطمي من المغرب ينكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه ، ويقول : قد حققت على شيعتنا ، ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت ، وإن لم ترد على أهل مكة ، وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم وترد الحجر الأسود إلى مكانه ، وترد كسوة الكعبة فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة ، ولما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود إلى موضعه ، وقال : أخذناه بأمر ورددناه بأمر[2] .

وذكر المعري في رسالة الغفران : أن للقرامطة بالاحساء بيتاً يزعمون أن

---

(١) في الأصل قتال سهواً من المؤلف رحمه الله .

(٢) وفي رواية اخرى ان الخليفة العباسي استفداه بمبلغ كبير فأعاده .

إمامهم يخرج منه ويقيمون على باب ذلك البيت فرساً بسرج ولجام ويقولون للطغام هذه الفرس لركاب المهدي يركبه متى ظهر ، وإنما غرضهم بذلك خدع وتعليل وتوصّل إلى المملكة وتضليل ، ومن أعجب ما سمعت أن بعض رؤساء القرامطة في الدَّهر القديم ، لما حضرته المنيَّة جمع أصحابه ، وجعل يقول لهم لما أحسَّ بالموت (إني قد عزمت على النقلة ، وقد بعثت موسى وعيسى ومحمداً ، ولا بد لي أن أبعث غير هؤلاء : فعليه اللعنة لقد كفر أعظم الكفر في الساعة التي يؤمن فيها الكافر ، ويؤوب إلى آخرته المسافر) انتهى .

والذي يمكن الجزم به أن هذه الطائفة المتذبذبة الملحدة توافق الإسماعيلية في المبدأ والغاية ، مبدأ التَّشيع والدعوة إلى الامام المزعوم ، والغاية التغلب والاستيلاء على الملك والكيد للدّول الاسلامية ، ولذلك تصافحوا أول الأمر ، واتفقوا على الكيد والغدر وتنابذوا في النهاية على الملك والفساد في الأرض ، والله لا يصلح عمل المفسدين .

اليمن وحظّه من الدعايات الثلاث منصور اليمن وابن خليع علي بن فضل

عرف أهل اليمن من قديم الزمان بالحبّ لأهل البيت النّبوي عليهم السلام ، وعلى الخصوص قبيلة همدان المشهورة بما كان لها يوم صفّين مع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ولم تزل رجالات همدان تتقرب من الإمام علي كرم الله وجهه بمناصرته ، ولزوم جماعته حتى أثنى عليها بقوله :

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام[1]

وفي هذا البيت من عاطفة الحب والإحترام ما لا يفتقر إلى مزيد بيان ، ولما قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وكان ما كان من المحن والرزايا ،

---

(١) هذا البيت من قصيدة طويلة لأمير المؤمنين علي عليه السلام تقدمت بكمالها في القسم الأول من هذا التاريخ في الكلام على همدان .

أصاب اليمن ، رذاذ من سبيل الفتنة الجارف ، فظهر بعض رجال في اليمن بالتَّعصُّب[1] لعثمان وراسلوا معاوية بن أبي سفيان ، فانتهز معاوية الفرصة ، وأرسل بُسْر بن أرطاة العامري ، فدخل بسر اليمن وأظهر من القسوة والجبروت ، والخبث المتناهي في معاملته لأصحاب علي عليه السلام وشيعته ، ما ينكره الدين ، ويمقت مرتكبه وتشمئز منه الإنسانية والحق والفضيلة ، حتى أفضت به الحال في تجاوز الحد إلى قتل قثم وعبد الرحمن ابني عبيد الله بن العباس ، عامل أمير المؤمنين على اليمن ، وهما صبيَّان لم تخضر مآزرهما[2] فانحازت همدان إلى جبل شبام همدان ، وهو ذمرمر وتحصنت فيه من طغيان بشر المذكور[3] .

ولم تزل تحتفظ بحبها للإمام علي وأولاده عليهم السلام ، حتى تكوَّنت من ذلك الحب فكرة سياسية ، وقام بتمثيل هذه الفكرة رجال خبراء بطرق الاستغلال ، ومن جملتهم أحمد بن عبدالله بن خليع بعدن لاعه وكان خبيراً برجال الشيعة ، ومن ينتمي إليهم وكانت نحلة الاثنا عشرية ، وشقيقاتها ، في طور الاكتمال والنمو ، فكان ابن خليع يوهم أتباعه باقتراب ظهور المهدي ، ويبث فيهم سمومه الفتاكة ، ويقول قيام المهدي في العام الذي يدخل فيه منصور اليمن ، وهو يدخل في هذا العام ، وجعل يعدّ عدته من سلاح ومال[4] ونحوه فاتصل بنا ذلك الدَّاعية ، وما يقوم به من الخدمات لجمعيته السرِّية ، بملك صنعاء ابن أبي يعفر ، فأمر من أتاه به وسجنه حتى مات في سجنه ، وكان رئيس الجمعية علم بما كان فأوفد إلى اليمن من قبله الحسن بن فرج بن

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد.

(٢) نباتهما أي شعرهما .

(٣) تاريخ الداعي ادريس بن الالف .

(٤) المصدر نفسه (ص) قلت : وهذا الكتاب طبع بتحقيق مصطفى غالب وهي طبعة رديئة مليئة بالأخطاء انتهى منه الى السبع الخامس.

حوشب ويعرف بمنصور اليمن للدّعوة إلى المهدي، وأمره أن يقصد عدن لاعه[1]، فانتهى به السير إلى عدن ابين فوجد هنالك من رجال مذهبه من دلّه على عدن لاعه، فسار إليها ووجد بها انصاره الذين قد تسمّمت عقولهم بذلك المذهب، فأكرموا وفادته ، واقترن بأبنة أحمد بن عبدالله[2] الداعي قبله الهالك في سجن بن يعفر ، وقبض ما كان قد أعدّ ابن خليع من مال وسلاح ، وأظهر الدّعوة وأقام بنشر أفكاره الهدامة وابتنى بيت ريب بجبل مسور ، وملك الجبل المذكور ، وكوكبان ، وما بينهما من البلدان ، والتف حوله لفيف من همدان واستفحل شأنه ، إلى أن بعث الى السند داعية ابن أخيه المعروف بالهيثم ، وبعث إليه رئيس الجمعية بأبي عبدالله الحسين بن احمد بن زكريا الشيعي الصنعاني ، وأمره بامتثال أوامر منصور ، في المنشط والمكره ، وان يترسم خطاه ، ويحتذي أعماله ، وبعد ان يفهم الدرس ويجيد الدّس ، يذهب حيث أراد ففعل الشيعي ما أمر به ، وحذق الصنعة ، وسار إلى افريقية لبث الدّعوة بها ، وما زال ، دائباً عاملاً ، حتى تغلبت الدعوة على القيروان ، وغيرها في إفريقية ، وأزالت ملك بني مدرار من المغرب ، وكان لهذه الدعوة بكتامة ، وبلاد البربر ما هو مشهور وخرج مع الحسن بن فرج داعية أيضاً علي بن الفضل اليافعي الخنفري[3]، ولكنه لم يقف عند رموز ذلك المذهب بل تجاوز الحدّ فأظهر الكفر والرِّدة والإباحية جهاراً بلا مواربة ولا توارى ، بل تجاوز ذلك وجاذب فرعون حبل كفره الملعون ، وتلك غاية السخف والطغيان ، وقد

---

(١) انظر عيون الأخبار للداعي ادرس عماد الدين (السبع الخامس) ص ٣٦

(٢) يعني الخليع

(٣) قلت : علي بن الفضل ممن كثر الحديث حولهم ونادراً ما يخلو كتاباً من كتب التاريخ اليمني من اشارة إليه وإلى دعوته شيء من الإنكار والتكفير وقد نقل مؤلفنا العلامة الشهيد احمد المطاع رحمه الله ما جاء في كتب تلك الكتب ونقد بعضها ، ومن الباحثين المعاصرين من يحسن الظن بابن فضل ويرى ان ما كتب عنه من تعصبات اهل المذاهب واهواء دينية وسياسية والله أعلم بالحقيقة.

فعل من العيث والتدمير والتخريب والتقتيل في الأمة اليمنية مالا يوصف ولا يحيط به البيان ، وسنأتي على أخباره تفصيلاً ، وإنما سقنا هذه الجملة لبيان أصل هذا الداء ومن أين بدا وكيف ظهر ، وفوق كل ذي علم عليم .

قال الجندي في تاريخه[1] ، كان علي بن الفضل من عرب يقال لهم الاجدون ينسبون إلى ذي جدن ، وكان شيعياً على مذهب الاثنا عشرية[2] ، فحج مكة ثم خرج مع ركب العراق لزيارة مشهد الحسين فلما وصله جعل يولول ويصيح ، ويقول ليت من كان حضرك يا ابن رسول الله حين جاءك جيش الفجرة ، وميمون[3] القداح ملازم للضريح ومعه ولده عبيدالله يخدمه ، فحين رأيا ابن فضل على تلك الحالة طمعا في اصطياده ، ثم خلا به ميمون ، وعرفه انه لا بد لولده من دولة يتوارثها بنوه لكن لا تكون حتى تكون بدايتها من اليمن فقال إبن فضل ذلك يمكن في اليمن ، والناموس[4] جائز عليهم فأمره بالتثبيت والوقوف حتى ينظر ما في الأمر ، وكان ميمون في الأصل يهودياً قد حسد الإسلام ، واغتار على دينه فلم يجد حيلة غير العكوف على تربة الحسين بكربلاء وإظهار الإسلام وأصله من سلمية مدينة بالشام وانتسب إلى العلوية ، وأكثرهم ينكر صحة نسبه[5] . والله أعلم .

---

(١) انظر السوك للجندي ج ١ ص ٢٣١ طبعة وزارة الاعلام وتحقيق الاستاذ محمد بن علي الاكوع .

(٢) فيه دلالة على ما سبقت الاشارة إليه من ظهور مذهب الإمامية في اليمن واعتناق بعض رجال من اليمن ذلك المذهب قبل ظهور الاسماعيلية أو القرامطة ، فإن المذهب الجديد ، فاظهر على يد ابن فضل بعد عودته من العراق (ص) .

(٣) هو عبدالله بن ميمون القداح المتوفي حوالي (٢٦١) وابوه يسمى أبا شاكر ميمون بن ديصان صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة ، وأصله من بلده قرب الأهواز وسمي عبدالله القداح لأنه كان يعالج العيون ويقدحها ومن اتباعه حمدان قرمط ومحمد بن الحسين : انظر تاريخ الفلسفة في الاسلام ، وفهرس ابن النديم ، والكامل لابن الاثير .

(٤) الناموس في الأصل صاحب السر وصاحب سر الوحي ومنه حديث ورقة بن نوفل .

(٥) راجع ما كتبه شيخ المؤرخين ابن خلدون في نسب العبيدين .

قال[1] وقطع ابن مالك بأنه يهودي ، وصحبه رجل من كربلاء يعرف بمنصور بن الحسن بن حوشب بن الفرج بن المبارك من ولد عقيل بن أبي طالب ، كان جده زادان[2] اثنا عشري المذهب أحد أعيان الكوفة . وسكن أولاده على تربة الحسين فحين قدم ميمون تفرّس بمنصور النجابة والرياسة فاستماله وصحبه وكانت له دنيا يستمد منها ، وكان ذا علم بالفلك ، فأدرك ان له دولة وانه احد الدعاة إلى ولده ، فلما قدم ابن فضل وصحبه رأى انه قد تم له المراد وان ابن فضل من أهل اليمن خبير به ، وبأهله ، فقال ميمون لمنصور : يا أبا القاسم ان الدّين يمان والكعبة يمانية والركن يمان وكل امر يكون مبتدأه من قبل اليمن فهو ثابت لثبوت نجمه ، وقد رأيت ان تخرج انت وصاحبنا علي بن فضل إلى اليمن وتدعوان إلى ولدي فسيكون لكما شأن وسلطان، وكان منصور قد عرف من ميمون إصابات كثيرة، وبعد أن أوصاهما بالاتفاق وحذرهما من الافتراق أرسلهما وأمرهما بإخفاء أمرهما وأمر منصور ان يقصد عدن لاعة من بلاد حجة ، فلم يعرف منصور عدن لاعة ، وقصد عدن أبين ، ثم انه خرج من عدن أبين صحبة جماعة من التجار من تلك البلاد وما زال يظهر الورع والعبادة حتى استمالهم إليه ودعاهم إلى المهدي المنتظر ، وحلف منهم جماعة على القيام ، وصاروا يأتون إليه بزكاة أموالهم ، ثم انتقل بما معه من الأموال وبنى عين محرم وهو حصن كان لبني الفدعا[3] وتبعه خمسمائة رجل ممن تابعه وعاهده[4] فأظهر الدعوة علناً ، ومال إليه خلق كثير ، ولما أخذ جبل مسور استعمل الطبول والرايات ، بحيث كان له ثلاثون طبلاً ، إذا أقبل من مكان سمعت الى مسافة بعيدة ، وكان للحوالي حصن

---

(١) يعني الجندي في السلوك ص ٢٣٢ .

(٢) هذه رواية الجندي ولا أدري من أين جاء، زادان وقد رفع نسبه إلى عقيل بن ابي طالب فتأمل.

(٣) في مطبوعة السلوك العرجا .

(٤) كذا لعل صوابه وعادهم وفي السلوك وعاهدوني .

بجبل مسور ، به وال انتزعه[1] منه ، وكتب إلى ميمون يخبره بقيام أمره وظهوره على من عانده ، وبعث له بهدايا وتحف جليلة وذلك عام(٢٩٠) ، ولما وصلته الهدايا قال لولده عبيدالله : هذه دولتك قد قامت لكن لا أحب ظهورها إلاّ من المغرب ، وهذا عبيد الله هو الملقب بالمهدي جد ملوك المغرب ومصر وإليه ينتسبون :

وأما علي بن فضل فإنه قصد أول أمره بلد يافع ، وجعل يتعبّد في الأودية والشعاب حتى اغتر به أهل البلاد وانخدعوا بزوره وتمويهه ، وسألوه أن يطلع جبلهم فأبى أول الأمر ثم أجابهم على شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

جعلوا الحق لبغي سلّما فهو كالبتار لهم والترس
وقديماً باسمه قد ظلما كل ذي مأذنة أو جرس

فسمعوا له وأطاعوا ، وأتوه بزكاة أموالهم ، وأخذ عليهم العهود بالسّمع والطاعة ، وأمرهم بعمارة حصن في ناحية السرو ففعلوا وانهبهم اطراف البلاد وأراهم ان ذلك جهاد في سبيل الله حتى يدخلوا في دين الله طوعاً أو كرهاً ، وكان يومئذ في لحج وابين رجل يعرف بابن أبي العلاء من الأصابح مالكاً لها فقصده ابن الفضل بمن معه من يافع وغيرهم ، فكانت الدائرة عليه وانهزم إلى صُهيب[2] واجتمع هنالك أصحابه فقال لهم : إني أرى رأياً صائباً قالوا : وما هو ، قال : اعلموا ان القوم قد امنوا منا وارى ان نهجم عليهم فانا نظفر بهم فأطاعوه وأعادوا الكرة على إبن ابي العلاء ، فظفروا به ، وقتلوه واستباح ما كان له ولأصحابه ، ووجد في خزائنه سبعين بدرة ، وبذلك طار ذكره وغلظ

---

(١) قال الشرفي في لآليه : ثم ان منصور شهر السيف فطلع جبل مسور واستنجد واسر العامل الذي كان فيه للأمير ابراهيم بن محمد بن أبي يعفر الحوالي ، وبني حصن مسور ونزل به وغلب على ملك الناحية :

(٢) صهيب : بلدة في الجنوب الشرقي من الضالع

أمره، وقصد المذيخرة[1] سنة ٢٩١ ، وبها جعفر بن احمد المناخي وإليه ينسب مخلاف جعفر ، وكان ابن فضل ، قد كتب إلى المناخي : بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين ، وأخذ أموالهم ، وإنما قمت لاقامة الحق وإماتة الباطل ، وكان جعفر قد قطع من أهل جهته على حجر[2] بالمذيخرة ثلثمائة يد فاقترح عليه ابن فضل تسليم دية الأيدي المقطوعة ، ثم جمع جموعه وقصد المناخي ، ولما التقى الجمعان انهزم ابن فضل وعاد إلى بلد يافع ، وكانت الوقعة يوم الخميس لثمان خلون من رمضان من السنة المذكورة .

ودخلت سنة ٢٩٢ في صفر منها تجهز الطاغية لمنازلة جعفر المناخي وقصد المذيخرة فدخلها ، وأخذ حصن التعكر ففر المناخي إلى تهامة وبلغ القرتب من وادي زبيد فأمدّه صاحب زبيد بجيش كثيف ، فرجع يريد استرجاع المذيخرة فلقيه علي بن الفضل في جموعه ، وكانت بينهما ملحمة كبرى قتل فيها جعفر بن ابراهيم وابن عمه ابو الفتوح ، وحملت رؤوسهم إلى المذيخرة ، وتم للطاغية الاستيلاء على بلاد المناخي[3] وجعلها مستقر طغيانه .

قال الجندي[4] ولما ملك ابن فضل بلد الجعفري استباح البلد وسبى الحريم وجعل المذيخرة دار ملكه ، ثم ادّعى النبوءة ، وأحل لأصحابه شرب الخمر ، ونكاح البنات والأخوات ، ودخل الجند في موسمها أول خمس من رجب ، فصعد المنبر وقال الأبيات المشهورة وهي :

خذي الدف يا هذه والعبي ... وغنّي هزارك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم ... وهذا نبي بني يعرب

---

(١) مدينة اعلا جبل ثومان بالعدين .

(٢) العسجد المسبوك ص ٣٩ .

(٣) ومدة دولة المناخي من سنة ٢٤٩ الى سنة ٢٩٢ ثلاث واربعين سنة ٤٣ .

(٤) السلوك ص ٢٣٦ .

لكل نبي مضى شرعة وهذي شريعة هذا النبي
فقد حطّ عنا فروض الصلاة وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضي وان صوّموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك العرسين من الأقربين مع الاجنبي

وهذه الأبيات الإباحية وإن كانت تمثل نزعة الطاغية واستهتاره فإنّا نستبعد ان يكون هو قائلها والأرجح ما رواه الشرفي في لآليه من انه قالها فيه بعض شعراء عصره[1] .

ودخلت سنة ٢٩٣ فيها سار إلى بلاد يحصب ودخل منكث فأخربها ، ولما وصل ذمار وجد بها جيشاً عظيماً للأمير الحوالي بهران فكتب إلى والي هرّان ويقال له اليافعي كتب إليه يستميله فأجابه اليافعي ، ومال إلى نحلته ، ثم قصد ابن فضل صنعاء بجنود جرّارة فنزل ضبوة ، وخرج إليه امير صنعاء اسعد بن أبي يعفر فحاربه يومه وقتل من أصحاب الطاغية بن فضل أربعمائة رجل ، ورجع أسعد آخر ذلك اليوم إلى صنعاء فتعقّبه بن فضل ليلاً ، ولم يتمكن من دخول المدينة ، فحط بجبل نقم ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع هاجم صنعاء في خمسة آلاف مقاتل ، ودخلها من ناحية الشهابيين بسعاية مهلّب الشهابي فحاربه أسعد بن أبي يعفر إلى عصر ذلك اليوم ، وكان يوماً عصيباً على أهل صنعاء ، وخرج منهم جماعة بأهلهم وأولادهم وتركوا منازلهم ، وامتعتهم ، فاستباح الطّاغية صنعاء قتلاً ونهباً ، وأباح المحارم وفر ابن يعفر إلى شبام ، فحاربه القرمطي صاحب جبل ذخار ، فخرج ابن يعفر بأهله وأثقاله إلى بلاد الدعام[2] قال في أنباء الزمن : ولماتمكن ابن فضل من

---

(١) وكذا في كشف اسرار الباطنية وهو أول من أوردها ونقلها عنه كل من اتى بعده وفي رسالة الغفران منسوبة إلى الصناديقي وسيأتي للمؤلف ان الصناديقي هو اسم لعلي بن الفضل .

(٢) سيرة الامام الهادي .

صنعاء لم يحسن فيها صنعاً أظهر مذهبه الخبيث ، ودينه المشؤوم وارتكب محظورات الشرع وادعى النبوءة[1] ورقا منبر جامع صنعاء وخطب خطبة منكرة صرَّح فيها بعقيدته الكفرية ، وحمل عليها من تابعه من تلك الفرقة الغوية ، وقد ذكر هذه الخطبة كثير من المؤرخين ، وإنما تركناها تنزيهاً لكتابنا عن كلام هذا المارق اللَّعين ، وإن كانت شاهدة عليه بالكفر الصّريح ، غير أن في أعماله ما يغني عن التصريح ضاعف الله له العذاب ، في يوم الجزاء والحساب ، فإنه هدم أركان الاسلام ، وبالغ في دحض الشرائع الواردة عن سيد الأنام صلى الله عليه وعلى آله الكرام ، وأباح لتابعيه الخمور ، وإتيان الذكور ، وارتكاب المحرَّمات من نكاح البنات والأمّهات ، وأسقط حج بيت الله الحرام ، ومن قبيح فعله أنه اتّخذ جامع صنعاء إصطبلاً للخيل بعد تلاوة القرآن فيه بالنهار والليل[2] .

ولما علم منصور بن حسن بدخول الطاغية صنعاء تجهّز بالمسير إليه من مسور ، وحين اجتمع به لامه على ما فعل بصنعاء وأقاما اياماً وابن فضل يعظم منصوراً ويبجله ويقول : انما أنا سيف من سيوفك ، ويوهم أصحابه ان منصور بن حسن من جملة أتباعه ، وكان منصور يهاب ابن فضل لجرأته وفتكه ، فكان كل واحد منهما يضمر الشر للآخر ، ويتربص به ولسان الحال تنشدهما :

شقيان في خلق واحد تؤلف بينهما الزندقة
كشقّي مقص تجمعتا على غير شيء سوى التفرقة

---

(١) يستفاد من هذه الرواية ان خطبة الطاغية الاباحية كانت بجامع صنعاء الجندي يذكر انها كانت بجامع الجند ، ولا مانع من تكررها غير أن الظروف التي يمكن أن تقع فيها هي بصنعاء أقرب حيث قد اتسع نفوذه وتمكن سلطانه، وسيأتي بعد هذا انه جعل الحج إلى الجرف والعمرة إلى التالبي، وهما موضعان بالقرب من المذيخرة .

(٢) انظر العسجد ص ٣٩ .

ولما عزم ابن فضل على قصد تهامة نهاه منصور بن حسن وقال له : الرأي ان تقف بصنعاء وانا بشبام سنة ، حتى نصلح البلاد التي استفتحناها ، وتتمكن فيها اليد ، فلم يسعد ابن فضل ، وسار في ثلاثين ألفاً وجعل طريقه على بلاد المغارب ، ولما توسط مضايق البلاد ثارت عليه القبائل، ولزموا الطّرق ، فلم يقدر على التخلص فانجده منصور وخلصه من أيدي الثائرين فسار ابن فضل لطيته[1] وكان مروره على ملحان ومنه توجه إلى المهجم ، فقتل صاحبها ، ثم سار إلى الكدرا ، فأخذها ، وتقدم إلى زبيد ففر منه اسحق بن ابراهيم بن زياد فنال منه ابن فضل ما يريد ، وملك زبيد ، وقتل من أهلها وسبأ من نسائها أربعة آلاف عذراء ، ثم خرج منها راجعاً إلى المذيخرة، ولما وصل بعض الطريق قال لأصحابه ان هؤلاء النساء شغلنكم عن الجهاد ، ونساء الحصيب فتنة فاذبحوا ما في أيديكم منهم فذبحوهن في ساعة واحدة ، فسمى ذلك الموضع الذي ذبحن فيه المشاحيط ، .ولعمري ان القلم ليتعثّر خجلاً من تسطير تهافت هذا الطاغية واستهتاره لولا أنها حقائق تاريخية ، وكيفما كان فإن ذلك لا يمنعنا من إرسال اللّعنات على مرتكب تلك المخازي والمقت العظيم ، لتلك الدعاية التي عبدت الطرق لملحد مستهتر يستبيح المدن ومن فيها ويقتل أربعة آلاف عذراء في ساعة واحدة لا قوة إلاّ بالله .

أحوال صنعاء بعد عزم الطاغية عنها ورجوع الإمام الهادي إليها

في هذا العام بعد رحيل ابن فضل عن صنعاء وثب بها ابن كبالة[2] فاستولى عليها وقتل من بها من فلول القرامطة وكتب بذلك إلى الدعام لينجده

---

(١) كذا في الأصل وفي العسجد ص ٤٠ صنعاء .

(٢) الحسن بن كبالة من موالي آل يعفر (ص) وفي العسجد كالة وفي سيرة الهادي ابن كيالة بالياء المثناة.

فـارسل الـدعام ولـده الحسين في عسكر إلى صنعـاء وكتبا إلى الامـام الهادي عليه السلام يعلمانه بما كان ، ويدعوانه اليها فأجابهما الإمام ، وأرسل ابنه أبـا القـاسم ، فسار إلى صنعـاء في جمادى الأولى ثم ان جمـاعة من أهـل صنعاء ساروا إلى حضرة الإمام يستنهضونـه ، فبادر إلى صنعـاء ، ودخلها لأربـع ليال من جمـادى الآخرة من السنـة ، ودخل معـه آل يعفر والـدعام ، وولـده وابناء الروية وولد جعفر بن ابـراهيم المناخي ، وغيـرهم من رؤساء اليمن وسـراته ، وكانت إقدام القرامطة قد تزعزعت وحاربهم ابن كباله في ضهر وشبام وطردهم عنها ، فبعث الإمام ابنـه ابا القـاسم إلى ذمار وولّى القضـاء بصنعاء احمـد بن يوسف الحداقي .

وكان ابن فضل يحارب اسحق بن ابراهيم بن زيـاد في زبيد ولمـا فتحها وفرّ صاحبها كما تقدم عاد إلى المذيخرة وقد قوي أمـره وارتفع دخـانه فـأرسل عيسى اليافعي إلى ذمار فخرج منها أبو القاسم ولحق بالإمام إلى صنعـاء وسار ابو العشيرة احمد بن محمد بن الروية إلى ثاه رداع فانحاز إليه كثير من عشيرته وأهل البلد فقصده اليافعي إلى رداع وقتله واستباح البلد[1] .

ودخلت سنة ٢٩٤ فيها وثب ابن كبالة على الامـام الهادي فنـدب الامام لحربه أهـل صنعاء فتخـاذلوا ، فخـرج الإمام من صنعـاء وعاد إلى صعـدة في عاشر المحرم وكان أسعد بن أبي يعفر قـد صار بهمـدان ، وأقام بـورور ، قبل أن يرتكب ابن كبالة جريمته ، فكتب إليه يستقدمه ، وكان جراح بن بشر بشبام فـأخرجـه القرمـطي منها وعـاد إلى صنعاء ووصـل اسعد بن أبي يعفـر وأقامـوا جميعاً بصنعاء واقرّوا احمد بن يوسف قاضي الإمام على القضاء .

وفيها عزم ابن ذي الطوق القرمـطي وعيسى اليافعي الى بـلاد المغرب ، فخـرج لحربهمـا جراح وابن كبـالة في أهـل صنعاء وعسكـرهمـا ، فقـاتلوهم

---

(١)كل هذه الأنباء مستقاة من سيرة الإمام الهادي (ص) .

وانهزموا عنهم بعد أن قتل من أهل صنعاء وغيرهم أربعمائة قتيل ، وعادوا إلى صنعاء ثم ان ابن ذي الطوق القرمطي وثب على عيسى اليافعي القرمطي فقتله ، وجماعة من أصحابه غدراً فاستأمن بقية أصحاب اليافعي إلى صنعاء .

رجوع الطاغية إلى صنعاء

وفيها عزم الطاغية ابن فضل على قصد صنعاء ولما بلغ جِزْيَزْ[1] خرج إليه أسعد بن أبي يعفر ومن معه فقاتله ، وقتل من أصحابه نحو ستين رجلاً ، ولم يثبت له فدخل ابن فضل صنعاء أول يوم من رجب من هذه السنة واستباحها، ونال من أهلها منالاً عظيماً ، وسار اسعد وابن كبالة إلى قدم ، ومكثت القرامطة تعيث وتفسد في صنعاء ونواحيها ثلاث سنين ، إلاّ أحد عشر يوماً وأصابتهم علة فمات منهم من لا يحصى والحمد لله ربّ العالمين[1] .

نجران وماكان به من الأحداث

وفيها ظهرت الدّعاية القرمطية بنجران على يد رجل من موالي بني أمية يقال له حسين بن حسين الحاشدي فتطاولت أعناق بني الحرث واليامين الى مساقط الفتنة ومراتع الضلال ، وهمسوا بما لم ينالوا ورئيسهم ابن حميد ومرزوق بن محمد المري ، وعلي بن الربيع المداني ، ولما عرف ابو جعفر ما يضمرونه من الشر والفساد ، كتب إلى الامام يستحثه على المسارعة لاخماد ذلك الفساد وكتب إليه قصيدة أولها[3] :

دار لمية ما بها آثار ... فالرّبع منها موحش مقفار
قد غَيّرتها بعد ساكنها الصبا ... وتقادم الأزمان والأمطار
ومحا مغانيها الدّهور فأصبحت ... دار الأوانس ما بها سمار

---

(١) من قرى سنحان جنوبي صنعاء بمسافة ١٣ ك.م.

(٢) سيرة الامام (ص) .

(٣) انظرها في سيرة الهادي ص ٣٣١ .

وتنكـرت عـرصـاتهـا وادرورست فـالـدار من تلك الـحسـان بـوار
من بعـد مـا كـنـا بهـا في لـذة اضـحـت خـلاء مـا بـهـا عـمّـار
إلاّ ثـلاث فـي الـرمـاد رواكـد سـود ومسجـوع[1] الجبين مـطار
لمـا وقفت العيس في عـرصـاتهـا أسـل الـديـار فلم يجبني الـدار
انهـلّ دمعي عنـد ذاك لـذكـرهم ومـع غـزيـر واكـف مـدرار
وذكـرت ايـام الشّبـاب وطـيبـهـا اذ نـحن فـيهـا قـاطنـون صغـار
نلهـو نلعب في ريـاض نـعيـمهـا لا تـنقـضي مـن طـيبـهـا الأوطـار

ومنها في مخاطبة الإمام واستحثاثه وذكر القرامطة ومذهبهم الخبيث

يـا خير من قـاد الجيـاد ومن بـه فـخـرت قـريش كـلهـا ونـزار
يـا خيـر من غمـر الأنـام بفضله يـا خـيـر مـن يـنتـابـه الـزوار
ظهـر الفسـاد بـأرضنـا وبـلادنـا قـامـت بـذاك قـرامط أشـرار
كفـروا بـرب النّـاس بـابن محمـد والتكفـير شـيـمتـهـم فـهـم كفّـار
قـالـوا إمـامـهـم الـه قـادر كـذبـوا عـليهـم لـعنـة وصـغـار
فـانهض نصـرت عليهم فـابـدهم ان الـقـرامط عـاضـدتـهـا عـار

فلما وصل الكتاب إلى الامام نهض مبادراً الى نجران لسبع بقين من رجب ، وأقام بنجران يتبع القرامطة ويقلم اظفار المفسدين في تلك الديار ، ويقيم الحدود على من ظهر منه انتهاكها من الاشرار ، فرجم امرأة ثبت لديه بالشهادة العادلة المعتبرة انها زنت بعد إحصان ، وقتل رجلاً من العبيد كان يبيع الخمر ويجمع بين الرجال والنساء ، وبعد صلاح البلاد وزوال دواعي الشّرور والفساد ، عاد الى صعدة أول يوم من رمضان واستاق جماعة من القرامطة واليامیین وعلي ابن الربيع وغيره وأودع الجميع سجن صعدة .

ولكن ذلك لم ينهنه اهل نجران عن الغدر ونقض العهود (وليس بغان

---

(١) في مطبوعة السيرة (مشجوح) .

طيشهم والتقلب) فسرعان ما رجعوا إلى ما ألفوا فحرس العامل غفلته منهم ولم يطابق بين جفونه ، وأمعن في تتبع عوار أتباع الغي منهم حتى استقامت قناتهم وسكنت دهماؤهم ، وبينما هم كذلك إذ وردت أوامر الإمام قاضية بسحب الجنود من نجران وارسالها مدداً لعبدالله بن الخطاب الحكمي ابن عم الغطريف الحكمي إلى تهامة ، فخرج محمد بن عبد الملك الوادعي إلى الامام وراجعه في اطلاق اليامين الذين استاقهم الامام من نجران وحبسهم بصعدة فأطلقهم بعد أن حَمَّلهم للوادعيين سبع عشرة دية ، عدد قتلاهم ، ولما وصلوا الى نجران طمع ابن بسطام في تخلية ابن الربيع فسار إلى الامام وسأله ذلك فكره الإمام إطلاقه ومراد ابن بسطام من إطلاق ابن الربيع التحزّب للفساد ، فلما أيس من إطلاقه ، راجع في القرامطة فاطلقهم الإمام ثم خرج محمد بن الهيثم ، وأحمد بن الأربد وكانا في الظاهر مع الإمام وطلبا منه إطلاق موسى الدهف العمري ، والحماسيين فأطلقهم وصاروا كلهم في وادي نجران وازدادوا حيفا على السلطان ، ولم يشكروا ما صنع لهم من الاحسان .

إذا انت اكرمت الكريم ملكته ... وان أنت اكرمت اللئيم تمردا

ولما كان شهر الحجة قدم الحاج من مكة وأخبر أن المسود واصل من مكة الى صعدة فأجمع امرهم على الفتك بعامل الإمام . وبلغ ذلك العامل ، فكتب إلى الإمام باضطراب البلد وما أجمعت عليه الأشرار وذيل الكتاب بقصيدة أولها[1] :

لاح المشيب بمفرقي وبراسي ... وبعارضي فعاد كالقرطاس
يابن الحسين تحالفت حار على ... ان يقتلونا يا بني العباس
من ال خيثمة ومذحج[2] كلها ... والحي من يام وحي حماس

---

(١) سيرة الهادي ص ٣٤٨ .

(٢) في مطبوعة السيرة مدمج .

وبني ربيعة من يحل بضاعن[1] والقاطنين بحافتي ميناس

وهي طويلة ، ولما دخلت سنة ٢٩٥ بلغهم قدوم المسود[2] إلى صعدة فكاتبوه يستنهضونه فحثهم على الفتك بالعامل ان كانوا صادقين ، فزاد طمعهم وهم كما ترى من أحوالهم يهطعون إلى كل بارقة تلوح ، ويفترون بكل سانحة تمر ، ويصيحون لكل صيحة ، ويهبّون مع كل ناعق ، دائمو الانتقاض والخروج والثوران والتمرّد ، لا سيما بني الحرث مهد الفتنة ومربع العصيان ، فصار ابن حميد يستطيل على عامل الإمام ، وتبدو منه بوادر الشر ، فكتب أبو جعفر محمد بن عبيدالله إلى الإمام وسأله انيسبق القوم الى البلد، قبل فوات الوقت ، وذيل الكتاب بهذين البيتين[3] :

ارى خلل الرماد وميض نار ويوشك ان يكون لها اضطرام
فان النار بالعودين توري وان الحرب أولها كلام

وارسل بالكتاب ولده علي بن محمد[4] ، فلما وصل إلى الإمام وعرف الواقع بادر بالنجدة ، وتحرك على رأس قوة كبيرة من خيل ورجال ، ولما وصل الحضن تلقاه ابن بسطام معتذراً عن بني الحرث ، فلم يقبل منه الإمام قبل ان يتفق بعامله ويستفصل منه الواقع وبادر إلى قرية الهجر مقر العامل

---

(١) في المطبوعة بصاغر وضاعن بلد من جحور .

(٢) هكذا في سيرة الإمام ولم يظهر من المسود ولا وجدنا في جميع المصادر ما يدل على وصول عامل بغداد ، أيام الهادي عليه السلام الى صعدة، ان يريد بالمسود عامل بن عباس فتأمّل .

(٣) البيتان لنصر بن سيار والى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية انظر هامش سيرة الهادي ص ٢٥٣ للمحقق .

(٤) علي بن محمد هذا هو مؤلف سيرة الإمام الهادي مات في خلافة الإمام الناصر بن الهادي في الجوف ونقل إلى خيوان وقبر بها ورثاه الإمام الناصر بقوله :

قبر بخيوان حوى ماجداً منتخب الآباء عباسي
من يطعن الطّعنة خوارة كأنها طعنة حاس
قبر علي بن ابي جعفر منجدل كالجبل الراسي

ومكث بها أياماً ، ثم خرج منها غرة ذي القعدة من السنة الى موضع كانت بنو الحرث قد تحصّنت فيه بجبل يقال له اللواء فنازلهم الإمام وضايقهم حتى أجلاهم ، ثم تحول إلى حصن لبني الحرث يقال له بلاد حطّ بالقرب منه فأمر بهدمه وإحراقه ، وجعل يتتبع بني الحرث في السّهل والجبل ، ولما رأى ذلك ابن بسطام خاف الهلاك عليهم فصار الى ميناس ، وأرسل الى ابن حميد يأمره بالتغيّب ، فصار ابن حميد يصرخ بالناس في ارض زُبَيْد ونهد ، وأرسل الى الجوف فلم يجبه أحد .

مقتل ابن بسطام

لما رأى ابن بسطام ما حل من الخذلان بني الحرث أتى إلى الإمام يستأمنه لجماعة منهم ، فأمنهم الإمام ، وما زال يستأمن بني الحرث قبيلة قبيلة ، والإمام يؤمنهم ، وكانت بين ابن بسطام وبين يام والأحلاف تراث وذحول فساءها نفوذ ابن بسطام ووجاهته عند الامام ، ودَبّرت حيلة لاغتياله وقتلوه بقرية الهجر ولما علم الامام جمع الجنود وعزم على غزوهم للأخذ بثأر ابن بسطام ، فأرسلوا إليه وطلبوا منه التروي ، وقالوا انهم قتلوه بمن قتل منهم وكان ابن بسطام قد قتل ستة من الياميين والأحلاف ، فتوقف الإمام عن تأديبهم ومعاقبتهم لهذه الشبهة ، فآجتمعت بنو الحرث بميناس ، وزعَموا ان ابن بسطام قتل بأمر الإمام وارادته ،وانه المطلوب به قبل غيره فأنكر الإمام هذه التهمة وتبرأ منها ، وحلف لبني الحرث وغيرهم ، فأقتنع البعض ، وتشكك آخرون ، ثم انه أخذ جماعة من يام والأحلاف ، وحبسهم وأمر عامله أن يتولّى حسم المادة بينهم، ورجع إلى صعدة، وقد كان أبو جعفر قبل قتل ابن بسطام، طلب من الإمام أن يعفيه عن ولاية نجران ، لما يعلمه من غدرهم ومكرهم وتلوّنهم وصعوبة مقادتهم ، وانهم وان وضعوا السلاح عند الغلب ، لا يضعون الانتقام عند سنوح الفرصة ، فقال له الإمام : لا نحب أن نحمل عليك امراً تكرهه ، فاستخر الله في أمرك وانا نرجو ان لا تخالف ما أمرناك به إن شاء

الله فلما سمع جواب الإمام رجع عن فكرته ، ووطّن نفسه على الصبر حتى النهاية ، وكان يريد نقل حرمه وأولاده إلى الحَضْن فلما قتل ابن بسطام نهاه الإمام عن ذلك وقال له انه مما يوهن أمره ويطمع عدوّه فيه ، وأمره ان يترك عائلته في الدار التي كانوا فيها ، وقال له ان بني الحرث ان أرادت الحرب عليك فإنما يقصدون هذه الدّار اي التي كان فيها الإمام الهادي عليه السلام .

رجوع الإمام إلى صعدة وقتل عامله على نجران

تحرك الإمام من نجران في شهر ذي الحجة من سنة ٢٩٥ ، وترك من الجند ثلاثة وعشرين فارساً وخمسة وخمسين راجلاً بمعية عامله لإخضاع من تحدّثه نفسه بالتمرّد ، وقد أخذ العهود والمواثيق من بني عبد المدان على السمع والطاعة لعامله ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

ولما انقضت ايام عيد الأضحى ثار ابن حميد ومعه بنو الحرث، وكان عند علي بن محمد أولاده الثلاثة علي وجعفر والقاسم ، فأمرهم بالمصير إلى الحضن[1] فكرهوا فراقه ، وسألوه ان يخرج معهم فانهم لا يثقون ببني عبد المدان عليه ولا عليهم فلم يصغ إلى مقترحهم ، وقال : انه قد أخذ عليهم العهود والمواثيق وهو يرجو الا يغدروا به :

والمرتجون من ابن الشر خيرهم كمن يؤلف بين الذئب والضان

واقسم انه لا يخرج من القرية وفيه عرق ينبض بالحياة ، وأبت له نفسه العالية وشجاعته العلوية إلاّ الثبات والدفاع عن الحق إلى آخر نفس من انفاس الحياة .

وقد صدقت فراسة أولاده في بني عبد المدان ، فإنّهم لما جد الجدّ وحزّبت الحوازب مالؤا العدو عليه ونسوا كل عهد واستخفّوا بكل ميثاق فقد

---

(١) يتردد ذكر الحضن كثيراً وهي بالتحريك والضاد المعجمة قرية وضياع زراعية من اعمال بيش (انظر المعجم الجغرافي للعقيلي ص ٨٧) .

هاجم ابن حميد ومعه بنو الحرث قرية الهجر وغدر بنو عبد المدان وفي ذلك يقول ابو جعفر رحمه الله[1] :

غدرتم يا بني عبد المدان ... وكان الغدر من شيم الجبّان
حلفتم لي بإيمان غلاظ ... تخرّ لها الصّخور مع القنان
بانكم على نصري حراص ... غداة الرّوع في وهج الطعان
فلم توفوا بعهدكم وكنتم ... شراراً يا بني عبد المدان

بقي ابو جعفر في نفر قليل من خلص انصاره بقلوب يغمرها الإيمان بالله والرّضا بحكمه ، وقد أحاط بهم العدو من كل جهة ، ولم يبق أمامهم غير الفرار أو الموت (وهما أمران أحلاهما مُرّ) .

أبوا أن يفرُّوا والقنا في نحورهم ... ولم يرتقوا من خشية الموت سلّما
ولو أنهم فرُّوا لكانوا أعزة ... ولكن رأوا صبراً على الموت أحزما

وقد أشار عليه بعض أصحابه بالرّكوب فقال لهم : ليس هذا الوقت وقت ركوب ، ولكن أنزلوا معنا نجالد القوم عن أنفسنا وحرمنا ، حتى يحكم الله بيننا وبين عدوّنا ، وهو خير الحاكمين . ومضى قُدما بنفس هاشة ، ووجه طلق يهزأ بالخطوب ، ويحتقر الموت ولسان حاله تتمثل :

ردي حياض الرَّدى يا نفس واتركي ... حياض خوف الردى للشاء والنعم
ان لم اذرك على الأرماح سائلة ... فلا دعيت ابن أم المجد والكرم

وبعد عراك شديد تحصن ومن بقي من أصحابه بالدار التي كان فيها الإمام الهادي ، وجعلوا يجالدون القوم ويدافعون دفاع الليوث عن اشبالها ، حتى اقتحموا عليهم الدار من جميع جهاتها ، ورموهم بالنار والحجارة فلم يؤثر ذلك في نفوسهم ، وجعلوا يبرزون للقوم الرجل بعد الرجل ، فاذا ما قتل الأول سد مسده الآخر ، حتى أفضت النوبة إلى أميرهم البطل الأروع ،

---

(١) الأبيات في سيرة الهادي ص ٣٧١ .

فكانت معركة شديدة ثاروا عليه من كل جانب ، وهو ثابت كأنه خِنذيذة[1] من جبل يفلّ شباً عدوانهم ، بمن يُرْديه من أبطالهم فتلاءمت تلك الجموع وتلاحمت وقالت : انه الذّل والعار ، رجل واحد أشجاكم ، وبلغ مكروهكم وقتل رجالكم أجمعوا عليه ، ثم احملوا عليه حملة رجل واحد ، ففعلوا ، فلقيهم ذوي البيت ، ثم حمل عليهم وحملوا عليه ، ولم يزل يصاولهم حتى أعياهم ، فكمن له رجل وراء الباب وضربه في قفاه فسقط بينهم فحملوا عليه ووضعوا فيه سيوفهم فقطعوه واخذوا سلبه رحمه الله ورضي عنه :

فتى مات بين الضرب والطّعن ميتة ... تقوم مقام النصر إن فاته النّصر
وما مات حتى مات مضرب سيفه ... من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
وقد كان قوت الموت سهلاً فردّه ... إليه الحفاظ المرّ والخلق الوعر

ثم احتزوا رأسه وكان يرتجز الذي اجتز رأسه ويقول[2] :

شيخ لشيخ وصبي لصبي ... شفيت نفسي منك يا نسل علي
فلا أبالي بعدها ما حلّ بي ... من سخط الله ومن لعن النّبي

وطافوا به في بلدانهم وصلبوه على خشبة بقرية الهجر ، وأخذوا جثته وجثث أصحابه رحمهم الله ، والقوها في سطح الدّار التي قتلوا فيها ، وجعلوا يطؤونهم بحوافر خيولهم وعملوا بهم من ضروب التمثيل ما برهن عن تجردهم من كل عاطفة بشرية وانسلاخهم من كل معاني الانسانية ، ولم يكتفوا بما اجترموه من عار الغدر ونكث العهود وذل القسوة في التمثيل بقتلاهم ، حتى تجاوزوا ذلك واقترفوا أعظم جريمة ، وأشنع جريرة تتحاماها الجاهلية والاسلام ، وينكرها الخلق العربي والشمم اليعربي ، ومدوا أيديهم وشهروا سيوفهم القذرة على النساء والصبيان والأطفال فسلبوهن ، وأخذوا ما عليهن

---

(١) رأس الجبل.

(٢) هو ابو العوارم بن موسى القطين. انظر البيتين في سيرة الهادي ص ٣٧٨.

وتركوهن عوار لا يتوارين بقليل ولا كثير ، وما منهن إمرأة إلّا وقد نالها ضربة سيف ، أو رمية منهم ، وأخذوا صبيًّا ابن ستة اشهر ليضربوا به الجدار فلحقته أمّه واستنقذته بعد ان جرُّوه على الأرض وشجوه وأخذوا طفلة صغيرة لا يتجاوز عمرها أربعة أعوام فضربوها بالسَّيف ضربتين ، وفعلوا أفعالاً تنمّ عن روح جامحة متمرّدة تحفزها الذكريات ، الى دارسٍ بالٍ ، وعهود بالجما أيّام كعبة نجران ونشيد الرهبان[1] وقد قدمنا لك ايها القارىء ما فعله الإمام عندما دخل نجران أول مرّة مع أهل الذّمة ، وهم من النصارى كما سيأتي بيانه عند الكلام على نجران أيّام الإمام القاسم بن علي العياني ، ولو أن قدماء المؤرخين نظروا إلى الحوادث نظر استنتاج ، ولاحظوا احوال البيئة والوسط الذي عاشت فيه هذه الطائفة والظّروف الداخلية والخارجية التي كان لها أثرها في تكوين طباعهم وتلوين مشاربهم لظهرت النتيجة معلنة بما كان لدعاة النصرانية ، من يد في تأريث تلك النار ، ولكنهم اكتفوا بالنظر السَّطحي وتدوين الملاحم البشرية والمعارك الدموية ، فجاءت الثمرة ناقصة يعوزها النضوج ، والاكتمال ، وانظر إن شئت إلى هذه الحوادث الجلية[2] ذات الشأن في تاريخ اليمن ، تجدها شغلت معظم أيام اكبر الأئمة وأعلاهم شأناً ، وأخرت سير اصلاحه الديني والمدني كثيراً ، وكادت تقضي على بنيانه لولا عناية الله ، ومع ذلك فإنك لا تكاد تظفر بكلمة لكاتب يشير بها إلى السَّبب الحقيقي[3] ، والباعث الأول لوجود تلك المشاكل ، ومما يقوّي ما ذهبنا إليه من أن بعض قبائل نجران كانت تساق أو تتأثر بطقوس النَّصرانية ودعاتها ما جاء في قصيدة للإمام الهادي قالها لما تآمرت عليه نجران وبعض

---

(١) توسع المؤلف في خبر مقتل محمد بن عبيدالله العباسي نقلاً عن المصدر الذي ينقل عنه وهو سيرة الهادي وكان مؤلفه ابن القتيل كما ان مؤلف هذا الكتاب وهو الشهيد المطاع ينتمي في نسبه إلى العباسي المذكور فيعلم .

(٢) في الأصل الجلي .

(٣) في الأصل الحقيقي .

قبائل خولان ، فثار ابن عباد الاكيلي في صعدة كما تقدَّم ، وأول هذه القصيدة :

نام خدن الحرب من بعد الأرق واستلذّ العيش من بعد الشرَّق

ومنها :

جهلوا حربي وظنوا أنه أكلهم خبز النَّصارى بالمرق[1]

هذه نظرة عجلى في الموضوع وسنعود إليه في الكلام على نجران أيام الإمام القاسم إن شاء الله ، ولنعد إلى تتمة أخبار ابي جعفر محمد بن عبيدالله ، بعد قتله انتقلت عائلته الى دار محمد بن منجاب[2] المداني فقام هو وحرمه بأمر هذه العائلة أتم قيام ، وجمع الصبيان من أيدي شرار بني الحرث ، ومن جملتهم موسى ومحمد وعبيدالله وعمره عشر سنين ، فأرسل ابن حميد في طلبه وأمر ابن منجاب ان يأتيه به ليقتله فانكر ابن منجاب وجوده وحلف على ذلك ، ثم أتى نفر من أهل نجران الى ابن حميد وطلبوا منه جثة محمد بن عبدالله فوهبها لهم فأخذوها وكفنوها وصلّوا عليها ، ودفنوها بالقرب من قرية الهجر في موضع يقال له البلاط .

وها نحن نسجل كلمات الشكر لأولئك الرِّجال بعد مضي أكثر من عشرة قرون ونعد نفوسهم العالية من نوادر الطبيعة ، وأمثلة الابداع ، بذلك المجتمع الذي لا ترى فيه إلاَّ نفوساً متوحشة ، وضمائر منحرفة ، وطبائع ملتوية واتجاهات إلى غير غاية وبين تلك الأوشاب ، تظهر نفوساً تحلت بالرحمة ، وتجلت عليها آثار الرأفة وقلوباً مملوءة بالحنان ، وجناناً يحنو على البائس من بني الانسان ، فما أجدر تلك النّفوس بالشكر وأحقها بالثناء :

ما مات من نبل الرجال وفضلهم يحيا لدى التأريخ وهو عظام

---

(١) انظرها في سيرة الهادي ص ١٩٨ .

(٢) في مطبوعة السيرة سنجاب» .

وقد كان علي بن محمد أرسل إلى يام ووادعة ، يطلب منهم النصرة لأبيه ، فلم يجيبوه ، واعتذروا بفتنة بين عشائرهم، وبينما هو كذلك إذ وافته الانباء بقتل والده فعاد إلى الحضن وهو أيأس من غريق[1] وله في ذلك قصيدة رثى بها والده وذكر تخاذل الأقوام عنه أولها[2] :

منع الحزن مقلتيّ ان تناما ... وذرا الدَّمع من جفوني سجاما
يوم ناديت حي الاحلاف للنصر ... على مذحج ونـاديت يامـا
ودعونا للنصر بالوادعيين ... فلم ينصروا الأمير[3] الهماما
لا يجيبون صارخا قام يدعو ... يا لهمدان انصروا الاسلاما

ومنها :

قتلت حارث بن كعب شريفاً ... خير من وحّد الاله وصاما
قتلوه فأفحشوا القتل فيه ... حين اضحى لديهم مستظاما

إلى آخرها : وقد أجمل القول كاتب سيرة الإمام الهادي فيما كان بنجران بعد قتل محمد بن عبيدالله ، وأشار إلى أن آخر حروب الإمام كان بنجران ، وانه كان عليلاً من علته التي توفي منها ، وان العدو هاجم الإمام إلى الحضن ، فخرجت خيوله ، وكان مريضاً فلم يخرج ، ولما تراءت الخيلان كانت الحملة على أصحابه ، فولّوا مدبرين وقتل رجل من أصحابه يقال له يوسف بن حرب العبسي[4] ، وهو آخر شهيد استشهد مع الإمام الهادي ، ولم يكن له بعد ذلك قتال حتى توفي عليه السلام ، ولعلك قد عرفت ايها المطلع فيما أسلفناه أن قتل محمد بن عبيدالله كان في سنة ٢٩٦ ، وسيمر بك قريباً خبر وفاة الإمام في سنة ٢٩٨ ، ولعله لم يغز نجران إلاّ بعد

---

(١) مثل أورده الزمخشري في المستقصي ج ١ ص ٤٤٨ وكذا في الميداني .
(٢) القصيدة في السيرة ص ٣٨٣ .
(٣) في السيرة الأمين .
(٤) في السيرة يوسف بن ابي حرب العبسي .

سنتين من الحادث ، وانها وافته المنيّة قبل بلوغ الامنيّة والله أعلم .

أخبار القرامطة واستيلاء الإمام على صنعاء

ودخلت سنة ٢٩٧ في صفر منها خرج الطاغية بن فضل من المذيخرة قاصداً زبيد فدخلها بعد قتال وفرَّ صاحبها إلى المهجم فاستباحها وقتل من أهلها خلقاً كثيراً وسبى نساءها، وأقام بها سبعة أيام وعاد إلى المذيخرة ، وخلف بزبيد عاملاً من قبله ولكنه لم يلبث بها إلاَّ يسيراً وطرده صاحبها المنهزم عنها وفيها أظهر[١] القرمطي نحلته الاباحية المجوسية ، وأباح شرب الخمرة وسائر المنكرات وصرف الناس عن الحج .

وفيها بعث الإمام علي بن محمد بن عبيدالله العلوي في جماعة إلى صنعاء وكتب إلى الدَّعام ان يخرج معه ففعل وسارا حتى دخلا صنعاء يوم الخميس لأيام باقية من رجب وطردا عامل القرمطي وأصحابه واستقر علي بن محمد بها ، ثم ان الامام بعث ابنه ابا القاسم في جماعة من خولان وهمدان إلى صنعاء ولما وصلها ارسل الى مخلاف مقرا[٢] والهان[٣] وحراز وهوزن[٤] ، فدخلت جميعاً في طاعته ، وقتلت من دعاة القرامطة جماعة وامنت البلاد وتآلفت الرعية وبلغ ابن كبالة الخير وهو بتهامة ، فقدم حتى صار بالهان فمال إليه خلق كثير من الناس ، رغبة في الفساد وأرسل الى حراز من أخرج أصحاب الإمام ، فكتب ابو القاسم بما كان إلى والده الإمام فأمره بمفارقة صنعاء لئلاَّ يجمع حرب القرامطة وابن كباله فخرج من صنعاء في شوال سنة ٢٩٧ وبادرت القرامطة من شبام ، فدخلوها وأقاموا بها أربعة عشر يوماً ، ولم يجدوا بها أحداً ، وقدم جراح بن بشر من تهامة بعد خروج محمد بن الإمام

---

(١) هذه رواية صاحب سيرة الامام الهادي وهي الارجح عندي (ص) .

(٢) هو الاسم القديم لمغرب عنس من ذمار .

(٣) جبل في آنس .

(٤) من حراز .

من صنعاء ودخول القرامطة إليها فدخل إلى ناحية منها ، وخرجت عنها القرامطة لقلتهم، وقدم أيضاًأسعد بن أبي يعفر فاستقر بصنعاء ، وإليه مخاليفها ومعه جراح بن بشر ، وابن كبالة أقام بذمار ، وإليه مخاليفها .

ودخلت سنة ٢٩٨ فيها في ربيع الأول منها خرج اسعد بن أبي يعفر لحرب القرامطة فكانت بينهم حرب شديدة على درب شبام كان النّصر فيها لأسعد فدخل شبام بعد هزيمة القرامطة وأقام بها أيّاماً ، ثم أعادت القرامطة الكرة ونزلوا من بيت ذخار ، فانهزم أسعد ، وخرج من البلد ، وقتل عبد القاهر بن حمدان بن ابي يعفر ، وقدم ابن كبالة مُمدّاً لأسعد فدخلوا شبام ، وطردوا القرامطة عنها وطلعوا جبل ذخار ، وتم لهم طرد القرامطة عن الناحية ، وأقاما أيّاماً ثم انصرف ابن كبالة وبقي اسعد بشبام يتتبع القرامطة في الجبل أيّاماً ثم رجع إلى صنعاء وتخلى عن شبام من دون حرب ، ولا هزيمة ، فعادت إليها القرامطة وأخربوها .

وفاة الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام

فيها مات الإمام الهادي بصعدة يوم الأحد لعشر بقين من ذي الحجة من السنة ودفن يوم الإثنين قبل الزّوال بمسجده المشهور بصعدة ، ومولده بالمدينة المنورة ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام سنة ٢٤٥ وقد قدمنا كثيراً من ترجمته وأحواله وهو بلا شك ، أكبر مصلح أرتفع اسمه في أفق التاريخ اليمني ، ونال من الاحترام والحب في قلوب اليمنيين مكانة لم يتبؤها احد بحيث أصبحت آثاره وأعماله وصفاته العالية قبلة الأبصار ومهوى الافئدة ، وقد مر بك آثاره العلمية فإنه كان بمكانة عليا، من العلم والفضل والورع ومكارم الأخلاق والحلم والتواضع ، كثير الصفح والتجاوز عن سيئات النّاس وهفواتهم وفيما اسلفناه من الحوادث والماجريات المتعددة ما يشهد بصحة ذلك ، وناهيك بمعاملته لآل يعفر ومواليهم عندما رحل من شبام وهم إذ ذاك في سجنه ، وكلمة واحدة منه تكفي لإلْحاقهم بأمس الدابر ، وكان شجاعاً مقداماً

ثابت الجأش ماضي العزيمة :

يباشر في الحرب المنايا ولا يرى لمن لم يباشرها من الموت مهربا
اخو غمرات ما يوزع جـأشه اذا الموت بالموت ارتدى وتعصّبا

دائم الحـركة جم النشـاط قوي الشكيمـة عظيم الهمـة مقدراً لمسؤوليـة الحكم شديد الشعور بواجب الزعامة :

على خير ما كان الرجال خلاله ومـا الخيـر إلاَّ قسمـــة ونصيب

حـريصاً على مصـالح النـاس الدينيـة والدنيـوية كثيـر العنـايـة بشؤونهم الاجتماعية والاخلاقية كـان يصلي بالنـاس الجماعـة ثم يقعد لـلارشاد وفصـل الخصومات ، ثم ينهض فيـدور الأسواق والسكـك فإن رأى جـداراً مائـلاً أمر أهله باصلاحه، أو طريقاً فاسداً أو خلفاً مظلماً أمـر أهله ان يضيئوا فيـه للمار، وان رأى امرأة أمرها بالحجاب ،وإن كانت من القواعد أمرها بالتستر ومن آثـاره الاصلاحية إحداث البراقع للنساء باليمن ، وإلزامهن بذلك ، وكـان يقف على أهـل كل بضـاعة ويحـذرهم من الغش ويسعر لهم بضـاعتهم ، وينهـاهم عن التّظالم ، وكان يقول انما ورد النَّهي عن التسعير على أهل الوفاء وأهل التّقوى فإذا ظهرت الظلامات ، وجب على أوليـاء الله ان ينهوا عن الفسـاد كله ويردوا الحق إلى مـواضعه ، ويـزيحوا البـاطل من مكـانه ويـأخذوا على يـدي الظالم فيه .

كان يتفقد السجون بنفسه ويسأل عن ذنوب المسجـونين ، فمن كان في دين نظر في جدته أو إفلاسه ، ومن كان في ذنب تفقَّـد جرمـه وأمره ، وفحص عن احوالهم ، وكان رحيماً بالفقراء والأيتام، قـال كاتب مسيـرته : رأيتـه يَفُتّ الطعام للأيتام ويثروه بالسمن ثم يقول ادخلوهم ثم ينظر فمن كان فيهم ضعيفاً في المـأكل قـال : هذا مغبـون فيأكـل مع المسـاكين ، ثم يعزل لـه شيئاً ، قال : وكان لا يأكل حتى يطعم منه المساكين وكان يأمر صاحب بيت المال أن يطعم الطوافين من المساكين على قدر ما في بيت مالهم ، وكان يأمر بالكسـوة

لهم في كل وقت فيجعل للشتاء الصّوف ونحوه ولغير الشتاء ، ما يوافقه ، ويقول لكل زمان لباساً، وكان يكسو الرجال والنساء والصبيان . وكان كثير الاهتمام بأهل الذّمة والعناية بهم . فكان يقول لهم : من آذاكم فأعلموني به ، ومن اطلع على محرمكم أو تعرض لكم احللت به ما أحل بمن نكث عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم انتهى .

وكان عليه السلام صدوقاً ، لا يعرف شيئاً من دهاء الساسة ومكرهم ولذلك اشتدت عليه المحن وتنوّعت الرزايا ، وأمّا صرامته في الحق وزهده وورعه فقد قَدَّمنا لك أمثلة منها وحسبك ما مرّ .

وفي الزحيف[1] ما لفظه : قال علماؤنا انه لما قَرّر قواعد المذهب الشريف والدين الحنيف ، وقد كان في اليمن مذاهب مختلفة قرامطة وأباضية قوم من الخوارج ، وجبرية فاستأصل الله بحميد سعيه أكثر أهل تلك المذاهب الرديّة ، وأظهر مذهب العترة الزكية فامتلأت اليمن عدلاً وتوحيداً وارشاداً وتسديداً . انتهى .

قيام الإمام المرتضى محمد بن يحيى عليه السلام

بويع بالخلافة بوصيّة من الإمام الهادي في المحرم سنة ٢٩٩ وكان كثير العلم والعبادة زاهداً ورعاً فكاتب العمّال يأمرهم بالتحرّي على العدل وحسن السيرة واشتغل بحرب القرامطة ، إلى شهر ذي القعدة من تلك السنة . ثم انه جمع الجند وأعيان الناس وعاب عليهم أشياء انكرها وخطب فيهم خطبة بليغة، وتخلّى عن الإمامة ورفع عماله من خولان وهمدان ونجران، ولزم منزلة ، وأقام بعض بني عمه للنظر بين النّاس واستمرت الحال على ذلك إلى أن قدم أخوه احمد بن الهادي من الحجاز آخر ذي الحجة سنة ٣٠٠ فأقام مع

---

(١) يعني به كتاب مآثر الأسرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار شرح بسامة ابن الوزير تأليف العلامة محمد بن علي به يونس الزحيف المتوفي سنة ٩١٦ .

أخيه إلى صفر سنة ٣٠١ ثم اجتمع عليه الناس وبايعوه كما سيأتي .

بقية أخبار القرامطة والحرب بين الطاغية ابن فضل ومنصور بن حسن

لما توفي الإمام الهادي عليه السلام جمع أسعد بن أبي يعفر من قدر عليه ونهض بهم لحرب القرامطة الذين بشبام فطردهم عن الشبام، وأقام بها أياماً حتى وافته الأنباء بحركة الطاغية من المذيخرة نحو صنعاء فكرّ راجعاً ووصل ابن كبالة منهزماً من ذمار ودخل صنعاء.

وفي اليوم العاشر من المحرم سنة ٢٩٩ دخل ابن فضل صنعاء فهرب منها أسعد ، فلم يقم الطاغية فيها بل ترك فيها من يحفظها ، وسار إلى شبام ، وطلع بيت ذخار ، وخلع طاعة صاحبه المهدي وأراد من منصور بن حسن أن يخلع طاعة المهدي ، وينضم إليه فعاتبه منصور ولامه على تلك النّزعة ، فأجابه الطاغية أن لي بأبي سعيد الجنّابي أسوة ، إذ قد دعا إلى نفسه ، فلم يساعده منصور وتعكر الصفو بينهما ، وكان ابن فضل متهوراً سفاكاً طاغية ، فتوعّد صاحبه وبادر لخضد شكوته وإهلاكه ، في جيش كثيف ، فتَحصَّن منه منصور بجبل مسور ، ودارت بينهما عدة معارك قتل فيها كثير من الناس وطالت مدّة الحرب والنزال إلى ثمانية أشهر ولم يظفر أحد منهما بصاحبه ، وقد شق بهما الحال ، فأرسل منصور في طلب الصلح ، فأجابه الطاغية بشرط أن يرسل منصور ولده إليه ليقال انما تركه تفضلاً لا عجزاً فقبل منصور وأرسل ولده إليه فطوّقه ابن فضل بطوق من ذهب ، وسار به إلى صنعاء ودخلها لسبع ليال خلت من رمضان من السنة ، ونزل بالجامع الكبير ، هو وأصحابه فذبحوا وشربوا الخمور ولم يتعرضوا لأحد من أهل صنعاء ، ثم كر راجعاً إلى المذيخرة مبأة كفره ، وعش فجوره ، وكان أسعد قد ولّى علي بن الحسن الأقرعي على صنعاء ، وأقام بذمار ومعه ابن كبالة ، فاجتمعت إليه جماعة من مذحج وابن الروية المذحجي ووعدوه النصرة على القرامطة فبث اسعد عماله

على النواحي ، ومات ابن كبالة[1] بـذمار ، في ربيـع الأول من السنة ، وقـال الخزرجي[2] : إنّ اسعد وثب على ابن كبالة وقتله ، ثم انتقل الى كحلان لما بلغـه ان بعض رجال من كحـلان يكاتب القـرامـطة ، ثم ان ابن فضـل كـاتب اسعـد بن أبي يعفر ، ولاطفـه وولاّه على صنعاء ومخـاليفها فـدخلها أسعـد ، وبَثّ عماله على مخاليفها ، وخطب للطاغية ، وقطع خطبة بني عباس ، ولبس البياض وفيها قتل عبدالله ابن أبي الغارات المجيدي صاحب مخلاف المعـافر ابن ذي الطوق القرمطي وهو من أكبر قواد الطاغية .

ودخلت سنة ٣٠٠ فيها عظم نشاط القرامطة لبثّ الدعوة وأرسل الطاغيـة بقائدين من قوّاده فأمسكهمـا عامـل الحرمين الشـريفين[3] وضربهمـا بالسيـاط حتى هلكا .

وفيها تحرك ابن فضـل لمناجـزة ملاحظ بن عبـدالله[4] الرومي صـاحب زبيد ، ولما قرب من زبيد ، خرج ملاحظ منها بجميع من معـه ، وخرج أهـل البلاد أيضاً وتفرقوا في تهامة ، فدخلت القرامطة وليس بها أحد .

وفيها مال جراح بن بشر إلى القرامطة ، وكاتب ابن فضل فاستدعـاه ابن فضـل إليه وكـان في بلاد الشـرف فهرع لمـلاقاتـه ولما وصـل وادي مور لقيـه ملاحظ الرومي فقتله (ان الشقي وافـد البراجم) ثم عـاد ملاحظ إلى زبيـد وقد فارقها الطاغية ورجع أدراجه .

وفيها انتشرت النجوم بكثرة حتى أشفق الناس ، وفيها بعث أسعد بن أبي

---

(١) سيرة الامام الهادي .

(٢) العسجد المسبوك ص ٤٢ .

(٣) في غاية الأماني ص ٢٠٢ اسم هذا العامل عج بن ساج وفي سيرة الهادي ٤٠١ عج بن حاج.

(٤)سيرة الإمام الهادي ولم نقف على أول أمر هذا الرُّومي وفي أنباء الزمن انه نائب ابن زياد ، وقد سبق ذكر الدولة الزّيادية ونوابها فارجع إليه فانك غير واجد هذا الاسم أو النائب فتأمل .

يعفر أخاه عبدالله إلى ثاه من بلاد رداع فقبضها .

وفيها ظهر المذهب الشافعي في بلاد اليمن وكان الدَّاعي إليه في الجند ومخلاف جعفر عمر بن محمد الخراشي السكسكي ، وقيل إنه لم يظهر إلاَّ في المئة الرابعة[1] .

خلافة الإمام الناصر احمد بن يحيى عليه السلام

ودخلت سنة ٣٠١ فيها بايع المرتضى ابو القاسم محمد بن الإمام الهادي أخاه الإمام الناصر ، وقد ذكرنا تنازل المرتضى عن الخلافة ، وقدوم الناصر من الحجاز ، فاجتمعت خولان وسألوه القيام وبذلوا له السمع والطاعة ، وبايعوه على ذلك ، وأقبلت إليه أيضاً رجال همدان ونجران وبايعوه فبعث عماله على البلاد وشَمّر لحرب القرامطة الساق فكانت له فيهم فتكات عابسة ، ووقعات هائلة كما سيأتي بيانه إن شاء الله ، ولما أخذ البيعة على من حضر ركب في ذلك اليوم إلى صعدة القديمة واجتمع معه خلق كثير، قيل انهم ملؤا ما بين صعدة والغيل[2] ، وانشده شاعره ابراهيم ابن محمد التميمي[3] قصيدة أولها[4] :

عادات قلبك يوم البين أن يَجِبَا وان تراجع فيه الشوق والطربا

وهي طويلة ، ثم شاور الإمام النَّاصر خَولان في نهوضه الى الحجاز ، فجدّدوا له البيعة على السمع والطاعة ما بقوا على الأرض ، وبايعه ع لميم همدان احمد بن محمد بن الضحاك الحاشدي .

وفيها خالف أبناء الدعام أباهما وفارقاه ، ووثبا على غرق فبناها

---

(١) أنباء الزمن .

(٢) راجع اللآلىء المضيئة .

(٣) انظرها في ترجمة المذكور في مطلع البدور .

(٤) غرق بالتحريك سبف ذكرها وهي موضع بالجوف الاعلا .

وأخرباها ، وكان فيها[1] عاملاً للإمام فاخرجاه إلى المراشي[2] فنهض الإمام لتأديبهما في عسكر كثيف وطردهما إلى جبل نهم ، ثم اتجه إلى مراد لمطاردة الدَّعام فالتجأ إلى ملح من بلاد نهم، وبقي الإمام يتأثر آل الدَّعام فشردهم إلى أطراف البلاد ، واستعمل على غرق علي بن محمد بن عبيدالله[3] العلوي ، وعلى اثافت أخاه القاسم بن محمد بن عبيدالله ، وعلى نجران عبد الرحمن الأقرعي ، ثم ان ابني الدَّعام راسلا الطاغية ابن فضل ، وأمدهما بمال فخرجا إلى مطرة من بلاد عذر ، وهي من أطراف بلاد الإمام وكان منهما ما سيأتي ، وفيها قتل محمد بن الدعام بغرق قتله ابن عمه[4] ابراهيم بن ابراهيم .

ودخلت سنة ٣٠٢ فيها أغار عمّال الناصر على ابن الدَّعام فهزموه إلى خيوان وسار ابراهيم ابن الحسن في أثره فوصل إلى مرهبه ونهم ثم عاد إلى الإمام .

ودخلت سنة ٣٠٣ فيها مات ملاحظ صاحب زبيد وولّى بعده عبدالله ابن ابي الغارات ، ولم تطل أيامه فولي إبراهيم بن محمد الحرملي[5] .

وفيها سار الإمام الناصر إلى نجران لتفقد شؤونها فأقام بها أياماً وعاد إلى صعدة ولما استقر بها وافته الأنباء بظهور القرامطة في بلاد عذر والأهنوم وميل تلك القبائل إلى مذهبهم الخبيث ، وتظاهرهم بترك الصلاة وشرب الخمر ، وإتيان المنكرات جهرة ، فنهض الإمام إلى خيوان وأرسل أبا جعفر محمد بن

---

(١) في الأصل في .

(٢) المراشي : جبل مقابل نرط من جهة الشرق .

(٣) هو مصنف سيرة الإمام الهادي كما تقدم .

(٤) راجع سيرة الإمام الناصر ومع كذيل سيرة الإمام الهادي ولا ندري هل هي لمؤلف السيرة أم لغيره (ص) قلت سيرة الإمام الناصر من تأليف عبدالله بن عمر الهمداني وهو من الكتب المعقودة ينقل عنها الشرقي في اللآلىء المضيئة وابن ابي الرجال في مطلعه وغيرهما.

(٥) لم يذكر في سيرة الناصر من طرف من ولي اولئك ، وزاد صاحب انباء الزمن عند ذكر الحرملي به وكان من قواد السلطان.

الضحاك الهمداني ، إلى أصحابه من همدان ، وأهل عذر والأهنوم ، وظليمة ، وحجور ، لغمز قناتهم ومعرفة ما هم عليه فرجع ابو جعفر واخبره بتنكرهم ، فتحرك الإمام لمناجزتهم وسار إلى حجور ، ونزل بالبطنة فألقاه أهل عذر ، ثم تقدّم إلى السويق بجنود كثيرة وقابلته القرامطة فهزمهم وخضعت ظليمة والأهنوم ، وكان بين هاتين القبيلتين احقاد وحروب ، فأصلح الإمام بينهم واستأمن إليه من كان قرمطياً ، ثم سار إلى اثافت وأقام بها أياماً وعاد إلى صعدة واستعمل على اثافت الحسن بن احمد البعداني .

وكان الإمام الناصر ، قد أرسل بكتب دعوته إلى كثير من بلدان اليمن ، ولما وصلت دعوته إلى بلاد حجة ، لم يقبلوا عليها، ومزقها بعضهم فداهمتهم القرامطة ، ومزّقتهم كل ممزق ، وكان وصول القرامطة باستدعاء من أهل قدم لينصروهم على بني أعشب ، فهرعت القرامطة من جبل مسور ، ودخلوا حجة وقتلوا رئيسها عبدالله بن بديل الحجوري ، ونهبوها وعادوا أدراجهم بعد ان استعملوا رجلاً منهم على حجة ، ولم يلبث أهل قدم أن تورطوا في خلاف جديد مع أهل بجير[1] فعاودوا الاستنجاد بالقرامطة فأنجدوهم، ونشبت المعركة على حصن مدرج من بلاد الجبر ، فهزمت القرامطة أول الأمر ، ثم أعادت الكرة وعطفت على أهل الجبر فهزموهم ونهبوا بلادهم ، واخربوها ، وذبحوا الأطفال ، فاستنجدوا بالإمام الناصر وطلبوا منه العفو عما سبق فأنجدهم ، وكتب إلى أبي جعفر ابن الضحاك وأمره بالمسير معهم .

هلاك الطاغية علي بن الفضل القرمطي

وفيها هلك ابن فضل القرمطي مسموماً وكان الذي سمه رجل غريب قدم من بغداد ، وقيل من الحجاز ، وكان جراحياً[2] ماهراً اتصل بأسعد بن

---

(١) الحبر مقاطعة في مخلاف الشرف مربوطة بلواء حجة .

(٢) كذا في الأصل ولعله جراثحيا .

أبي يعفر ، فرأى من خوفه وقلقه من الطّاغية المذكور ، ما حفزه على المغامرة بنفسه ، والتطويح بها في سبيل انقاذ المسلمين من كبول طغيان ابن فضل باغتياله ، ولما صمم على ما أعتزمه أخبر أسعد بذلك العزم فرغبه أسعد ووعده المشاطرة فيما يملك ، فرحل الشريف إلى المذخيرة واختلط برجال الدولة ، ووضع لهم الأشربة ، وركب الأدوية ، ووصف لهم العقاقيرونحوها مما[1] تستدعيه حالة الترف ورغد العيش طبعاً ، ومكث يعاني هذه الصنعة بمهارة فائقة ، حتى نال شهرة عند رجال الدّولة ورفع خبره إلى الطاغية ، وكان قد اضطر إلى الفصد فطلبه ليقوم بعملية الفصد فافترص فرصة الاتصال بفريسته ودَسّ له السّم في مشرطه ، وما هو إلاّ ان فرغ من مهمته حتى ادرك الطاغية سِرّ عمله ، وأحسّ بمفعِل السم يجري لطرد روحه الشريرة من جسده الخبيث ، جريان النار في يابس الهشيم فأمر بطلب الشريف فأسرعت الجنود في البحث عنه ، وكان قد بارح تلك القرية الظالم أهلها، فأسرعوا في طلبه في الجهات الأربع ، وأدركه بعضهم بوادي السحول[2] ، فحاولوا القبض عليه فدافع عن نفسه حتى قتل رحمه الله وشالت نعامة [3]الطاغية ، عقيب ذلك منتصف ربيع الآخر سنة ٣٠٣ ودفن بالمذيخرة .

ونقل الزحيف عن كتاب كشف الأسرار وهتك الاستار عن محجوب الكفار للسيد يحيى بن القاسم[4] الحمزي إن سبب موته كان على يد السيد الشهيد

---

(١) في الأصل منما .

(٢) وله مشهد هناك يعرف بغرمات اسم الرجل .

(٣) يقال في المثل سالت نعامتهم :اي تفرقوا وذهبوا لأن النعامة موصوفة بالخفة وسرعة الذهاب والهرب ومنه قول صخرالفي :

دعاه صاحباه حين شاك نعامتهم وقد صفر القلوب

(٤) كذا ينسب المؤلف رحمه الله كتاب كشف الأسرار الى يحيى بن القاسم الحمزي المتوفي سنة ٦٦٦ (ترجمته في مطلع البدور) والمعروف ان هذا الكتاب من تأليف الفقيه محمد بن لمك الحمادي المتوفي نحو سنة ٤٧٠ وهو في كشف فضائح الباطنية وقد طبع عدة مرات. ولعل الذي أوقعه في هذا السهو مصدره الذي ينقل عنه وهو كتاب مآثر الأبرار للزحيف .

علي بن محمد الحسني رحمه الله ، فإنه باع نفسه من الله لما رأى أفعال عدو الله فأعمل الحيلة وتهيأ بهيئة طبيب عارف ، وأوهمه أن به علّة ان لم يفعل فيها ما يأمره هلك فأمره بفصد عزفين في رجله وفصده بمبضع مسموم بسم قاتل . فما مضى عليه إلّا القليل حتى بلغ الألم شغاف قلبه ، وهرب السيد بعد فصده حتى بلغ نقيل صيد فقتل هناك شهيداً ثم مات ابن فضل عقيب ذلك يوم الأربعاء للنصف من ربيع الآخر سنة ٣٠٣ انتهى .

وفي تتمة سيرة الإمام الهادي عليه السلام ، ما لفظه : وأصاب ابن فضل لعنه الله مرض في بدنه فتفجر من اسفل بطنه ، وأماته الله على اسوأ حال لعنه الله . ولم يذكر ما أشار إليه غيره من مؤرخي اليمن[١] ، ان قتله بالسم على يد الشريف ، وقد أشار إلى ذلك أبو الحسن علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح في رسالته التي كتبها إلى أبي العلاء المعري وضمنها عيوب الملاحدة ومذامهم جاء فيها : والصناديقي[٢] في اليمن ، فكانت جيوشه بالمذيخرة وسفهنة[٣] وخوطب بالربوبية[٤] ، وكوتب بها فكانت له دار إفاضة ، يجمع إليها نساء البلدة كلها ، ويدخل الرجال عليهن ليلاً قال من يوثق بخبره: دخلت إليها لأنظر ، فسمعت امرأة تقول : يا بني فقال يا أمه نريد أن نمضي أمر وليّ الله فينا ، وكان يقول إذا فعلتم هذا لم يتميَّز مال من مال ، ولا ولد من ولد، فتكونون كنفس[٥] واحدة فغزاه الحسني من صنعاء

---

(١) راجع تاريخ عمارة والجندي والخزرجي وقرة العيون وأنباء الزمن (ص) .

(٢) تسمية ابن فضل بالصناديقي لم نجده في غير رسالة ابن القارح (ص) .

(٣) سفهنة قرية من أعمال الجند وهي سهفنة بتقديم الفاء الموحدة على الهاء لا كما رسمها ابن القارح ، وتعرف الآن بالسفنة باسقاط الهاء الأولى (ص).

(٤) قال الخزرجي ان الطاغية كان يكتب عنوان كتابه إذا كتبه من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده فلان انتهى . ولكن رواية الثقة التي استند إليها ابن القارح عن الذي دخل دار الافاضة وسمع الخطاب الذي دار بين الولد وأمه يخالف ما ذكره فتأمل (ص) .

(٥) هذه عين الاشتراكية الشيوعية الروسية الآن (ص) .

فهـزمه ، وتحصَّن منـه في حصن هناك ، فـانفـذ إليـه الحسني طبيباً بمبضـغ مسموم، ففصده به فقتله انتهى .

ولقـد غلط ابن القارح كمـا ترى ، فـظن الحسني ملك صنعاء وانـه لَمَّا عجز عن القرمطي دسَّ إليه السّم بواسطة الطَّبيب ، ولما كانت هذه الرسالة قد طبعت ونشـرت ، وهي مشهورة اضطررنا إلَى الإشـارة إليهـا صـونـاً للحقيقـة التأريخية من التشويه .

وقال الأستاذ المعاصر عبدالله بن علي القصيمي في كتابـه «الصراع بين الاسـلام والوثنيـة» : ان هلاك الـطاغية المـذكور كـان بصنعـاء والصحيـح مـا قدمناه .

استئصال القرامطة وخراب المذيخرة

لمـا هلك الطاغيـة وبلغ أسعد بن أبي يعفـر بادر بـالنّهـوض من صنعـاء وجمع الجموع لاستئصال شافة القرامطة ، وقطع دابـرهم ، وكان قـد انتصب بعد الطاغية ولده الفأفأ ، فأساء السيرة في أصحاب والده ، وقتل منهم كثيرا ، ومـا عثم أسعد بن أبي يعفـر أن أناخ بجمـوعه على جبـل ثومـان ، وقد وافتـه القبائل اليمنية من كل صوب وحدب فشنّ بهم الغارات على مخلاف جعفـر ، وأغـار على الحصـون ، وكلمـا خـرج عليهم عسكـر من المـذيخـرة كسـرهم المسلمون حتى وهنت قوة القرامطة، وغـارت عزائمهم ، وأسعـد يشدّد عليهم الحصـار ويبـالـغ في التضييق إلى أن عجـزوا عن المقـاومـة ، ودخـل اسعـد المـذيخرة قهـراً بالسيف يـوم الخميس ، لسبع ليـال بقين من رجب سنة ٣٠٤ فكانت مدة الحصار والمنازلة سنة كاملة ، قال الجنـدي[1]: (قيل انـه لم ينزع اسعـد فيهـا درعـه ، ولم يـزل متقلداً لسيفـه ، وانقـطعت دولـة القـرامـطة من مخلاف جعفر ولم تزل المذيخرة خراباً الى عصرنا) .

---

(١) السلوك ج ١ ص٢٤٥ .

ولما دخلها اسعد نهب ما فيها وسبى جميع أهلها ، وقتل الفاً ابن علي بن فضل ، وجميع من ظفر به من خواصه وأهله ومن دخل في مذهبه ، ومن جملة السبي بنات الطاغية الثلاث أعطى إحداهن ابن أخيه قحطان بن عبدالله بن أبي يعفر ، فولدت له عبدالله بن قحطان الآتي ذكره ، وبقيّتهن لإثنتين من رؤساء أصحابه ، وقال في أنباء الزمن : ان اسعد أسر ابن علي بن فضل ، وأمر بضرب عنقه ومن معه من الأسرى ، وكانوا نيّفاً وعشرين رجلاً ، وبعث بالرؤوس إلى بغداد في شهر القعدة من هذه السنة واستخلف على أهل تلك الجهة إبراهيم بن اسماعيل بن العباس .

بقية أخبار الإمام الناصر

ودخلت سنة ٣٠٥ في المحرم منها نهض الإمام الناصر بعساكرّ كثيرة إلى حوث[١] لمناجزة القرامطة الذين بشظب ، وهم جموع كثيرة فوجّه الإمام لحربهم الغطريف بن أحمد الصائدي ومعه حمدان ، فانهزمت القرامطة من غير قتال وانتهب الجيش تلك الجهة ، وغنموا ما فيها من المغانم الواسعة ورجعوا إلى الإمام ، فعادت القرامطة تارة أخرى ، ودخلوا قرن الناعي وكان ابراهيم بن الضحاك في جبل شظب[٢] فحاربهم ثم كانت مهادنة بينهم وبين ابن الضحّاك .

وقعة نغاش

ودخلت سنة ٣٠٧ ، فيها كانت وقعة نغاش[٣] المشهورة قال في اللآلى المضيئة ما خلاصته : كانت آخر الوقعات وأهَمّها وقعة نغاش ، وكان قد أجتمع من القرامطة خلق كثير من المغارب وناحية تهامة ، وقائدهم يومئذ عبد الحميد بن محمد بن الحجاج صاحب مسور ، وندب الامام قواده وهم

(١) حوث : بلدة مشهورة من حاشد .

(٢) شظب : جبل واسع يطل على مركز السودة .

(٣) نغاش : بلدة في جبل عيال يزيد شمال عمران .

ابـراهيم ابن المحسِّن العلوي ، وابـو جعفـر احمـد بن محمـد بن الضحـاك وعبدالله بن عمر الهمداني[1] وعبدالله بن محمـد السعدي في ألف وسبعمـائة مقاتل ، وكان ابتدأ القتال لليلتين من شهر شعبـان سنة ٣٠٧ بمـوضع يقـال له بيت الـورد[2] فدامت المعـركة ، من صـلاة الظهـر إلى غـروب الشمس ، ثم وَلَّت القرامطة الأدبـار ، فنهض عسكر الإمـام إلى قصر محمـودي بالقـرب من نغاش ، وكان الغطريف الصائدي يرتجز ويقول[3] :

سيـدنـا النـاصـر بـاد علمـه مثـل الهـلال زينتـه انـجمـه
همـدان في كـل مغـار تقـدمـه طـرًّا وخـولان جميعـاً تخـدمـه
لا بـد من حصن اللُّعين نهـدمـه ونستحـل مـالـه ونـعـيـمـه
وفي غـد نبـصـر مـالا نعـلمـه من أخـد مال بـالقـران نقسمـه[4]
والحق فينـا لا يـجـور قلمـه

وأمسى جند الناصر على ماء الحمودي ليلة الثلاثاء وفي ذلك يقول راجز خولان :

نحن حمينـاكم وحـزنـا القـطر مـا الحمـودي يضـرب قسـرا[5]

ومنـه تقدمـوا الى نغاش ، وهنـاك التقى الجمعان واصـطدم الفريقـان ، وحمى الـوطيس وقطفت الـرؤوس ، ودارت بالحتـوف الكؤوس فاستحـر القتل في القـرامطة ، وهبَّت ريـح النَّصر مـع أصحاب الإمـام ، وكان قـد انتظم في الجيش القـرمطي ، جـلّ قبائـل بلاد حجـة وحجور وحفـاش وملحان والضلع ومسـور ، وغيـرهم ، ورئسهم عبـد الحميـد المـذكـور فصـار الجميـع جـزراً

---

(١) هو مؤلف سيرة الإمام الناصر .
(٢) قرية في عزلة الاشمور من فضاء عمران .
(٣) الرجز في الحدائق الوردية ج ١ ص ٥٠ .
(٤) في الحدائق القرار وهي نسخة خطية مصورة .
(٥) انظره مع تمامه في الحدائق ص ٥٠ .

لأصحاب الإمام ، وباء الباقون بهزيمة فاضحة ، قطعت دابرهم وأخمدت نيران طغيانهم ، قيل ان عدد القتلى منهم تزيد على خمسة آلاف قتيل ، وفقد من دعاتهم واهل الرِّياسة منهم ثمانية وأربعون داعياً ، وقال السيد صارم الدين في بسَّامته :

وكان يوم نغاش منه ملحمة ... على القرامط لم تبقِ ولم تذر
وعدّ سبعة آلاف مضوا عجلا ... حصائداً بين مرمي ومجتزر
وبالمصانع أخرى منه تشبهها ... حلّت عُرى الشرك من كوني ومن قدر[1]

ولم يقتل من أصحاب الإمام سوى رجل واحد ، وافلت عبد الحميد بن محمد وفرَّ إلى حلملم[2] واستقر بها ، وتفرق فلول عسكره شذراً مذر ، وفي ذلك يقول عبدالله بن احمد التميمي[3] في أرجوزته[4] : التي أولها (عوجا خليلي أوان الموسم) ومنها :

القرمطي ذي الضلال المجرم ... عبد الحميد ذي الفعال المؤثم
إذ فرّ لا يقصر عن حلملم ... وخلّف الدعاة لحم الوضم

فكتبوا الى الإمام بخبر هذه الوقعة وبما جازوه من النّصر العظيم ، فعاد جوابه بالحثّ على متابعة القرامطة ، وترسم آثارهم ومطاردتهم فنهض الجند الإمامي ، فهرب عبد الحميد ومن معه إلى جبل مَوْتك[5] فدخل جند الإمام حلملم ، فأحرقوها واستولوا على ما فيها ، وطلع عبد الحميد إلى جبل مدع

---

(١) تقدم الكلام على كوني واما قدري فلم نجد في النحلة الديصانية معناه ، ولعلّه من خرافات القرامطة ان المراد به قدري نسبه إلى القدر ولكنه بعيد (ص) .

(٢) حلملم : قرية من عزلة الأشحور السابق ذكرها .

(٣) من الشعراء العلماء كان معاصراً للهادي وولده الناصر وله شعر اورده ابن ابي الرجال في مطلع البدور (خ) .

(٤) انظرها كاملة في الحدائق ج ٢ ص ٥١ .

(٥) قال صاحب الحدائق الوردية موتك ويعرف الآن بميتك : وسيأتي في هذا التاريخ ان المراد به جبل مسور.

ثم نهض جند الإمام إلى المصانع وفيها كانت المعركة الثانية ، وفر منهم عبد الحميد إلى مسور ولم يزالوا في مطاردته ومحاربته والنصر حليفهم في كل معركة إلى ان داهمتهم الجنود الواصلة لنجدة عبد الحميد من حكومة زبيد وكان قد استغاث بهم ومنّاهم الأماني . قال في أنباء الزمن في حوادث سنة ٣٠٦ : ان الجند الإمامي قتلوا من هذه الفرقة الظالمة أمّة لا يحصرها العدد ، ولا ينتهي صاحبها إلى أمَد واستولت العساكر الإمامية على ما أجلبت به تلك الفرقة الغوية من سلاح وغيره ، وانهزم بقيتهم إلى سور بالخط الآخر ، فتبعهم جند الإمام وحاصروهم ، حتى روى ان الدماء سالت وسمع لها دوي كدوي السيل حتى أيقنوا بالهلاك ففزعوا إلى صاحب[1] زبيد، وطلبوا منه النصرة فلم يغن عنهم شيئاً غير أن الناصر عليه السلام رأى من المصلحة رفع المحطة عنهم وبهذه الوقعة انحلت عروة القرامطة ، وكسرت شوكتهم ، وخمدت نار فتنتهم والحمد لله رب العالمين ، وقال في تتمة سيرة الإمام الهادي: انه لما تضايقوا بالحصار ، كاتبوا الحرملي صاحب زبيد وارسلوا اليه بمال ، فارسل عسكراً في نصرتهم ، فلما بلغ ذلك احمد بن يحيى عليهما السلام كره حربه لئلاّ يقع عند السلطان انه يحارب قائده ، فينقطع الموسِمْ عما في بلاده من التجار) انتهى .

ثم قال في أنباء الزمن[2] بعد كلامه المتقدم : ودخلت سنة ٣٠٧ . وذكر وقعة نغاش في حوادث سنة ٣٠٦ ، وقد مر بك ما نقلناه عن اللآلىء المضيئة ، وفي سيرة الإمام الناصر ان انصراف جند الناصر من محاصرة مسور سنة ثمان وهو يؤيّد ما ذكرناه ، وفي الحدائق الورديّة[3] : ان وقعة نغاش سنة سبع ، وصرح أيضاً في انباء الزمن ان الإمام الناصر اشترك بنفسه في هذه

(١) تأمّل كيف اجمل العبارة صاحب أنباء الزمن ولم يصرح من هو صاحب زبيد كأنه لخط الأشكال المتقدم فلم يقطع بأنه ابن زياد ولا غيره .

(٢) غاية الأماني (مختصر أنباء الزمن) ص ٢١١ وقد أوردها في حوادث سنة ٤٠٦ .

(٣) الحدائق الوردية ص ٥١ .

الحـرب ، وهو غيـر صحيح ،والظاهـر صحّة مـا ذكرنـاه اعتمـاداً على مـا في سيرته :

ولم يذكر صاحب أنباء الـزمن ولا غيره شيئـاً من الحوادث التي من بعـد وقعة نغاش إلى سنة عشر .

وفاة الإمام المرتضى محمد بن يحيى عليه السلام

ودخلت سنة ٣١٠ في المحرم منها مات الإمام الزّاهد الورع أبو القاسم محمـد بن الإمام الهـادي إلى الحق عليهما السـلام ، ودفن بجنب والـده ولـه إثنتان وثلاثون سنة وكان في الزهد والورع والعلم والعمل بمكانـة عاليـة ، وله عدة مؤلفات منها كتاب الأصول في العدل والتّوحيد وكتـاب الإرادة والمشيئة ، وكتاب التوبة ، وكتاب الردّ على الروافض ، وكتاب فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام وكتاب الرد على القرامطة وغيرها .

ولـه من الولـد أبو محمـد القاسم واسمـاعيـل وابـراهيم وعلي وعبـدالله وموسى ويحيى ابو الحسين الخارج بالدَّيلم الملقب بالهادي ، الذي روى عن عمّـه كتاب الأحكـام والمنتخب[1] والحسن والحسين ، والعقب للمرتضى في جهات اليمن من ذرية عبـدالله بن المرتضى ، ومن في العـراق من ذرّية يحيى وهو ابو الحسين الخارج بالديلم [2] .

قال في أنباء الزمن ، بعد ذكر وفاة المـرتضى ما لفـظه : ولم يزل أخـوه الناصر مجاهداً للظالمين منابذاً للمعاندين، واستولى على كثير من البـلاد وسار إلى عدن[3] فدخلهـا في ثمانين ألفـاً نصفهم اهل قسي ، ودانت لـه أهل تلك

---

(١) الجدّة الهادي يحيى بن الحسين .

(٢) اللآلىء المضيئة .

(٣) وقد أطلت البحث في جميع المصادر المرجوة بأيدينا عمـا أشار إليـه السيد صـارم الدين بقـوله عند ذكر الإمام الناصر في البسامة :

النّاحية ، وخضعت له الرّقاب العاصية ، وفي هذه السّنة وقع حرب بين دهمة واختها وائلة بني شاكر قتل فيها ثلثمائة رجل بسبب جار لوائلة قتلته دهمة .

ودخلت سنة ٣١١ لم يتفق فيها ما ينبغي ذكره عن اليمن وذكر كذلك عدة سنين الى سنة ٣٢٢ قال وفيها مات الإمام الناصر .

ودخلت سنة ٣٢٢ فيها وقعت فتنة بين الاكيليين والبرسميين والصنعانيين بصعدة ومال أهل صنعاء الى الاكيليين ، فلزم احمد بن يحيى عليه السلام منزله ومال عليه العشيون واليرسميون ، وكاتبوا حسّان بن عثمان بن أحمد بن يعفر . وكان مقيماً بغرق، واستدعوه فصار إلى برط وأعطاهم مالاً كان معه وسار الى بني الحرث بنجران في شهر ربيع الآخر من هذه السنة ، وأتى جماعة من خولان ممن لا يعامله إلى أحمد بن يحيى فسألوه القيام وعاتبوه على ما كان منهم فبايعوه وحلفوا له ، ووصلت كتب من همدان والأحلاف يستدعونه فنهض إليهم يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى من هذه السنة فصار إلى الأحلاف ونزل براحة واعتلّ علة شديدة[1] .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

= ودوخ اليمن الاقصى الى عدن مع الجبال كبعدان وكالشّعر

فلم نجد عن تفاصيل هاتيك الملاحم ما يستحق التّصدير ، وغاية ما هنالك ما رواه صاحب أنباء الزمن في حوادث سنة ٣١٠ الكلام المتقدم ، وكذلك الخزرجي والديبع في قرة العيون والشرفي اللآلىء والزحيف في شرحه والكبسي وغيره كلهم يشير بكلمة اجمالية ، كما فعل صاحب أنباء الزمن ، أما في سيرته فلم يتكلم عنها . ويقول الشرفي في وقعة نغاش انها كانت آخر الوقعات وأهمها ، ويقول عن الجيش الذي جمعه الإمام، انه ألف وسبعمائة ولا شك ان تلك الوقعة من أكبر الوقعات ، وأما انها آخر فمشكل لما ذكره صاحب البسامة وأنباء الزمن وغيرهما ، والشرفي ذكر دخوله عدن في شرح بيت البسامة بكلمة لجملة وذكر ان وقعة نغاش آخر الوقعات وأهمها ، عند ذكر نغاش فتأمّل.

(١) خبر فتنة الاكيليين وغيرهم منقولة من الملحق بسيرة الامام الهادي ، وقد نقلناها باللفظ تقريباً، ولم نقف على كيفية وصول حسان بن عثمان إلى غرق والحال انها من بلاد الإمام ، وقد ذكرنا ان مصنف سيرة الإمام الهادي تعملّ للإمام الناصر عليها .

حرب الباطن ومقتل الحسين بن الإمام الهادي

وفي اليوم الخامس من جمادى الآخرة كانت الحرب بين الإمام الناصر والأمير حسان بن عثمان . ولما كان الإمام عليلاً خرج عسكره ، ولا قائد له فلم يثبتوا وتفرقوا منهزمين وقتل الحسين بن الهادي وجماعة من أصحابه وانصرف كل إلى مكانه واشتدت علة أحمد بن يحيى فانصرف إلى صعدة[1] وفي انباء الزمن ان قتل الحسين والهادي كان بصعدة .

وفاة الإمام الناصر عليه السلام

لم تطل ايام الإمام بعد وصوله فقد توفي على الأثر لثماني عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ عن إحدى وعشرين سنة من ولايته ، وكان عليه السلام زاهداً ، ورعاً عالماً متبحراً له عدة مصنفات منها كتاب في التوحيد في غاية البيان والتهذيب ، وكتاب النجاة ثلاثة عشر جزءاً ، وكتاب مسائل الطبريين جزآن ، وكتاب أجاب به على الخوارج الاباضية ، وكتاب الدامغ أربعة أجزاء[2] .

وملك عليه السلام الجوفين ، فكانت له زراعة قوية فيها بلغ عدد البقر السود على حدها ثلاثمائة ثور أسود ، وزراعته بشط معين[3] ، وله من الولد القاسم أبو محمد والحسن وجعفر ويحيى وعلي ومن أولاده محمد الوارد إلى حلب ، وأحمد أعقب بحلب ومصر ، وغيرهما ومنهم أبو الفضل الرشيد بن أحمد ، وله ولد باليمن ، ومنهم الحسن قام بالأمر ، بعد أبيه الناصر ، ومنهم يحيى بن الناصر ، قاتل أخاه على الإمامة ، هكذا قال الشرفي في اللآلىء

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) راجع شرح البسامة للزحيف .

(٣) اللآلىء المضيئة (ص) ومعين بلده في الجنوب الشرقي من مدينة الحزم لمسافة ٥ ك.م اعلا وادي الجوف .

نقلاً عن ابن عنبة[1] ، وليس بصحيح فإن الحسن مات بعلاف[2] ، ولم يقتل كما سيأتي بيانه ، والقاسم المختار ، قتله ابن الضحاك بريدة وقد غفل الشرفي عن التنبيه على ذلك ، وفي الزحيق ان وفاة الإمام الناصر سنة ٣٢٥ .

تتمة أخبار ثورة قبائل صعدة

اشار صاحب أنباء الزمن إلى خبر ثورة القبائل الصعدية بكلمة واحدة سردها بعد خبر وفاة الإمام ، ثم قال والأقرب ان هذه الفتنة كانت قبل وفاة الناصر رحمه الله .

وقد اشار إلى هذه الفتنة وما جَرَّته من الأحداث الخزرجي في الجزء المخصوص بالتراجم[3] في ترجمة الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني صاحب الاكليل وصفة جزيرة العرب ، وذكر ان السبب في ذلك قصائده التي قالها من سجن الناصر ، مستنجداً بتلك القبائل، ومُسْتَفزّاً لحماستهم ، على الإمام وكان قد سجنه بسبب قصائده التي قالها في المفاضلة بين القحطانيين والعدنانيين (وعرَّض فيها بهجو الحسين بن علي بن الحسن بن القاسم الرسّي ، واحمد بن أبي الأسد السلمي[4] ، وأيوب بن محمد اليرسمي الفارسي ، وكان هؤلاء يتعصبون للعدنانيين على قبائل اليمن فانبرى للرد عليهم والمفاخرة بقومه فذكر خصومه أن في بعض قصائده الغض من الجناب المقدّس لسيد ولد آدم صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال صاحب اللآلىء المضيئة : وممن أسره الإمام النّاصر الحسن بن أحمد بن يعقوب الأرحَبي العبدي ، نسابة همدان ، وكان من أهل النصب والعداوة لأهل البيت عليهم السلام ، وكان كثير الإفترى في النسب مع معرفته به ، ومما قاله وهو في سجن الناصر عليه السلام بصعدة القصيدة المسماة

(١) ابن عنبة هو احمد بن علي مؤلف كتاب عمد الطالب في أنساب آل أبي طالب توفي سنة ٨٢٨ .
(٢) موضع قرب مكة .
(٣) وهو المعروف بكتاب طراز اعلام الزمن .
(٤) كذا في الأصل وفي بعض تراجمه الأسلمي .

الجار أولها :

خليلي اني مخبر فتخبرا بذلّة كهلان وحيرة حميرا
عذيري من قحطان اني مشتك عواديكما ظلما وخذلا فانكرا

إلى أن قال :

وأصبحت مأسوراً بأيدي معاشر رضاً لهم بأقبح ذا متذكرا
أظل أقاسي كل احمر ضيطر[1] زبانيةً حولى وكبلا مسمرا[2]

إلى آخرها ، وفي كتاب مطلع البدور[2] ومجمع البحور للقاضي احمد بن صالح بن أبي الرجال في ترجمة شيخ الزيدية العلامة ابو السعود بعد الكلام على نسب شيخ الزيدية المذكور قال : وقد عنّ هنا ذكر ابن الحائك مصنّف الإكليل ، وهو من علماء اليمن وقد تكلم فيه الإمام شرف الدين .

وقد ترجم له ياقوت الحموي والتكريتي[3] والسيوطي في بغية الوعاة قال : الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، هو الأوحد في عصره الفاضل على من سبقه المبرز على من لحقه ، لم يولد في اليمن مثله علماً وفهماً ولساناً وشعراً ورواية وفكراً ، واحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة، والغريب والشعر والأيام والسّير والمناقب والمثالب ، مع علوم العجم من النجوم والمساحة والهندسة ، والفلك ولد بصنعاء ونشأ بها ، ثم ارتحل وجاور بمكة وعاد فنزل بصعدة وهجا شعراءها فنسبوا إليه هجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فسجن وله تصانيف منها الإكليل في الأنساب ، وله ديوان نحو ستة مجلدات ، انتهى ما أردت نقله من البغية ، ثم قال بعد أن أورد كلام السيوطي هذا ، وذكر بعض مؤرخي أصحابنا في تأريخ له ان المذكور ، اعتقل لسيئات في دينه قيل بصعدة وقيل بصنعاء أيام النّاصر للحق بن الهادي ، وأيام أسعد بن أبي يعفر واستعان بأبي الحسن ابن القاسم المنصور

(١) انصح اللئيم العظيم الاست .

(٢) قلت الموجود في مطلع البدور (المخطوط الذي بحوزتي) البيت الأول فقط .

(٣) يحقق التكريتي المذكور ، ولعله يعني القفطي مؤلف طبقات النحاة .

من بني منصور اليمن ، ومنصور اليمن هو منصور ابن فرج بن حوشب ذكره القاضي النعمان[1] وغيره ، إلى أن قال : لهج ابن الحائك بتفضيل قبيلة قحطان على عدنان ، وحقّر ما عظم الله وتجاسر على انتقاص ما اصطفاه الله فمن ذلك قوله جواباً للكميت :

ألا يا دار لولا تنطقينا فانا سائلون ومخبرونا
بما قد غالنا من بعد هند وماذا من هواها قد لقينا

إلى آخرها .

وله قصيدة الجار انشأها وهو مسجون أولها (خليلي اني مخبر فتخبّرا) فحبسه الناصر للحق ، بيد أسعد بن أبي يعفر ، فلما كثر تهييج القحطانية دخل إلى فطيمة ، فطلبوا الشفاعة ، فأعلمهم انه لم يسجنه وان أسعد حبسه لجرم اجترمه إليه .

فركب الحسن بن محمد بن أبي العباس من أهل العشة[2] الى اسعد فأفهمه انه لا يخرجه إلاّ بأمر النّاصر فعادوا إلى الناصر فأغلظ لهم وخرجوا من عنده واظهروا الخلاف وقاول الحسن بن أبي العباس جمعاً من بني جماعة إلى أن قال : واستدعى حسان بن عثمان بن احمد بن يعفر وكان عدواً للناصر فكانت حروب ومن جملتها حرب الباطن ، وقد مضى ذكره انتهى .

قلت : وقد تناولت أقلام اليمنيين الهمداني نقداً وتفنيداً ونسبوا اليه وفرا من النقائص والملامات[3] وليس من غرضنا تحليل ما كتبوه ، فالشوط بطين وانما سقنا ما مرّ لعلاقته بثورة القبائل الصعدية وانتقاضهم على الإمام الناصر ، وما كان من الحوادث بعد ذلك ، فجلال التاريخ وعلوه إنما هما لما يستفيده

---

(١) من علماء الاسماعيلية وهو النعمان بن محمد وفاته سنة ٣٦٣ .

(٢) العشة : بلدة آهلة بالسكان من عزلة الأبقور ناحية سحار بصعدة .

(٣) قلت : ابو الحسن الهمداني مفخرة اليمن ولسانها وقد اصابه من رذاذ السياسية ما نهته ظلماً وزوراً فلما يعتد بقول منتقص حاقد .

الناظر فيه من آداب ، وأخلاق وتعاليم وسياسة ، وعرفان بمبادىء الأمور ومصائرها وتطورها . وضاحيها ليلاقي حلقات الوحدة التاريخية برباط وثيق ، وأما نزعة الفخر بالقبيلة والعصبية لها ، فنعرة سادت أيّام الأموية ، وما زالت تنمو وتترعرع ، حتى كان من أمرها ما كان بين عرب الأندلس وخراسان وسورية ، وغيرها من البلدان الاسلامية ، وكان لها شعراء ورؤساء يمثلون هذه النزعة السيئة ، ويثيرون وتري حقدها ويججمون[1] خامد جمرها .

ونال اليمن حظه من الوجهتين السياسية والأدبية أمّا الناحية الأدبية فظهرت في شعر الهمداني وفخرياته ونشوان بن سعيد الحميري وقصائده والدّامغات ومطولات دعبل ونحو ذلك .

وأما الوجهة السياسية ففي أعمال معن بن زايدة الشيباني ، وعقبة بن سالم أمير البحرين وعمان ، حيث قتل الأول من الحضرميين تعَصبًا لقومه من ربيعة ستة عشر الفا وهنّاه شاعره مروان ابن أبي حفصة[2] بقوله :

وطئت خدود الحضرميين وطأة بها ما بنوا من عثرة قد تضَعْضَعا
فأقعوا على الاستاه أقعاء معشر يرون اتباع الذل اولى وأنفعا

فجاذبه عقبة بن سالم عامل البحرين بقتل القيسيين تعصّبا[3] للقحطانيين وكيداً لمعن لما عمله في اليمن وأمثلة ذلك كثيرة .

دخول حسان بن عثمان الحوالي صعدة وقيام الإمام يحيى ابن الناصر وخلاف اخوته وما كان من الأحداث[4]

لما علم حسان بن عثمان بوفاة الإمام بادر بالنهوض إلى صعدة فخرج

---

(١) حجم النار أوقدها والجمر الجاحم الشديد الاشتعال (ص) .

(٢) هو مروان بن سليمان بن يحيى ولد سنة ١٠٥ وكان شاعراً عالي الطبقة قدم على معن بن زائدة ومدحه بقصائد عدة توفي سنة ١٨٢ .

(٣) راجع ما كتبه الاستاذ المعاصر احمد امين في كتابه ضحى الاسلام .

(٤) سيرة الإمام الناصر.

العلويون منها ، واستغاثوا بأسعد بن أبي يعفر وكان مالكاً لصنعاء ومخاليفها فكتب لهم إلى قبائل همدان وخولان ، وبلغ ذلك حسان فخرج منها إلى برط ، ودخل العلويون صعدة وبايعوا الحسن بن الناصر، فخرج أخوه القاسم بن الناصر الملقب بالمختار ، إلى همدان ، وجاذب أخاه أهداب الخلافة ، ودعا إلى نفسه ، وكان الحسن أيضاً ينازع أخاه يحيى زمام الزعامة ، ويريد تنفيذ احكام الإمامة ، فكانت بينهم حروب وفتن وبلايا ومحن[1] ، سنأتي على شرحها وتبيانها ، حتى قيل ان خراب صعدة القديمة ، كان على يد المختار وأخيه الحسن ، لكثرة ما كان بينهما من الفتن ، وتتابع المحن ، وما زالت أحوالهم متقلبة ، وأمورهم مضطربة إلى سنة ٣٣٠ .

خلاصة ما كان من الأحداث بين أولاد الناصر [2]

لما خرج المختار إلى همدان كما قدمنا انضمت إليه جموع كثيرة من همدان فنهض بهم إلى كانط[3] ، وفيها مظفر بن عليان بن الدعام فوقع الحرب بينه وبين جيش المختار ، فانهزم مظفر بن عليان ، وكان من أصحاب حسان بن عثمان ، وخرج من زيدة ، إلى غرق مدخل سنة ٣٢٣ ، وقيل ان مظفر بن عليان كان بزيدة ، وإنما أرسل جيشاً لمحاربة المختار فلما انهزموا رجعوا إليه إلى زيدة ثم انه خرج منها إلى غرق .

وفيها نهض حسان وقصد صعدة في بني الحرث ونهد وزبيد واستنفر من حوله من قبائل خولان وغيرهم فحاربه أهل صعدة محاربة شديدة ، وهزموه

---

(١) قلت : لعل هذه الحروب هي أول الحروب التي وقعت بين الأئمة انفسهم في سبيل الاستحواذ على الحكم وشغلت التاريخ اليمني بمعارك طاحنة أخذت الكثير من صفحات الكتب وجهد المؤرخين .

(٢) سيرة الإمام الناصر واللآلىء المضيئة .

(٣) قرية اثرية من عداد خارف حاشد على بعد ٨٠ ك.م من صنعاء شمالاً .

إلى نجران فأقام بالهجر ، والحرب بينه وبين حمدان نجران ، ثم عاد إلى برط .

ودخلت سنة ٣٢٤ فيها ظهر بالسرو[١] رجل يدّعي النبوءة ، فمال إليه من بقي من أصحاب ابن فضل ، فوجّه الأمير أسعد بن أبي يعفر العساكر والقواد إلى رداع ، ولم يزل بمدّعي النبوءة حيث أمسكه بلا عهد ولا أمان فحبسه حتى هلك من محبسه بعلّة الجدري .

وفيها وقع الخلاف بين المختار[٢] ، وأحمد بن محمد بن الضحاك فمال ابن الضحاك الى الحسن بن الناصر ، وكاتبه وأمده بمال ولما حصلت المواد[٣] لديه ، سار إلى قرقر وصار ابن الضحاك إلى ريدة ، وكاتب مظفر بن عليان وأمده بمال ، هو والحسن بن أحمد على أخيه فنهض مظفر من غرق ، وقد عامل من وثق بهم المختار ، فمكروا به ولم يعينوه ، وصار الضحاك إلى قرقر في لقاء مظفر ، فخرج القاسم بن احمد منها اقبح مخرج ، لثلاث باقية من شهر ربيع الآخر من السّنة ، فصار إلى بلد بني ربيعة ، ولم يتم ابن الضحاك لمظفر ما شرط له ، فكاتب القاسم بن احمد وعامله على أن يجعل له سهماً في بلده ، وحلف له وانصرف الى غرق ، وصار القاسم بن احمد إلى وَرْور ، ووقع بين القاسم وبين ابن الضحاك حرب بناحية مشرق هذّان بالقرب من أكانط في موضع يقال له قطوان وعسكر على القاسم بن أحمد ، أهل اكانط ، فوقعت الهزيمة على أصحابه ، وقتل منهم نفراً كثيراً وعاد إلى وَرْور في ربيع الأول سنة ٣٢٦ ، وجرى بينه وبين مظفر بن عليان مكاتبة ، حتى التقيا فأشار عليه مظفّر بن عليان بالرجوع إلى صعدة فصار إليها

---

(١) هو ما يعرف بمنطقة البيضاء ونواحيها وهو سرو مذحج وسرو حمير يافع ونواحيها .

(٢) اللآلىء المضيئة وانباء الزمن .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) أعدها الهمداني من مواطن بني الحارث في نجران انظر الصفة ص ٢٨٣ .

حتى وصل بلاد خولان ومكث بها أياماً وجرت بينه وبين أخيه الحسن مراسلة وكره الحسن دخوله صعدة ، فخرج الحسن إلى الغيل[1]، ولقي المختار في جماعة من بني سعد ويرسم[2] ، وغيرهم ، وأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمال اليه كثير من الناس ، واصطلح هو وأخوه وتحالفا وأقاما على ذلك أياماً ، ثم نهض القاسم إلى صعدة وقد عامل الحسن جماعة من السفهاء ، على إثارة الفتنة مع دخول أخيه البلد ، ففعلوا ذلك وقتلوا رجلاً ، من أصحاب المختار ، وهاجت الحرب من الصبح إلى المغرب ، قتل فيها ثمانية رجال ، ثم أمر القاسم المختار أصحابه بالكف عن أموال الناس ، وبات على ظهر فرسه تلك الليلة حتى أتاه المخالفون يطلبون الأمان ، فأمنهم وسكنت الفتنة ، وظهر للنّاس نكث العهد من الحسن ، فمالوا عنه إلى أخيه القاسم المختار ، وشكروه على صبره فسار فيهم أحسن سيرة ، وشدّد على السفهاء ، ولما علم الحسن انه قد ظهر أمره للناس ، وتحقق عندهم غدره خاف على نفسه ، فخرج إلى بني سعد ثم سار الى خيوان ، وكاتب ابن الضحاك[3] ، فاتّفقا على محاربة المختار ، واستعانا بحسان بن عثمان ، واتفقوا على المسير إلى صعدة في يوم معين فمرض حسان في ذلك اليوم ، فانتقض ما كانوا ابرموه ، وبعد أيام عامل الحسن وابن الضحاك جماعة من بني كليب وبني جماعة ، على نهب صعدة ، فدخلوها وانضم إليهم من أهل صعدة من كان مائلاً إلى الحسن وغيرهم من السفهاء ، ووقعت الحرب بينهم ، وبين أصحاب المختار ، واستمرت ثلاثة أيام ، ثم مالوا إلى خديعة المختار ، فطلبوا الصُّلح على أن يخرج من صعدة حتى تسكن الفتنة ، فأجابهم إلى ذلك ، فلما افترق أصحابه اعادوا الحرب ، فانهزم إلى الغيل ، وتمكن القوم

---

(١) قرية خربة في صعدة .

(٢) يرسم : ارض في الغرب من صعدة بمسافة نحو ميل .

(٣) هو احمد بن محمد السابق ذكره .

من صعدة فنهبوها نهباً شديداً ، وقتلوا من أهلها وسبوا وفعلوا بهم أعظم من فعل القرامطة ، وخرج أكثر أهل صعدة عنها ، ثم ان المختار جمع القبائل من نجران ووائلة ودهمة وبنى سليمان ، فاجتمع إليه عسكر عظيم فسار بهم إلى صعدة وحارب المتغلّبين عليها محاربة شديدة ، كانت الدائرة على المتغلّبين ، وكان الحسن بن الناصر فيهم ، كأحدهم ليس له من الأمر شيء إلاّ إثارة الفتنة ، وصاح صائحهم يطلب الأمان ، فلم يجبهم المختار إلى ذلك وأمسى وقد أحاط بهم ، وعلموا أنه داخل عليهم فكسروا جانباً من القرية ، وهربوا منه ، ولم يعلم بمخرجهم إلاّ آخر الليل، ودخلت القرية ، فوجد فيها من أموال النّاس مالا يوقف عليه[1] ، وخربت منازلهم ، وصاروا إلى علاف فخرج الهيصم بن عباد الأكيلي قائد بني كليب إلى ابن الضحاك ، صاحب ريدة يستنجده على المختار فخرج ابن الضحاك معه ، وانضم إليهم الحسن بن الناصر ، فكانت بينهم وبين المختار معركة قتل فيها من الفريقين سبعة عشر رجلاً ، واختلّ على المختار بعض من كان معه فانهزم الى العشة من صعدة ، فدخلها القوم وانتهبوها وأقاموا بها ثلاثة أيام ، ثم صاروا إلى علافٌ وسار الحسن معهم خوفاً من أخيه المختار ، ورجع ابن الضحاك إلى ريدة ، وعاد المختار إلى صعدة فلبث بها أياماً ، وقد تفرق أهلها ، ونالهم الضرّ من أثر ما وقع .

ودخلت سنة ٣٢٧ فيها نهضَ ابن الضحاك من ريدة ومعه عسكر من همدان لحرب القاسم المختار ، فوصل علاف واتفق بالأكيليين ، وراسل بني سعد كلها ، وطلب منهم ان يصطلحوا ويولوا الحسن بن احمد فكرهوا ذلك ، وجعلوا بينهم هدنة لمدة سنتين على ان يعزلوا الأخوين الحسن والقاسم عن الأمر ، وصار ابن الضحاك إلى صعدة ، ولم يقع بينهم حرب ومكث بها مدّة وأمر بهدم الحصن الذي بناه النّاصر عليه السلام ، وكانت صعدة يومئذ خالية

---

(١) انباء الزمن واللآلىء المضيئة .

من التجار ، وأهل اليسار ، قد تفرّقوا أيدي سبا وذهبوا تحت كل كوكب ، فجعل ابن الضحاك على من بقي من تجارها ضريبة المكس[1] فنفروا من البلدة وتركوها (أقفر من جوف حمار[2] فأرسلت بنو سعد إلى ابن الضحاك انك قد أحدثت في البلد[3] أحداثاً واجتمعوا إلى القاسم المختار ، فنهض بهم ، وبمن أجابه من شاكر وأهل نجران ، وبلغ الأكيليين وابن الضَّحاك حركة القاسم ، فخرجوا من البلد وصاروا إلى علاف ، ومعهم الحسن وصار القاسم المختار إلى «الغيل» فاتفقوا على قصد المختار إلى الغيل ، فخرج القاسم ، بمن معه ، وكانت الحرب بينهم ، فقتل جماعة من أصحاب ابن الضحاك ، وانهزم الباقون إلى علاف ،وأسر منهم جماعة ، فمنَّ عليهم المختار ، ورَدّهم إلى ابن الضحاك ولم يزل ابن الضحاك بعلاف ينتظر اجتماع عشائره لاستئناف القتال حتى بلغه وفاة ولده قيس بن احمد ، وكان قد استخلفه على ريدة فترك علاف وعاد إلى ريدة .

واعتل الحسن بن أحمد بعلاف ، ومات يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٣٢٧ . ودفن بعلاف ، وثبت القاسم المختار إلى شهر ربيع الآخر فاستنهض الاكيليون إبن الضحاك ، فخرج معهم إلى علاف ، وكاتب بني سعد ، ثم نهض فحاربه اليرسميون ، وقتل منهم ودخل شق يرسم مخربه ، ومالت بنو سعد عن القاسم ، فخرج عنهم وصار اخوه يحيى بن احمد إلى الغيل ، فلزمه ، وانصرف ابن الضحاك الى ريدة ، وعاد الأكيليون إلى علاف ، فأقام يحيى بن احمد في الغيل ، ولم يعد إليه أحد من

---

(١) المكس : هو ما يأخذه اعوان السلطان ظلما عند البيع والشراء وانشد :

وفي كل أسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرء مكس

وفي الحديث لا يدخل صاحب مكس الجنة .

(٢) يقال في الأمثال اخلى من جوف حمار لأنه اذا اصيب الحمار الوحشي لم ينتفع بما في جوفه ولكن يرمي به انظر «الحيوان في الأدب العربي» ج ١ ص ٣٠٦ .

(٣) كذا في الأصل ولعله يريد «بلدا» فسهى عنه .

التجار ، ومضى القاسم إلى غيل جلاجل[1] فاستنصر بابن عمر السنحاني ووادعة ، فخرج معه منهم ألف رجل وخمسمائة راكب ، ولقيته سعد كلها ودخل البلد وانصرف اخوه يحيى الى علاف :

هذه خلاصة ما عثرنا عليه من أخبار أولاد الإمام النَّاصر الثَّلاثة منقولة من (انباء الزمن) و (اللآلىء المضيئة) و (ملحق سيرة الإمام الهادي) وقال في (اللآلىء)[2] بعد أن أورد أبيات البسامة التي أشار فيها إلى يحيى بن الناصر بقوله :

ولابنه الماجد المنصور ما سمحت بقود ذى لجب كالبحر معتكر

ما لفظه : هؤلاء ثلاثة أئمة ذكرهم السيد رحمه الله (اي صاحب البسامة) لم يذكرهم الإمام المهدي عليه السلام في البحر[3] ولا الحاكم[4] في شرح العيون الأول المنصور يحيى بن أحمد بن الهادي عليه السلام مات في شهر محرم سنة ٣٧٦[5] وقبر في مشهد الهادي بصعدة ، قال السيد : كان من أعلام الأئمة وهداة هذه الأمة ، وله مسائل يذكر فيها عن أبيه وجدِّه ، ويكثر الرِّواية عن عمه المرتضى ، وعارضه أخوه القاسم ، وهو المسمى بالمختار ، وأخوه الحسن بن الناصر ، وكان خراب صعدة القديمة على يدي الحسن هذا ، وأخيه المختار سنة ٣٢٧ ، ثم توفي الحسن بعد ذلك في شوال هذه السنة . وأسر أخوه المختار في سنة ٣٤٥ ذكر ذلك في تأريخ صنعاء الصغير[6] : انتهى .

---

(١) بضم الجيم بلدة وغيل في وادعة الشمال الغربي من صعدة.

(٢) يعني اللآلىء المضيئة السابق ذكرها .

(٣) يعني مقدمة البحر وهي الرسالة المعنونة بيواقيت السير .

(٤) هو الحاكم الجشمي المتوفي سنة ٤٩٤ وكتابه المشار إليه فيه فصل عن التاريخ وطبقات المعتزلة .

(٥) سيأتي ان وفاته قبل هذا التاريخ (ص) قلت في اتحاف المهتدين للمؤرخ زبارة ص ٤٦ وفاته سنة ٣٦٦ فيحقق .

(٦) هذا الكلام الشرفي في اللآلىء المضيئة ولعله بتاريخ صنعاء الصَّغير كتاب اسحق بن يحيى بن =

وفاة الأمير أسعد بن أبي يعفر الحوالي

ودخلت سنة ٣٣١ فيها مات الأمير اسعد بن أبي يعفر الحوالي الحميري في كحلان وحمل في تابوب إلى شاهرة[١] ضلع التي حبسها على جامع صنعاء الكبير ، ودفن بها ، وكان رحمه الله عالي النفس ، كبير الهمة حسن العقيدة ، مقداماً ، لقيت منه القرامطة مماحكة شديدة ، أطاش بها سهامهم ، وزلزل أقدامهم في عدة وقعات ، ولم يزل بهم حتى بدَّدَ شملهم ، وفرقهم عباديد[٢] وخرب ديارهم ، وأزال خضراءهم[٣] وعفراءهم ، بوقعة المذيخرة السالفة الذكر ، وبها قرضهم آخر الدَّهر من المخلاف الأخضر[٤] ، وامتد نفوذه وشمل سلطانه بمخلافي صنعاء والجند وأعمالهما ، وبقيت مسور وبلاده بيد منصور بن حسن وصعدة وأعمالها بيد أولاد الإمام الناصر وابن الضحاك ، وحسان بن عثمان كما مرَّ .

وقد حفظ لنا التاريخ نتفاً ضئيلة جداً من أخبار آل يعفر لكنها تنم عن حصافة ورجاحة ، ولا سيما الأمير أسعد فإنه ظهر وسلطة مواليهم عليهم[٥] قاهرة ، فقضى على المشاغبين والمواثبين لدولتهم من الموالي والقرامطة واسترجع ما اغتصبته الموالي ومحقته القرامطة .

وكان الإمام الهادي قد منّ على أسعد ، وأطلقه من سجن شبام ، فلم

= جرير الصنعاني وهو من الكتب المعقودة أما تاريخ صنعاء للرازي فلا شيء فيه يتعلق بالحوادث المتأخرة إلا نادراً .

(١) قرية في ضلاع همدان شمالي صنعاء بمسافة ١٥ ك.م وبها قبر عبدالله بن قحطان احد سلاطين بني يعفر .

(٢) اي اشتاتا .

(٣) يقال : اباد الله خضراءهم أي سوادهم وجمعهم وغضراهم اي خبزهم وغضارتهم .

(٤) يعني لواء إب .

(٥) راجع ما تقدم عند ظهور الامام الهادي عليه السلام وما بعده (ص) .

يجحد هذه المنّة للإمام وحَسْبك ما عمله[1] مع الإمام المرتضى لما خرج من الحبس وأسعد في سلطان ومنعة ، والإمام المرتضى كالأسير بين أولئك ، فعامله أسعد معاملة رفق وكرم ، ولم يزل حريصاً على موالاة الإمام الهادي وأولاده ، حتى الممات ، وقد وصفه كثير من مؤرخي الآل بكرم الطّباع وسلامة المعتقد.

قال الخزرجي واستولى الأمير اسعد على البلاد[2] في رجب سنة ٣٠٤ وفي أيامه قدم الوزير على زعيس الجراح من العراق ، فأقام بصنعاء على أوفى كرامة ، وقدم له مالاً جزيلاً ، فرجع الوزير إلى بغداد ، وهو من الشاكرين لأسعد بن أبي يعفر وعمل على رفع الخراج عن اليمن فجزاه الله خيراً[3] وتولى بعده أبو يعفر سبعة أشهر ، ثم ولى عبدالله بن قحطان بن عبدالله بن أبي يعفر ، وهو الذي أمّه معاذة بنت علي بن فضل ، وكانت وفاته في ربيع الأول سنة ٣٥٢، وكانت له وقعات مشهورة منها أن أبا يعقوب المحابي[4] وازر الحسين بن سلامة على قتال بني الحوالي فالتقوا للحرب في اليوم السادس عشر من شوال سنة ٣٤٠ ، فقتل منهم مقتلة عظيمة نحواً من ألفي رجل وكانت الدائرة على أبي يعقوب المحَابي وهو من جهة الحسين بن سلامة والله أعلم[5] .

---

(١) راجع سيرة الامام الهادي (ص) .

(٢) المراد ما استولى عليه بعد هلاك ابن فضل (ص) .

(٣) العسجد المسبوك ص ٤٣ وقرة العيون ج ١ ص ٢٠٩ .

(٤) في الأصل المخائي والاصلاح من كتب التاريخ .

(٥) هذه رواية الخزرجي وقد نقلها عنه صاحب اللآلىء وغيره ، وهي تخالف ما سبق فان الحسين بن سلامة ، لم يكن قد وجد في سنة ٣٤٢ وسيأتي ما يخالف هذه الرواية ويدل على ان محاربة عبدالله بن قحطان كانت لأبي الجيش إسحاق بن ابراهيم سنة ٣٧٩ (ص) .

هلاك منصور بن حسن ومقام الشاوري وقتله وما كان من الأحداث

ودخلت سنة ٣٣٢ فيها هلك منصور بن حسن داعية المهدي العبيدي ، ويلقب بمنصور اليمن ، وقد أشرنا إلى نسبه وكيفيّة خروجه في السنة التي خرج فيها ، وكان على جانب من الدهاء والفطنة ميّالاً إلى الدّعة محبًّا للمسالمة ، استمر على عهده لمولاه لم يطمح إلى ما طمح إليه رفيقه الطاغية ابن فضل، وفي سبيل المحافظة على العهد والثبات على المبدأ، اشتبك في حروب مع ابن فضل فحاصره، ونازله مدة ليست بالقصيرة كما تقدم واستمر على ما بيده من البلاد ، إلى أن مات ، وعهد إلى ابنه الحسن بن منصور ، وإلى رجل من أصحابه يقال له : عبدالله الشاوري كان خصيصاً به ، وحضّهما على السمع والطاعة لمولاه المهدي والمحافظة على المذهب ، والدعاية إليه وأمرهما بالكتابة إلى المهدي فيمن يتولى ذلك المنصب فكتب الشاوري وبعث حسن بن منصور بهدية وبالكتاب إلى القيروان وكان المهدي قد عرف الشاوري أيّام منصور ، وكان حسن بن منصور يرجو أن توسّد إليه الرياسة ، فخاب أمله ورجع بخفيّ حنين[1] فإن المهدي امر الشاوري بالاستقلال وبعث إليه بتسع رايات ، فعزم حسن بن منصور على الإنتقام لنفسه ، وأخذ الإمارة نهباً واغتصاباً ، وكان الشاوري يجلّ أولاد منصور ، ولا يحتجب عنهم ، فدخل عليه الحسن في بعض غفلاته فقتله ، وقعد على سريره ، وتتبع أصحاب الشاوري وكل من يدين بالقرامطة قتلاً وتشريداً ، وأعلن للناس رجوعه عن معتقد ابيه وانخراطه في عداد أهل السنة والجماعة ، فدانت له البلاد ومالت إليه القلوب ، وأحبّه الناس وبسط نفوذه على مسور ولاعة ، وما صاقبها من البلاد ، وكان قتل الشاوري سنة ٣٣٣ كما أشار إليه في أنباء الزمن[2] .

---

(١) لهذا المثل قصة وهي ان حنينا كان اسكافيا من أهل الحيرة فساومه اعرابي بخفين فاختلفا حتى اغضبه في قصة طويلة انظرها في مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٩٦ .

(٢) غاية الأماني ص ٢٢٠ .

واستمر حسن بن منصور نافذاً الكلمة ضابطاً لما تحت يده من البلاد ثلاث [سنوات][1] الى سنة ٣٣٦ كما في أنباء الزمن .

فخرج ذات يوم من مسور إلى محل يعرف بعين محرم[2] ، واستخلف على مسور ابراهيم بن عبد الحميد التّباعي جدّ بني المنتاب سلاطين مسور فلما وصل عين محرم ، وثب عليه عامله المعروف بابن العرجاء ، وقتله طمعاً في السيادة ورغبة في الاستبداد :

استووا بالأذى ضرّاً وبالشـ ـر ولوعاً وبالدماء نهامة

وما كادت أنباء قتله تتصل بابراهيم بن عبد الحميد حتى أظهر مكنون سرّه واحتجن[3] الأمر لنفسه :

ولربما زلق الحمار فكان من غرض المكاري

وبادر بإخراج أولاد منصور بن حسن وحريمه إلى جبل بني أعشب فتخطّتهم الناس وأبادوهم قتلاً وتنكيلاً ، وسبوا حريمهم ، ولم يبقوا على احد منهم واتفق ابن العرجاء[4] وإبراهيم بن عبد الحميد على قسمة البلاد بينهما ، وانضوى إبراهيم في أهل السنة وخطب لخليفة بغداد ، وراسل ابن زياد وسأله أن يرسل إليه برجل من قبله للإشراف على الإدارة ، فلم يحفل ابن زياد بما أظهر من الانقياد وأسرّ له سوءاً في ارتغا ، وأوعز إلى معتمده الذي أرسله من قبله ، ويعرف بالسّراج أن يقتل إبراهيم بن عبد الحميد ، عند أول فرصة تلوح له ، وكان ابراهيم قد اجلّ ممثل ابن زياد وأكرمه حتى بلغه ما اعتزم من الغدر به ، فقبض عليه ، وحلق رأسه ولحيته ونفاه من بلاده ، وقطع مواصلة

---

(١) ساقط من الأصل والزيادة من عندنا لأن هذا مراد المؤلف رحمه الله .

(٢) سبق ذكره في حوادث علي بن الفضل .

(٣) احتجن الشيء جذبه بالمحجن وهو العود المعطوف .

(٤) في قرة العيون ج ١ ص ٢١٥ العرجي .

ابن زياد ، فما اخطأ ولا كاد ، ولم يزل يتتبع القرامطة بالقتل والسبي ، حتى أفناهم ، ولم يبق منهم إلاّ طائفة قليلة بناحية مسور كاتمين أمرهم لهم رئيس يقال له : ابن الطفيل ، فقتله ابراهيم عبد الحميد ، فانتقلت الدعوة إلى رجل يعرف بابن دحيم ، فكان لا يستقر في موضع خوفاً من ابن عبد الحميد ، وكان يستمد سلطته الروحية من إمامه المعز ، وكان إذ ذاك بمصر ، كما أشار اليه الخزرجي[1] والذي في (الخطط للمقريزي) ان دخول المعز لدين الله الفاطمي مصر كان سنة ٣٦٢ .

ولما حانت وفاة مقيم الدعوة المذكور استخلف رجلاً من شبام[2] يقال له يوسف ابن الأسد فقام بما عهد إليه إلى أن مات ، واستخلف سليمان بن عبدالله الزواحي ، وهو رجل من حمير ينسب إلى قرية من أعمال حراز يقال لها الزواحى ، فقام الزّواحي ببثّ الدعوة واستمالة الرّعاع بالمال ، وكل ما هم به احد دافع بالجميل[3] ، وأظهر التبري من كل نحلة غير الإسلام ، وكان فيه كرم نفس ، وإفضال على النّاس، ولما حضرته الوفاة استخلف علي بن محمد الصليحي وسيأتي الكلام عليه في موضعه إن شاء الله[4] .

وفي (أنباء الزمن)[5] بأن ابراهيم بن عبد الحميد استمر على ولايته إلى أن مات ، وقام بعده ولده المنتاب ابن ابراهيم ، وهو الذي ينسب إليه مسور فيقال : (مسور المنتاب) ولما استقل بالأمر بعُد ابيه في تلك الجهة كتب الى المعز العبيدي إلى مصر ، ولما حضرته الوفاة استخلف رجلاً من شبام يعرف بابن الاسد[6] ، فقام بالدّعوة إلى أن حضرته الوفاة فاستخلف سليمان بن

---

(١) انظر العسجد المسبوك ص ٤٥ .

(٢) لعلها شبام حراز .

(٣) وكان هذا المسلك سياسة خلفه علي بن محمد الصليحي .

(٤) الخزرجي واللآلىء المضيئة وقرة العيون.

(٥) غاية الأماني ص ٢٢١ .

(٦) في الغاية سيف بن الأسد .

عبدالله الزواحي :

وفي (ملحق سيرة) الإمام الهادي ان هلاك منصور بن حسن كان في شهر جمادي الآخرة سنة ٣٠٢ اثنتين وثلاثمائة وثبت إبنه ابو الحسن في موضعه هو واخوته ولما ينازعهم أحد فيما كان في ايديهم ، وفي (قرة العيون ايضاً[١] ان وفاة منصور بن حسن سنة ٣٠٢ وذكر أحداث الحسن بن منصور ، وقتل الشاوري ، وإعلانه بالبراءة من مذهب القرامطة ، ثم ذكر خبر مقتله ، وتغلب ابن العرجاء وإبراهيم بن عبد الحميد ، وبقية الأحداث على الأسلوب المتقدم ، وهو يخالف ما سبق من ترجمة الإمام الناصر عليه السلام ، ووقعة نغاش التي أباد بها القرامطة من ناحية مسور فتأمل .

قال في أنباء الزَّمن ودخلت سنة ٣٣٧ ، وذكر عدة سنين بعدها ، لم يتفق فيها ما يستحق الذكر الى سنة ٣٤٤ ، قال[٢] : وفيها وصل المختار ابن الناصر إلى ريدة ، فخرج إليه ابن الضَّحاك من صنعاء واستمدّ منه الولاية على صنعاء فولاه .

ودخلت سنة ٣٤٥ فيها غدر ابن الضَّحاك الهمداني بالمختار الناصر وحبسه في قصر ريدة ، وأقام محبوساً من صفر إلى شوال من السّنة ثم قتله ابن الضحاك قال الزحيف: انه الزم بتأديب أولاد الضَّحاك وتعليمهم القرآن ، وإنه علّم قيس بن الضحاك فنشأ على محبته وولايته ، فلما قتل انتصر له قيس هذا وجمع الجنود من نجد ونجران والسَّراة ، ثم أقبل بتلك العساكر حتى أوقع بقومه بخيوان فكان ممن قتل أبوه ووطى بلاد همدان ، واستولى على الأمر ، ويقال ان اكثر الأسباب في ظهور مذهب الهادي باليمن قيس هذا ، لأنه قوّى مذهب شيعة الهادي بتعَصّبه لهم . انتهى .

---

(١) قرة العيون ج ١ ص ٢١٢ .

(٢) غاية الأماني ص ٢٢٢ .

وفي اللآلىء المضيئة ان وفاة قيس بن الضحاك سنة ٣٢٧ ، وكان والده بجلاف كما تقدم .

احداث علي بن وردان والأسمر بن أبي الفتوح وآل الضحاك

فيها[١] تغلب مولى آل يعفر علي بن وردان على صنعاء وثار الأسمر يوسف ابن أبي الفتوح الخولاني ، ومعه خولان فعارض آل يعفر وآل الضحاك ، وكانت صنعاء وجهاتها لابن الضحاك ، فقصدوه إلى حراز فهزمهم ، وقتل طائفة من عسكرهم ، ومات علي بن وردان سنة ٣٥٠ ، واستخلف اخاه سابور ، فقام بالأمر وصار ابن الضحاك معه ، كما كان مع أخيه فخرجا جميعاً لقتال ابن أبي الفتوح ، وقد صار في بلد خولان فلم يظفروا منه بطائل ، فعاد الضَّحاك إلى صنعاء وسار سابور نحو ذمار فلحقه الأسمر بن أبي الفتوح وقتله في ثقيل يكلا[٢] سنة ٣٥١ .

استنجاد الضحاك بآل زياد
ودخول عبدالله بن قحطان صنعاء

ودخلت سنة ٣٥٢ فيها كتب الضحاك الى ابن الجيش بن زياد صاحب زبيد وبذل له الطاعة وخطب له بصنعاء فكتب الأسمر بن ابي الفتوح إلى الأمير عبدالله بن قحطان الحوالي الى شبام يستنهضه فتحرّك الأمير الحوالي إلى كحلان ، وأقام به مدة ، ثم سار إلى صنعاء سنة ٣٥٣ ، فخرج منها الضحاك منهزماً ، ولكن الحوالي فارق صنعاء وشيكاً ، فعاد إليها الضحاك وأعاد خطبة آل زياد قال الخزرجي[٣] ، فلم يستقر له أمر ، وعاد أمر البلاد إلى عبدالله بن قحطان ، وامتدت أيامه قال في أنباء الزمن[٤] : ولم يزل يتتبع القرامطة حتى

---

(١) راجع الخزرجي وأنباء الزمن واللآلىء المضيئة .

(٢) يكلا مدينة اثرية على ربوة حمراء اعلا مخلاف الكيميم بالحدا .

(٣) العسجد المسبوك ص ٤٦ .

(٤) غاية الأماني ص ٢٢٣ .

ظفر بولدين لعلي بن الفضل وجماعة من رؤساء القرامطة فأمر بقتلهم ، وبعث برؤوسهم إلى مكة أيّام الموسم .

ودخلت سنة ٣٥٤ لم يتّفق فيها ولا في السّنين التي بعدها ما ينبغي ذكره .

قيام الإمام المنتصر لدين الله محمد بن المختار

لمّا قتل القاسم المختار على الصّفة المتقدّمة ، قام بعده ولده الإمام المنتصر لدين الله محمد ، فأخذ بثأر والده وقصد آل الضّحاك إلى عقر ديارهم، فأمكنه الله منهم ، وكان معه قيس بن الضحاك ، وكان قيس بن الضّحاك المذكور قد جمع الجنود من نجد ونجران والسراة ، وأوقع بقومه بخيوان فكان ممن قتل والده ووطى بلاد همدان واستولى على الأمر ، وللمنتصر لدين الله قصيدة طويلة ضمنها معنى اخذه بثأر والده وأولها :

علام ألام يا سلمى علاما ... عداني اللّوم فاطّرحي الملاما

ومنها :

جلونا حينما صلنا عليهم ... بأجمعنا عن أوجهنا القتاما
واقطر سيف ثار بني عليّ ... ومنهم طال ما قد كان صاما
وحكمنا البواتر في طلاهم ... فخرّت هامهم فلقاً تراما
رأينا قتلهم اذ ذاك أحرى ... بنا من أن نذل وأن نضاما

وإلى هذا الإمام أشار صاحب البسامة بقوله :

واستعبرت من بني الضحاك اذ فتكوا ... ظلماً بأفضل مختار من الخير
فعاجلتهم رزياها بمنتصر ... لغدرهم ثابت الأقدام في الغَدَر[1]

ولم يذكر الزحيف ولا غيره تأريخ وفاة المنتصر ولا تاريخ قيامه ولا مدة خلافته وعن الزحيف نقلنا خبر هذا الإمام .

---

(١) انباء الزمن .

قيام الداعي الإمام يوسف بن يحيى بن الناصر

ودخلت سنة ٣٥٨[١] فيها قام الامام الداعي يوسف بن يحيى ، وفي الزّحيف ان قيام الداعي سنة ٣٦٨ قال : قال الامير شرف الدين الحسين بن محمد[٢] مصنف الشفاء والتقرير، فيما نقله عن خط يده المباركة ما لفظه : ان يوسف هذا قام في سنة ٣٦٨، وأقام بريدة أياماً ثم صار إلى صنعاء في هذه السنة ، وخطب لنفسه، ثم خرج في اليوم الثاني فهدم ما كان قد بنى في درب صنعاء وهي أول هديمة هدمها في درب صنعاء واقام بصنعاء اياماً وعاد إلى ريدة ، وكان معه عسكر عظيم زهاء ألف فارس من حمير وهمدان وغيرهم ، ووقع بينه وبين قيس الهمداني وقعة ، وكان قيس قد بنى الدرب فلما دخل الإمام صنعاء المرة الثانية ، أمر بهدمه أيضاً وذلك سنة ٣٦٩ وخرب ما كان حول صنعاء وقطع في ضهر : انتهى.

ولما ظهر الإمام الداعي ، نهض إلى نجران وجهاته ، ثم عاد إلى ريدة فاستخرج منها جسد عمّه المختار بن الناصر رحمه الله فوجده على حالته التي كان عليها في حياته لم يتغير ، فحمله إلى صعدة ودفنه فيها[١].

وسار إلى صنعاء فدخلها وخرج منها ابن الضحاك الى بيت بوس، وخرج الإمام إلى الرَّحبة وفيها جنود إبن الضحاك وأسعد بن ابي الفتوح الخولاني في جند عظيم من مارب وغيره ، وجند الامام يومئذ زهاء ألف فارس من همدان وحمير وغيرهم ، فحمل جند ابن الضحاك على اول عسكر الامام فقتلوا منهم جماعة وكان الإمام في آخر العسكر ، فلما وصله أوّل عسكره منهزمين، خرج في الخيل فحمل على بني الحارث وابن الرويّة ، فانهزموا

---

(١) هو العلامة الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد ولد سنة ٥٨٢ وتوفي سنة ٦٦٢ ومن مؤلفاته كتاب شفاء الأوام والتقرير في الفقه وغيرهما.

(٢) انباء الزمن .

ولم يزل القتل فيهم الى ان دخل الليل وصاروا الى جبل الصَّمَع[1] فقتل من بني الحارث ستين رجلاً ، ومن مراد وغيره ، أربعين رجلاً ، ورجع الإمام من ساعته ، وأمسى في شعوب ، ودخل بكرة اليوم الثاني صنعاء وأقام بها أياماً[2] .

ثم انه خرج الى الأبناء وعاملهم على أسعد بن أبي الفتوح ، وعاد إلى صنعاء وخشى ان يهاجمه قيس وأسعد بمن معهما في بيت بوس، فغادرها إلى البون، وبقي يتردَّد في البون وهمدان ، وبنى صريم ودخل قيس صنعاء في الليلة التي خرج فيها الإمام منها ، ولما استقر قيس بها لم يطمئن، وخاف أن يهاجمه الإمام الداعي فاستنجد بإبن زياد فأمدّه بالشريف يحيى بن الحسين بن الهادي في عسكر عظيم ، فدخل الشريف الهدوى صنعاء ، ومكث بها مدة ، ثم أراد العود إلى زبيد واستخلف على صنعاء ولده الحسين بن يحيى ، وسار إلى زبيد، ثم إن الإمام نهض بمن معه وقصد صنعاء ، فوصل إلى باب السَّبحة ، فكانت معركة قتل فيها من عسكره ومن أهل صنعاء جماعة ، ولم يتمكن من دخولها، فعاد إلى ريدة، ودخل أسعد بن أبي الفتوح، وأقام بصنعاء مع الشريف الحسن بن يحيى أيَّاماً ثم فسد ما بينهما، وخرج الحسن بن يحيى مغاضباً ولحق بالإمام الداعي وقصدا[3] صنعاء ، فقابلهما ابن أبي الفتوح ، على أبواب صنعاء أربعة أيام ، ولم يظفرا بشُيء ، ولم يزل أسعد ابن أبي الفتوح بصنعاء حتى فسد ما بينه وبين سلمة بن محمد الشهابي ، وكان أهل صنعاء مع سلمة ، فاخرجوا إبن ابي الفتوح وصار الى بيت بوس ، ولما خرج من صنعاء أرسل قاضيه محسن بن جريش إلى الإمام يوسف وحلف له على السمع والطاعة ، وطلب منه النّهوض إلى حرب صنعاء وهدم السور فلبَّاه

---

(١) حصن اثري وهو من آخر قاع الرحبة وأوائل أرحب .

(٢) اللآلىء المضيئة والخزرجي .

(٣) الخزرجي وأنباء الزمن.

الدَّاعي ، وبادر مسرعاً ، وسار إلى ضلع فتلَقَّاه إبن أبي الفتوح في ميدان عباد آخر شعبان من السنة ودخلا صنعاء عشية ذلك اليوم وكان أسعد قد استغوى بالمال قوماً من[1] بني يعمر كانوا في عداد الجند المحافظ على صنعاء ففتحوا موضعهم لأسعد والإمام ، ولم يشعر أهل صنعاء إلاَّ وسيوف المغيرين تحصدهم ، ولما دخل الإمام ، وفتح باب الدرب ، دخلت همدان من طريق الجبانة ، وانهزم سلمة وبنو شهاب إلى دار أبي جعفر بن خلف في السُّرار[2] ، وكان مع الدَّاعي وابن أبي الفتوح عسكر عظيم من همدان وخولان كلها ، ونهبت صنعاء يوم الثلاثاء فلما كان بكرة الأربعاء خرج الدَّاعي ، وقصدر دار ابن خلف ، وأخرج سلمة الشهابي ، وقتله ومعه زهاء أربعين رجلاً ، ونهبت دار ابن خلف ، وغنموا ما فيها .

قال الأمام المنصور بالله عليه السلام : (وسبى من دار ابن خلف ودار ابي جعفر نساء كثيرة) ثم إن الامام أمر بالأمان، ورفع أيدي النَّاس عن النَّهب آخر نهار الأربعاء ، ومركب يوم الخميس ، ومعه أهل صنعاء لهدم السور ، وكان يضرب من لم يجتهد في الهدم[3] .

وكان قد بلغ أسعد بن ابي الفتوح أن الدَّاعي يتوعَّده فخاف وخرج من صنعاء ومعه خولان فلم يتأخَّر الإمام عن محاربته، وسار إليه في همدان ، والأبناء ، وأهل صنعاء ، ونهب طرفا من بلاد خولان ، وهدم السَّرين وهو بيت الحسن بن أبي الفتوح ، والد أسعد ، ثم رجع إلى صنعاء ، وأقام فيها اياماً ، وصار أسعد بن أبي الفتوح إلى بيت بوس ، فسار إليه الامام في همدان

---

(١) اللآلىء المضيئة والخزرجي .

(٢) موضع من صنعاء .

(٣) اللآلىء المضيئة والخزرجي (ص) .

وغيرهم ، فاقتتلوا، ودارت الدائرة على أسعد ، فانهزم الى حدين[1] ، وعاد الإمام وقد ربح المعركة ورجع أسعد إلى بلده مَدْحوراً .

ودخلت سنة ٣٧١ فيها خالفت همدان على الإمام الدَّاعي ، وكسروا باب السجن واخرجوا من فيه ، فسار الإمام آخر النهار إلى بلد الأبناء بالمشرق ، وأقام به أياماً ، ثم وصل إليه قوم من همدان ، كانوا له أصحاباً فكاتبوه بالرجوع إلى صنعاء فرجع لأربع عشرة بقين من شعبان من السَّنة ، ولم تطل إقامته بها ، وكره المقام معهم ، فرجع في حاضرته[2] إلى بلد الأبناء وأقام فيهم قليلاً ، ثم مضى إلى بلد عنس لأنّه خاف من أسعد بن ابي الفتوح ، ولما علم أسعد بمسيره أعدَّ له رَصَداً[3] في الطريق، ومرّ الإمام من النّقيل[4] ليلاً ، فشعر به الرَّصد فأخذوا عليه خيلاً وبغلة ، وفاتهم إلى ذمار ، وأقام في عنس مدَّة ، ثم فارقهم ، وصار إلى مارب عن طريق الغائط[5] ، ثم انتقل الى الجوف ، ثم إلى وَرْوَر وريدة ، وذلك بعد أن تغيّر عليه أمر عنس بمعاملة الأمير عبد الله بن قحطان الحوالي[6] .

وفي الخزرجي[7] انه لما فسد ما بين الإمام ، وابن أبي الفتوح ، وخرج الى خولان وأخرب دوراً منها دار[8] إبن أبي الفتوح وعاد إلى صنعاء واتفق هو وابن الضَّحاك وجعل له الإمام جباية صنعاء ثم اختلفت عليه همدان ، فسار إلى بلد عنس ، وأقام فيه زمناً وهدأت الفتنة هذه المدة ، وكل من هؤلاء ،

---

(١) قرية تحت صنعاء .

(٢) أي من معه من الناس .

(٣) عيوناً ترصده (تراقبه) .

(٤) هو نقل صيد أو ما يعرف الآن سمارة .

(٥) الغائط موضع هناك قريب من الجوف.

(٦) اللآلىء المضيئة اما صاحب انباء الزمن فإنه عدّ سنة ٧١ من الأعوام الخالية من الحوادث .

(٧) العسجد ص ٤٧ .

(٨) في العسجد الادار ابي الفتوح فيحقق .

ثبت على ما تحت يده وقنع به ، وفي انبأ الزمن[1] وغيره انه لما عاد الإمام الدَّاعي من مارب إلى ريدة جمع همدان وسار بهم الى صنعاء ، فخالفت عليه همدان فرجع إلى مكاتبة إبن ابي الفتوح ، وبذل له نصف جباية صنعاء ، فسار إليها ، وطرد عُمَّال ابن الضَّحاك ، وخطب للإمام ولعبد الله بن قحطان ، ولَمَّا لِيْمَ على ذلك قطع ذكر الجميع ، فسار الإمام الى حوث ، وعمر بها داراً نقل إليها أولاده ، هكذا أوْرَد الخزرجي[2] وصاحب أنباء الزمن[3] وصاحب قرة العيون[4] ، سلسلة الحوادث المذكورة من سنة ٣٥٨ إلى سنة ٣٧٤ .

وفي اللآلىء المضيئة زيادة أشرنا إليها ، ثم قال في أنباء الزمن ودخلت سنة ٣٧٥ لم يتفق في هذه السنة ولا فيما بعدها ما يستحق الذكر إلى سنة ٣٧٩ ، وذكر خبر عبد الله بن قحطان الآتي ، وفي اللآلىء المضيئة : انه لما وصل الى ريدة ، جمع همدان وأغار بهم على صنعاء ، فخرج عنها ابو العشيرة ، عم أسعد وكان والياً عليها من قبل أسعد ، وذلك يوم الجمعة سلخ ذي القعدة من سنة ٣٨١ ، ولم يزل يتنقل من صنعاء إلى ريدة إلى ناعط[5] إلى مدر[6] ، وكان قد عمر حصن ناعط ، وأقام فيه ، ثم هدمه ، وتحول إلى مدر ، وجعل يدور في مخاليف همدان ، ثم أن همدان خالفوا عليه ، ورفعوا أيدي عماله فانتقل إلى توابة ، ثم صار إلى بلد بني ربيعة إلى حوث ، فبنى بها منزلاً ، ونقل اليها خَدَمَتَه ، ثم إن قوماً من همدان كاتبوه ،فسار بمن معه إلى الحصبة قريباً من صنعاء ، وكان بها جماعة من أصحاب أبي حاشد ،

---

(١) غاية الأماني في حوادث سنة ٣٧٤ انظر ص ٢٢٦ .

(٢) العسجد ص ٤٧ .

(٣) غاية الأماني ص ٢٢٦ .

(٤) قرة العيون ص ٢٢٦ .

(٥) ناعط : جبل اثري في بلد خارف من حاشد بالشرق من مدينة عمران بمسافة ١٢ ك.م. .

(٦) مدينة اثرية في أرحب بالشمال من صنعاء .

(٧) واد من أعمال ذي بين في بلاد بكيل ينحدر ماؤه الى الجوف .

فخرجوا وقاتلوا الإمام وأصحابه ، وهزموهم ، وذلك في رجب سنة ٣٨٢ فرجع الإمام الى ريدة ، وأقام بها أقل من شهر ، وعاد إلى صنعاء فدخلها سلماً وأقام بها أيّاماً ، ثم رجع إلى ريدة ، وفسدت عليه همدان ، فانصرف الى حوث لعشر بقين من شعبان من العام المذكور ، ولم يلبث أن رجع الى ريدة ، وحلفت له همدان على الطاعة ، فأرسل واليه على صنعاء ، وخطب له بها، وذلك في صفر سنة ٣٨٧[1]، وولّى القضاء البَوْسِي، وعزل القاضي سليمان بن يحيى بن محمد النقوى وصادره ، ثم سار إلى صنعاء فوصلها آخر جمعة من رجب ، ثم رجع إلى حوث في شعبان من السنة .

هذه حوادث سنيّ الإمام يوسف الداعي قبل ظهور معارضة الإمام القاسم بن علي العياني ، وقد ذكرنا ما كان منه أيّام الإمام القاسم في موضعه وسنشير إلى بقيّة حوادثه بعد وفاة القاسم بن علي العياني إن شاء الله .

نزول عبد الله بن قحطان لمحاربة ابن زياد

ودخلت سنة ٣٧٩[2] فيها نهض الأمير عبد الله بن قحطان الحوالي إلى زبيد ، فتلقاه صاحبها ابن زياد إلى حجرة حران[3] ، فاقتتلوا هنالك ، وكانت الهزيمة على ابن زياد ، وقتل من عسكره خلق كثير ، فصار منهزماً نحو زبيد ، وتبعه الأمير الحوالي ، ودخل زبيد ونهبها اقبح نهب ، وأقام بها ستة أيّام ، ورجع إلى كحلان وأقام فيه الى سنة ٣٨٠ ، وفيها نهض الى مخلاف جعفر فاستولى عليه ، وأقام بإبّ ، ثم أنه أضطرب عليه أمر ذلك المخلاف ، فأمر بعمارة المنظر ، وتحوّل من إب إليها ، وجعل أمر الهان إلى أسعد ابن أبي

---

(١) هكذا في اللآلىء المضيئة انه دخل صنعاء سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وهو لا يلتئم مع سياق الكلام (ص) .

(٢) هذا على رأى صاحب انباء الزّمن وبينها بعد بعيد فتأمل (ص) .

(٣) لعلها المعروفة بالحجرة من أعمال الحيمة الخارجية وتعرف بحجرة ابن مهدي وهو قاع خصيب له مجموعة قرى .

الفتوح ، وأعانه على من ناواه من أمر العرب ، وقطع خطبة بني العباس ، وخطب للعزيز العبيدي ، ومات الأمير عبد الله بن قحطان سنة ٣٨٧ ، وقام بالأمر بعده ولده أسعد بن عبد الله بن قحطان ، وكان أمر صنعاء مضطرباً تارة يتغلّب عليها الامام الدّاعي وابن أبي الفتوح ، وتارة آل الضّحاك، وكانت همدان وحمير وخولان وبني شهاب ، متفرقة معهم فمن كثر جمعه غلب على صنعاء وقيل ان وفاة الأمير عبد الله بن قحطان سنة ٣٨٩[١]

الامام المنصوب بالله القاسم بن علي العياني

ودخلت سنة ٣٨٨ : فيها ظهر الإمام المنصور القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم الرسّي عليهم السلام ، وتجاذب هو والإمام الدّاعي يوسف بُرْدَةَ الخلافة ، وتنازعا ثوب الزعامة ، وكان كل واحد يثني على الأخر ، وربما لامه ، وكل ما كان بينهما من وفاق وشقاق يقول صاحب البسامة :

ويوسف العترة الداعي الذي شرفت ... منه المناصب زاكي الأصل والثمر
والقاسم القائم المنصور من شرفت ... به عيان على ما شيد من مدر
جرت بأعجب أمر كان بينهما ... كأمر يوسف والأسباط فاعتبر
ونازلا كل طاغ في زمانهما ... وحاولا كل جبّار وكل جري
وسائل السور[٢] من صنعاء ما فعلت ... به الجنود وقاضى الجبر والقدر

قال في سيرة الامام المنصور[٣] : لما بلغ الإمام إلْتياث الأحوال على ولاته باليمن وهو مقيم بترج[٤] بعث عمار بن أحمد الجعدي وأحمد بن

---

(١) راجع الخزرجي وقرة العيون وأنباء الزمن (ص) .

(٢) إشارة إلى ما تقدم من هدم سور صنعاء بأمر الدّاعي يوسف وقاضي الجبر هو سليمان بن يحيى النقوي الذي عزله الإمام الدّاعي وصادره (ص) .

(٣) نقل ذلك في اللآلىء المضيئة (ص) .

(٤) بالتاء المثناة من أعلا والراء والجيم وهي معدودة من بيشة ونواحيها .

خالد بن صبيح[1] في شوال سنة ٣٨٨ لجمع الأعشار[2]، واستنهاض النُّاس وزودهما بكتب ، فلما وصلا همدان تَحَشَّد لذلك رجال من المسلمين من البونيين[3] والخشب[4] والمشرق والصَّيد ، ولم يخالطهم من بكيل ولا من الظواهر الا الشيخ أحمد هندي من خولان ، فجمعوا نحواً من عشرة آلاف درهم ، ولما وصلوا صعدة نهض معهم إثنا عشرة رجلاً منهم أبو العشيرة ابن أيوب اليرسمي ، وساروا ، وقد اجتمع زهاء مائة وثلاثين ، وخيلهم ثلاثة عشر فوصلوا إلى القاسم بن علي عليه السلام ، وهو بحص عمره بهرجاب أسفل وادي بيشه ، فلقيهم بنوه جعفر وعلي وسليمان وعربها وكان الإمام ثقيلاً من شكوى أشتكاها ، ولما سلموا عليه إستأذنه الحسين بن أحمد بن يعقوب[5] من انشاد قصيدة ، فقال عليه السلام : إذا كان محروساً من ذمّ العرب فأنشد :

دعانا القائم المنصور يبغي عنايتنا ويمنعنا الأثاما
فلَبَّينا لدعوته وقمنا عجالاً في إجابته كراما
نبادر نفعه نبغي رضاه نجيب السيد العلم الإماما

القصيدة إلى آخرها

وفي أنباء الزمن[6] والخزرجي[7] : ما خلاصته كان الإمام المنصور بالله ببلاد خثعم[8] فسار عنها إلى صعدة فملكها ، وخرج إلى نجران ، ثم عاد إلى

---

(١) هو مؤلف سيرته .

(٢) جمع عشر وهو ما يؤخذ من تجارة أهل الحرب وأهل الذمة . وما يؤخذ من زكاة الزروع .

(٣) يعني البون الاعلا والبون الأسفل سبق ذكره .

(٤) بلد من أرض شمال صنعاء .

(٥) هو مؤلف سيرة الإمام المنصور القاسم بن علي العياني ، ومن كتابه نسخة خطية بمكتبة الامبروزيانا بايطاليا ، وكان المذكور قد تولى القضا للامام القاسم وله شعر بليغ أورده له في ترجمته صاحب مطلع البدور .

(٦) غاية الاماني ص ٢٢٨ .

(٧) العسجد المسبوك ص٤٨ .

(٨) خثعم قبيلة من ولد خثعم بن غار بن كهلان مساكنهم جبال السراة من عسير .

تباله[1] فخالف عليه اهل صعدة فجمع همدان وسار إليها فدخلها وأخرب دروبها ، وأخرج منها الداعي يوسف بن يحيى فاستعمل الإمام عليها ولده جعفر ، وجعل له نصف خراجها ، والنصف الآخر لبني الهادي للضرورة ، وضيق الوقت ومهما حصل ما يكفيهم انتزع منهم ووضع في موضعه الشَّرعي وأصطلح هو والإمام الدَّاعي فناصره الدَّاعي وانضم إليه :

ولم نقف على تفاصيل ما كان من الأحداث في خروجه المرة الأولى ولا في أي تاريخ كان خروجه.

نهوض الامام القاسم الى صعدة وانتقاله إلى عيان

ودخلت سنة ٣٨٩ في المحرم منها تحرك الإمام بمن معه من الجنود إلى صعدة ولما قرب منها خرج لملاقاته الأمير عبد الله بن محمد بن المختار في عسكر من بني سعد فسلموا عليه وانضموا إلى عسكره ، فنزل بالمحرقة حذا صعدة ، ولقيه الدَّاعي يوسف بن يحيى في عسكر عظيم ، وكان الامام القاسم قد ركب للقائه ، وتبعه عسكره ، فخاف ان يحدث بين العسكرين شرّ ، لما بينهما من ذحول[2] الفتن واحقادها ، فكبح جماح فرسه ، وعاد إلى معسكره ، وقال : إن كان ابن عمّي يريد السَّلام عليّ بغير هذا الجمع فليأتِ[3] ، فلقيه الداعي في عشرة رجال ، فلقيه الامام وسلم كل منهما على صاحبه ، وأمره بالإنصراف الى منزله ، ورجع الإمام الى مضربه ، وأمر ولده جعفر بدخول صعدة ، في طرف من عسكره ، وأن يخطب على منبرها لأبيه وجدّه ، ويقطع ذكر يوسف الدَّاعي والأمير عبد الله بن محمد ، وكانا من قبل يذكران معه ، فأراد إختبارهما بذلك فسلّما ولم يعارضا ، ثم ألحق ذكرهما

---

(١) تباله بلد مشهور من عسير .

(٢) احقاد .

(٣) كذا في الأصل.

بعد ذكره ، فيما بقي بعد ذلك ، وطلب منهما ومن الحسن بن يحيى ، وسائر أولاد المختار البيعة ، فبايعوه ، ودخل صعدة ، فمكث بها أيّاماً ، ثم أنتقل الى عيان[1] واستخلف على صعدة ولده جعفرا ، وجعل خراجها وخراج ما حولها رَسْماً مجرى على الشرفاء من ولد الهادي عليه السلام ، نصف الأعشار بعد إخراج المؤن يقبضه يوسف الدَّاعي ، والنّصف الثاني إلى أولاد المختار ، وسائر الخراج يقبضه خزّان الأمير جعفر ، وذكر في كتاب لهم نصف هذا الخراج يجري عليهم حتى يفتح الله عليه من أرض الخراج والأفيا[2] والأخماس[3] ، ما يغنيهم عن ذلك ، ثم ينتزعه ويضعه في مواضعه المشروعة وانما رسمه لهم لضيق الوقت والضَّرورة .

الامام القاسم بعيان وانتقاض بعض قبائل خولان

ما كاد الإمام يستقر بعيان حتى وافته الأنباء بإنتقاض آل الربيعة من خولان ، وقتلهم رجلاً من اصحابه بقرب صعدة ، وميل بعض أهل صعدة إليهم ، وفيهم الدَّاعي يوسف ، فثار ثائر الإمام وفرق الصربخ[4] في البلاد ، فاجتمع عليه من الاجناد الجم الغفير ، وبادر إليه الدَّاعي يوسف في أشياخ من وادعة متوسِّلاً بهم إليه في العفو عنه والأمان له ولقرابته ، فأسعفه الإمام بذلك ، ونهض بجيوشه حتّى نزل منزلاً يقال له الحبط من بلاد سفيان فبات فيه ، وأمر مناديه ان يؤذّن العسكر بالرَّحيل على ثلاث كتائب : الأولى بكيل ، والثانية وادعة ومن أنضم إليها ، وعليها الشَّريف الحسين بن المختار ، والثالثة أهل البونين والأخشاب وحمير ، وعقد لكل كتيبة لواء وكان هو وخاصته في

---

(١) عيان : جبل عال مطل على مدينة حجة من جهة الجنوب والمعنية هنا عيّان قرية في سفيان بالقرب من خيوان شمال صنعاء .

(٢) جمع في اصله ما يؤخذ من أموال الكفار .

(٣) جمع خمس وهو حصة الدولة من الغنائم الحربية .

(٤) اي الداعي .

مؤخر الجيش ، وله لواء أبيض ، وكذلك ألوية الكتائب ، ولما قرب من صعدة بلغه أن أوّل العسكر دخل البلد ، فأسرع بإرسال من صرفهم عن البلد ، وأرجعهم إلى المعسكر العام ، ولقيه إبنه جعفر بمن انضم إليه من مخلاف صعده فأمر بعض العسكر بهدم سور صعدة فظلوا يومهم يعملون في الهدم ، ثم نهض ونزل وسط بلد الرّبيعة فحضرت الصّلاة ، فصلّى بأصحابه ، وما كاد يفرغ منها حتى رآى قبائل الربيعة قد أصطفت للقتال ، وتأهّبت للنّزال ، فأمر بقتالهم ، وحرّض عسكره عليهم ، فهزم الثّوار وقتل منهم نَيِّفاً وسبعين رجلاً ، وحجز اللّيل بينهم وكان إبتداء القتال ، وقد مالت الشّمس للغروب ، وغنم جند الإمام ما وجدوه من متاع ونحوه ، ثم إن الإمام أمر بهدم حصون الثّوار ونسف زروعهم ، وطم آبارهم ، وتحول إلى الجبجب[1] وله في ذلك قصيدة طويلة أولها :

أقول لأصحابي ونحن بجانب ... من « الحبط » تزهانا خيول العساكر
هل الجمع جمع المشعرين كجمعنا ... ولا يزهدن فينا إمرؤ غير خابر

ومنها في ذكر مآل أولئك القوم :

فصَبَّحت خيلي حرثهم ووكانيا ... وغنمت جيشي ما خبوا في المحافر
وأشعلت ناري في الحصون ونلتها ... بهدم فعادت كالتلول الكنادر[2]
كأن لم يحلّ الهالكون بسوحها ... ولم يهتنوا منها بطيب المعامر

إلى آخرها .

رجوع الإمام الى عيان ومسيره الى الجوف

لما رجع الامام الى عيان ، تواردت عليه كتب أهل اليمن بالسمع

---

(١) الجبجب بالضم : بلد بالقرب من سفيان أرحب.

(٢) جمع كندر وهو ما غلظ من الأرض وارتفع .

والـطّاعة ، وطلب ولاتـه وعمّالـه ، ومن جملة من راسله أبـو جعفـر احمـد بن قيس بن الضحـاك ، وكان رأس همـدان وزعيمهـا ، فـأسعـد الجميـع إلى مـا طلبوه ، ووصل إليـه أشياخ من بني الـدّعام أهـل الجـوف يسألـونه : ان يـطأ بـلادهم ، فنهض ومعهم في جمـادي الأولى من السّنـة فـأمسى بـالمـراشي ، ونهض من الغد ، فتلقاه بنو الدعام في جمع كبير ، فأقام ببلدهم ثمانية أيام ، وولى عليهم رجلاًحسينياً يقال له: سلمـان بن صالـح ، وعاد إلى عيـان ، وعند نهوضه ، وفد عليه الشريف القاسم بن الحسين الزّيدي الحسني ، وكان محله بـالطّائف من بـلاد الحجاز ، وفـد على الإمام في خيـل وركائب من أصحـابه وغيرهم من بلد خثعم ، فسار معه فأمسى بخيوان ، ثم سار إلى بلد الـربيعة ، فبات في سوق لهم يسمّى الحضن فـأصلح بينهم في دماء ونحـوها ، ثم سـار إلى أثافت وحد بني صريم ، ثم تقدم إلى أعلا غولة عجيب[1] ، فأقبلت إليـه القبـائل من كـل صـوب وهم على اتم اهبـة وأكمـل إستعـداد ، فغصّ عجيب بالناس ، وصارت الجبال حول عجيب كقرون عرفة من كثرة من عليها ، وبعد أن حيّاهم الإمام ، سار بين تلك الجموع ، ورايـاته البيضاء ترفرف عليها كأنها قطع السّحاب ، وكـان بين بكيل ووادعـه وأهل البـون من الأحقاد والثارات ما يتعـذر معه الـوفـاق ، فكـان في إجتمـاعهم بـذلـك المعسكـر الـوثـام والحب والإخاء :

سحبت على الأحقـاد أذيـال الهـوى ومشى على الضّغن الـواد المـاحي

وجـاءته وفـود همدان[2] فـأخذ عليهم البيعـة وبث ولاتـه في بلدانهـا ، وسألته النظر في صنعاء إذا كـانت من أجل بلدانهم ، ومـدينة اليمن ، وكـانت الفوضى قد أضـرت بسكانهـا ، وافترق أهلهـا إلى فريقين أهـل القطيـع وأهل السـرار[3] ، وكل فـريق يغير ويقتـل في الآخر، فـأمر الإمـام عليهـا الشـريف

(١) غولة عجيب جبل في اقصى البون من جهة الشمال الغربي من ريدة بمسافة ٨ ك.م.

(٢) اللآلىء المضيئة .

(٣) حارثان من صنعاء.

القاسم بن الحسين الزيدي ، فصلحت بولايته وأمّن الناس ، وجاءته أيضاً حمير من نواحي شبام وسألوه أن يطأ بلادهم ، فأجابهم وسار إلى حلملم ، وولّى الشريف أبا البركات إسماعيل بن أحمد بن محمد بن القاسم بن ابراهيم عليه السلام .

كما أنها وصلته قبائل المغرب كبني شاور وبني أعشب وغيرهم ، وسلاطين مسور، فبايعوه ، وأعانوه بمال فقبله منهم ، وجاءه وفد من الحجاز أيضاً ، فأكرمهم وعرض عليهم جنوده وأهل طاعته لأنهم كانوا يزعمون ان السلطان في اليمن لصاحب مصر فرجع الوفد، وقد شهد له بالفضل والإمامة ، وأوجب على شرفاء الحجاز طاعته وموالاته ، وكان ذلك في رجب من السنة المذكورة ، وأقام الإمام بريدة إلى مستهل رمضان ثم رجع الى صعدة .

وفي هذه السنة خرج[1] الإمام الدّاعي يوسف إلى وادعة مغاضباً للإمام القاسم لقطعه المكوس في صعدة ، وما كان يؤخذ من التجار مقابل الزكاة والأعشار ، وكان التّجار قد شكوا إلى الإمام جور العُمال، وأنهم يسلمون المعين بصنعاء ، وكان للدّاعي يوسف وأهل بيته قسط من ذلك فاستاء للقطع ، وخرج مغاضباً ، ثم أنه سعى بالصّلح بين الامامين الحسن بن محمد بن يحيى .

وفيها بلغ الإمام القاسم أن رجلاً من بنّي خيثمة من نجران ، وجماعة من أصحابه نكثوا ووثبوا على عاملين من عماله فقتلوهما.

مسير الامام القاسم بن علي الى نجران وخبر صلح الإمام الهادي الى الحق واحتجاج نصارى نجران به

ودخلت سنة ٣٩٠ فيها جمع الإمام جموعه واستنهض أهل طاعته

---

(١) انباء الزمن واللآلىء المضيئة.

فاجتمع منهم خلق كثير ، وكانت أوفر الكتائب خيلاً ، وأكملها عـدداً أصحاب القاسم الزيدي عامل صنعاء ومخـاليفها ، ثم كتيبـة يحيى بن المختار ، وكـان عامل الإمام على همدان فتحرك بهذه الجموع لثلاث خلون من المحرم وقصد نجران ، ولما وصـل أعلا نجـران وفيه حصـون همدان ووادعـة ويام وشـاكر ، وكلهم من أهل طاعته رحل عنهم إلى الـدحامس فهـرب الدحـامس من حصنه ودخلتـه الجنود فهـدموه وقـطعوا نخله ، ونخـل من كان معـه من أهـل بيتـه ، وقبض الإمـام ممن جنح إلى حكمه، ورجع إليـه ستّين رجلاً وحبسهم ، فيمـا يحب من الحقوق ، وسار بهم إلى صعـدة وفي هذه الـوقعة يقـول ابو الفـلاح احمد بن عبد الله مرتجزاً[1]

قـد عملت ذات الهجـار الحـابس كـالشّمس فـوق الشمـخ الأوانس
انـا نـوطيٌّ عـزمـة الـدحـامس بـألـف خـطى وألـف فـارس

ثم ان الإمام أمر عماله ان يفرضوا على التّجار والنّصارى والمـزارعين . ضريبة على كل بقدر ما يملك ، ليستعين بها على مؤنة عسكره ، فـوصل إليـه مشيخة النصارى[1] ، وفي مقدمتهم إبن أبي الجهم ، فقالـوا : يا مـولانا نحن

---

(١) انظر الرجز في اللآلىء المضيئة للشرفي .

(٢) أشرنا إلى هؤلاء في خبر دخول الإمام الهادي الى الحق عليـه السلام نجـران ، وألمعنا إلى مـا كان منهم من القلاقل والفتن في ذكر مقتل عامل الإمام الهادي على نجران : ولا ريب ان هذه الرّواية مشكلة جدًا لما سبق في القسم الأول من هذا التاريخ في ترجمة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب من انه اجلاهم عن نجران نصّ على ذلك ابن الاثير في تاريخه وياقوت الحموي في معجمه ، وغيرهمـا من كتاب المغـازي والسير والتـاريخ ، وأعجب من هـذا إنا لم نقف على عاقبة أمر نصارى نجران وكيفية خروجهم من اليمن نهائياً ، وسيمر بك في هذا التاريخ ذكـرهم في مـوضعين الأول في أيام هشـام بن القبيب الهمـداني سنـة ٥١٠ ، والثـاني في أيـام الإمـام المنصـور باللّه عبـدالله بن حمزة لمـا استولى على نجـران وبعد ذلـك لم تقف على شيء من أمرهم، وقد ذاكرت بعض علماء اليمن فيمـا رواه أهل التـاريخ من أن عمـر أجلاهم من اليمن حتى قال ياقوت في معجمه انهم بنوا نجران الكـوفة عـوضاً عن وطنهم الأول فقـال : انه اطلع على رواية في الاستيعاب لابن عبد البر ان تلك الرواية لم تصح عن عمر والله اعلم (ص) .

رعيتك في ذمّة جدك ، وقد أخرجنا الجزية إلى سعاتك ، فلم تكلفنا غيرها ، فقال لهم الامام : ليس الجزية شرطكم ، ولكنّا أجريناكم مجرى اليهود نضرائكم ، حتى ننظر في الأمر بعد ذلك ، ثم أنا أعلمكم بما يجب فإن اقمتم بما شرط على أسلافكم تممت لكم ، فقال النصراني : وما ذاك أيّها الامام ، فقال له الإمام : النّبي صلى الله عليه وآله وسلم صالح سلفكم بأن يدعهم على دينهم ومؤمنهم في بلدهم ، على تسليم اربعمائة أوقية تبراً وأربعمائة حلة من وشي اليمن ، فأختاروا الآن اما تسليم ذلك وادعكم على الحال التي وادعكم عليها النبي صلي الله عليه وآله وسلم أو تسلمون فلا أسألكم إلاّ ما أسأل المسلمين ، فقالوا يا مولانا : ذلك حين كان سلفنا يملكون الوادي أو أكثره ، ونحن اليوم جيران مستضعفون ، وقد صالح ابن عمك الهادي بصلح فاقبله منا ، فقال لهم : الامام ان الهادي لم يدع معكم الاماروني أعوانه دونه ، واليوم قد أيّد الله دينه باعوان أولى قوة وعزّ فانظروا لأنفسكم ، فتقدم أشياخ من بني الحارث وسألوا الامام أن يجريهم على قبض الجزية والمعونة إذا سئل المسلمون معونة غير زكواتهم فأوجب لهم ، قال مؤلّف سيرته : فسألنا الإمام عليه السلام لم ترك النّصارى من شرط رسول الله صلى الله وسلم عليه ، فقال : لسبب أنا أبصر به منكم وأعرف بالسيرة في ذلك[1]

رجوع الإمام إلى صعده

لما أكمل الامام أمر نجران عاد إلى صعدة ، وعزم على ان لا يرد المليح بن ابراهيم بن محمد بن المختار على عماله نجران ، وخشى أن يكون من تَفْريط فيجرى مثل الذي جرى ، وكذلك عزم على عزل أخيه يحيى بن محمد من ولاية البون وريدة ، فلما علموا بذلك سألوه أن يثبتهم على

---

(١) انظر هذا في اللآلىء المضيئة للشرفي (خ).

ولايتهم ، فقال لهم : يا أهل بيتي أنا أعوّضكم عما كنتم تنالون منها من وجوه غير الولاية فإنّي رأيت ولايتكم لم تجر عليّ وعليكم خيراً ، وعليّ لكم أن أواسيكم بنفسي في كل الحالات من المعائش والملابس ، فلم يرضهم ذلك وقاموا من مجلسه غاضبين نافرين ، وكاتبوا أنصارهم من القبائل ، وابن عمهم يوسف الداعي إذ كانوا يعلمون منه الكراهية للإمام ، فلم يساعدهم أحد فعادوا الى الإمام وسألوه العطف ، فعطف عليهم وأحسن اليهم وسيأتي خبر أحداثهم وما كان منهم قريباً .

كتاب الامام القاسم بولاية الزيدي على صنعاء ومخاليفها[1]

ولما رجع الإمام إلى عيان سألته القبائل : أن ينهض معهم إلى بلدانهم فاعتذر بكثرة أشغاله وارجع النّظر في ذلك إلى القاسم الزّيدي ، وكتب له عهد جاء فيه : واعلم ان النّاس سبع طبقات منهم القضاة وهم المقدّمون ، إلى ان قال : وأما السّلاطين سلاطين البلد فهم رجلان ، رجل دخل معنا ليعلم فعلنا في أنفسنا ، وفيمن اتّصل بنا ، والآخر قد استوقفنا وتربّص بنا ، وليس من السّلاطين من قد دخل معنا بما ذكرت إلا الأمير ابو جعفر احمد بن قيس ، فراعه منك بعين الصّيانه واعرفه بالنقاء والأمانة وكريم افعاله فإنّ لم يوسّطنا أحد من الملوك ما وسطنا من داره وعشائره إلى أن قال : واعلم أن الملوك نشأوا في النّعمة ، وألفوا من الخاصة والعامة الكرامة ، ومتى ورد على أمر غير ما يعرف ، كرهه ، وأما سائر من قبلك من السلاطين ، فهم أربعة ، أحدهم المنتاب بن ابراهيم ، وسبأ عبد الحميد ، وأسعد بن أبي الفتوح ، وابراهيم ابن نزيل ، فأما سبأ والمنتاب وابراهيم بن نزيل ، فقد دخل كل هؤلاء على ما تحت أيديهم والكل دخل معنا مدخلاً لم يريبنا به ، ولا بد أن نختبر كل أولئك ونذكره بما قد أوجب لنا على نفسه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله ﴾

---

(١) انظر نصه في اللآلى المضيئة .

الآية[1] .

. وأما ابن أبي الفتوح فبيني وبينه مكافة فكفّ عنه ما أنكف عنك ، وأما ابن قحطان فبينه وبين صاحبي مكافة فارع منه ما رعى ، فقد وعدته بذلك من نفسي والذي بيدك يا سيدي من المخلاف ما حاز عجيب[2] الى حدود إبن أبي الفتوح في ناحية صنعاء ومشرق بلاد همدان جملة وبلاد حمير ومغارب مخلافك كالصيد[3] وشاحذ[4] والناقر[5] ونضار[6] والاحبوب[7] وشمر[8] والطرف[9] ، ؛ وما اتصل بذلك ، وحراز فهذه البلدان فيها مبدأ مؤنتك ومؤنة أعوانك وأخدامك وتَبِرٌ[10] من رأيت من أهلها وتوفر خراجات هذه البلدان حق التوفير ، وتطلق واجباتها لمن ثبت إسمه في ديوان النجدة .

والذي في صفقة الحسين بن المختار

الظاهر [هكذا في الأصل ولعلها الظواهر] ظاهر الصَّيد ، وظاهر بيت زود ، ثم الظاهر معرضاً حدة حلملم ، وحلملم معك ، وقارن والأشمور ، وما حاز هذه البلدان إلى الظاهر ، فهو بموصول بمخلاف الحسين بن المختار ،

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) الآية ١ سورة الفتح .

(٢) يعني عوله عجيب السابق ذكره .

(٣) بلد من حاشد معروف والمقصود هنا اسم لناحية من الخيمة الداخلية .

(٤) يسمى اليوم بالشاحذية وهي عزله من ناحية الرجم واعمال الطويلة بالغرب الجنوبي من كوكبان .

(٥) في الأصل النافر بالنون ولعله الباقر بالباقر بلده قرية من عزلة بني العباس من مخلاق اقيان كون .

(٦) بلد تابع لأعمال المحويث .

(٧) عزله من ناحية الخيمة الداخلية بالغرب من صنعاء .

(٨) لعله جبل شمر في عزله وادي عصام ناحية حبان .

(٩) من ناحية صعفان في بلاد حراز .

(١٠) في اللآلىء وبر رجال .

ومغارب هذه البلاد ومعه بنو أعشب وبنو شاور ، وقدم ، وميتك ، ودروان[1] وحجة ، وما بيد المنتاب فهو بيده إلى عيان ، وما بيد بن عبد الحميد فهو بيده حتى تنظر طاعته ، وأعلا وادي لاعه ، بيد ابن ابي جعفر [كذلك بالأصل ولعله ابن أبي يعفر] وعليه فيها رسم وبيد العرجيين منها طرف وعليهم تسليم [كذا بالأصل] بلا شرط فتعاملهما بحسب ما ترى إلى آخر الكتاب[2] .

وصول الأشراف ووفد عنس إلى الامام القاسم

وفي هذه السنة وفد الى الامام بنو ابي الطيب الحسنيون من أمراء الحجاز وأهل الثُّروة فيهم والجاه ، وغرضهم من هذه الوفادة تحفيز الامام على فتح تهامة الشام ، وتوليتهم عليها ، وكان وصولهم في شهر صفر .

وفيه وصل متقدّم عنس وعميدها الحسن بن أحمد العنسي ومعه كتب من رؤساء عنس ، يطلبون من الإمام أن يولّى عليهم من قبله ويخبرونه بطاعتهم ، وانضوائهم تحت رايته ، وكانوا من أعز أهل اليمن وأكثرهم خيلاً ، ولما رأى الامام إقبال أهل اليمن عليه ، ومبادرتهم إلى طاعته أراد إغتنام الفرصة والوثوب على تهامة الشام ، طِلْبة الأشراف فكتب إلى عموم اليمنيين يستنهضهم ويستثير هممهم بقصيدة أولها :[3]

طال الثوأ بصعدة وعيان ... ومذاب والأحراج من سنحان
حولا تحرم لأنهم بنيَّة ... تدعو لمبتعد من البلدان
فهل الزمان ساعف لمواثك ... يقصر ويقرب مرة ويداني
ناطته همته لأعلى مطلب ... لا يستفاد من الحلى بتواني
فنأى وأخلى من وني في رائه ... واضاف ظن الخير في قحطان

---

(١) دروان قرية من ضواحي حجة

(٢) وقد أثرنا نقل هذا الكتاب لأنه يعطينا صورة وان لم تكن كاملة عن التَّقسيمات الإدارية (ص) .

(٣) انظر القصيدة كاملة في اللآلىء المضيئة للشرفي

ومنها :

اما اجبتم دعوتي فتأهبوا لهبوط بيش منزل العبدان
فيه مغانم لا تجلّ لجمعنا لو كان كالحسين من قحطان

إختلال صعدة ، وأحداث المليح بن إبراهيم وإخوته ، وأخبار الزيدي وما كان منه

قبل ان يستكمل الإمام القاسم أهبته للوثوب إلى غايته التي ندب إليها ووعد الاشراف بإنجازها ، فوجيء باختلال صعدة ووثب المليح[1] واخوته عليها ، فخفّ الإمام إليهم في جماعة قليلة ، ولم يتمهل إلى وصول النّجدات من أنصاره ، وعاجل البلدة مسرعاً بمن خف من عسكره ، ولما وصل صعدة تحقق إنحلال امره بها ، فقد أمتنع أهلها عن الوصول إليه وتعصّبوا على بعض خدمه ، وأعلن المليح في أسواقها بالخلاف ، فاشتبك الإمام معهم في معركة حامية دامت سحابة يومه ، وكاد أن يحاط به وبمن معه ، لولا مبادرته[2] بالانسحاب من القرية ، ومبارحتها إلى حصن الناصر ، وهناك وافته القبائل المغيرة ، فأمرهم باعادة الكرّة ، ومهاجمة تلك المدرة فانهزم المليح وغادرها في خفارة خولان إلى نجران ، وانتشر الجند المغير في النّهب والسلب ، وأراد الإمام كف عاويتهم ومنعهم ، فلم يتمكن إلّا آخر النهار ، بعد أن ركب إلى صعدة في جماعة من الأشراف وغيرهم ، ونادى بالأمان وإخراج أهل الاطماع ، وأرسل لخولان ، وأخذ عليهم الذمة في حفظ البلد ، وصيانته ورجع في خافرته عن طريق غرق ، وكان قد استقدم القاسم الزّيدي ، فوافاه إلى وَرْوَر[3] ، وبينما هم هنالك إذ وصلت كتب سلاطين المخلاف إلى الإمام

---

(١) هو المليح بن ابراهيم بن علي .

(٢) في الأصل لولا مبادرته .

(٣) ورور: جبل وواد اسفل شؤانة من بني جبر حاش من ناحية ذي بين تعرف الآن بظفار داؤد.

يرجونه عزل الزَّيدي ، وتولية غيره عليهم ، فمال الإمام إلى مقترحهم وعرض الأمر على الزيدي فكره ذلك ، وتعَصَّب له الحند . ونصح آخرون بضرورة بقاء الزيدي لحزمه وكياسته ، فرجح الإمام عن فكرة عزله وأكَّد ولايته ، فغضبت القبائل وعاتبوه على ذلك حتى أضطروه إلى معاودة الفكرة الأولى ومواذنة الزَّيدي ثانية ، ولما عرف الزيدي ميل الإمام وانصياعه الى تلبية إقتراح القبائل ، فارق صنعاء مغاضباً ، وسار إلى عنس ، ولم يخبر الإمام بحركته إلاَّ من مهران، ولما وصل بلد عنس، أجتمعت إليه القبائل، وسألوه ان يطلعهم على ما كتب إليهم الإمام في شأنه ، فاحتار وارتبك ، وقال لهم أن الإمام اكتفى بإرسالي إليكم[1] لثقته بي ، فلم يقبلوا منه واضطروه إلى مراجعة الامام وعرض الحقيقة عليه ، فكتب لهم الإمام منشوراً بخطِّه أمرهم فيه بالسمع والطاعة للزيدي ، واشترط عليه مشاورته في كل أمر ، ومؤاذنته قبل إحداث أي شيء ، وعلى ذلك أقام الزيدي ببلد عنس ، واتَّسعت ولايته وعظم شأنه ، وسنأتي على تفاصيل اخباره قريباً

عزم الإمام لحرب نجران

وفي هذا العام حشد الإمام الجنود لمحاربة نجران ، وكتب إلى أهل طاعته بالحجاز[2] ، أن ينهضوا في لقائه إلى نجران ، وكان له عليهم وال يقال له : رزين بن احمد بن يعقوب الهمداني ، فنهض رزين المذكور في وادعة وسنحان وجنب وغيرهم ، إلى نجران ، وسار الإمام بمن معه من قبائل اليمن ، وارسل كل واحد من سلاطين اليمن ، كإبن ابي الفتوح ، وعبد الحميد صاحب جبل تيس[3] ، والمنتاب صاحب مسور ، وأسعد بن عبد الله بن قحطان بالجنود والمدد ، فتكاثف الجند وعظم الحشد، ولكنه

---

(١) في الأصل بزيادة عن ولا معنى لها هنا .

(٢) نقل هذه الأخبار صاحب اللآلىء المضيئة عن سيرة الإمام القاسم (ص) .

(٣) جبل تيس : يعرف اليوم بجبل بني حبش ومنه قرية المحويت مركز قضاء المحويث.

رغما على كثرته تخاذل وفشل ، ولم يأت بالثمرة المطلوبة ، من تأديب العصاة واخضاعهم وتوطيد راية الامام بإرغام قبيلة نجران العاتية على سلوك السنن الأقوم والطريقة المثلى ، بل أصبح بالحال كما قيل :

جيوش ما لها في الملك نفع حكمت صورا تصوّر في الكتاب
مما اتت قتالهم من غير نيل كمثل الضَّرب في صور الحساب

ورجع الامام الى صعدة وقد أيَس من نيل وطر ، أو ادراك غاية بتلك الجموع المغلولة ، وعزم على ترك نجران ومن بها يعمهون في باطلهم إلاّ من أراد الإنضمام طواعية ، ريثما تسعفه الأيام بما يريد من وجود أنصار تقوم بهم الحجة ، ولما رأى الأشراف كثرة إختلاف النَّاس على الإمام عادوا أدراجهم قانعين من الغنيمة بالإياب :

الوحشة بين الامام والقاسم الزيدي

وكان الزيدي قد تخلف عن غزو نجران بعد الذي سبق منه ، فاحفظ تخلُّفه قلب الإمام عليه ، وعاتبه على ما صدر فأكثر، وكان أبو جعفر احمد بن قيس بن الضحاك ، يكره ولاية الزَّيدي ، وكذلك قبائل مخاليف صنعاء فانتهزوا فرصة إنحراف الإمام عنه وطلبوا منه ان يولِّي عليهم إبنه جعفراً ، ونشط كثير من الناس لتوسيع دائرة الخلاف ، وبذر بذور الشقاق بالسِّعاية بين الإمام وعامله الزيدي ، فكانت دعوتهم أسرع إلى القلوب من النَّار في يابس الهشيم ، فلم يتلعثم الزيدي عن إظهار الخلاف جراهية[1] ، ولبس جلد النمر ، وأغار على مخاليف إبن أبي الفتوح وعاث فيها فساداً وجرت بينه وبين ابن أبي الفتوح مصاولة ومنازلة ،غُلب فيها ابن ابي الفتوح ولم يطق المقاومة ، واستغاث بالإمام ، وكان من أنصاره ، فكتب الإمام إلى الزَّيدي

---

(١) اي ظاهراً بارزاً.

يـأمره بـالكف عن ابن ابي الفتوح ، ويعـاتبه ، فلم ينـزجر الـزَّيـدي ، وجعـل يواصل خطواته ، ويجدّ في تخريب الحصول وتدمير الزروع ، وبسط يده على مخـلاف الهان ،ومخـلاف ذي جرّة[1] ، وهـدم حصن نعظ[2] ، وهو لإبن ابي الفتوح ، وعظمت ولايته عند أهل اليمن ، وانكمش الإمام بمخلاف همدان ، وأمسك عن أمره ونهيه مظهراً العتب على الزيدي ، غير راض عن أعماله ، ثم ان الـزيدي رجـع إلى طاعـة الإمام والتمس منـه العفو ، واعتـذر عمـا كـان ، وطلب من الإمام الدّخول معه صنعاء فقبل الإمام عذره ، ورافقه إلى صنعاء ، ودخلها في المحرم سنـة ٣٩١ ، وأمر الـزيدي بـإرجاع مخـاليف أسعد بن ابي الفتوح ، وقَرّر الأمور بين أسعد وبين الـزيدي ، ورجـع إلى صعدة من طـريق الجوف ، وفي الخزرجي[3] وأنباء الزمن[4]: ان همدان قصدت الامام في هذا العـام إلى وَرْوَر ، وسألـوه النفقة ، فكتب لهم الى عـامله بصنعاء فلم يجـدوا عنده ما يقوم بكفايتهم، فساروا إلى ابن أبي الفتوح وابن أبي حاشد، فحلفـوا لهما وادخلوهما صنعاء ، وخرج ولاة الإمام منها ، ولما علم الزيـدي بذلـك ، أقبـل من ذمار بجمـوعه ، حتى وصـل بير الخـولاني[5] فقطع مـا كان بهـا من أعناب إبن أبي الفتوح ، وسار إلى نقط فأخـربها ، وخـرج ابن ابي حاشـد من صنعاء وعاد ابن أبي الصّباح نائب الإمـام ، وكانت الأنبـاء قد أسلمت إبن أبي الفتوح وتأخّرت عن نصرته ، فلما رأى ذلك طرح نفسه على رؤوس القبائـل ، وعلى الشـريف الزَّيـدي ، فقبله على ان يكـون مخـلاف خـولان من تحت يـد الـزَّيدي ، وحمـل ابن ابي الفتوح إلى الـزيـدي خمسـة وسبعين ألف درهم ، ودخل الزَّيدي صنعاء ووقعت منه مخالفة لأوامـر الإمام ، ثم طلب من الإمـام

---

(١) هو الاسم القديم لبلاد سنحان وبلاد الروس واليمانيين من خولان العالية .

(٢) فقرية من عزلة الربع الشرقي في ناحية سنحان تقع في صفح جبل كنن من غربيه .

(٣) العسجد ص ٥٠ .

(٤) غاية الأماني ص ٢٣١ .

(٥) قرية قريبة من بلاد الروس ذكرها الوداعي في ارجوزته .

الاتفاق فالتقيا بمدر، واعتذر الزيدي عما كان ، ودخل الإمام صنعاء ، وأقام بها أياماً، ثم رجع إلى وَرْوَرْ ، والزَّيدي إلى ذمار ، واستعمل على صنعاء هلال بن جعفر العلوي .

وفيها ارتفع سعر الطَّعام بصنعاء إرتفاعاً عظيماً ، ومات الأمير إسحاق بن إبراهيم بن زياد صاحب زبيد ، وقد تقدَّم الكلام عليه وعلى الأحداث التي كانت بعد وفاته ، عند الكلام على الحكومة الزُّيادية

ولاية جعفر بن الإمام على صنعاء ووثوب الزَّيدي عليها

وفيها[1] وصل جعفر بن الإمام القاسم عاملاً لابيه على صنعاء ، وتلَقَّاه إبن أبي الفتوح فردّ عليه جميع مخلافه ، ولحق الناس من الأمير جعفر بن الإمام شدة عظيمة لجوره ، ثم تقدم الإمام إلى صنعاء ووصله ابن أبي الفتوح وتغيّر الإمام على الشريف الزيدي ، فخالف عليه ، وثبت بذمار إلى أن خرج الإمام من صنعاء فقصدها ، وأسر جعفر بن الامام وإخوته وسار بهم معه وحارب ابن ابي الفتوح ، وأخرب قرية نعظ، ثم ان الامام راسل الزيدي واستعطفه ، فأطلق أولاده ، وأحسن إليهم ثم قصد الإمام إلى ريدة فصلح شأنهما ، وأقام الزَّيدي عند الامام مدّة ، وتعاملا على احوال لم تظهر لأحد وَوَلاَّه الإمام ولاية عامّة من عجيب الى عدن ، واشهد له بذلك ، وذلك في المحرم سنة ٣٩٢ [2]

وعاد الزَّيدي إلى صنعاء وَوَلَّى عليها الشريف هلال بن جعفر العلوي وسار نحو الهان فبلغه موت الأمير سعد بن عبد الله بن قحطان صاحب كحلان، وان قومه من الهان أقاموا بعده أحمد بن ابي يعفر ، وفي خلال ذلك وصل الإمام القاسم إلى صنعاء فمال عنه الشَّريف هلال نائب الزيدي وكتب

---

(١) انباء الزمن والخزرجي (ص)

(٢) انباء الزمن والخزرجي (ص) ،

إلى الإمام يوسف الدَّاعي يستدعيه اليه فتلقاه إلى مشرق همدان ، وتحالفا ورجع الداعي إلى ريدة، وفي اثناء ذلك ورد إلى الإمام كتاب من ولده سليمان يذكر فيه خلاف بني المليح وبني المختار في صعدة ، فأمر الامام بالرَّحيل من صنعاء واستخلف عليها ولده جعفراً ، ولما وصل إلى ريدة بلغه ان الزّبيري خلفه بالدّخول إلى صنعاء، وقبض على ولده ، وبعث به إلى قلعة بني شهاب ، وخطب للدَّاعي يوسف فاشتد ذلك على الامام ، وسار الى مدر فأطلق الزيدي ولد الإمام، وكتب إليه يسأله الصُّلح فاسعده، والتقيا الى الصيد، ولما اقبل الزَّيدي بالجنود الكثيرة ، أرسل إليه الامام ألاَّ يلقاه إلا في نفر قليل فلقاه ، وتم الصلح بينهما وسارا جميعاً إلى ريدة، ثم افترقا ، فرجع الزَّيدي إلى اليمن[1] ، وتوجه الإمام إلى وادعة وعمر فيها داراً ، وأسكنها إبن عمّه القاسم بن عبد الله ، ثم سار إلى عيان فاستقر فيها وترك الأمر والنهي لعدم وجود الأنصار الأخيار، ولم يزل كذلك إلى ان مات في التاريخ الآتي. انتهى ما اورده الخزرجي[2] وصاحب انباء الزمن[3] بلفظه تقريباً وفيها من الإضطراب ما لا يخفى وسيمرّ بك التفصيل لبقية الحوادث ومنها تعلم انهما أرادا أن يختصرا فخلط عليهما.

وفي سيرة الإمام القاسم ما خلاصته

وفي سنة ٣٩١ وصلت كتب من عائلة الامام بترج من بلد خثعم يشكون إليه اختلال الأحوال بهم ، وشدّة الزَّمان عليهم ومعصية اهل الطاعة لديهم ، فعزم الإمام على النهوض إليهم ، وكتب لأهل مخاليفه يستنهضهم ، لمرافقته ، فاجتمع إليه منهم قليل ، وكان يؤمّل أن يجتمع أكثر ، وصادف ذلك الوقت والنَّاس في شدّة وقحط ، فاحتار فيما يصنع ، وبينما هو كذلك ،

---

(١) يعني جهة الجنوب من موضعهما.

(٢) العسجد ص ٥٠ .

(٣) غاية الأماني ص ٢٣٢ .

إذ ورد عليه رسول ولده علي بن القاسم من ترج ، وأخبره بتفاقم الحالة وخطورتها ، وانتقاض القبائل عليهم ، فبادر بالعزم لنقل اولاده ، ورجع بهم إلى عيان وقطع صلته بتلك القبائل.

أحداث الزيدي واضطراب الأحوال

قبل عزم الإمام الى بلد خثعم ، وافته الأنباء باختلال أحوال الزيدي ومخالفته لما قرّره الإمام وجوره على الرعية ونحو ذلك ، فجمع الامام مشيخة همدان وفيهم أميرهم ابو جعفر احمد بن قيس بن الضحاك ، وولى عليهم ابنه جعفراً وذلك في جمادي الآخرة من السنة وولى على صعدة ابنه سليمان ، وسار لطيته[1] ولما رجع من بلد خثعم ، واستقر بعيان وصلته كتب الأمير أسعد عبد الله بن قحطان ، يذكر فيها : ما أجحف بأهل اليمن وجميع من أتّصل به من مخاليفه من الفتن بينه وبينهم ، فكتب الإمام لقبيلة حمير المنتقضة على أميرها يأمرهم بالسمع والطاعة والإخلاد إلى السكون .

ووصل إليه أهل وادعة يشكون ضلع[2] الولاة عليهم ، وكان عمال وادعة من بني المختار، وسألوا الإمام أن يولّي عليهم ابنه عليًا فولاه عليهم ، ورفع إليه ابن أبي الفتوح أيضاً شكواه من الزّيدي فأمر الإمام الحسن بن طاهر الحسني ان يعزم للصّلح بينهما ، فسار الحسني الى الزيدي وعرض عليه أمر الإمام ، فلم يمتثل الزّيدي ولا بالى بالإمام ، وكان قد ارتفع شأنه ، وغلظ أمره ، واتّسعت رقعة نفوذه ، فعادت حالة الخلاف سيرتها الأولى ، وَهَبَّ رُوَّاد الفتن لبذر بذورهم ، وطال الترويد والترجيع ، ممن يحب توسيع الخرق بان الإمام يريد الإنتقام من الزيدي بتقوية السلاطين الذين قضي على نفوذهم ، فخاف الزّيدي مغبّة هذه الفكرة ، وأظهر للناس ان الإمام مال إلى سلاطين

---

(١) كذا في الأصل .

(٢) ضلع الرجل ضلعا : مال وجنف وجار.

الجور وَوَلاَّهم ، وانه يريد الانتقام منه لقيامه على الظلمة ، وكثر الأخذ والرد بهذا ، واضطرب حبل الأمن فخاف الإمام على ولده جعفر عامله على صنعاء ومخلافها ، وسارع إلى صنعاء لتهدية الحال وتسكين الأمور ، فأقام بها قراب شهر ، وكتبه إلى الزيدي غير منقطعة ، ولكنها لم تزد الطين إلاَّ بلة ، والزَّيدي جفاء وغلظة ، وجاء الى الإمام أسعد بن ابي الفتوح مسلماً وشاكياً من الزَّيدي ؛ فقابله الإمام بالاكرام ، ووعده مخاطبة الزيدي فيما شكاه ، وأراد الصلح بينهما ، وكتب بذلك الى الزيدي ، فكان حظّ الوساطة والكتاب من الزيدي الإهمال وعدم الإحتفال .

الدسائس والمؤامرات

في أثناء إقامة الإمام بصنعاء جاء اليه محمد بن سلمة[1] الشهابي صاحب قلعة بيت بوس مبايعاً ، وطلب منه أن يرسل إبنه الأمير جعفر لإحتلال القلعة خوفاً من الزيدي ، فسار إليها جعفر بن الإمام واسعد بن أبي الفتوح ، ومكث بها أيّاماً ، ثم صح لهما ميل الشهابي إلى الغدر بهما ، فسارعا بمبارحة القلعة ليلاً إلى صنعاء لإطلاع الامام على ما لاح لهما من غدر الشهابي وموالاته للزَّيدي ، وتركا عسكرهما وخدمهما في القلعة ، ولما أحس الشّهابي بخروجهما أرسل جماعة من أصحابه وأمرهم أن يكمنوا في الطريق للفتك بهما فافتضح أمر الكمين وبلغ الإمام الواقع فأمر بهدم القلعة ورجوع من بها إلى صنعاء .

انتقاض الاشراف وبقية أخبار الإمام

بينما الإمام القاسم يفكر في مسألة الزيدي ، ويعاني من جفوته وتعاليه ما يعاني إذ بأنباء صعدة توافيه بما هو أدهى وأمر ، وذلك أنه كتب إليه ابنه

---

(١) تقدم الى محمد بن سلمة قتله الإمام الداعي (بصنعاء (ص) .

سليمان[1] ، وكان إليه امر تلك الجهة بأن الأشراف بني المختار وآل يحيى وبعض أهل صعدة تأمّروا على طلب المليح من نجران وادخلوه صعدة ، وكان الإمام قد توثّق من الأشراف بالعهود المغلظة والمواثيق المؤكدة ، وعلى الخصوص الداعي يوسف ، وجعل له ربع خراج صعدة كما جعل لغيره من الاشراف ، ولم يبق منابذاً له سوى المليح الفار من صعدة ، كما تقدّم ، ولذلك اشتد قلق الإمام ، وآلمه نكث الأشراف وتناسيهم العهود وميلهم إلى الشرور وتربصهم به وبدولته ، رغماً على ما يسديه إليهم من البر والإحسان ، ويعاملهم به من اللطف والحنان :

ومن البليّة ان تدان بما كرهت ولن تدينا

قال كاتب سيرته[1] : اشتد إهتمام الإمام بذلك وقال ما يعذرني الله وكافة أمّة جدّي هؤلاء القرابة الذين قطعوا رحمي ، وكفروا إحساني وكافؤوني السّيء بالإحسان ، اتيت من الحجاز وأهل بيتي مطرّد أكثرهم ، فرَدَدْتهم[2] وملّكتهم ، وأمّنتهم ، ووجدتهم متفرقين[3] متباغضين ، فجمعتهم ولففت شملهم ، وأصلحت ذات بينهم ، ووجدتهم مسفوهين ، ومطرّحين عند أهل اليمن ، فرفعتهم واكرمتهم ، وجبرت فقيرهم ، ومكّنت غنيهم ، وقويت ضعيفهم ، ولا أمن ذلك عليهم لواجبة عليّ ، لكن ليعلم من بلغه ذلك ، انه لا حجّة لهم عليّ ، وأكثر عجبي من شيخهم الشريف يوسف بن يحيى بعد أن عاهدني وخلف ، وكذلك عاهدته وأبلغته مراده الخ وكتب بهذا إلى جميع العشائر ليطلعهم على أعمال الأشراف .

ثم أنه كتب إلى اهل طاعته من اليمنيّين كتاباً ذمّ فيه سلوكهم ، وتخاذلهم عنه ، وميلهم الى عدائه وتساهلهم فيما عاهدوه عليه إلى آخر ما فيه

---

(١) عن اللآلىء المضيئة للشرفي .

(٢) في اللآلى : فوددتهم .

(٣) اللآلىء مفترقين .

من التقريع والتنديد ، وطلب من همدان الجوار والحماية من غوائل الأعداء ، والحفظ والمتعة إلى أن يتسنّى له الخروج من بينهم ، والتحول عن أرضهم ، ولم يهمل الدّاعي يوسف بل كتب اليه وعاتبه ولاطفه ولقبه بالإمام ، وذكره بسالف العهد ، فأجاب عليه الدّاعي يوسف بكتاب جارح اطال فيه العتب والملام[1]

(ورب ملوم لا ذنب له : ومظلوم خيَّب الدهر أمله)

خروج الامام القاسم من صنعاء وانتشار دعاية الزيدي

لما تحقق الإمام اضطراب أمر الجهة الشَّمالية بادر بالخروج من صنعاء ، وأقام بريدة ، لتدبير أمر بقيّة البلاد ، فوصل اليه رجل من بكيل بكتاب من الزَّيدي أرسله إلى البكيلي ، وإلى أصحابه وفيه شكوى حارَّة من الإمام ، وانه غدر به ، ورجع عن امر الله ووالى أعداء الله ، واختار ابن أبي الفتوح عليه وركن إلى الظلمة وسألهم النصرة على الإمام والمعذرة له في المخالفة عليه ، ووعدهم ومنّاهم ، ولم يقتصر على بكيل وحدها ، بل أذاع هذه الرسائل بين كافة القبائل ونشر دعايته في عرض البلاد وطولها ، فاضطر الامام الى الرد على دعاية الزيدي ، والإشتغال بالمعارك القلمية ، وسرد الأدلَّة والبراهين على خطأ الزيدي وغيره من المشاغبين ، ولكن الزَّيدي لم يقف عند تلك الغاية ، وانما جنح إليها لتخدير العقول شأن الصائد الماهر (لا يحكم اشباكه الا اذا عكّر صفو الغدير) .

وذلك لئلاّ تثور عليه رجالات اليمن لمجاذبته الإمام ، فقد هجم على صنعاء ، وأسر الأمير جعفر بن الامام وحبسه في قلعة بني شهاب وحبس معه عامل القلعة من قِبَل الإمام .

---

(١) انظر هذه الرسائل في اللآلى المضيئة.

ولما علم الإمام بما فعله الزّيدي استصرخ القبائل واستثار همهم والهب حماستهم ، فلم يجبه إلاّ القليل الشاذ الـذي لا غنى فيه ولا منعـة ، فمال إلى السّكون وانتظار العـواقب ، وكتب إلى وادعة وبكيـل يسألهم الإستقـامة وكـرم الجوارله ولذويه ، حتى يحكم الله بينه وبين خصومه وهو خير الحاكمين .

من كـان ذاعضـد يدرك ظـلامتـه ان الـذليـل الـذي ليست لـه عضـد
تـنبـو يـداه إذا مـا قـلّ نـاصـره وتـأنف الضيم ان اثـرى لـه عضـد

فأسعفته بكيـل ووادعة بمـا رام ، وكان قـد اقترح عليهم عـدة منازل في بطون متفرقة ، منها منـزل في آل الدُّعـام ، ومنزل في بني سلمـان ومنزل في بلاد سفيان ، ومنزل في بني معمر ، ومنـزل في بني عبد بن الهـرا ثم من بلاد وادعة ، وآخر في بلد بني ربيعة وبني حريم ، فبادروا بالتّلبيـة واوسعوا لـه في بلدانهم ما أراد.

اطلاق الزيدي جعفر بن الإمام وطلبه الصلح

ودخلت سنـة ٣٩٢ فيها نهض الإمـام من ريدة، فسلك طـريق المشـرق ونـزل بمدر ، ثم سـار إلى وروور واطلق الزيـدي ولده وابن عمـه ، وكتب إليه يسأله الصلح وتسكين الفتنة فقال الامـام اما انـا فقدومي انصـارى ونكث أهل بيعتي ، وهـو يعلم ذلك منهم فليس بمحتـاج إلى صلحي إلاّ ليستقيم لـه أمـر الـرّعايـا في اليمن بإسْمي ، ولـولا الضّـرورة إلى صلحـه لمـا رأيْت ذلـك ولا استحللته فالله المستعان على ما تدعو إليـه الضرورة والإمتحـان، ورد الجواب بالإيجاب .

من تضجـر البلوى فغـايـة جهـده رجـعي إلـى الأقـدار واستـسـلام

فطلب الزيدي لقياه والإتّفاق به في ريدة فكره الإمـام الإتّفاق بهـا ورسم له موضع اللقاء بأعلا الصَّيَـدْ ، فكان اتفاقهما هنـالك ، وذلـك في صفر من العام المذكور ، وقد وصل الزّيدي في جند عظيم ، وأبهة كبيـرة وعلى رأسه

ظلل سود من الخزّ ، وأمامه الجباجب[1] والصنوج والطبول تقدمه الرايات الصفر ، وكان الإمام في قلة من الجنود فخاف الغدر ، وأرسل إليه أن يقف مكانه ويلقاه منفرداً إن أراد الصَّلاح والسَّلامة فامتثل الزَّيدي إشارته وجاءه على فرس ليس معه إلا خادم ورجل من همدان ، واعتذر للإمام وأظهر النَّدم على ما فرَط منه ، وعرض على الإمام الدخول معه فاحترز منه وقال له لا أفعل معك في هذه اللقيا غير الصُّلح حتى ننظر في الأمور بعد ، وتمّ الإتفاق على عدم الشقاق وسارا معاً إلى ريدة وافترقا منها ، فسار الزيدي إلى اليمن ورجع الإمام إلى وَرْوَرْ ، ثم سار منها الى وادعة فأقام في بلد بني ربيعة ، وعمر بها داراً لبعض أهله وترك الزَّعامة ، وتخلَّى عن متاعبها وتربّص بالظالمين ، وجعل الخيار في الطَّاعة إلى الرعايا ، فمن أراد منهم برضا وطواعية والاه ودفع إليه زكاته وسلم ذلك لسعاته ، ومن كره ذلك لم يسأله شيئاً ، وما برح يرجو ويأمل مواتات الأيام ومساعدة الأقدار وإبتسام الحظّ بالإنتصار على الشرفاء بني المختار ، لبغيهم عليه ، وإقدامهم على نهب حصنه وهدمه ، وكفراتهم إحسانه :

وظلم ذوي القربا أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهنّد

وكانت بعض قبائل خولان تَعِدَهُ المأزَرَة[2] فتحرّك من همدان ونزل على بطون بكيل ووادعة فالتف حوله منهم عسكر لا يصل بهم وحدهم شيئاً من بني المختار ، واعوانهم أهل صعدة ، فجعل طريقه ناحية بني شاكر شرقي صعدة ، حتى وصل بمن اجتمع معه بلد بني مالك بالحقل ونزل على المدلهم بن الفحيش رئيس بني سعد ، وكان قد خالف عليه وانضم إلى بني المختار ، فلم يحصل له ما أمّل لا من المدلّهم ولا من خولان :

---

(١) الطبل والضخم من الأبواق ميل واحد، جبجبه وجبجاب.

(٢) الموازرة.

من خانه الدَّهر خانته صنائعه وعاوذ نباله ما كان إحسانا[1]

رجوع الإمام القاسم إلى عيان ووفاته عليه السلام

ولما أيس من القبائل ووعودها الخلَّابة ، رجع الى عيان وقد تفهت[2] نفسه من ممارسة الخطوب وملابسة الحروب ، ولسان حاله تنشد :

فررت من العداة الى العداة وكنت عددتهم رمز الثقات
لقد خابت ظنوني عند قوم يروي محاسني من سيآتي
يهيجون الغواة عليّ هيجا وهم شرّ لديّ من الغواة

وعكف على تأليف الردّ على روافضته الذين طعنوا في سيرته من الشيعة وأسماء مؤلفه هذا (كتاب الرد على الرافضة) وهو آخر كتاب وضعه من كتب العلوم .

وبعد ان اصطدم[3] بمصائب جسيمة محطّمة ، وامور نكراء جبارة وساءه الدَّهر بصنيعه ، وتنكرت له الأيّام ، وخذله الأقارب ، وخانته الأنصار ، وأحاطت المشكلات وحوالك الخطوب بسماواته وجهاته ، بحيث يحار القدمة الشجاع في الخروج منها ، نزل على حكم القضاء وانكمش في دار عزلته يتردّد ما بين مذاب[4] وعيان ، إلى ان وافته المنية بعيان لتسع خلون من رمضان سنة ٣٩٣ ، ولم يخلف دِرْهماً ، ولا ديناراً سوى سلاحه ودوابه وثيابه :

فعفت منابره وحط سروجه عن كل طامحة وطرف طامح

---

(١) من أبيات لأمير الشعراء احمد شوقي يقول فيها :

ولا ترى الدهر إلاّ حرب مضطهد وحالبين على المخذول خذلانا
والخط يبني لك الدنيا بلا عمد ويهدم الدعم العطول اذا خانا

(٢) ضعفت وصغرت .

(٣) في الأصل اصتدم .

(٤) مذاب : واد يسقي الجوف .

قال الزحيف : مات الإمام القاسم وخطب له[1] في نواحي مخلاف جعفر وكحلان وما يليه ، ولم يزل دأبه إقامة قناة الدين ، وإخماد نار الملحدين ، وكان إذا حضر معركة نازل الأقران ، وكان راعياً لأرباب العلم ، وازعاً لأرباب الظلم كثير اللطف واللين ، دمث الشمائل جزل النائل ، ومن رسائله عليه السلام قوله : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يرتبطان بغير زمام ، ولا يؤدي فرضهما بغير امام ، الاقراربالنبوءة لا يصح إلّا مع الاقرار بالذريّة ، والإقرار بالكتاب ، لا يصح بغير نصاب ، طالب العلم من غير أهله كمشتري الدرّ بغير خبره ، والمؤتم بغير العترة كأعمى يتبع الأعمى :

ومشهده بعيان مشهور مزور وأولاده عليه السلام ستة وهم : يحيى وجعفر ، وعلي وسليمان ، وعبد الله والحسين ، وسيأتي طرف من تفصيل اخبارهم ان شاء الله

بقية أخبار الداعي يوسف

بعد موت الإمام القاسم بن علي العياني انتعش أمر الإمام الداعي ، وبادر إلى صنعاء خامس شوال من السنة ، وأمر البوسي فخطب له ، وأقام بصنعاء خمسة عشر يوماً .

ثم تنكرت له همدان فخرج من صنعاء إلى حاز[2] ، ثم صار إلى مدر من شرق همدان وأمر عمّاله ان يرفعوا أيديهم وصار إلى ريدة ومنها إلى صعدة واستقر أمره فيها حتى توفي في التاريخ الآتي[3] .

ودخلت سنة ٣٩٤[4] فيها مات القاسم الزيدي في مدينة ذمار ، ودفن

---

(١) كذا بالأصل وصواب العبارة بعد ان حطب له (ص) .

(٢) قرية اثرية مشهورة في ناحية همدان على طرف قاع المنقب .

(٣) اللآلىء المضيئة .

(٤) انباء الزمن .

عدني[1] الجامع ، وقام بالأمر بعده ولده محمد بن القاسم وسيأتي ذكر أخباره في موضعها ، ومن آثار الشريف القاسم الزيدي غيل آلاف جنوبي صنعاء .

تهافت المتغلّبين على صنعاء واضطراب أحوالها

فيها وصل ابن أبي حاشد إلى صنعاء وخطب للشريف الزيدي ، ثم تغيّرت عليه الأحوال ، فخرج منها وتركها بغير سلطان ، ولم تزل كذلك حتى اصطلح ابن ابي حاشد وابن عمه أبو جعفر ، فسارت إليه همدان ودخل صنعاء سنة ٣٩٥ وصالح ابن أبي الفتوح .

ودخلت سنة ٣٩٧ فيها تجهز ابن ابي الفتوح[2] في جيش عظيم يريد الهان ، ولما صار في بعض الطريق ، وثب عليه غلمانه فقتلوه ، فأعيد إلى نعظ ، ودفن بها ، وتولّى بعده ، ابنه منصور بن أبي الفتوح ، وحلفت له خولان واستقامت أموره ، وخلت صنعاء من السلطان إلى سنة ٣٩٧ فدخلها احمد بن سعيد بن الضّحاك والياً عليها من قبل ابن عمه أبي جعفر ، ثم غلبه عليها ابن أبي حاشد ، ثم دخلها محمد الزيدي ، ومعه الإمام يوسف الداعي فأقاما بها نصف شهر ، ولم يتم لهما أمر ، فخرج الإمام نحو مدر ، ورجع الزّيدي إلى ذمار ، وأقامت الفتنة على صنعاء من همدان وخولان وحمير والأنباء وبني شهاب ، في كل شهر لها أمير وعليهم رئيس وفي اكثر أوقاتها تخلو من الأمراء والغالب عليها آل الضّحاك إلى سنة اربعمائة ، ثم سار جماعة من همدان وبني شهاب إلى الشريف الزّيدي الى ذمار يستدعونه فسار معهم إليها ودخلها في ذي القعدة من السنة المذكورة .

دعوة الإمام المهدي الحسن بن العلم العياني

ودخلت سنة ٤٠١ فيها وصل الإمام المهدي الحسين بن القاسم بن

---

(١) جنوبية .

(٢) المصدر نفسه والخزرجي وقرة العيون.

علي العياني إلى جهة البون فأجابته حمير وهمدان والمغارب ، ومالوا عن الزيدي ، وكان الزَّيدي قد دعا إلى نفسه ، وأرسل بكتاب دعوته إلى الحسين بن القاسم في رجب سنة ٤٠٠ ، فأمر الحسين[١] أهل بلاده بالوصول إلى الزيدي ومبايعته ، بعد اختياره ومساءلته ، وكتب مع الوافدين عدّة مسائل في التوحيد لامتحانه بها وقبل مسير الوفد المزوّد بمسائل الامتحان المحرّرة من الحسين ، وافته الأنباء الصحيحة بأن كتاب الدَّعوة الذي انفذه الزيدي إليه مصنوع على لسانه صنعة ابراهيم الطبري وكوبل بن أبي بحر ، وانهما عملا باسم محمد بن القاسم الزيدي وهما اذ ذاك بحضرة والده وان الغلام ليس منه وضع كتاب ، ولا خطاب ، وكان ابوه[٢] هو الذي أمره بالدعوة

فخرج الحسين بن القاسم لمحاربته ، وخرج الزَّيدي من صنعاء وأقام ببيت بوس ، وأقام ابنه زيد بن محمد بصنعاء فحصن دربها ، ثم بدا للزَّيدي فأخرج المسجونين من سجن صنعاء وأنهب أهراء[٣] الطعام ، وعاد إلى ذمار فتعطّلت صنعاء من السَّلطنة إلى سنة ٤٠٢ ووصل الضَّحاك بن جعفر فأقام بها مدّة ، ووصل رجل يقال له ابن أبي النجم من طرف الإمام المهدي في جماعة يطالب الناس بزكاة أموالهم فلم ينكر عليه الضَّحاك .

وفيها مات الحسين بن سلامة صاحب زبيد وقد تقدم .

دخول الإمام المهدي صنعاء وقتل الشريف الزيدي

في آخر سنة ٤٠٢ دخل الإمام صنعاء وطلب من أهلها خمس العبيد والخيل وجعل أخاه جعفراً على صنعاء فضرب السّكة باسمه ، فثار عليه أهل صنعاء وحاربوه وسط المدينة ، فتحرك الإمام لنصرة أخيه ، ودخل صنعاء

---

(١) ارجع اللآلىء المضيئة .

(٢) هذه رواية الخزرجي وقد تقدم ان الحسين ابي القاسم الزيدي مات سنة ٣٩٤ فتأمل (ص)

(٣) هي مخازن الغلال.

فهدم دوراً لبعض أهلها ، وأخذ أموالهم فاستنجدوا بالزيدي بعد أن غادرها الامام وترك أخاه ، فاغار الزَّيدي على صنعاء سنة ٣٠٣ وفر منها جعفر بن الإمام .

ولما دخلها الزَّيدي أمر بهدم دور جماعة من شيعة الإمام الحسين ، واجتمع معه بها عسكر عظيم ولما علم الإمام بما كان جمع جنوده ، وقصد صنعاء فالتقوا عند الجبوب[1] واقتتلوا قتالاً شديداً ساعة من النهار ، ثم انهزم الزيدي طريق الفج[2] ودخل الإمام بعسكره صنعاء وخرج في أفراس يتطلب الزَّيدي ، فأدركه بحقل صنعاء فقتله هنالك ، وإلى ذلك أشار صاحب البسامة بقوله :

وكان منها على الزيدي ملحمة بحقل صنعاء تجري مدمع النظر

وكان مقتله يوم الخميس لسبع بقين من صفر سنة ٤٠٣ ودفن بنجد عصر ، وفي صفر هذا العام مات الإمام الدَّاعي يوسف بن يحيى ودفن بصعدة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أحداث زيد بن محمد الزيدي

فيها نهض الشَّريف الزيدي بجمع عظيم من مذحج للأخذ بثأر والده ، فوصل الهان وبه ابن أبي الفتوح ، فكانت بينهما حرب انهزم فيها ابن الزَّيدي ، وقتل جماعة من أصحابه ، ونهب منصور بن أبي الفتوح أعلامه وارسلها إلى الإمام المهدي ، فاستنجد الزَّيدي بصاحب زبيد ، وكان الذي عزم إلى زبيد لطلب النجدة رجل من أصحابه يقال له ابن مروان ، فلما وصل إلى زبيد أنجده صاحبها بمال عظيم ، فعاد ابن مروان واتفق بالشَّريف الزيدي

---

(١) موضع اسفل جبل نقم بالشرق من صنعاء .

(٢) لعله فج عطان أو الأشمور والفج الطريق الواسع الواضح بين جبلين في قبل جبل وهو أوسع من الشعب.

ببلد عنس ، ثم سارا لحرب منصور بن أبي الفتوح ، وكادا يقضيان عليه ، فاستنجد بالإمام ، فبادر إليه في جيوش عظيمة ، ولما قرب من الهان انفضَّ عن الزيدي انصاره من عنس وغيرهم ، ولم يبق معه غير رفيقه ابن مروان ، ففرَّا معاً وتركا خيلهما وأثقالهما فاستولى عليها الإمام وعلى مائتي فرس لعنس ، ورجع الإمام إلى ريدة ، وأدّب أهل البون[1] بسبب انتقاضهم عليه عند مسيرة لانجاد منصور بن أبي الفتوح .

إعتزام الإمام الرجوع إلى صنعاء وقتله[2]

لما أكمل الإمام مهمّة في تأديب الثائرين نهض يريد صنعاء ، وقد خالف عليه منصور بن أبي الفتوح ، وتابعته بنو شهاب ، وبنو حريم ، ووادعة ، ونزل بنو حريم حمدة[3] فنهبوا دار الإمارة ، وأخرجوا المحبوسين أهل من البون ، فجمع الإمام عسكره لحربهم فقاتلوه عند ريدة وهزموه إلى حمدة وقتلوا جماعة من عسكره وحطوا عليه بحمده (٤). خرج نحو بلد الصَّيد فنهبوا حمدة وأعَاد الناس أبا جعفر أحمد بن قيس بن الضَّحاك على إمارة صنعاء فأقام بها إلى سنة ٤٠٤ .

ثم ان الإمام جمع جمعاً عظيماً ، وجمع ابن الضَّحاك سائر القبائل المخالفة على الإمام ، وسار بهم إلى ذيبين فانهزم الإمام إلى الجوف ، ثم عاد إلى بلد الصَّيد في مائة فارس ، فعلمت به همدان ولقوه إلى قرب ريدة وأحاطوا به ، فدافع عن نفسه دفاع الأبطال ، وغشيهم بنفسه مراراً ، وخرق

---

(١) راجع ما أورده الخزرجي ولكنه لم يبن اسم القبيلة المنتقضة وقد ذكرها الزحيف وغيره عند ايراد كلام الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام (ص)

(٢) الخزرجي وأنباء الزمن والزحيف والحدائق الوردية

(٣) حَمِدَة : مدينة أثرية في ناحية عيال سريح في الغرب من عمران

(٤) كذا في الأصل.

صفوفهم فتظافروا عليه وقتلوه في صفر من السنة المذكورة بذي عرار بين ريدة والبون وعمره نيف وعشرون سنة .

وكان من عيون الأئمة الكبار المبرزين في كل فنّ له المصنّفات المفيدة في علم الكلام وغيره ، قيل ان مصنفاته بلغت ثلاثة وسبعين مصنّفاً منها كتاب المعجز في علم الكلام[1] ، وتفسير القرآن كاملاً وغير ذلك من المصنفات العالية ، الدالة على ملكته في العلوم ، ورسوخ قدمه في سائر الفنون وملك من الهان إلى صعدة ، ولم يزل داعياً إلى الحق إلى أن قتلته بنو حماد ، قال في الحدائق الوردية[2] : وبقي جماعة من شيعته يعتقدون أنه حي وانه المنتظر الذي بشّر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وقد كتبنا رسالة في هذا المعنى سميناها بالرسالة الزّاجرة لذوي النهي عن الغلو في أئمة الهدى[3] انتهى .

والى معتقد شيعته اشار صاحب البسامة بقوله :

وانزلت ساحة المهدي قارعة ... بذي عرار ونقع الخيل لم يثر
وقال قوم هو المهدي منتظر ... قلنا كذبتم حسين غير منتظر
كيف انتظاركم نفساً مطهرة ... سالت على البيض والصمصامة الذكر
وللخيالات أوهام مسلّطة ... على العقول التي ظلت عن الفكر

ولم تزل فكرة الاعتقاد في المهدي الحسين بن القاسم سائدة عند جماعة من الشرفاء إلى القاسم العياني وشيعتهم برهة غير قصيرة كما نراه في سيرة ذي الشرفين ان شاء الله (قال الخزرجي)[4] . وفي جهلة الشيعة، من

---

(١) معه نسخة خطية في مكتبة برلين بالمانيا .

(٢) الحدائق الوردية ج ٢ ص ٦٤ .

(٣) وكذا الف في نفس الموضوع العلامة حميدان بن احمد بن يحيى حميدان المتوفي سنة ٦٥٦ رسالة بعنوان «بيان الاشكال فيما حكى عن المهدي من الأقوال» توجد غالبا ضمن مجموعة .

(٤) العسجد المسبوك ص ٥٢ .

يزعم أنه حيّ لم يقتل ، وأنه المهدي الذي بشّر به النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان على هذا الإعتقاد كثيراً من الأشراف ، ثم انقرض أهل هذا الاعتقاد، وكانوا خلقا كثيراً في مغارب صنعاء قال وكان الحسين بن القاسم من أعلم خلق الله وأفصحهم ، ولم يبلغ عمره ثلاثين سنة ، وقال (الزحيف) ان اناساً من شيعته ضلّوا فيه وذهبوا إلى أن كلامه أفصح من القرآن بل قد رأيت من المصنفات ما نسب إليه وفيه ما يقتضي هذا المعني وتأوّله بعضهم بأنّه قاله وهو ذاهب العقل ، وقال أصحابه فيه أقاويل هائلة ، ولما ظهرت منهم هذه المقالات ونحوها ، قال الفقيه جيعد بن الحجّاج الوادعي صهر نشوان بن سعيد الحميري[1] :

أما الحسين فقد حواه الملحد ... واغتاله الزّمن الخؤون الأنكد
فتصَبّروا يا غافلين فإنّه ... في ذي عرار ويحكم مستشهد

فغضب الشرفاء القاسميون وأحنقهم هذا المقال وتوهّموا أن القائل نشوان بن سعيد فقال فيه عبدالله بن القاسم بن جعفر :

أما الصحيح فإن اصلك فاسد ... وجزاك منّا ذابل ومهنّد

فأجاب نشوان مدافعاً عن نفسه بقصيدة طويلة منها[2] :

من اين يأتيني الفساد وليس لي ... نسب خبيث في الأعاجم يوجد
لا في علوج الرُّوم جد أرزق ... أبداً ولا في السود خال أسود
إني من العرب الصُّميم إذا امرء ... غلبت عليه العجم فهو مولد
فدع السفاهة انها مذمومة ... والكف عنها في الواقب احمد

---

(١) هو علامة اليمن ومحققها اللغوي نشوان بن سعيد بن ابي حمير بن عبيد بن القاسم بن عبد الرحمن الحميري كان من العلماء الاجلاء من أشهر مؤلفاته شمس العلوم توفي نحو سنة ٥٧٣ .

(٢) مطلع البدور .

والله مـا مـنـي نـظام جـاءكـم فيه أقول حـوى الحسين الملحد
ولـقـد أتيت بـه فقمت مبـادراً عـجـلاً امـزق طـرسـه واقـدد
فـأشـاعـه مـن ظـنّ ان ظـهـوره في النّاس مكـرمـة عليها يحسـد
اغضبتم إن قـيـل مـات إمـامكم لـيس الإمـام ولا سـواه يـخـلد
لا عـار في قتـل الإمـام عـليكم القتـل لـلكـرمـاء حـوض يـورد
ان الـنبـوة بـالـنّبـي مـحـمـد ختمت وقـد مـات النّبي مـحمـد

ومنها :

فـدع التهـدّد ويـالحسام جهـالـة فحسـامك القـطاع ليس لـه يـد
مـن قـد تـركت بـه قتيـلاً إنـني مـمـن تـوعـده ومـن تـتـهـدد
ان لـم أمـت إلاّ بـسيـفـك انـنـي لـقـريـر عين بـالبقـاء مـخلد

بقية أخبار المتغلبين على صنعاء

لما قتل الإمام الحسين بن القاسم سار ابن أبي حاشد إلى صنعاء وأقام بها إلى ذي الحجة من السّنة ولم يتم له أمر مع همدان فخرج من صنعاء وتعطّلت من السُّلطة إلى نصف شوال سنة ٤٠٥ ، ودخلها أبو جعفر احمد بن قيس بن الضّحاك إلى شهر ربيع من سنة ٤٠٦ ، ثم خرج منها وارتفعت أيدي عُمّاله ، وخلت من الإمارة إلى سنة ٤٠٨ ، لكثرة الإختلاف ، واضطراب الأمور ، وتعدّد الطامعين والثائرين ، ولقد أثّرت هذه الحالة السّيئة في عمران البلاد أثراً عظيماً حتى قيل انه لم يبق من دور صنعاء سوى ألف وأربعين داراً ، ومن مساجدها مائة وستة ، ومن الحَمّامات إثنا عشر حماماً ، بعد أن كانت عدد الدُّور بها أيام الرّشيد مائة ألف دار وأربعين الف[1] دار ، ومساجدها ثلاثة عشر الف مسجد وحماماتها كذلك ، ثم ان همدان راجعت أبا جعفر احمد بن قيس في الرّجوع إلى الإمارة فأجابهم .

(١) أنباء الزمن والخزرجي وقرة العيون: وقد نقلنا رواية عدد دور صنعاء أيام الرشيد تبعاً لأولئك مع أنها لا تخلو من مبالغة (ص) .

نفوذ الأحباش أمراء زبيد في بلاد الجبال

ودخلت سنة ٤١٠ فيها ثار الشَّريف زيد بن محمد الزَّيدي بقوم من بني شهاب فسجنوه[١] بأشيح[٢] فسار إليهم ابن ابي الفتوح وأمدّه القائد مرجان صاحب الكدرا ، وعاضدهم ابن أبي حاشد ثم ان ابن ابي الفتوح نزل إلى تهامة فتلقَّاه القائد بالكدرا واحسن تلقيه ثم عاد إلى الهان حتى أخرج الشَّريف زيد بن القاسم الزيدي من أشيح وسلمه إلى مولاه القائد ، وتحالفت همدان والأبناء على بني شهاب أمرهم بذلك القائد فحاربوهم مراراً في بيت بوس ثم اصطلحوا ، وفيها نزل باليمن ثلج عظيم وكان ذلك في شهر شباط بعد أن اصاب الناس في الشتاء برد عظيم جمد فيه الماء .

قال في انباء الزمن[٣] ودخلت سنة ٤١١ وسنة ٤١٢ وفيها كانت اليمن موزعة بين أمراء ومتغلبين كثيرين فزبيد والتهائم إلى بني زياد ، ولحج وأبين وحضرموت والشوالي إلى بني معن ، والسَّمدان وذخر والتَّعكر إلى بني الكرندي ، وحبّ وعَزّان وخدد وبيت عز والشعر والنّقيل والشوافي والسحول ، بيد حسين التبعي ، واليمن الأعلى أوزاعاً بين آل يعفر ، وآل الضحاك ، وآل ابي الفتوح ، وأولاد الإمام الداعي يوسف بن يحيى ، وأولاد الإمام القاسم العياني .

ودخلت سنة ٤١٤ فيها نهض الأمير جعفر بن الإمام القاسم العياني من صعدة فاستدعته حمير وهمدان إلى صنعاء فسار إليها وأقام بها شهراً ، ثم طلب من الناس النّهوض معه إلى صعدة فسارت معه ، فلما وصل صعدة نهبها

---

(١) الخزرجي وفي كلامه عن ثورة زيد بن محمد الزيدي إيهام فتأمل ، وصاحب الكدرا في ذلك التاريخ هو العبد نجاح مولى مرجان كما تقدم (ص) .

(٢) اشيح : حصن شهير في بني سويد وتعرف الآن بحصن ظفار وهو من الشمال الغربي من صوران بمسافة ٣٠ ك . م .

(٣) غاية الأماني ص ٢٤١ .

واحرق بعض دورها وقتل جماعة من أهلها ورجع الى عيان[1] .

وكان قد وثب على صنعاء ذعفان وابن أبي حاشد ، ثم وقع خلاف بين همدان وذعفان وابن أبي حاشد فاستدعوا جعفر بن الإمام ، وأدخلوه صنعاء وذلك سنة ٤١٥ ، فطالب النّاس مطالبة شديدة وأقام بها مدة يحارب ذعفان وابن أبي حاشد ، ثم اصطلحوا لمدة شهرين ، ونزل ذعفان إلى القائد بالكدرا يستمده فأمده بأموال جليلة ، وكتب معه إلى المنتاب بن إبراهيم بن عبد الحميد صاحب مسور ، وأمرهم بحرب جعفر بن الإمام ، فاجتمعت عليه همدان وحمير وصاحب مسور فخرج إلى بيت شعب فحصرته همدان[2] وحمير ، وأعادوا ابن أبي حاشد على إمارة صنعاء فهجم أهل بيت خولان على محطة حمير وقتلوا منهم مائة رجل وانهزم عسكر المنتاب وذلك في المحرم سنة ٤١٦ ثم تهادنوا إلى آخر السنة .

ظهور المعيد الناعطي

ودخلت سنة ٤١٨ فيها ظهر شخص مجهول الاسم بناعط وتلقب بالإمام المعيد لدين الله وسار إلى مأرب وبها عبد المؤمن بن أسعد بن ابي الفتوح الخولاني فأكرم الخولاني نزله وأقام النّاعطي عنده وكتب إلى النواحي بدعوته ، وكان يسطّر كتبه من عبدالله الإمام المعيد لدين الله الداعي إلى طاعة الله الدّامغ لأعداء الله : بهذه الفخفخة تسلّط على عقول السذج البسطاء وتابعه منصور ابن أبي الفتوح ، ولما وصل كتابه إلى صاحب الكدرا أعاده مختوماً فغضب منصور بن أبي الفتوح وكتب إلى سبأ بن عبد الحميد وأخيه عبد المؤمن يحثهما على النهوض مع الإمام ، وساروا إلى مسور ، فلقيهم منصور في جيوش عظيمة ثم قصد الإمام صنعاء ومعه منصور فدخلها في جند كبير ، وخطب له قاضي صنعاء ابن النقوى بالإمامة فعظم شأن

(١) أنباء الزمن .

(٢) الخزرجي .

المعيد ، وغلظ أمره وارتفع دخانه ، وانفذ ولاته إلى جميع المخاليف ، ويرحم الله القائل :

وكل قرن ناجم في زمن فهو شبيه زمن فيه بدا

وأقام بصنعاء أياماً ثم سار إلى حراز ، فلقيته عنس وبكيل على بركة ضاف[1] ، فسار الى الهان وأقام بها سبعة أيام ثم انتقل الى ذمار ، وأمر بعمارة حصن هران[2] .

ودخلت سنة ٤١٩ فيها هرع المعيد إلى مخلاف جعفر ، ومعه صاحب حصن كحلان والمنصور بن ابي الفتوح ، فأقام بإب وانقاد له أهل المخلاف إلاّ ابن مكرمان فإنه استدعى عسكر القائد مرجان[3] الحبشي فأقاموا إلى سنة ٤٢ ، وفسد ما بين النّاعطي ومنصور وابن أبي حاشد ، فتفرقوا ورجع ابن أبي حاشد ، وابن أبي الفتوح الى طاعة القائد مرجان ، وكان سلطان الحبشة أمير زبيد قد امتد إلى بلاد الزيدية في ذلك التاريخ ، كما سبقت الإشارة إليه ، ولم تبق غير الجهة الشّمالية فإنها كانت بيد الأشراف ، وأما المعيد فإنه رجع إلى هران بمراسلة من عنس ، وما عتمت ان تآمرت عليه بعض قبائل عنس وقتلته في ذي الحجة سنة ٤٢١ .

وفي تاريخ مسلم[4] اللحجي ان المعيد دخل صنعاء في عشرة آلاف من همدان ، وأهل اليمن فيهم السلطان يحيى بن أبي حاشد بن الضّحّاك

---

(١) قرية عامرة في قاع جهران .

(٢) انباء الزمن والخزرجي (ص) .

(٣) هذه رواية الخزرجي وهي تخالف ما سبق فإن القائد مرجان قتل سنة ٤١٢ كما ذكره الدّبيع في قرة العيون والخزرجي أيضاً في غير هذا المكان في الفصل المخصوص بالدّ ولد الحبشية باليمن : وأمّا صاحب أنباء الزمن فإنه قال في سنة ٤١٩ وما بعدها إلى سنة ٤٢١ لم يتفق فيها غير ما تقدم ، ولكنه أفاد في سنة ٤٢٢ ان مخلاف الهان تحت نفوذ القائد مرجان ، وهو غير صحيح فراجع ما تقدم (ص) .

(٤) نقل هذه الشرفي في اللآلىء .

الهمداني ، وهو يومئذ زعيم همدان قال : ولما أقبل المعيد يريد صنعاء تلقّته همدان إلى بعض الطّريق ، ثم أتوا القاضي تبع بن المسّلم القاضي بجوب[1] ، قال : وهو علّامة همدان وأحد شيوخ الزّيديّة ، فقالوا له : اخرج معنا إلى هذا الرّجل فانظر لنا ما عنده ، فإن كان إماماً طاعَنّا بين يديه بالرماح ، فقال : لست آتيه ولكني أكتب لكم مسائل فإن أجاب عنها فهو عالم ، وان عجز عن جوابها فليس كذلك ، ففعل ودفع إليهم دواة واوراقا ، فلما أتوا إلى المعيد ووقف على المسائل اعتذر بعدم وجود الورق ، فقالوا : معنا الورق ، قال لا بد من دواة ، فقالوا : وهذه الدّواة ، ودفعوها إليه ، فقال : هذه سَمُّاقيات[2] تبّع[3] ، والله لئن ظفرت به لأخرجن لسانه من قفاه ، قال فكان تبعٌ منه خائفا

وفي هذه السّنة اشتد القحط باليمن ومات كثير من النّاس وخلت بلاد كثيرة من أهلها واستمر القحط الى سنة ٤٢٢ .

وفيها كانت الفتنة بين الشيعة والسنيّة ، وصنعاء خالية عن السلطان إلا لبني مروان[4] بعض الأمر ، وولاية الهان ومقراً إليهم من تحت يد القائد (مرجان)[5] ولصاحب مسور حسين بن المنتاب بعض منازعة ودام الحال كذلك إلى سنة ٤٢٦ ، وفيها ظهر الإمام ابو هاشم النفس الزكية .

الإمام ابو هاشم النفس الزكية

الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين بن القاسم بن

---

(١) موضع يقع جنوب ريدة وشمال عمران وهو إلى ريدة أقرب.

(٢) اي كذب خالص.

(٣) يعني تبعا بن المسلم السابق ذكره .

(٤) هكذا في الخزرجي وأنباء الزمن واللآلىء المضيئة، ولم نعثر لأي مؤرخ من هؤلاء ولا غيرهم على شيء عن هذه الأسرة وكيف ملكت صنعاء ومن أين أتت إليها.

(٥) في اللآلىء والخزرجي: وولاية مقرا والهان إليهم من يد تحت يد القائد فقط، وزاد صاحب أنباء الزمن لفظة (مرجان) وهو غير سديد فتأمل (ص) .

ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، قدم من الشّام ومعه حمزة ومحمد فقصد صنعاء ووصله المنصور ابن أبي الفتوح فبايعه ، ورجع إلى بلدته قال الخزرجي[1] واستقوت الشيعة على السنية وعزل القاضي النقوي وكان سنيًّا وأقام الإمام الى سنة ٤٢٩ ، ثم خالفت عليه حمدان ودخل ابن أبي حاشد صنعاء ثم خرج وتعطلت عن الإمارة الى سنة ٤٣١ ، وقال في انباء الزمن[2] : ولبث الإمام مدة يسيرة ثم عارضه حسين بن مروان وما برح الاختلاف إلى سنة ٤٢٩ ، ودخلت سنة ٤٣٠ فيها تعطلت صنعاء من الإمارة الى سنة ٤٣١ واستدعت همدان جعفر بن الإمام فدخل صنعاء في شهر ربيع من السنة فافترقت عليه همدان وعلى ابن أبي حاشد ، وكان الاكثر مع ابن أبي حاشد فخرج جعفر من صنعاء منهزماً وسار ابن أبي الفتوح إلى مخلاف جعفر للقاء ابن الكرندي ، وعبدالله بن يعفر فأقام معهما إلى شهر ربيع الآخر ، ثم عاد فقوي به أمر ابن أبي حاشد ثم فسد الحال بينهما[3] ، وهرب ابن أبي حاشد من صنعاء وجمع جموعاً وجاءه ابن سلمة الشّهابي ، فقصد ابن أبي الفتوح الى السر (فتراكزوا) فيها وقتل ابن عم لابن أبي الفتوح ، واستدعت همدان جعفر بن الإمام إلى صنعاء بأمر ابن أبي حاشد ، وكان ابن أبي الفتوح بعلب[4] وابن أبي حاشد ببيت بوس فأقاموا كذلك مدة وجعفر ابن الإمام بصنعاء تارة يجبي الأموال ، وتارة يضعف عن ذلك ثم ان ابن أبي حاشد كره مقام جعفر بصنعاء فعامل عليه من أخرجه منها ، فسار الى ابن ابي الفتوح ، واستدعى ابن أبي حاشد الإمام أبا هاشم النفس الزكية ، فدخل صنعاء ثاني خروج جعفر عنها ، فأقام الإمام بها ثمانية أيام ، وولّى على البلاد والياً ،

---

(١) العسجد المسبوك من ٩٩

(٢) غاية الأماني ص ٢٤٤

(٣) انباء الزمن والخزرجي واللآلىء المضيئة وقرة العيون

(٤) قرية في سفح جبل نقم جنوبية على بعد ٤ ك.م

وخـرج إلى ريدة وسـار منها إلى نـاعط ، ومات فيـه ، وقبـره هنـالـك مشهـور مزور ، وكانت وفاته سنة ٤٣٣ .

وذكر صاحب الحدائق الورديـة[١] أنه أقـام بصنعاء من ثـالث شعبان إلى نصف شهر رمضان ثم خرج لفساد من عارضه وهو الحسين بن مروان ، وأقـام عنهـا مدة ، ثم حلفت لـه همدان سـوى بني حمـاد في المحـرم سنـة ٤٣٣ ، فدخل صنعاء يوم الأربعاء لثمان عشرة من الشّهر المذكور ، فـأقام بهـا ثمانية ايام ، وولّى فيها والياً ، وخرج إلى ريدة وأقام أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر حتى توفاه الله حميداً وقبضه إليه سعيداً .

وقد أورد (صاحب الحـدائق) كتابـاً للإمـام ابي هاشم أرسله من نـاعط الى صعـده سنة ٤١٨ ، وهـو كتاب دعـوته ضمنـه كثيراً من المسـائل الـدينيـة والسياسية والادارية ، تناول فيـه واجبات الخليفـة ، ثم القضاة ، وكيف يجب ان يكون سلوكهم ، وعلى أي اسلوب يقضون فيما اشتبه عليهم من الحـوادث الاجتمـاعية التي لا دليـل عليها ، ثم بين واجبـات القـوّاد وأمـراء الجيـوش ، وآدابهم الدينية والسيـاسية ، وكيف يلزم ان يعـوّد الأمراء والقـائد نفسـه وجيشه في الحرب والسلم ، وغير ذلك والكتاب طـويل جـداً ذكر فيـه جميع طبقـات الأمّـة ، وأشار إلى سيـاسة كـل طبقة وإداراتهـا ، أورده بكمالـه الفقيـه حميـد الشهيد في حدائقه الوردية[٢] فليرجع إليه من شاء .

ولم تـزل الحروب والفتن بين ابن أبي حـاشد وابن ابي الفتـوح مستمرة وصنعاء خالية عن السلطة إلى سنة ٤٣٦ .

الإمام أبو الفتح الديلمي

فيهـا وصل الإمـام النّـاصـر لـدين الله ابـو الفتـح الحسن بن نـاصـر بن

---

(١) الحدائق الوردية ج ٢ ص ٩٠ .

(٢) انظر في صفحة ٩١ من الكتاب المذكور .

محمـد بن عيسى بن محمـد بن عبـدالله بن احمـد بن عبـدالله بن علي بن الحسن بن زيـد بن الحسن بن علي بن ابي طـالب عليـه السـلام ، من بـلاد الـدَّيلم إلى اليمن ، فجمع العسـاكر ، ودخـل صعـدة ، فنهبهـا وأخـرب دوراً بها ، وقتل من خولان بمجز مقتلة عظيمة ورجع في ذي القعدة فـدخل صنعـاء واستعمل عليها رجل من ولد الزَّيدي وكان قد دخلها قبله ابن أبي الفتوح وابن أبي حاشد فنصرته الشيعة على السنيّة ، وانتقل الإمام إلى ذيبين فأقام فيـه بقيّة هذه السنة ، وهو أول من اختط ظفار .

ودخلت سنـة ٤٣٨ فيها خـرج الإمام من ذيبين إلى حـذَّان أسفـل وادي السّر ، ثم سار إلى علب ، واستقام له الأمر ، ووصل ابن أبي الفتـوح ، وعمر له في علب قصراً بالجصّ والآجر واستقـر فيه ، وكتب لـه ابن أبي الفتوح إلى عنس فأقبل من رؤوسائهم مائة فارس فدخلوا في طاعة الإمام وبايعوه واستدعى له جعفر ابن الامام القاسم ، وجعله أمير الأمراء ، وصـرف له ربـع ما حصـل للإمام ، ثم فسد الأمر بينهما ولم يتم ، وتمالا جعفر بن الإمام وابن أبي حاشد على حرب الإمام أبي الفتح ، وخرج من صنعاء فأمـر الإمام بخـراب دور بني الحارث ، ودور بني مروان فغضب ابن أبي الفتـوح وابن أبي حاشـد لذلـك ، ودخلا صنعاء فرفعا أيدي ولاة الإمام ، وطردا الشّيعة من الجامع ومكّنا منه أهل السنة وقطعا إسم الإمام من الخطبة فخـرج الإمام من علب إلى الجـوف ، ثم رجع إلى بلاد عنس، ووصل الأمير جعفـر صنعاء ، فـأقامـوا فيها مـدة ، وتوفي السلطان يحيى بن أبي حاشد أول سنة ٤٤٠ ، ووصل المنصور بن أبي الفتوح في مائة فارس معزّيا فيه إلى همدان ، فأقام النَّاس ابنه أبا حاشد ، وحلفت لـه همدان ، هكذا رواية الخزرجي[١] وصاحب أنباء الـزمن[٢] والدبيـع في قرة[٣]

---

(١) العسجد ٥٤ .

(٢) غاية الأماني ٢٤٦ .

(٣) قرة العيون ٢٤١ .

العيون والشرقي في لآلية لهذه سلسلة الحوادث والله أعلم .

قيام علي بن محمد الصليحي وأخباره

قال الخزرجي : أجمع علماء التاريخ ورواة الأخبار من أهل اليمن أن القاضي محمد الصليحي ، والد الأمير علي بن محمد الصليحي كان فقيهاً عالماً سني المذهب وكان قاضياً في بلده حسن السيرة مرضي الطريقة ، وكان أهله وجماعته يطيعونه ولا يخرجون عن أمره ، وكان الدَّاعي عامر بن عبدالله الزواحي يلوذ به ، ويركن إليه كثيراً لرياسته وسؤدده ، وصلاحه وعلمه فرأى يوماً ولده علياً فلاحت له فيه فحائل النجابة وكان يومئذ دون البلوغ ، فكان الداعي عامر بن عبدالله الزَّواحي كل ما وصل الى القاضي يتحدث مع ولده على المذكور ، ويخلو به ويطلعه على ما عنده حتى استماله وغرس في قلبه ما غرس من علومه وأدبه ومحبّة مذهبه ، وقيل بل رأى حلية الصّليحي في كتاب الصّور وهو من الكتب القديمة فأوقفه على ما فيه سرًّا ، فلما حضرت الدَّاعي الوفاة أوصى بجميع كتبه ، وما جمعه من أموال الدّعاية لعلي بن محمد الصليحي فعكف على دراسة تلك الكتب ، وكان ذكيّاً فلم يبلغ الحلم حتى تضلَّع في معارفه التي بلغ فيها ، وكان فقيهاً في مذهب الإمامية ، ثم صار يحجّ بالناس دليلاً على طريق السّراة ، ولم يزل كذلك نحواً من خمس عشرة سنة ، وكان النَّاس يقولون له : بلغنا إنك ستملك اليمن بأسره ، فينكر ذلك على من يقوله مع كونه قد اشتهر على السنة الخاصة والعامة، فلما كان في سنة ٤٢٩ثار الصُّليحيفي رأس جبل مسار ومعه ستون رجلاً قد حالفهم على الموت أو الظَّفر ، وأخذ في البناء في قلته[1] من بعد طلوع الشمس ذلك اليوم ، فاجتمعت قبائل حراز واستنكروا فعله ، وحاولوا منعه والضرب على يده ، فقدر بكمال دربته وحنكته على استمالتهم وصرفهم عما كانوا متجهين

---

(١) رأس الجبل.

إليه ، وانصرفت تلك القبائل ، ولم يمض عليه شهراً إلاّ وقد بناه وحَصّنه ، وجعل امره يظهر شيئاً فشيئاً حتى استفحل امره ووصلته الشّيعة من أنحاء اليمن وجمعوا له أموالاً جليلة ، وأظهر الدعوة للمنتصر بالله معد بن الظاهر العبيدي ، فلما ظهر بمسار ، وكان معه فيه من سنحان ويام وجشم وغيرهم ، نهض لحربه أحد رؤساء حراز جعفر بن العباس شافعي المذهب ، وكان مجاباً في مغارب اليمن ، وجعفر بن الإمام القاسم جمعوا القبائل وقصدوه ، فلم يجد الصّليحي بدًّا من المقاومة والدّفاع وأوقع جعفر بن العباس في محطته فقتله في شعبان من السنة ، وقتل من أصحابه جمعاً كثيراً ، فتفرّق الناس عنه ، ثم طلع جبل حضور فاستفتحه ، وأخذ حصن يناع فجمع له ابن أبي حاشد جمعاً فالتقوا بصوف وهي قرية من حضور بني شهاب ، فقتل ابن أبي حاشد ، وقتل معه ألف رجل من أصحابه ، وبهذه الوقعة يضرب المثل في اليمن ، ثم سار الصّليحي إلى صنعاء فملكها وطوى اليمن طيًّا ، سهله ووعره وبره وبحره ، وهذا شيء لم يعهد مثله في جاهلية ولا اسلام هذه رواية الخزرجي بالفظه تقريباً[1]، وقد اعتبر قيام الصّليحي سنة ٤٢٩ وهو يخالف ما في كتابه في غير هذا الموضع فراجع ما نقلناه عنه في حوادث سنة ٤٢٩ وما بعدها إلى سنة ٤٤٠ تجد صنعاء وما جاورها تختلف عليها الولاة والمتغلّبين وقد تخلوا عن السلطة البتة ، ونقل الديبع في قرة العيون[2] ، خبر ظهور الصّليحي على الأسلوب المتقدّم نقلاً عن الخزرجي إلاّ أنه قال فلما كانت سنة ٤٣٩ ثار في رأس جبل مسار ومعه ستون رجلاً الخ ولا ندري هل اختلاف التاريخ بين ما في تأريخ الخزرجي وبين ما في قرة العيون من تصحيف الكاتب في الأم التي نقلنا عنها أم هو الأصل ، وما أكثر التّصحيف

---

(١) تصرفنا بعض تصرف مع المحافظة على معنى الأصل لعدم وضوح بعض الكلمات في النسخة التي نستقي منها ابحاثنا (ص) .

(٢) قرة العيون ج ١ ص ٢٤٤ .

والتحريف بل المسخ في المصادر التي استقينا منها أخبار هذا القسم ولعمري ان تفهم القلم المسماري وحل رموز المسند أقرب إلى الفهم من تحريف النّاسخ وسوء فهم الماسخ لتلك الأسفار وفي انباء الزمن[1] ما لفظه : ودخلت سنة ٤٣٩ فيها ثار علي بن محمد الصليحي في مسار من أعمال حراز ، فملك اليمن جميعه من مكة إلى عدن في أقرب زمن وسيرته مشهورة وأخباره مذكورة انتهى .

وفي اللآلىء المضيئة نقلاً عن مسلم اللحجي قال : ولما حضرت الوفاة سليمان[2] بن عبدالله الزواحي ، سلم أمر الدعوة (العبيدية) الى علي بن محمد الصّليحي فوثب ، على قلعة مسار فأخذها ، ثم فتح حصون اليمن وقلاعها ومدنها ومخاليفها ، وقتل رجالها ، واسر ملوكها ولما انتهى هو ومن سبق إلى نصرته من همدان الحجاز وجنب[3] وسنحان[4] ونهد[5] ، الى أعلى جبل حضور[6] ، وكان ملك صنعاء وأعمالها إلى همدان البون ورئيسهم ابو حاشد[7] بن يحيى بن أبي حاشد بن الضحاك ، وأنهم حشدوا في لقائه حتى اجتمعوا بسهمان[8] فهموا بالتقدم إليه الى الجبل ، أو بعض المواضع منه نحو قاع بيت حدد فقال لهم رجل من الحمادّيين يقال له حتروش ، وكان من أشراق همدان لا أراكم أن تفارقوا مواضعكم ، وان هبط اليكم القوم اخذتهم

---

(١) غاية الأماني ص ٢٤٧ .

(٢) سبق عن الخزرجي ان هذا الداعية العبيدي اسمه عامر (ص) .

(٣) جَنْب : من قبائل مذحج وهم ولد يزيد بن حرب مواطنها هران ذمار وغيرها .

(٤) قبيلة مشهورة ممتدة من قاع صنعاء الى ما عاود حولان العالية .

(٥) قبيلة من قضاعة معروفة .

(٦) حضور : جبل شامخ غربي صنعاء لمسافة ١٨ ك.م

(٧) هذا يؤيد ان ظهور الصليحي حوالي سنة ٤٤٠ فان وفاة السلطان يحيى بن أبي حاشد وقيام ولده ابو حاشد هذا كان سنة ٤٠ كما تقدم .

(٨) سهمان : قاع بالغرب من صنعاء .

الخيل في هذا القاع ، وان وقفوا كنتم اصبر فأبوا إلاّ التقدم ، فلما صاروا بوادي صوف ، اغتنم الصليحي وأصحابه الفرصة في ذلك فقتلهم هنالك ، وذكروا ان عدة من قتل منهم ألف قتيل منهم سلطانهم ابو حاشد بن يحيى ، وكان حتروش حين تقدموا تأخر هو إلى صنعاء فأمّنه الصليحي وأكرمه واتخذه جليساً ، وكانت قبائل اليمن ذلك الزمان كثيرة العدّ والعدد والخيل والسلاح .

قال مسلّم اللحجي : أخبرني مسعود قال أدركت همدان قبل خروج علي بن محمد الصليحي ودعوته وهم ألف فارس في صنعاء والبون وأعمالهما غير وادعة وبكيل ويام وحجور ، وأدركت عنساً وهم ألف فارس أيضاً وبني الحارث بالرحبة وهم خمسمائة فارس ، والأبناء وفيهم ثلاثمائة فارس أو قال خمسمائة أو نحو ذلك ، وقال : وكان ابن الأشجب ، أو قال : الأشجب ملك مسور ولاعة ، وهو من آل المنتاب يأخذ الأتاوة من ملك تهامة كل عام ، فاذا حال الحول بعث لرؤساء همدان من يأتيه بهم ، الى بيت الحراني بناحية مسور ، ثم كتب إلى ملك زبيد ان همدان وحمير قد أتوا لجوائزهم ، فإن اتتهم وإلاّ اتوك فيبعث إليهم الأموال ، فيعطيهم منها ويكسوهم فينصرفون ، فلما ملكهم الصليحي ، أذل عزّهم وقتل سراتهم ، وأشرافهم ، وأوطا نخوتهم ، وأخذ الأنفس والأموال واستعبد الذرية والأطفال انتهى[1] .

وفي سيرة الامير ذي الشرفين لكاتبها مفرج بن أحمد[2] قال : لما كان في

---

(١) لم نجد ما يؤيد رواية مسلم هذه بل الحال كانت على العكس فإن أحوال بلاد الجبال كانت مضطربة حتى كان نفوذ أمراء الحبشة يتغلغل في صميمها كما أشرنا إليه في حوادث سنة ٤٢٠ وما بعدها ، ولم نقف على اسم الأشجب هذا فرضا عن عظمته المزعومة التي استطاع بها أن يهيمن على همدان وحمير ويضرب الاتاوة على ملوك زبيد ومن العجائب ان هذا المؤرخ عاش حوالي القرن الخامس وكان من السهل عليه تمحيص الأخبار وتحقيقها ولا سيما فيما يتعلّق بالزمن القريب منه.

(٢) هو مفرج بن احمد الربعي من علماء القرن الخامس له سيرة الأمير ذي الشرفين منها نسخة خطية بجامع صنعاء.

غيبة إمام العصر ، وصاحب الدّهر المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بقي النّاس في فتن وزلازل وظلمة ومحن في سنة ٤٠٤ إلى سنة ٤٣٧ ، وفيها خرج عدوّ الله علي بن محمد الصليحي متوجّهاً إلى الحرم ودعا إلى مذهب الإسماعيلية بالحجاز وسلك نجداً في مبتداه وتهامة في منتهاه ، وأجابه إلى ذلك طوائف من حراز وغيره ، وطلع في رأس الحول من قابل إلى جبل مسار ، وذكر خبر اجتماع قبائل حراز واستنكارهم ، ثم إقناعهم وقيام قبائل المغرب تحت رياسة جعفر بن العباس لحرب الصليحي وانهزامهم ، ثم أورد ما خلاصته : ان الرُّؤساء من همدان وحمير والاحبوب والمغرب اجتمعوا في بيت معدى كرب ، وحضر معهم الأمير جعفر بن الإمام القاسم وولده عبدالله جعفر وانتدبوا الثاني لقتال الصليحي واختاروا ان تكون الحيمة ميدان حربهم وكفاحهم ، وكان في المحارم من عزلة الحدب ، ولما ألتقى الجمعان ، وتنازل الفريقان كتب النصر للصليحي وخذلت القبائل ، وسقط الأمير عبد الله بن جعفر أسيراً في أيدي القوم . وحمل إلى مسار ثم منّ عليه الصّليحي بعد أن استحلفه وأكّد عليه المواثيق ألاّ يعود إلى الخروج عليه ، ثم اجتمعت القبائل والرؤساء مرة ثانية وقرّ رأيهم على إرسال حملة أخرى تحت رياسة الأمير جعفر بن القاسم ، فنهض الأمير إلى صيد البراد، وهنالك التقى الجمعان فانهزم أصحاب الأمير جعفر بعد قتل مستمر ووقع الامير أسيراً في أيدي القوم فنقلوه إلى مسار ، ثم أن الصليحي أطلعه وخلّى شأنه بعد أن واثقه على ان لا ينصب له حرباً ، ولا يقاتل له حزباً[1]

ودخلت سنة ٤٤١ فيها هاجت ريح شديدة في شبام حمير فاقتلعت شجر البرقوق واحتملت الكلاب حتى سمع نباحها في الجو ، وهدمت دوراً ومساجد فسبحان القادر .

---

(١) راجع سيرة ذي الشرفين وهو يخالف ما سبق عمله الخزرجي وما في أنباء الزمن من ان الامير جعفر اشترك في المعركة التي كانت بين الصليحي وجعفر بن العباس فتأمّل (ص) .

ودخلت سنة ٤٤٤ فيها سار الإمام أبو الفتح الى عنس فقصده الصّليحي ، فقتله في نيّف وسبعين نفراً من أصحابه في نجد الحاج[١] ودفنوا جميعاً في محل واحد برومان في بلد عنس وقبورهم هنالك مشهورة رحمهم الله[٢] قال في أنباء الزمن بعد هذه الحادثة :

ودخلت سنة ٤٤٥ الى سنة ٤٤٨ لم يتفق فيهن ما ينبغي ذكره.

فلنرجع الى سيرة ذي الشرفين ، ودخلت سنة ٤٤٤ فيها طلع الصليحي إلى يناع ، وأوقع بالأحبوب وأهل الجبل في يناعة[٣] وظافره أبو الحسين بن مهلهل بن جناح وصعد إلى بيت خولان وطارت الأنباء بهذه الحوادث ، فارتاع لها النّاس ، وفزعت حمير وهمدان وخولان ، وبني الحارث إلى الرئيس حاشد بن يحيى ، وأجمع رأيهم على الصّمود إلى البقاع التي احتلّها الصليحي لإنقاذها والضرب على يده فهرعت جموع كثيرة تحت قيادة أبي حاشد بن يحيى وفي قرية يازل[٤] التقى الفريقان ، ودارت بينهما معركة من أحمى المعارك وطيساً ، سقط فيها أبو حاشد بن يحيى قتيلاً وقتل غيره من رؤساء القبائل وسلا طينها وباء العسكر الصليحي بالغنائم الوفيرة ، من خيل وسلاح وعدد ورماح ، وبهذه الحادثة التي قضى فيها على كثير من رؤساء القبائل والعشائر التي لا يستهان بها وبشجاعتها ، طار ذكر الصّليحي واستفحل أمره ، ووجفت فرقاً منه القلوب واستكانت له كثير من الرؤوس ، ووافته الأمور ، وانقاد له الحرون ، وتعبّدت أمامه طرق القلب والإستيلاء ، ونهض إلى تهامة ليفتحها ، لما كان يخافه من آل نجاح واهتبالهم الغرّة في اثناء حروبه مع قبائل المشرق فينقضوا على حراز مبعث دعوته ، ومنبع قوته ، فتم

---

(١) نجد الحاج بالعرب من رداع ولا يزال مشهده قائماً إلى الآن.

(٢) انباء الزمن وسيأتي خلافه .

(٣) يناعه بلد وواد من ناحية خارف قضاء خمر

(٤) من قرى بني مطر في عزله بني سوار على الطريق الغربية لصنعاء .

لـه فتح تهـامة[1] وبعـد تلك الحادثـة التي أمضّت قلوب كثير من القبـائل دَبّـر الناس الحيلة ، وتشاوروا ، وأجمعـوا على مناجـزة الصليحي ومقاومتـه ، وفي مقـدمتهم الشريف الفـاضل القـاسم بن جعفر والإمـام حمـزة بن أبي هاشم ، وتحمّس النّـاس واستعـدوا ، واتصلت الأنبـاء بـالصليحي فكتب إلى الشـريف القاسم كتاباً يقول فيه : أما بعـد فان الله لـو أراد للنّملة صلاحـاً لما جعـل لها جناحاً ، وأفاض في الوعيد والتهديد ، وذّيله بأبيات منها :

هــذا اليقين وخيــل الحق مقـبلة تحثّ في نقعها جرى السراحين[2]
هناك لا تنفع الرسّى[3] ندامته وعض إبهامه في الوقت والحين
فيــال همـدان لا يغــرركم طمـع الى الغــرور حبـالات الشيــاطين

الخ . .

فأجاب عليه الشريف الفاضل بكلام طويل منه : وقفنا على كتاب رجـل قد طما في بحر الغرور وعـلا في أسفل الأمـور ، يخبط العشوى في تجبـره ، ويمشي الخيـلا بتكبره ، إلى أن قـال : فلا يغـره يازل ومـا قتل فيـه من فارس وراجل ، فأنها امنيّة خدعتهم ، وعددهم فاجأهم ، فلو تأهبوا لقتاله ، وأخذه ونـزاله ، لضـاق به الفجـاج ، وكثـر منـه الإرتجـاج ، وهم الآن قـد أصلحـوا السـلاح ، وثقفوا الـرماح واثقين بـإزالة الدولة عنـه للبراهين التي قـد لاحت ، وللأمور التي قـد أتى وقتها وفـاحت ، لما أتى في محكم التنـزيل ، وفسّـره أمير المؤمنين ، فالأمر صائر إلى أربابه حقًّا ، والفرع عائد الى نصابه صدقـاً ، وكتب أبياتاً يقول فيها :

هــذي اليقين والـلاي عــز الـديني ليس الــوعيـد ولا الارجــاف يثنيني

---

(١) سيأتي ان فتح تهامة انما تم بعد قتل الأمير نجاح بالسم الذي دسّه إليه الصليحي سنة ٤٥٢ كما سيأتي (ص) .

(٢) جمع سرحان : وهو الذئب.

(٣) يعني به القاسم بن جعفر الغياني.

عـزمي وثيـق وقلبي مـرتعـب إذا ألَـمَّ نـواميس الـدهـاقيـن[1]
لا بـد من وقعـة مني تـظل بهـا اشـلاؤكم فـرقـا بين السـراحين

ومنها :

وان همـدان لا تغـضي عـلى قـذأ ولا تـلاقيـه إلاَّ في الـميـاديـن
بكـل أجـر وسَبّـاح وسـابحـة عـلى منـاكبهـا شـم الـعـرانيـن

عزم الشريف الفاضل الى صعدة وطلوع الصليحي من تهامة

لم يهمل الشريف الفـاضل فـرصة غيـاب الصليحي عن البلاد واشتغـاله بتهامة فـأخذ يهـدم الحصون التي بنـاها علي بن محمـد في بني الحذيفي في الحيمة وفي البون وغيرها ، وأصبح يولِّي الولاة ويطوف في النّـواحي التي هي فارغة ، ثم انه قصد صعدة ، وطلع الصليحي من زبيد إلى صنعاء ولما شاعت الأخبار بطلوع الصليحي صنعـاء رجع الشـريف الفاضـل من صعدة إلى البـون ولقيه هزيم أهل صنعاء في البون ، وعرف ان اكثر الناس الذين كانوا يحضّونـه منضمين إلى حـزبه قـد تخلوا عنه واستمـالهم الصّليحي بالمـال ثم انـه حض الناس على الخروج لحرب الصّليحي ، فخرج معه خمسمائـة نفر أمرَّ عليهم أخاه الحسين بن جعفـر وابن عمه عيسى ، وسـاروا إلى صنعاء ، ولمـا قـرب تفـرق أصحاب الحسن وبقي في نفر قليل وتقدّم الصليحي الى بيت خـولان ثم تقدم إلى صنعاء فدخلها ليومين خـاليين من ذي القعدة سنـة ٤٤٧ وكان الشـريف ، قد خرج عنها في نفر قليل ، وفيها سـار الشريف الفـاضل الى بلد بني صـريم ووصلت خيل الصليحي الى عجيب .

ودخلت سنـة ٤٤٨ في المحـرم منهـا تفـرقت رؤسـاء همـدان منهم سلامة بن الضحاك وعلي بن ذعقان وغيرهما من الرؤساء في بني صـريم وبني الدعام وجمعوا العساكـر من حاشـد وبكيل ، واستنهضـوا الشريف الفـاضل ،

---

(١) جمع دهقان : زعيم فلاحي العجم.

فلم يجد بدًّا من النهوض معهم ، وهو كاره لذلك ، وتحكموا عليه في الحركة والسكون وأصبح معهم لا يبدي[1] ولا يعيد ، ولقد سأله سائل في تلك المدّة أتقصر الصلاة أم تتم ، فقال: سل على ذعفان دلاله على أنه لا يملك راية في الحلّ والترحال وأنه طوع رأي غيره من الرُّؤساء ، وتقدمت رؤساء همدان بمن معها إلى حاز من همدان وزحفت جيوش الصليحي إلى قراتل بجوار حاز ، ولما ألتقى الجمعان ، وَلّت همدان ومن معها من القبائل مدبرة وتفرقوا أيدي سبأ ، وكان الشريف الفاضل قال لهم : اغزوا بنا القوم إلى موضعهم فلم يسعدوه ، ثم قال لهم : أتبعوني الخيل إلى صنعاء فلم يتبعوه ، فلما حقّت عليهم الهزيمة ، وطاروا شعاعاً ، ثبت الشريف الفاضل في خمسة نفر من أصحابه ، فأبلوا بلاء حسناً ، وفي هذه الوقعة قتل علي بن ذعفان ، وقيس بن وهيب وجماعة من وجوه الناس .

الهرابة وما كان بها من الأحداث

بعد الفشل الذي منيت به القبائل ، والهزيمة التي فرقتهم أيدي سبأ في الوقعة المتقدمة انتقل الشَّريف الفاضل ومن رافقه من آله وشيعته ، مثل جشم بن عبد الأعلى بن الدعام ، والرُّبيع بن الروية ، وذعفان بن ذعفان ، وعباد بن شهاب صاحب الهجر بالأحبوب وغيرهم ممن يؤثرون هجران أوطانهم ومنازلهم على الرضوخ والاستسلام للصليحي ، واتفق رأيهم على اتخاذ الهرابة[2] معقلاً لهم ، فاجتمع بهذا الموضع نحو ألفي مقاتل، ومعهم نساءهم وأولادهم ، ولما اتصل بالصّليحي ما فعله الشريف الفاضل وشيعته ، أخذ يرسل الكتائب والسلاهب[3] ويرمي الهرابة بالقبائل والقنابل[4] وأحاط بها

---

(١) راجع السيرة واللآلىء المضيئة.

(٢) الهرابة حصن في ناحية بلاد وادعة في الظاهر بنواحي حوث (ص).

(٣) جمع سلهب الخيل الطويل على وجه الأرض.

(٤) القنابل : الطائفة من الناس والخيل.

من كل جوانبها ، وضَيّق الحصار عليها سبعين يوماً جمادى الأول والآخرة وعشراً من رجب سنة ٤٤٨ ، ونصب المجانيق والعرادات وعظم الحشد إلى تلك البقعة ، حتى كان يخيل للسّامع أن الأرض ترتج وتضطرب ، عند ضرب الجباجب والطُّبول ، ونفخ النفاطات[1] والأبواق ، فثبت أصحاب الفاضل ثباتاً يدهش اللّب ، وبرهنوا على بسالة وصبر قل أن يتحمّلها إنسان مهما بلغت حماسته ، وعاهدوا الشريف الفاضل على الموت ، وواثقوه على ان لا يخرج من الباب احد أو يهلك دون ذلك ، كلا هذا ومورد ألماً بعيد عنهم ، وليس معهم منه إلاّ ما كانوا قد احتجنوه واحرزوه ، ولطول المدة نفذ ما معهم من الماء وبلغ الحال إلى أن تقاسموا الماء بالعطبة[2]، وطلب رجل شربة ماء على ان يبذل فيها ما يملك ، وكان ما له لا يقل عن ألف دينار ، فلم يجد ، وبذلت إمرأة مائة وعشرين ديناراً عوض شربة ماء فلم تجد ذلك ، وكانوا يضعون الدروع الحديدية على صدورهم يتلذّذون ببرد الحديد ، وماتت البهائم والخيل من العطش ، حتى امتلأت حيطان الهرابة بجثثها المنتنة ، وقد كانت السماء تمطر في آنات متباعدة فيتهافتون على الماء يغترفونه ، من بين جثث الموتى ، وجيف الحيوانات ، وربما عثروا على الماء بعد يومين أو ثلاثة في الحفر التي قد أمتلأت بالأشلاء المنتنة ونحوها ، فيأخذون ما يظفرون ، وقد امتزج بالصديد ، وأصبح أسود كأنه القطران ، فيعمدون إلى طبخه بالنّار ثم إلقاء التراب الأبيض عليه ليغير من لونه ، ثم يسدُّون أنوفهم ويشربون فلا يكاد يمرّ من الحلق حتى يتقاياه الشارب ويكاد يهلك وربما هلك .

هذا كله والماء غير ممنوع عنهم ، ولا يصدّهم صاد عن وروده والأمان سائد لمن يريد الورود ، ولكن العهد والميثاق الغليظ حال بينهم وبين الخروج من الأبواب وتعديها، وقد هلكت النساء والصبيان والبهائم في سبيل المحافظة

---

(١) اداة من النحاس يرمى بها النفط.

(٢) العطبة: القطعة الصغيرة من القطن.

على العهد والوفاء به ، وفي هـذه المدة وعلى هـذا الحال والجيش الصليحي محيط بهم يـرجمونهم بـالحجارة ، ويرشنونهم بـالنّبـل ، ويضـايقـون عليهم أماكنهم ومواضع مرورهم ، لأن الهرابة مـوضع مـطمئن من الأرض، تحيط به آكام وجبال شاهقة ، فهدمت أكثر حصون الهرابة ، وتعب أكثر النـاس من هذه الشدّة والمغامرة ، فخرجوا وخلفوا الشّريف، ونحو مائة فمن لم تطب نفوسهم بخسـران الأجر والثـواب، فآثـروا مـا هنـالـك وصبـروا حتى داهمتهم الجنـود الصليحي وحملت عليهم حملة واحـدة وتبادلـوا مع من بقي القتـال ساعـة من النّهـار ، وخرج الشّـريف عيسى بن عياش إلى الصليحي ، فـأكرمـه وكسـاه ، وأعطاه الأمان له ولأهل الحصن ، وعاد إلى الشريف الفـاضل ، وعـرض عليه ما وصل به من الصّليحي ، فلم يقبل الفاضل ، ثم أنه عرض الأمـر على أهله وخواص شيعته، وبعد أخـذ ورد أجمع رأيهم على خـروج الشريف الفـاضل بنفسـه الى الصليحي ، فخرج الفـاضـل ، ولمـا قـرب من مضـرب الصليحي نهض لاستقباله ماشياً وأكـرمه وعَـظّمه ، وكـان الشريف الفـاضل ، قـد أرسل الشريف عيسى بن عياش إلى مكة للاستنجـاد بالشـريف شكر ابن أبي الفتـوح الحسنى ، وبني حسن فلم ينجده ، فعنّفه الصّليحي على ذلـك ، وأمر يقبض مـا في دار الشّريف الفـاضل من سـلاح ، وأطلق له منهـا عشرة أدراع وعشـرة أسياف ، وأطلق بجميع أصحـابه سـلاحهم ، وما يقـدر الواحـد أن يحمل هـو وحـريمه ، وكـانت الجنود قـد تهافتت على الحصن ، فهـرع الصّليحي بنفسه لصونهم ، وأخذ يذود كل من يحاول الفساد، وأرسل البغال فأخـرجت النساء والأطفال على اجمل هيئة وإلى هذه الحادثة أشار صاحب البسامة بقوله :

وفـي الهـرابـة ايـام لـفـاضـلنـا ... وصنـوه ذي المعـالي خيـر منتصـر
حطّ الصليحي حـوليهـا بعسـكـره ... سبعين يـومـاً ومـا فيهـا سـوى قـطر

ثم ان الفاضل سَيّـر بالحـرم والذريـة صنوه ذا الشـرفين الى الحضن ، وأمر الصليحي بهـدم الهرابـة ، ولما راعـه من صبر أولئـك الرجـال حكى عنـه أنـه

قال : (لو كان لي مثل رجال الهرابة لدخلت بهم العراق) وقد تسامح مع رجال الهرابة ، فلم يجر على أحد منهم سوء ما عدا الشريف الفاضل فإنه حمله معه إلى صنعاء وجعله في دار خاصة فضَيّق عليه الموكّل بحفظه في كل شيء حتى في القوت ، فلما بلغ الصّليحي ذلك نقله داراً أخرى ، وأمر بالترفيه عليه وعدم مضايقته وخَصَّص له بغلة لركوبه في المراسم الحافلة والأعياد.

عزم الصليحي الى جنوب اليمن ومحاربة آل الكرندي

ودخلت سنة ٤٥٠ في المحرم منها عزم الصُّليحي لحرب يعفر بن احمد الكرندي ومنازلته بحصن السوأ[١] وكان لبني الكرندي مخلاف المعافر ومخلاف التعكر ونواحيها ، وآل الكرندي يرجع نسبهم إلى ابيض بن جمال الذي أقطعه النّبي صلى الله وسلم عليه وعلى آله ، جبل الملح ، وقد تقدم ذكر الأبيض بن جمال في الكوائن أيام البعثة .

وقبل مغادرة الصّليحي صنعاء جعل الخيرة للشريف الفاضل بين أن يقيم بدار تُعدّله بصنعاء على الرّحب والسعة والإعزاز والإكرام ، وبين ان يلحق بأهله ، وبين ان يرافقه فأختار الثالث وسار معه في هذه السفرة والعناية[٢] واللطف يحفّان به فأقام الصليحي تسعة أشهر في منازلة الكرندي حتى تمكن من القضاء عليه ، ورجع في حافرته[٣] إلى صنعاء عاصمة ملكه ، واتفق ان جاء والد الشريف الفاضل ، وهو الشّريف جعفر بن القاسم ساعياً في صرف ولده ، وتخليصه من اليد الصليحية ، فعرض له المٌ أودى بحياته ، وفارق الحياة بصنعاء ، في شهر ذي الحجة من السنة ، وكان رحمه الله يقول : أنا

---

(١) عزلة كبيرة من ناحية المواسط واعمال الحجرية .

(٢) هذه مستقاة من سيرة ذي الشرفين واللآلىء المضيئة أيضاً (ص) .

(٣) يقال رجع في حافرته : اي في طريقه التي جاء منها.

أكثر من أعطى عمراً من أهل بيتي أنا ابن خمس وثمانين سنة ٤٨٥ ثم تمثل بقول النّابغة الذبياني (واني لأرجو فوق ذلك مظهرا)

فأمر له الصليحي بأكفان رفيعة ، وقطع من الكافون وخرج وأعيان دولته لتشييع جنازته ، وأمر بدفنه في مقابرهم بصنعاء ، ثم ان الصليحي حضّ الشريف الفاضل على زيارة اهله وقرابته ، وحثه على ذلك ليؤنسهم بعد ما لحقهم من وفاة والدهم ومعيلهم الأكبر فلحق به بعد أن أجزل له الصّلاة ، وأمر لجميع من تحت يده بالملابس الفاخرة والصّلاة ، وعرض على الشّريف قضاء حوائجه ، وأجرى له نفقة شهرية تجري على الدّوام ، فأقام الشريف بأهله مدّة مشتغلا بالعبادة ، ثم أنه كتب للصّليحي : نريد المدينة وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعزم نحو الحجاز ، وعاد إلى اليمن بعد قتل الصليحي ، كما سيأتي بيانه أن شاء .

وفي انباء الزمن ما لفظه : ودخلت سنة ٤٤٩ فيها سار الصّليحي لقتال آل الكرندي ، وسار الفاضل صحبته حتى وصل زبيد[١] ، ثم عزم على التوجّه للحج فأذن له الصّليحي ، وسار معه أخوه ذو الشرفين محمد بن جعفر في نفر قليل حتى أنتهيا إلى بلاد خثعم بعد مشقات شديدة ، وأهوال عديدة ، ولما استقرًا في بلاد خثعم تزوّجا فيها ،وأقاما مدة ، ثم طلّق الفاضل زوجته ، وسار إلى مكة فمكث فيها سبع سنين ، ثم همَّ بالمسير إلى الكوفة فبلغه قتل علي بن محمد الصليحي في المهجم ، كما سيأتي ذكره ،ووَرَدت عليه كتب من اليمن مخبرة بقيام حمزة بن أبي هاشم وان الوصول متحتّم عليه لمناصرته فرجع إلى اليمن[٢] .

---

(١) قد سبق نقلاً عن سيرة ذي الشرفين في حوادث سنة ٤٤٤ ان الصليحي غزا تهامة في ذلك التاريخ وهذا صاحب أنباء الزمن يقول انه دخل زبيد في هذه السنة والخزرجي يقول انه طوى اليمن سهله ووعره إلى آخر ما نقلناه عنه في سنة ٤٢٩ وبعد كل ذلك سيأتي عنهم ما يخالف الرواية الأولى فتأمل (ص) .

(٢)انظر غاية الأماني ص ٣٥٢ .

ودخلت سنة ٤٥٠ لم يتفق فيها ولا في التي تليها ما يوجب الذّكر .

ودخلت سنة ٤٥٢ فيها مات الأمير الحبشي نجاح مولى[١] مرجان بمدينة الكدرا ، من الأعمال التهامية ، مسموماً سَمّه علي بن محمد الصليحي على يد جارية أهداها الصليحي إلى الحبشي ، وكان الصّليحي بعد أن استولى على صنعاء ، وأخرج منها همدان وشرع نفوذه يمتد خاف من نجاح لعلمه بعجزه عن مقاومته ، وجعل يفكر في ذلك ، فدله تفكيره إلى الغدر وذبح الوجدان في سبيل المجد المزيف ، وجعل سبيل التنفيذ الجارية المهداة فانه زوّدها السّم ، وأمرها بقتل مولاها الجديد. ولما بلغ الصليحي موت نجاح انقض على فريسته ، وبادر إلى زبيد فأزال بني نجاح عنها ، وهم سعيد وجياش ومعارك والذخيرة ومنصور ، وكان معارك أكبرهم فقتل فنسه وهرب سائر إخوته إلى جزيرة دهلك ، وكان منهم ما ستراه قريباً .

ودخلت سنة ٤٥٣ فيها كسفت الشمس كسوفاً عظيماً حتى[٢] ذهب جميع جرمها وأظلم النهار ، حتى ظهرت الكواكب وسقطت الطيور .

وفيها كتب الصليحي الى المستنصر العبيدي يستأذنه في إظهار[٣] الدّعوة ووَجّه إليه بهديّة جليلة منها سبعون سيفاً قوائمها من عقيق فقبل المستنصر هديّته وجاد عليه بهذه الألقاب[٤] الفخمة الملك السلطان الأجل الأوحد ، سيف الإمام المظفر ، نظام المؤمنين علي بن محمد الصليحي ، وولّى أخا زوجته أسعد بن شهاب مدينة زبيد ، وامتد نفوذه إلى جزائر البحر الأحمر وأمر أخاه محمد بن علي بأختطاط مدينة النهر ذي جبلة قال الخزرجي :[٥] ولما

---

(١) الخزرجي وقرة العيون وأنباء الزمن (ص) .

(٢) انباء الزمن (ص) .

(٣) الخزرجي وقرة العيون (ص) .

(٤) نزهة الأخبار للداعي ادريس (ص) .

(٥) العسجد المسبوك ص ٥٧ .

وصل له الأذى (من إمامه المستنصر بنشر الدعوة) وقد توفي نجاح في التاريخ المذكور آنفاً سار الصليحي إلى التهائم فأفتتحها ولم تخرج سنة ٤٥٥ ، إلاّ وقد استولى على كافة قطر اليمن من مكة إلى حضرموت سهله وجبله ، وتَمنّعت عليه صعدة بعض التمّنع بأولاد الناصر ، ثم قتل القائم فيهم وملكها ، واستقر ملكه في صنعاء وأخذ معه ملوك اليمن الذين أزال ملكهم وأسكنهم معه واختط في صنعاء عدة قصور ، وحلف ان لا يولّي تهامة إلاّ من حمل له مائة الف دينار ، ثم ندم على يمنة وأراد أن يوليها صهره ، سعد بن شهاب صنو أسماء بنت شهاب والدة المكرم فحملت اسماء عن اخيها المبلغ المذكور ، فقال لها الصليحي : يا مولاتنا أنّا لك هذا ، قالت : هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ، فتبسم الصليحي ، وعرف انه من ماله وخزانته، فقبضه وقال : هذه بضاعتنا ردّت إلينا ، فقالت اسماء : وغير اهلنا ونحفظ أخانا فولاّه التّهائم ، ودخل أسعد بن شهاب زبيد في سنة ٤٥٦ وأحسن السّيرة في كافة الرّعية ، وأذن لأهل السّنة في إظهار مذهبهم ، فكان يحمل الى الصليحي بعد اخراج أرزاق الجند[1] في كل سنة ألف ألف دينار ، وعامل الحبشة ، ومن يتهم بالدّولة النجاحية بالإحسان والصّفح ، حتى زرع محبّته في قلوب الناس وفي أنباء الزّمن . ودخلت سنة ٤٥٥ : فيها سار الصليحي مكة فانفق فيها نفقة عظيمة وحمل إليها الأقوات والأطعمة العظيمة ورفع منها رسوم الجور ، وظهر منه فعال جميلة ، ثم عاد إلى تهامة ، وفيها أولاد نجاح المقدم ذكرهم فتوارى عنه سعيد الأحول في زبيد ، وخرج جياش ببقيتهم إلى جزرة وهلك، وجرت له هنالك أمور يطول شرحها، ولم تخرج هذه السنة، حتى استولى الصليحي على اليمن سهله ووعره وبره وبحره إلاّ صعدة فإنّها أمتنعت عليه بعض الإمتناع بأولاد الناصر ، حتى قتل القائم منهم فاستقر ملكه

---

(١) الخزرجي وقرة العيون (ص) .

(٢) غاية الأماني ص ٢٥٤ .

لليمن جميعه ، واتخذ صنعاء دار ملكه ، وعمر فيها عدّة قصور ، وجمع ملوك اليمن الذين أزال ملكهم على يديه وأسكنهم صنعاء ، واشتد ملكه وبلغت سراريه أربعمائة سرّية، وكانت سيرته فيما رجع لأمر الدين غير مرضية حكى مسلم اللحجي[1] في تاريخه ما معناه : ان الصليحي لما استقر ملكه في صنعاء بلغه ان أهلها يجتمعون في المساجد ، ويتذكرون قبح سيرته ، وربما خاضوا في شيء من قبح عقيدته ، وأنه قد يعيد مذهب علي بن الفضل بصفته ، فشقّ عليه ذلك ، وتألّم منه كثيراً ، وأمسك أياماً ، ثم أمر بتسمير أبواب المساجد ومنع من دخولها ، قال مسلم : أخبرني القاضي ابن عبد السلام بن أبي يحيى[2] ، أن الصليحي لما أراد النّهوض إلى مصر لزيارة العبيدي ، جعل أمواله وذخائره المعدّة لسفره في المسجد الجامع واتخذه خزانة لذلك وملأه بالصناديق وسائر الأحمال فعاجله اللّه بالنقمة وقتل في سفره ذلك كما سيأتي .

ودخلت سنة ٤٥٨ فيها قام الحمزة بن ابي هاشم لمحاربة الصليحي في ثمانية آلاف راجل ، وخرج لقتاله عامر بن سليمان الزّواحي في ألف وخمسمائة فارس وخمسة عشر ألف مقاتل ، فوقعت بينهم عدّة حروب قتل فيها خلق كثير ، وفي اخرها قتل الحمزة عليه السلام في موضع يعرف بالمنوى من بلاد الخشب وهو واد ضيق التجأ إليه الحمزة وأصحابه ، فأخذ عليهم الصليحي أعلا الوادي وأسفله ورموهم بالنبل والحجارة حتى أثخنوهم ، ووقف بين يدي الحمزة سبعون شيخاً من همدان يجالدون دونه حتى قتلوا عن آخرهم ، رحمه الله ، ولم تطل مدة الصليحي بعد قتل الحمزة عليه السلام ، ثم قتل في أواخر هذه السنة ، وقام بثأر الحمزة ولده علي والمحسن بن

---

(١) لا يزال النقل عن انباء الزمن.

(٢) في غاية الأماني بزيادة احمد بن عبد السلام وهو اخو العامر جعفر بن عبد السلام.

الحسن بن أولاد الهادي عليه السلام ، فقتل عام الزواحي وولده يحيى في نواحي ثلا[1]

مسير الصليحي للحج ومقتله

بعد أن تم الأمر للصّليحي كما تقدم استقر بصنعاء إلى سنة ٤٥٩ كما أفاده الخزرجي[2] وقيل إلى سنة ٥٣ ذكره الجندي ، وقال في انباء الزمن : الى سنة ٥٨ وقال الديبع في كتابه بغية المستفيد[3] انه أقام بصنعاء إلى سنة ٤٧٣ ، وازمع على الحج فاستخلف على ملكه ابنه المكرم وسار في الفي فارس منهم من آل الصليحي مائة وستون رجلاً ، واستصحب معه من ملوك اليمن الذين أزال ملكهم ، وخاف من انتقاضهم على ولده خمسون ملكاً ، واستحصب معه ايضاً زوجته اسماء بنت شهاب ، وكان الصليحي قد استمد الأذن من إمامه بالزيارة له ، فحمل من الهدايا والتحف وآلات[4] ما لا يحصر وساق بين يديه خمسمائة فرس عليها سرج الفضة وخمسمائة هجين عليها ركب الفضة أيضاً ، ومعه خمسون دواة من ذهب وفضة ، وغير ذلك من النفائس ، ولما وصل ظاهر المهجم من تهامة في ضيعة تعرف بأم معبد هاجمه الأمير الحبشي سعيد بن نجاح الأحول ، في سبعين من أصحابه ليس لهم سلاح غير جرد النخل على أطرافها المسامير فلم يشعر النّاس ضحوة النّهار إلاّ وقد قتل الصليحي ، وكان الذي باشر قتله سعيد بن نجاح الأحول بنفسه ،

---

(١) ثلا: مدينة اثرية تقوم بالسفح الشرقي من حصن ثلا وهي على بعد ٣٤ ك.م من صنعاء بالشمال الغربي.

(٢) الخزرجي : العسجد المسبوك ص ٥٨ .

(٣) غاية الأماني ص ٢٥٦ .

(٤) بغية المستفيد ص ٤٧ .

(٥) كذا في الأصل.

وقتل أيضاً أخو الصليحي الأمير عبدالله بن محمد وبعد قتل الصليحي تفرّق جيشه واستولى الحبشي على خزائنه ، واسر عائلته وخشن في معاملة الصليحيين فقتل من وجد منهم رمياً بالحراب وجعل رأس علي بن محمد على عود مظلّته أمام هودج زوجته أسماء بنت شهاب وفي ذلك يقول شاعرهم العثماني[1] :

بكرت مظلّته عليه فلم ترج ... إلاّ على الملك الأجل سعيدها
ما كان أقبح رأسه في ظلها ... ما كان أجمل رأسه في عودها
سود الأراقم قابلت اسد الثرى ... وارحمتا لأسودها من سودها[2]

ولما دخل زبيد جعل أسماء في دار خاصة بها ، وأمر بنصب الرأسين قبالة طاق الدار التي هي فيه ، وأقامت تحت الأسر سنة كاملة وفي رواية[3] أخرى : ان الصليحي لما تأهّب للحج وافته الأخبار بأن الأحول سعيد بن نجاح أصبح يترقّب الفرص للانتقاض والانتقام ، وانه قد أخذ في اطراف البلاد بالإفساد فأمر بإلقاء القبض عليه فاستتر واستخفى ، وكان قد دخل زبيد مستخفياً وخرج منها وسلك طريق الساحل ، فكتب أسعد بن شهاب عامل الصليحي على زبيد إلى الصليحي ، يعلمه بذلك فسيّر الصليحي من ركابه خمسة آلاف حربة في طلب الأحول وقتله ، قال الأحول نفسه : وأكثرهم من مماليكنا وأبناء مماليكنا ، فخالفناهم ، ولم نزل نجد في السّير ليلاً ونهاراً ، إلى أن دخلن طرف المخيّم ، والنّاس يظنون انا من جملة العسكر وحواشيه ، ولم يشعر بنا إلاّ عبدالله بن محمد الصليحي ، فإنّه ركب فرسه ، وقال

---

(١) هذا الشاعر قدم إلى اليمن من العراق واسمه احمد بن محمد العثماني من ولد عثمان بن عفان ومدح ملوك اليمن ، وكان فيه استهتار ورقه في دين انظر ترجمته في معيد عمارة ص ٢٧٨ ومطالع البدور (خ)

(٢) الأبيات في مفيد عمارة ص ٢٨٣ .

(٣) راجع عمارة والخزرجي ونزهة الأخيار.

لأخيه : يا مولانا اركب هـذا والله الأحول بن نجـاح ، والعدد الـذي جاءنـا به كتـاب أسعد بن شهـاب البارحـة من زبيد ، فـركب عبـدالله بن محمـد وكـان علي بن محمـد ، قد دخـل مـوضـع الخـلا ، قـال جيـاش : فكـنت أول من طعنه ، وشركني فيه عبدٌ للملك نجاح بطعنة أخرى ، وحَـزززت رأسه بيدي ، وكـانت جنوده قـد سبقتـه ، ولم يبق معه إلاَّ طـائفـة من أغلمتـه ، وفـي أنبـاء الـزمن : أن عبدالله بن محمـد الصليحي قـال لأخيـه : يـا مـولانـا هـذا والله الأحول سعيد بن نجاح فقال لهم إنّي لا أموت إلاَّ أمرت[1] إلا بأمّ الدهيم بيـر أمّ معيد معتقداً أنّها أم معبد الخزاعية التي نزل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا هاجر إلى المدينة المشرفة ، فقال له رجل من أصحابـه : قاتـل عن نفسـك هذه والله بيـر أم معبد فلحقـه زمع اليأس من الحياة ، وبال في أثوابه ، ولم يبرح من مكانـه ، حتى قطع رأسـه بسيفه إلى أن قـال : واستولى ابن نجـاح على خزائن الصُّليحي وذخـائره وخيله ورجله ، بعـد أن ذهب في أيـدي النّاس منهـا ما ذهب ، واستغنى الفقيـر ، حتى لقد حكي ان رجـلاً مـرَّ بصندوق مملوءاً من الدَّنانير أسعد يد ، فرغب عنها ، وقال : اريدهـا حاشدية ، ثم التفت ليـأخذهـا فلم يجدهـا ، والاسعديـة ضربت اسعـد ابن أبي يعفر[2] انتهى .

وفي الخزرجي[3] ما خلاصته أنه لما ظفر سعيد بآل الصليحي أشار عليه أخـوه جَيَّـاش أن يعفـو عمَّن قـدر عليـه من آل الصليحي وغيـرهم من أبنـاء الملوك ، وأن يكتب إلى المكـرم انا اخـذنا بثـأرنا ، واسترجعنا ملكنـا ، وقد احسنَّا وتجملنا إليك بصيانة والدتك ، والعفو عن بني عمك ، وقال له والله يا

---

(١) كذا في الأصل ولعله سهواً أو سبق قلم لأن المخطوط عبارة عن أصل المؤلف رحمه الله الذي بخطه .

(٢) انظر غاية الأماني ص ٢٥٧ .

(٣) العسجد المسبوك ص ٥٨ .

مولانا لئن فعلت ذلك ، لانازعتك قحطان في ملك تهامة أبداً ، ولئن كرهت ذلك لتهيّجنّ[1] حفائظها ، ولتطلبنّ بثأرها ، فإنّهم أهل نفوس أبيّة ، وهمم عربية قال فأجابني بقول الشاعر :

لا تقطعن ذنب الأفعى وتتركها ان كنت شهماً فاتبع رأسها الذنبا

ولم يبق ممن ظفر به من ملوك اليمن الذين كانوا مع الصليحي سوى ثلاثة رجال ، وهم وائل بن عيسى صاحب أحاظة[2] ، وعلي بن معن صاحب عدن ، وابن الكرندي صاحب المعافر[3] .

أحوال صنعاء بعد قتل الصليحي

ذكرنا ان الصُّليحي استخلف لما عزم للحّج ولده المكرم على صنعاء ، فلما قتل وطارت الأنباء بالحادثة لم يجد المكرّم بدًّا من إدّراع الصّبر والتشمير للمحافظة على الملك ، وقد كانت أنباء هذه الحادثة مجريّة لكثير من القبائل على الانتقاض ، كما أنها كانت من البواعث لظهور دعوة الإمام حمزة بن أبي هاشم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ظهور الإمام حمزة بن أبي هاشم عليه السلام

تقدَّم رفع نسبه عند الكلام على الإمام أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن ، وإلى الإمام حمزة بن أبي هاشم ، ينتهي نسب الأشراف الحمزات باليمن .

قال في سيرة الأمير ذي الشرفين[4] ما خلاصته انه لما قتل الصليحي في

---

(١) في ارصل لتهيجين .

(٢) ويقال لها ايضاً وخاصة بلده في اعلا رأس جبل حبيش في عزلة شبع شمال إب.

(٣) المعافر ما يعرف الآن بالحجرية .

(٤) في الأصل ذي الشريفين.

التاريخ المذكور ، اجتمعت القبائل من بكيل ووادعة وتهم وغيرهم ، وبايعوا الإمام حمزة بن أبي هاشم ، فأراد الإمام فتح صنعاء وقصدها في جيش عظيم فاستعد المكرم لمدافعته ، والتقى الفريقان بالمنوي من بلاد الحشب ، ودارت بينهما معركة شديدة ، ثبت فيها أصحاب الصُّليحي ، وانهزم جند الإمام ، وتفرقوا عنه ، وثبت في سبعين من شيوخ همدان فقاتلوا حتى قتلوا جميعاً آخر سنة ٤٥٩ .

وفي اللآلىء المضيئة : وكانت لحمزة مع بني الصليحي ، وقعات مشهورة ، ولم يزل مجاهداً في سبيل الله فقصد صنعاء في جيش عرمرم ، فوصل إلى موضع في الخشب يقال له المنوي ، وكان المكرم احمد بن علي بن محمد الصليحي غائباً عنها ، فبلغ ذلك عامر بن سليمان الزَّواحي ، وهو أمير جيوشه ، وكان عامر بيريم ، فسار حتى دخل صنعاء ، وخرج قاصداً للمنوي ، فكانت بينهم معركة عظيمة فانهزم عن حمزة جنده وثبت عنده تسعون من شيوخ همدان ، فقاتلوا حتى قتلوا رحمهم الله آخر سنة ٤٥٩ تسع وخمسين واربعمائة ، وفي انباء الزمن : ان قتل الإمام حمزة ووقعة المنوي كانت سنة ٤٥٨ ، قيل عزم علي بن محمد الصليحي للحج ، وانه هو الذي خرج لمحاربته كما تقدم ، وقد أشار الى هذه الوقعة صاحب البسامة بقوله :

وحمزة روت المنوى له بدم ... وفرَّقت منه بين الرأس والقصر[1]
سر الزواحي والأصارح[2] مصرعه ... وقد ثأرْنَا بِهِ منهم على الأثر
بعامر وبمنصور وأسرته ... فما التقى رايحُ منهم بمبتكر

والذي أخذ بثأر الإمام حمزة هو الأمير المحسِّن الآتي ذكره قريباً قتل الزَّواحي وولده منصوراً ، وروى صاحب اللآلىء المضيئة من كرامات الإمام حمزة بن أبي هاشم عليه السلام ، انه لما دفن واراد أولاده نقله ، حين

(١) العنق.
(٢) هم بنو الصليحي.

أمكنتهم الفرصة حملوه وله نور ساطع ، وقبروه في بيت الجالد[1] ، وهو مشهور مزور وروى له كرامات كثيرة .

رجوع الشريف الفاضل إلى اليمن

ذكرنا موت الأمير جعفر بن القاسم والد الفاضل ، وعزم الفاضل إلى أهله بعد موت والده وبعد أن أقام فيهم مدة رحل إلى الحجاز ، فأقام ، وأقام في بلاد خثعم مدة فلم تطب له الاقامة ، وسار إلى الحجاز فمكث به نحو سبع سنين ، قتل في نهايتها الصُّليحي ، واتصلت به أنباء قتله وكان قد ضاقت به الحال في الحجاز ، ولحقته حاجة حتى اضطر الى والي المدينة ، وكان غائباً عنها فانتظر أوبته فلم ينل منه ، ما يؤمل بعد أن أكثر ترداده إلى بابه ، ولما آيس منه كتب إليه :

إلى الله أشكو ما تردد قاسم ... إلى مخيط صبراتها فا[2] غلائله
أقمنا زماناً نرتجي فضل مخيط ... وهو غائب حتى اتتنا حمائله
فيا ليتنا بنّا ولم نلق مخيطا ... وغالته منّا دون مصر غوائله

فصمم على العودة إلى اليمن ، ولمّا وصل وادعة الفرعين فرح به الشيعة ، وقَصّوا عليه ما كان من أخيه محمد بن جعفر أثناء غيبته ، وانه ما زال يبثّ الدعاية سرًّا بنشاط ، ورغوب إلى أن هلك الصُّليحي فأعلن السّر المكتوم ونهض الإمام حمزة بن أبي هاشم ، لمناداة المكرَّم ، ومعه الأمير محمد بن جعفر ، وكتب إلى أخيه إلى الحجاز يستحثّه الأوبة ، فلقيه الكتاب في أطراف اليمن ، وقد كان مآل الإمام حمزة بن ابي هاشم ثانياً له عن عزمه ، مطغياً لجذوة حماسته ، وقد جاء من الحجاز بحماسة تلتهب ، ولكنه أعاد الى ذاكرته الأيّام التي لقيها من القبائل ، وتخاذل النّاس عنه في كثير من المواطن ،

---

(١) بيت الجالد : قرية من عزلة الحميس من بلاد أرحب.
(٢) كذا في الأصل.

فأصبح يقدّم رجلاً ويؤخر أخرى ، وواصل سيره إلى عيان في شهر ذو الحجة سنة ٤٦٠ ، وفيها ألقى عصا التّسيار .

استنجاد الحرَّة أسماء ولدها المكرم ، وظهور الشَّريف الفاضل

ودخلت سنة ٤٦١ فيها احتالت الحرة أسماء بنت شهاب بإرسال كتاب لولدها، ذكرت فيه أنّها قد حملت من العبد الأسود ، وليس لذلك صحَّة فلم يكن الأحول قد رآها قط ، وإنما أرادت استثارة حماسته وحماسة القبائل اليمنية بذلك ، هكذا نصّ عليه المؤرخون[1] وجعلت الكتاب في رغيف ، رمت به إلى رجل من أهل الشرق فسار بالكتاب حتى أوصله إلى المكرم ، فلما قرأه جمع قبائل العرب ، وقرأ عليهم الكتاب جَهْراً ، فدَبَّت الحميَّة في رؤوسهم ، وأجمعوا على المسير إلى زبيد ، وكان الشريف الفاضل بعيان ، وعنده آل الدَّعَّام ، وطائفة من بينهم ، ومن وادعة والجميع يحضُّونه على الخروج على بني الصّليحي ، فشرح لهم ما يخافه من انتقاضهم ، وما يعانيه من ضيق ذات اليد ، وما عليه حالة أعدائهم من المنعة والقوة ، وكثرة المعاقل والبلاد ، فلما أنس منهم إخلاصاً ، انصاع إلى رأيهم ، وأخذ يستعد للنزُّول على مقترحهم وانتقل إلى الجوف الاسفل وصار في جماعة وفيرة ، وكان أخوه ذو الشرفين محمد بن جعفر وصنوه الحسن بن جعفر ، قد اتّجها إلى بيت شعيب[2] وعرّجا على صنعاء ، ونزلا على أميرها من قبل الصّليحي اسماعيل بن أبي جعفر الصليحي ، وتبادل الحديث في هدنة يضربان مدّتها ، وصلح يعتمد النّاس عليه ، وحملهما على التريث إلى أن يقدم المكرم ، فلما قدم المكرم ، قابل الشريفين بكل حفاوة وإكرام ، وحسن عند الفريقين السّعي في الصّلح والهدنة ، وجنح الصليحي إلى كل ما يرضي الأشراف ، مما هو فيه من مهمّة تخليص والدته من أسر الأمير الحبشي أو الموت دونها ، فتساهل للأشراف ،

---

(١) راجع أنباء الزمن والخزرجي وقرة العيون (ص) .

(٢) كذا في الأصل ولعلها بيت شهير قرية من جبل عيال يزيد .

ورضي بأن يقترن بعامله بصنعاء أحد الأشراف لحفظ البلاد ، فوصلها محمد بن القاسم ، ولد الشريف الفاضل ، وتم الشأن ، على أن يكون للأشراف وادعة وبكيل ، وان يكون الحد الفاصل نقيل عجيب ، وضم إلى الأشراف حمدة ، وحاز ، وبيت شعيب ، وبيت سور ، ورجع الشريفان إلى أخيهما الشّريف الفاضل ، ورضي بما فعلا ، وعرض على النّاس ذلك وارتضوه ، وانحدر المكرم إلى زبيد لمناجزة العبيد .

اندحار الأحباش ودخول المكرَّم زبيد

هرع المكرم في ثلاثة آلاف فارس غير الرّجل ، ولما همَّ بالحركة حَرّض أصحابه وأخبرهم انهم سيقدمون على الموت ، فمن كانت له رغبة في الحياة فليرجع ، فرجع بعضهم ، وتقدم في عصابة من الشجعان الذين هم على شرطة ، وبالقرب من زبيد عبّى أصحابه وقصد بهم باب الشبارق ، وهو الباب الشرقي لمدينة زبيد ، فخرج إليهم سعيد الأحول في عشرين ألف حربة ، وصَفّ أصحابه على باب المجرى ، في جهة الشّمال ، فتزاحف الجيشان ، واصطدم الفريقان ، ودارت بالحتوف الكؤوس ، وتسابقت الشوس[1] إلى منهل المنيّة ، وقطعت الرؤوس واصلقت الحرب الاحباش الطعن والضرب ، فانهزمت الأحباش هزيمة منكرة ، وقتل منهم ما لا يحصى ، وكان الأحول قد أعدَّ خيلاً مضمرة على باب النخل ، فلَمّا تحقق هزيمة أصحابه ركب الخيل في خواصه ، وأهل بيته إلى الساحل ، وقد أعدت له في البحر السفن فركبها إلى دهلك ، ودخلت العرب زبيد قهراً ، وكان أول فارس ، وقف تحت طاقة أسماء ولدها المكرّم ، فقال لها : أدام الله عزّك يا مولاتنا ، فلم تعرفه ، وسألته عن اسمه فقال انا أحمد بن علي فقالت احمد بن علي في العرب كثير ، فرفع المغفر عن وجهه ، فعرفته وقال مرْحباً بالولد المكرَّم ، من جاء كمجيئك فما أبطأ ولا أخطأ ، وضربت المكرَّم الريح

(١) الشوس : عند المولّدين ابطال الحرب.

عندما رفع المغفر ، وهو يتَصَّبب عَرقاً ، فارتعش منها واختلجت بشرة وجهه ، وعاش بقيّة عمره كذلك ، ودخل رؤساء العرب مسلّمين على الحرّة أسماء فقابلتهم سافرة كعادتها أيّام زوجها علي بن محمد ، ثم أمر المكرم بإنزال الرأسين وعمر عليهما مشهداً[1] ، ورجع بأمّه إلى صنعاء وعَمَّلَ على زبيد خاله أسعد بن شهاب .

ما كان بين الأشراف والمكرم بعد عوده من زبيد

أشرنا إلى الصلح الذي كان الاتفاق عليه قبل نزول المكرَّم لمناجزة العبيد فبينما كان المكرّم يستعد لقتال سعيد الأحول ، إذ فرغ الأحول إلى التَّفكير فيما يدفع عنه عادية المكرم ، ويصد عنه غاشية أبناء قحطان ، فلم ير وسيلة أفضل من أن يرسل وفداً إلى الشَّريف الفاضل يحرك من نشاطه ، ويحثه على مناجزة المكرّم ، والزَّحف على صنعاء وأنبأه أنه على استعداد لمعاونته والطلوع إلى صنعاء لمضايقتها ، وطلب من الشَّريف الفاضل أن يعيِّن موعداً يهرع الفريقان فيه إلى عضد شوكة المكرَّم ، وإحتلال صنعاء ، فغنم الفاضل هذه الفرصة فأكرم وفادة الوفد ، وأسرع إلى تحرير الجواب وفيه الموعد المعين لمهاجمة صنعاء ، وأرسل وفداً يحمل المخابرة ، ويوثّق الصِّلات الودية ، وبينما هو يلقي دروسه على الوفد ، إذ بالأنباء تطير بأن الأحول ارغمت انفه وترك البلاد ولاذ بالفرار ، وأن المكرَّم ربح المعركة ، وقضى على الطَّائفة الحبشيَّة المتغلِّبة في أطراف البلاد ، وحينئذ عرف الشَّريف الفاضل خطورة الموقف ، وشرع يفكر في عمارة شهارة ، واتخاذها معقلاً ، ولما عاد المكرم إلى صنعاء اتّجه[2] إلى نجران ، وفي أثناء سفره وافته الأنباء بقدوم (الإمام ابو الفتح الديلمي) من العراق وقصده لأول أمره بلد ضاعن[3] ، ثم

---

(١) انظر هذه الحادثة في جل كتب التاريخ اليمني وهم ينقلون عن عمارة .

(٢) الضمر يعود إلى الشريف الفاضل.

(٣) ضاعن : بلد من جحور شمال جحة .

صعد إلى جبل البر من جبال[1]، وانهالت عليه طوائف من قبائل الجبال فاستعد المكرَّم لمقاومته ، ولما علم من معه من القبائل بزحف الصُّليحي تفرَّقوا عنه ، وتخلفوا وتركوه وحيداً فهرع الى الشريف الفاضل الى الجوف ، وكان من أخباره ما سيأتي ، وقد اعتمدنا هنا على ما في سيرة ذي الشرفين ، وذكرنا فيما تقدم انه ظهر الإمام ابو الفتح الديلمي سنة ٤٣٧ كما في أنباء الزَّمن والخزرجي وقرة العيون

اتخاذ الأشراف لشهارة معقلاً ، وأول اختطاطها

شهارة من أمنع الحصون اليمنية ، وأشهرها قال في سيرة ذي الشرفين : وكان جبل شهارة يسمَّى معتقا وفيه يقول

وإذا إمرء أمّ النجاة فانما سبب النجاة لمعتق في معتق
ثبتت قواعد أسِّه بمحمد لصلاح دين محمد المستعرق

وإنما سمي معتقاً ، لأنه كان يلتوي به الطَّريد ويأوي البعيد[1] ، فإذا لحقهم مواليهم قال الأهنوم ، شاوروهم وشاروا معتقاً .

عهد الشريف الفاضل إلى أخيه ذي الشرفين بالوثوب على شهارة وتدبير الحيلة لطلوع الجبل فلم يتمكن من ذلك ، ثم ان الفاضل ، أرسل الفقيه على بن محمد بن أبي الخيش في جماعة من الأهتوميين والظليميين ومعه صنوه احمد بن جعفر ، وأمرهم أن تكون إشارة تمكّنهم من قنّة الجبل إيقاد النَّار في قمته ، فتيسَّر لهم الصعود ، وعملوا بما أشار الشريف الفاضل وغرضه معرفة استيلائهم عليه .

فلما تيَقَّن ذلك عاد إلى الجوف وبقي يحثّ أنصاره وشيعته على الالتجاء بشهارة ، واتخاذها معقلاً ومقاماً ، فتقاطرت الشِّيعة إلى الجبل ، وبنو

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا ولعله «العبيد» .

فيه الدُّور ، وعملوا على تحصينه بما يحتاج إليه علاوة على حصانته الطبيعية فأفلق[1] بني الصليحي ما دَبّره الأشراف ، وصَنعوه من اختطاط شهارة واعتصامهم بها ، وأخذ المكرَّم يفكر فيما يقضي به على هذه التدابير والحركات المتواصلة ، فحشد عساكره ، وجمع قرابته ، وخرج على رأسهم إلى وادعة ليضايق الأشراف ، ويشدد الوطأة على اتباعهم ، ولما أناخ بجنوده في موضع من وادعة يقال له المدحك ، تحرك الشّريف الفاضل ، وحاول أن يباغت المكرَّم إلى وادعة فأبى بعض رؤساء أصحابه ذلك وعلَّل بأن قوتهم ليست بالمعتمد عليها ، إلى مثل هذه الآراء ، فجنح الفاضل ، إلى قوله : وتقهقر من شؤابه الى وَرْوَرْ ، وتحرّك المكرم إلى أثافت ، وجَرّد عصابة من جنده إلى المنقل[2] فعاثوا في الدّرب ، وسلبوا ما فيه ، فباغتهم جماعة من ذبيان[3] ، ردتهم على أعقابهم ، ولما رأى المكرّم أن القوة التي معه لا غنى فيها ، رجع أدراجه إلى صنعاء ، وقد اتّقدت نار الحماسة في الشريف الفاضل ، بعد رجوع المكرم فنهد إلى أثافت ، وهدم الدار التي سكنها الصّليحي ، وأقام بها ، وبعث من يستنفر أخاه الأمير ذا الشرفين من شهارة ، فهرع إليه واتجها معاً إلى سرّ بكيل ، وفي هذه الغزاة هدم الأشراف الكولة من بلاد خولان ودرب السنتين[4] ، ودرب الثابتي ، ثم رجع ذو الشرفين إلى شهارة ، وسار الفاضل الى الجوف الأسفل سالكاً طريق شوابة ، ثم ان الصليحي جهَّز عصابة إلى ذبيان ، فاعترضهم قبائل ذبيان ، ومن هم على ولاء الأشراف من نهم وبني بحير[5] ، وبني الدُّعام ، وتبادلوا القتال ، وقَدِرَ رجال الصّليحي على استمالة بني الدعام ، ووصل إليهم رؤساء هذه القبيلة وبعد

---

(١) أي أعجب (من التعجب)

(٢) في الصفة للهمداني : منقل سفران وعده من مواضع حاشد.

(٣) قبيلة معروفة في بلاد أرحب وسيأتي للمؤلف بتقديم الباء وهي قبيلة من بكيل .

(٤) من قرى خمر .

(٥) ورد ذكرهم في بعض المخطوطات ببني البحتر بالتاء المثناة من فوق.

رجوع رجال الصليحي أغار الشّريف على بني الدعام ، فهدّم دربهم ، وأخرب في بلادهم ، ونشط الأشراف للإيقاع بكل من يميل الى المكرم أو يقبل أحداً من رجاله ، ثم ان المكرم نهض من صنعاء إلى ذروة[1] ، ونهض الفاضل الى شوابة واستنفر اخاه ذا الشرفين ، فهرع إلى وَرْوَر بمن معه من القبائل ، ثم ان الفاضل نهض إلى ذيبين عملاً باشارة بعض أصحابه ، فنهد[2] إليه المكرم ولما التقى الجمعان انهزم اصحاب الفاضل ، وتركوه ، وتمكن الفاضل من النجاء بنفسه وسار إلى الجوف ، ولما بلغ آل الدّعام هزيمة أصحاب الشريف ، اعترضوهم ، وعاونهم أهل درب الجشرج[3] فأوقعوا بهم تنكيلاً وحاسبوهم على ما كان عندما أغار عليهم الفاضل ، وفتحوا البلاد للمكرّم ، فلبث أيّاماً قليلة ، وأمدّهم بمال يستعينون به ، وكان المكرم قد بني في ذروة بناء متيناً ، يضاهي بناء السابقين ، وانفق في البناء أموالاً وفيرة ، وحفر المناهل الكبيرة ، وشاد البناء تشييداً بديعاً وزخرف سقوفه بالذّهب وأقام فيها أياماً .

الإمام ابو الفتح الديلمي والشّريف الفاضل ومهاجمة صنعاء

أشرنا سابقاً إلى اجتماع الامام أبي الفتح بالشريف الفاضل القاسم بن جعفر في الجوف ، وبعد ما لبثا أيّاماً يدعوان الناس إلى مؤازرة أهل البيت النّبوي عليهم السلام ، واخلاص النّصرة لهم نهضا إلى شوابة وقد استجاب لهذه الدعوة بعض قبائل المشرق ، فتفرقت الكلمة ، ولم تتوحّد الغاية ، وافترقا من وَرْوَرْ ولما ودّع الإمام أبو الفتح صاحبه الشّريف الفاضل ، نهد إلى

---

(١) ذروة : حصن منيع يطل على ذي بين .

(٢) نَهَدَ : بمعنى نهض ومضى .

(٣) موضع هناك انظر صفة جزيرة العربية ص ٢٦٤ .

اثـافت ، واعتزم هـدم مضعتها[1] ، ولمـا علم الفاضـل بهذا الغـرم بعث أخاه ليصدّه عنها ، ويردعه فلم يتمكّن الإمـام من إنفاذ ما أراده، وواصـل السّير إلى كوكبان ، وحدثت بين رجال الحصن ورجاله مناوشة ، وبينما الحال كـذلك إذ بالمكرّم على رأس قوّة هرعت من صنعاء للدّفاع الى كـوكبان ، فلمـا أحس به أصحاب الإمام انهزموا هزيمة منكرة ، وانحدروا من الجبل والسّهام تعمـل في اقفيتهم ، وخلص الإمام بنفسه إلى شـوابة ، حيث خلف الشّـريف الفاضـل ، ثم إن المكرم عزم من فوره الى ناحية الجراف[2] قاصداً الأشـراف ، فلم يجد الفاضل دواء يَفُل من نشاط المكرّم ،ويغسل آثار تلك الهزيمة من قلوب النّـاس إلاّ سرعة الحركة من محلّهم والتّقدم إلى صنعاء أو إلى القرب منها لمـا يعلمه من بعد المكرم عنها ، فأوعز الفاضل إلى الإمام أبي الفتـح بأن يقصـد مشرق خـولان ، يغير بمن معـه من تلك البقاع ، وأعـرب له أنّـه سينهد إلى مشـرق همدان ، ويقوم بما عليه هنالك ، فلم يوافق الإمام على هذا وأبى أن يقوم بما أوعز إليه الفاضل فصَمَّم الفاضل على إنفـاذ خطّتـه وانقَضّ إلى ذبيان وواصـل السّيـر إلى رحبه صنعـاء ، وكثر الـرهج وطـارت الأنباء إلى المكرم وعمد من بصنعاء إلى إغلاق أبوابها ، وانقلب الشريف الفاضل وحقائب[3] أصحابه ببحر مـن الأموال ممن بيّتهم الجيش على الطّريق ولمـا بلغ المكرّم نبأ الغارة على صنعاء هرع لا يلوي على شيء مخافة أن تكـون صنعاء قـد سقطت في أيـدي الأشراف فلما علم ان المغيرين[4] رجعوا عنها ، بقي يفكر في الـوسائـل التي يجب إتخاذها لتهـدية الأحـوال ، فلم ير إلاّ إيتناف[5] الحشد،وتجـديد الغـرم والاستعداد لمنازلـة الأشراف ، واحتـلال معقلهم شهارة وقـد دهم الشرفي في

---

(١) اي قلعتها .

(٢) قرية قديمة في بلادها حاشد على مقربة من خمد في شرقيها وهي عبر جراف صنعاء.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) في الأصل المغرين .

(٥) كذا ومن عبارات المتأخرين استئناف كذا وكذا .

لآليه ، وذكر أن المكرم كان عند محاولة الفاضل احتلال صنعاء بتهامة ، وقد عرفت مما تقدَّم أن المكرم كان بناحية الجراف .

ولنعد إلى تأثر الإمام ابي الفتح ، فقد فارق الفاضل عند غزو الرُّحبة[1] وقتل قبل حصار شهارة كما يستفاد ذلك من قصيدة للأمير ذي الشرفين قالها بعد انهزام جيوش الصلّيحي عن شهارة ورجوع المكرَّم مدحوراً وذلك قوله يخاطب الأصلوح ويعدِّدُ ما اجترتموهم

قَتَلْتم[2] بني الزهرا عَمّداً قطعتموا ... بذيبين والمنوي حبال التواصل
بذيبين والمنوي قطعتم فما الذي ... نرجيه منكم بعد تلك الفعائل
وبالفقع والمخلاف أيضاً قتلتم ... أبا الفتح يهدي رأسه شرُّ حامل

الفَقْع بالفاء والقاف موضع من بلاد خيار وادعة هكذا في هامش اللآلىء المضيئة ، ولكن صاحب البسامة يخالف هذا ويقول انه قتل بنجد الحاج[3] وإليك قوله

والناصر الديلمي المنتقي سفكت ... له دماء يوم نجد الحاج ذي الخبر

قال في انباء الزَّمن[4] ودخلت سنة ٤٤٤ فيها سار الإمام ابو الفتح الى عنس فقصده الصّليحي فقتله في نَيْف وسبعين نفراً من أصحابه في نجد الحاج ودفنوا جميعاً في محل واحد برَدْمان في بلد عنس ، وقبورهم هنالك مشهورة رحمهم الله ، وفي الحدائق الوردية[5] قام عليه السلام في أرض اليمن بعد وصوله من ناحية الديلم ، وكان قيامه في سني الثلاثين وأربعمائة ،

---

(١) الرحبة : سبق كذرها وهي ناحية تابعة للواء صنعاء في الشمال الشرقي منها بمسافة ٥ ك.م.
(٢) في الأصل قلتلتم .
(٣) ويؤيده مشهده الموجود فيه الى الآن
(٤) غاية الأماني ص ٣٥١ .
(٥) الحدائق الوردية ج ٢ ص ١٠٤

وانتشر ذكره وعلا أمره ، وملك صعدة والظاهر ، واختط ظفار ، وهو حصن المنصور بالله ، وحارب الصُّليحي في بلاد مذحج وقتل من خولان بمجز[1] مقتلة عظيمة ، وله حروب على اثافت من قبل الصّليحي سجال ، له وعليه ، ولم يزل شجاً في حلوق الباطنية والمعتدين ، رافعاً لمنار الدين حتى قتله الصليحي في نَيّف واربعين واربعمائة وقبر بردمان من بلاد عنس .

وقال الشرفي : ان قيامه في سني الثلاثين وأربعمائة إلى أن قال وكان غزير الفهم ، وافر العلم ، له تصانيف تكشف عن علوّ منزلته منها تفسير القرآن[2] الكريم وهو كتاب جليل القدر ، ومنها الرِّسالة «المبهجة في الرّد على الضالة المتلجلجة» يعني بها المطَّرفية[3] ، ومن شعره عليه السلام[4] :

الا يا لهمدان ابن زيد تعاونوا ... لنصرتنا فالدين سرب مضيّع
ونادوا بكيلاً ثم وادعة التي ... لها المشهد المشهود ساعة تجمعوا
فلا بد من يوم يكون قتامة ... لوقع القنا والمشرفية أدرع
سينقاد لي من كان بالامس عاصياً ... ويقرب مني النازح المتمنّع

ومنها :

أنا النَّاصر المنصور والملك الذي ... تراه طوال الدّهر لا يتضَعْضع
سيملأ دنيانا من العدل بعدما ... مضت حقب بالظلم والجور تترع

وكان أكثر محاربته للصّليحي في بلاد مذحج ، إلى أن قال : وقد تقدَّم في ذكر غارة الرَّحبة ، انه اجتمع هو والفاضل وقت خروج المكرّم إلى نجران ، وذلك قبل حوزة شهارة ، ولم يزل شجاً في حلوقهم حتى قتله

---

(١) في المطبوعة من الحدائق ص ١٠٤ لمحرر ومجز من قضاء جماعة في بلاد صعدة .
(٢) وهو بعنوان «البرهان في تفسير القرآن» منه نسخة خطية بجامع صنعاء .
(٣) وهذا هو أول ذكر لهم .
(٤) الشعر في الحدائق الوردية ص ١٠٤ .

الصليحي في سنة ٤٤٤ أربع وأربعين واربعمائة ، ورغما على ما في كلام الشرفي من التّحقيق ، وذكره لغارة الرّحبة التي كانت في حدود سنة ٤٦٢ اثنتين وستين وأربعمائة فقد تأثر بغلط غيره ، واندفع الى متابعتهم بقوّة الايحاء وفعل المحاكاة فتأمّل .

حصار شهارة وما بعده من الأحداث

لما وجّه المكرم عنايته لحصر شهارة ، أخذ يزجي الجنود ويسوق الجيوش إليها ، ويبذل الأموال الطائلة لرؤساء القبائل الذين كانوا يوالون الاشراف ، ولما أكمل عدّته خرج من صنعاء بجنود جَمَّة وجموع غفيرة ، وضيق على شهارة الحصار ، من كل جهاتها وبَثّ العساكر حواليها من جميع جهاتها ، ومن بها معتصمون بمناعة المعقل الطبيعيّة ، ولم تكلّفهم أعمال الصليحي إلاّ حراسة هيّنة مخافة أن يتوقل متوقّل[1] أو يغامر مغامر ، وطالت أيام الحصار، فلم يثن من عزم المحصورين طول الأمد ولا لانت لهم عريكة ، فاعتزم المكرّم العود إلى صنعاء حاضرة ملكه ، وعهد إلى طائفة من عسكره بمواصلة الحصر حتى يتحقّق المآل، وفعلاً نَفَّذ هذه الخطة ، وآب إلى صنعاء ، وترك ثلّة من الجند في أرباض شهارة ، واستمر الحال على ذلك خمسة أشهر بعد عزم المكرم ، وبعدها رأى الأمير ذو الشرفين أن المال سَيىء، وأن العاقبة وبيلة ، لما رأى من نفاد ما عنده من المأكول والمشروب ، فعمد إلى محبرته وكتب وصيّته الأخيرة وآل على نفسه أن يبذلها في سبيل قتال الظّالمين ، ثم شحذ عزم أصحابه وحمسهم وانحدر ،وقد وزّع أصحابه طوائف ، وصَيّح الجند المحاصر والنوم ملابس لجفونهم فأوقع بهم ، وأثخن فيهم قتلاً وغنيمة ، وانقلب الى المعقل بالغنائم الوفيرة ونفائس الأسلاب الطريفة وتناول قلمه وكتب هذه القصيدة :

---

(١) توقل الجبل : صَعَدة .

الا قل لربات الخدور الكواعب يقبّلن أيدينا وحدّ القواضب
وينعمن ما دمنا ودامت شهارة بمنة رب العرش جزل المواهب
ويأمن تَرْويع الأعادي فإننا بنينا لهن العزّ فوق الكواكب
فقد كنّ شاهدن المكرم إذ أتى يقود جيوشاً نحونا كالسَّحائب
من أقطار أرض الله لا شكل كلها مشارقها والشام ثم المغارب
فبالنّجد أمسى مرسيا وابتنى به منازل قد حفّت بنصب المضارب
وبثّ لنا الأخبار من كل موضع يحيط بنا لا شك من كل جانب

إلى آخرها وهي طويلة .

وبعد هذه الموقعة أنسحب من نجى من عسكر المكرم واستصرخوا بصنعاء فوافاهم المد وبعد ان حلم الأديم[1] فانفضت الجموع بالخيبة والفشل .

وفي خلال هذه المحاصرة والشريف الفاضل في الجوف وبنو الدعام وغيرهم من القبائل قد حالوا بينه وبين نجدة أخيه ، ولم يكن له من عمل في تلك الأيام إلاّ تبادل الكتابة ، وتوثيق الصلات ، مع آل نجاح ، وقد كان جَيَّاش بن نجاح ، زعيم الأحباش يجري للشَّريف الفاضل ألف دينار شهريًّا ، راتباً كبيراً لذلك العهد، وقد استطاع الفاضل إيصال بعض هذا المال إلى أخيه أيّام الحصار بحجة إرسال رسول يسعى في الصلح بين الفريقين المتحاربين والسرّ المكتوم إيصال المال ، وقد تأكدّت الصِّلات بين زعيم الأحباش والشريف الفاضل ، حتى ضربا موعداً معيّناً للاتفاق واللقاء فليس الخبر كالعيان ، ولكن الأقدار لم تيسِّر ذلك فقد عاقت بعض الطَّوارىء عن الإجتماع بالذَّات ، إلاّ أن الشَّريف الفاضل أعتبر هذه الصَّداقة اعتباراً كبيراً، وشكر لجيَّاش أياديه، وخاطبه بالملك في حادثة ربض شهارة وكتب إليه :

---

(١) يقال حلم الجلد : أي اصابه الدود والثقوب .

تجاوزنا يا رسول عن البلاد ... وحثّ إلى ديار بني زياد
واتحف حضرة الملك المرجّى ... بأضعاف التّحية والرشاد
وأخبره بأنّا قد ابدنا ... بني الأصلوح بالقضب الحداد
صبحناهم غداة السبت كاساً ... ضريرا ذو قهار الصبر باد
فلماذا ذَرّ قرن الشمس ذَرّت ... على غنم وقتلى كالجراد
أبدنا من سراتهم رجالاً ... بأطراف الظبأ يوم الجلاد
وباقيم يؤول إلى ذهاب ... وباقي ما احتووه إلى نقاد
فهم في كل يوم في انتقاص ... وإنّا كل يوم في إزدياد
فهذا ما لدينا ابلغنه ... الى نجل الموئد ذي الايادي
وبح بالشكر مني ان شكري ... له حق عليّ بكل ناد
بجيّاش شددت العزم حتى ... بلغت من العداة به مرادي
أمدّ بماله وجبي وأعطى ... وأتحف بالطّريف وبالتّلاد
مددت بماله باعي فنالت ... نواصي الظالمين على البعاد
وأشعلت النّيار بكل نجد ... وداركت المغار لكل واد
وثرت بها عَشَوْزنة[1] عليهم ... فقد منعتهم طعم الرّقاد
فرامو نُصْرة لا مِنْ صديق ... وجادوا بالعطا لا من[2] جواد
كدابغة الأديم وقد تهرّا ... وعابرة السبيل بغير راد

ومنها :

ولولا الله والملك المرجّى ... لذاب لما أقاسيه فؤادي
ونهم الأكرمون ومن يليهم ... من اهل محبّتي وذوي ودادي
وباقي النّاس ليس لهم مرام ... سوى خفض المعيشة والتّماد

والأبيات كما ترى ناطقة بشكر الزّعيم الحبشي ، ولقد أهتزت أريحية

---

(١) عشوزنة : عسره وشديدة .
(٢) في الأصل «لا لمن» .

الأمير نجاح حينما أملى الشعر بين يديه ، فأمر بجائزة للشّريف الفاضل ألف دينار وكسوة سنيّة وجارية حبشية وزوّدها بقَسَمٍ غليظ، قائلاً : لو كان في فمه لقمة لَلَفظها لمولاه الشّريف ، هكذا[1] أفاد في سيرة ذي الشرفين بعد هزيمة الصُّليحي وكبو زنده في هذه الحوادث عظم أمر الأشراف فأخذوا يبعثون العصابات إلى البقاع النائية ، وسار الشريف الفاضل إلى الملاهي[2] من جازة تهامة فغنم جميع ما فيه من بزٍّ وحديد وزروع ، وحصل لجنده منها غنائم عظيمة وعاد ظافراً منصوراً .

استيلاء الشريف الفاضل على صعدة

ودخلت سنة ٤٦٣ فيها نهض الشّريف الفاضل إلى صعدة واحتلّها على إثر الخلاف الواقع بين أهل صعدة وأولاد الإمام الهادي بسبب الخطبة ، فقد كان أهل صعدة يريدون ان يخطب خطبهم للمكرّم الصليحي وفعلاً رقا منبر الخطابة جعفر بن الحسن الشمري ، وخطب للمكرم الصليحي ، بعد قتال غلب فيه أهل صعدة بني الهادي ، ففزعت الأشراف إلى الشّريف الفاضل وأخيه ، وارتاعت من هذا المنكر الذي يوتي جراهية[3] في مسجد الإمام الهادي عليه السلام فأغاثهم الفاضل ، وقطع دابر الفتنة ، وكان الفقيه الشمري قد لاذ بالإستتار ، واختفى في القرية ، فقال الفاضل لمن حضره من أعيان البلاد : وحق جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لم تأتوني به قبل الظهر لأضرمنّها بالنار ، فلما أتوه به ، حمله إلى شهارة وسجنه بها سبع سنين ، حتى أفتدى نفسه بثلاثة آلاف دينار .

وفيها أنقضى الشّريفان على شظب، وأوغلا فيها قتلاً واسراً واحرقا مدينة

---

(١) اعتمدنا ما في سيرة ذي الشرفين وهذه الحوادث تدل على ان نجاح صاحب زبيد لم يزل بزبيد والحال أن المكرم استولى على زبيد وطرد الاحباش عنها سنة ٤٦٠ وعاد إلى صنعاء، واستخلف عليها اسعد بن شهاب ، ولم يزل عليها إلى أن عادت الحبشة سنة ٤٧٩ . وحادثة شهارة وانهزام المكرم عنها سنة ٤٦٢ فتأمل .

(٢) في صفة الجزيرة ٢١٠ من مناهل لعسان .

(٣) جراهية : علانية .

بـاري[1] من بلد الجبل ، قـال الأمير ذو الشـرفين : لعسكره هـذه قريـة كانت ظاهرة الفجور كثيرة الفسق والفجور ، والواجب علينا ان نطهرها فأمر بإحْراقهـا وخرابها ، وتولّى الفاضل خراب دار بني الصُّليحي التي كانت هنالك .

وفيها سار الفاضل إلى بـلاد الشرف ، فملك حصن نـوسان[2] ، وطـرد عامل الصّليحي وأقام بنو سان ثمانية أيّام فهرعت إليه قبائل تلك الجهة بالسّمع والطاعة وعاد إلى مستقرّه .

إحتلال حصن مسور والاستيلاء على بلاد المغرب

ودخلت سنـة ٤٦٤ فيهـا تم للشّـريفين إحتـلال حصن مســور ، وذلـك بمعـاونـة السلطان منصـور حسين بن المنتـاب بن إبـراهيم بن عبـد الحميـد ، وبإحتلال مسور ، أذعنت قبائل النّاحيـة طرًا ، وتـزوج الأمير ذو الشـرفين بإبنـة السلطان ، فمنحـه لقب ذا الفضلين أي فتح سـور وتقديم السّيـدة المباركـة ، وتمرّدت بنو شـاور[3] ، فلم تذعن ، فتقـدّم إليها الشّـريف الفاضـل والسلطان وبعد مقتلة عظيمة سقطت البلاد واستسلمت ، وانتشر الجند المغير في أنحائها واخذوا ما وجدوا من الأموال ، وآب الشريف الفاضل بالفوز والغنيمة .

وقبض على السلطان بن أبي القبائل بن هاشم ، فاحتفظ بـه حتى أطلعه شهـارة ، وقبض حصن حقيـل ، وتمرّدت أيضـاً بنو عـامر وغيـرهم من قبـائـل حجور ، وكان زعيمهم إبن مفلح فقتـل ابن مفلح ومن شايعـه وأحرقت منـازله واقبلت قبـائل البلاد تقــدّم السّمـع والطاعـة ، وبعـد ذلـك تم خضـوع جبـل حفـاش[4] ، وكان فيـه من قبل المكـرم السلطان محمد بن ابـراهيم الصليحي فـأسر الشـريف السلطان الصليحي وجماعـة من بني الصليحي ، وأرسـل بهم

(١) باري : مدينة خربة في بلد الجبر بالشرق الشمالي من حجة .

(٢) نوسان : بالضم عزله من ناحية كحلان الشرق بالشرق الشمالي من جحة بمسافة ٢٤ ك.م.

(٣) بنو شاور : بطن من حاشد من ولد شاور بن قدم بن قادم بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد.

(٤) حفاش: جبل مشهور بالغرب من صنعاء بمسافة ١٤١ ك.م جوار جبل (ملحان) وهو ناحية تابعة لقضاء المحويث.

إلى شهارة واستولى على حصن القفل[1]، وأخذ ما وجد فيه من سلاح وكراع وأثاث وأموال ، وهدم الحصن .

وفيها أخذ الامير ذو الشرفين بعد إستقراره بمسور ، يجمع الفضَّة من الجهات الموالية له من حلى النساء وغيرها ، وضرب السّكة بإسمه فتحَصَّل منها شيء كثير .

وفيها توترت العلاقات بين الأشراف وذي الفضلين المنصور بن الحسين ، وهم السُّلطان ذو الفضلين بالفساد والعصيان ، وليس لذلك باعث سوى أن الشريف الفاضل أخذ الميثاق الغليظ على السلطان لينصرن ذا الشرفين ويوالي من والاه الخ . . . ثم بعد الميثاق أراده الإعتراف بأن البلدان المجاورة لِمَسْوَر لاحق فيها للسُّلطان ، وانها للأمير حيث وهو الفاتح لها ، فغضب السُّلطان وانحرف ولاؤه ، وقد تكدَّر الموقف ، إلى أن هَمّ ذو الشرفين بمغادرة مسور لولا حكمة الفاضل وثباته وعرفانه بأن مسور إذا سقط سقطت البلاد كلها ، وتمرددت القبائل فصبر كما قال : وفي الحلق شجا وفي العين قذا

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وفيها وصل السّلطان محمد بن ورقا من بني جناح من يناع الى الشريف الفاضل واخبره بأن لديه يداً على فتح حصن يناع[2] فأمره الشريف بتنفيذ خطّته فعاد إليه وفتحه ، وكتب إلى الأمير ذي الشرفين ، وكان قد تقدم إلى عِرّ شاحذ، فأمده بالشريف ليث الدولة ، وعضّدها حميدان بن القاسم ، وتم فتح يناع والحيمة ، وظفروا بغنائم وافرة وتأبّت قبائل حضور ، على بني الصليحي ببازل ، وقتلوا منهم كثيراً ، وكان ممن قتل السُّلطان احمد بن اسعد اللَّهابي ، في عدّة من رؤساء حراز ، وبعدها تم للأشراف فتح حصن ذروة في الشَّمال

---

(١) حصن من جبل حفاش السابق .

(٢) يناع : حصن مشهور عداده في عزله الجدعان الخيمة الداخلية .

فهدموه ، ثم ان القبائل توافدت على ذي الشرفين ، والقوا اليه مقاليد البلاد ، وفتحوا له حضور والمصانع[1] وحصن بكر[2] وحصن القرانع[3]، كل هذا والشريف الفاضل القاسم بن جعفر في مسور، ثم أنه خرج قاصداً شوابه من أرحب ، فوافته الأنباء بأن عسكر الصّليحي يحاصر ثلا ، فعاد لإنقاذها ، ثم عاد إلى مسور ، ووصل اليه اهل زَجّان[4] ، وسلموا له حصن ذمرمر ، وقتلوا من كان فيه من خدم الصليحي .

محاولة المكرم لإسترجاع يناع

ودخلت سنة ٤٦٦ فيها جهز الصّليحي جيشاً إلى الحيمة، لإسترداد يناع ، ووصل الجند إلى عِرّ ذيب ، وفي وادي شمّ[5] تنازل الجند مع أتباع الشّريف وكان الفشل والخيبة ، من حظ بني الصليحي ، وقد كان هذا الحشد من الصليحي حافزاً للأمير ذي الشرفين بأن يصعد بنفسه إلى يناع فجمع الشيعة وأصرّ على طلوع يناع ، وأخوه الفاضل يعارضه ، ولا يوافقه ، وأخيراً تقدم وأقام بيناع من رجب سنة ٦٦ إلى محرم سنة ٦٧ والفاضل بمسور أقام أيّاماً ، ثم خلف عليه الشريف احمد بن جعفر ، وتقدم إلى ثلا ، وأغار على صنعاء ، ووصلت خيله إلى شعوب[6] والجراف[7] ، وأغلقت أبواب صنعاء فرقاً وخوفاً ، ثم عاد إلى ثلا ، ومراده زحزحة مراكز بني الصليحي ، من حضور المصانع ، وبعد مدة أتجه إلى ذمرمر وساق إليه قوت من الطعام والزّبيب ، ثم ان الأمير شرع يشعر بخطورة موقفه بيناع ، وصعوبة مقامه ،

---

(١) المصانع : جبال مرتفع بالشمال الغربي من صنعاء .

(٢) بكر بضم الباء والكاف حصن يحاذي جبل كوكبان ويطل على مركز الطويلة.

(٣) القرانع : سلسلة جبال والغرب الشمالي من صنعاء تحتضن مدنه الطويلة وغيرها من القرى.

(٤) فرحان : بكسر الزاي وتشديد الجيم من قرى بني الحارث .

(٥) شم: بضم الشين المعجمة موضع من الخيمة الداخلية بالغرب الشمالي من صنعاء .

(٦) شعوب: ضاحية صنعاء الشمالية.

(٧) الجراف: قرية ملاصقة لصنعاء من ناحية الشمال.

وحَذِر أشد الحذر من إحتشاد الصُّليحي فأخذ يستغيث بأخيه فبعث إليه بقوت من الطعام والزبيب ، وأصبح ذو الشرفين يكاتب بني شهاب ويستنصرهم ويستفزّهم ، ويبذل لهم الرغائب ، ويكاتبهم بالشعر البليغ ، وهو غير آمن على نفسه إلاّ إذا سلم إليه بنو شهاب رهائن من رجالهم يثق بهم ، ويكونون رَمْز الطاعة والإخلاص ، وعقيب ذلك ، وصل المكرم بجنده قاصداً بيت بوس ، وقرن عنتر[1] ومناجزة بني شهاب ، فدارت بين الفريقين معركة حامية الوطيس ، أنتهت بهزيمة الصليحي ، وعاد في حافرته إلى صنعاء واجتمعت القبائل ، بجوار صنعاء ، ووصلت خيل الأمير ذي الشوفين إلى غيل البرمكي[2] ، ووقع الحصار على صنعاء حتى هلك أكثر النّاس جوعاً ، من جَرّاء عدم إستطاعة خروج أحد ، قال مفرح بن أحمد : وصار لا يخرج لهم سرح[3] ولا مال ولا رسول ، إلاّ قبض وقتل ، وجاعوا جوعاً شديداً وقال بعض شعرائهم :

وكم من سيّد بطل همام على باب المدينة مات جوعاً

إضطراب الحبل وانعكاس الأمور

بينما الأشراف مغتبطون بما نالوه من النفوذ ، وما أنزلوه بعدوهم الألّد من ضروب التنكيل ، وافانين المضايقة ، إذ بالأمور تدبر والاجواء تغيم ، والحبل يضطرب ، والنفوذ ينكمش ، وإذ بمشارق اليمن الخاضعة لهم ، قد تنكّرت ولبست جلد النّمر ، وظهرت لهم بمظهر العدوّ ، إذا بالمغارب مثل مسور، وحناش، وملحان، والحيمة، وغيرها، تنتقض وتهيج، وتصرخ وتثور قال كاتب سيرة ذي الشرفين في بيان السّبب الباعث لهذه الانقلابات وهذه التصوّرات التي فاجأتهم بها . ولما يستتب لهم الأمر إلاّ بضعة أيّام في عدة

---

(١) قرن عنتر قال في أنباء الزمن ويعرف الآن بظفار فوق بيت سبطان من الجنوب (ص) .

(٢) غيل البرمكي : من أنهار صنعاء الجارية في ذلك الوقت اندثر منذ مدة .

(٣) المال السّائم وفي الحديث انما المشركون على سرح بالمدينة .

نواح وخرج ذو الشرفين من يناع في الشهر السابع في حين وافاه وهو المحرم أول شهور سنة ٤٦٧ ، وكان سبب خروجه وإنتشار الأمور ونزول السَّلاطين والمقدَّمات من الحصون ، فساد العشائر فأمَّا فساد عشائر المغرب، فكان سببه من جهة العمال ، واستلحاف[١] الأموال وسوء السياسة والغفلة عما بنينا عليه ، ومالت بهم الدُّنيا ، فيما صاروا إليه قد صرنا في شعب ، وهم في شعب ، ولما كان الأمر كذلك تراسل العشار وتأمروا على الفساد ، في جميع البلاد ، قال : وأما فساد عشائر المشرق فاستمالهم[٢] بنو الصَّليحي بالطَّمع وزخرفت لهم الخدع وتمشى على عوامهم وطُغامهم بذلك الشريف حسين بن أبي الفتح ، وأعانه بنو الصليحي بدفع الأموال : انتهى .

وكان المكرم قد تذرّع لتنفيذ[٣] سياسته ضد الأشراف بأنّه أخذ بيد الحسين بن أبي الفتح الدّيلمي ، وأعانه وحسن له الخروج إلى قبائل المشرق ليصرف انظارهم عن الأشراف ، وقد كان خروجه سبباً قويًّا في إضطراب الأمور وارتباك الأحوال إلى غاية ان الشريف الفاضل ، لم يتمكن من إرسال كتاب إلى أخيه الى يناع إلاَّ في صحيفة صغيرة ، أودعت في عقص[٤] شعر الرَّسول الحامل له مخافة أن تمزقه العشائر الثائرة ضدهم ، وقد هرع ذو الشرفين من يناع وأمَّ سهمان[٥]واتجه الى حاز من همدان واجتمع بأخيه الفاضل في ثلا ، وفي مبيتهم بثلا ، وافاهم من يؤكّد لهم بأن عشائر المغرب كلّها ، وفي مقدَّمتها بلاد مسور أنتقضت وثارت ، وحسَّنوا له معاودة مسور ، والرجوع إليه ، وقد كان مزمعاً على مطاولة بني الصَّليحي ، وشنّ الغارات عليهم في جهات عمران فبدا له ما أشير عليه من التَّعريج على مسور والقضاء على

---

(١) استلحاف الأموال ومعابها.

(٢) في الأصل فستمالهم .

(٣) في الاصل لتفيد.

(٤) عقص الشعر ضفره وفتله.

(٥) سهمان : عزلة من ناحية حفّاش وأعمال المحويث.

العشائر الثائرة هو الصّواب ، وقد خسر بهذا الرأي ، ثقة من بقي على نصرته لأن هواهم كان في مناجزة الصّليحيين ، ومقاومتهم ، وترك العشائر الثائرة ، ولما وصل مسور ، وأزمع على الخروج منه لتأديب العشائر واستوثق من بني المنتاب على حفظ حريمه واحترام شيعته وانصاره ، ولكنه ما سار إلاّ قليلاً حتى احاطت بهم العشائر وسدُّوا امامهم الطُّرق ، ولم يخلصوا إلاّ بعد معارك سقط فيها عدّة من أصحابه ، وأخذوا كثيراً من متاعه أثقاله وكلّما تقدّم الشريف الفاضل تألبت عليه وعلى من معه القبائل تقتل وتسل وقد دافع ومن معه دفاع الأبطال وخسروا خسارة فادحة ، من الرِّجال والأموال حتى أنتهوا إلى أقِرْ[1] .

وبعد هذه الحوادث المظلمة اتفق رأي الشريف الفاضل ، وذو الشرفين ، على إثارة الحروب في البون ومواصلة الإغارة في جوانبه ، ثم افترقا على غير نتيجة .

ثم ان الأمير ذا الشّرفين هرع من شهارة إلى شظب ونواحيه باستدعاء من الأهالي ، وبعد ما استوثق منهم ، برهائن ، ورغم كل ذلك فقد كانت النهاية تمرد أهالي شظب، ومن بجوارهم ، ولم تصف منهم المودة ، ثم ان الشريف الفاضل وأخاه أتّجها وصعدا ذروة وحصناها تحصيناً نافعاً ، ثم تلاشت الأمور وتخلّى الأشراف من متاعب الرِّياسة ، وانكمش الكل بشهارة ، وترك المعاقل والجحافل ، إلى أن كان ما سيمر بك الآن وفيه النهاية .

مصرع الشريف الفاضل

ودخلت سنة ٤٦٨ فيها أزمع الشّريف الفاضل على إحياء الأرض واستثمارها ، والتخلّي عن الزعامة وآصارها ، وعزفت نفسه الحروب وملابسة الخطوب ، لكثرة ما قاسى في ذلك من نصب ولغوب ، فمال إلى الزِّراعة ،

---

(١) أقر: واد مشهور شرقي شهارة في بلاد حاشد.

واستغلال الأرض ، وكانت أراضي عمران في نظره أجود من غيرها تربة وهواء ، فوجه عنايته نحوها ، ونقل أهله وشيعته ، إلى عمران ، ومَدَّ يده ألى إحياء أرض بني نشق[1] بعد أن استنزل رضاء من كان يخاف معارضتهم ، وهم نهم ، وبنو الدَّعام ، وحلفوا له على حسن الجوار ، وكانت هذه الأرض قد زرعها الدَّعام ثم الإمام الناصر ، فقسمها الفاضل أثلاثاً فجعل لهم ثلثاً ، ولبني نشق ، وبني الدعام ثلثاً ، وجعل له ولصنوه ذي الشرفين ثلثا ، وأجعل لشيعته وأصحابه قسطاً منه ، واعتزم على أن يرد غيل الخارد[2] على قديمه ويسقي منه هذه البقاع ، فجمع بقر خيوان والجوف مع بقر المزرعة ، وشرع يعمل بهِّمة لا تعرف الملل ، وفي خلال ذلك عَرَف في وجوه بعض القبائل تنكّراً واشمئزازاً حمله على مصارحة أصحابه ، بما يتوقّعه منهم ، ومصارحة القبائل أيضاً بأنه غير مطمئن على حياته معهم ، وأنه متشائم بما يراه من تنكرّهم وحذرهم سؤ العاقبة ، ووبال المصير ، إن صح ما يقرأه على صفحات وجوههم ، ورَغْماً على كل إنذار ، فقد باغته بعض رجالهم، وهو يغتسل بالوادي، وأردوه قتيلاً، فانطفأ[3] سراج حياته الذي طالما اهتدت به الكتائب، في مدلهمات الخطوب، ولم تكتف تلك الأيدي الآثمة القادرة بقتل الفاضل فحسب ، بل تجاوزته إلى غيره ممن كان يصحبه ، ومنهم الشريف القاسم بن إبراهيم ، وقد عظم الخطب عند ذي الشرفين وأخذ يكتب إلى رؤساء القبائل ويرسل اللَّعنات على الغادرين الخائنين ، ويحاول النُّصرة من الشيعة لئلا يطل دم الشريف الذي قضى حياته متعباً منهوكاً في إبتنى صرح المجد وتشييدهم :

وكل أخ مفارقه أخوه لعمرَ ابيك الا الفرقدان

---

(١) نشق بلدة اثرية ورد ذكرها في النقوش وهي ما يسمى اليوم بهمدان الجوف.

(٢) الخارد: نهر مشهور يسقي أرض الجوف.

(٣) في الأصل فنطفا.

الامير بعد هلك الشرفين

كان لمصرع الشَّريف الفاضل دَويّ الصاعقة في جميع البلاد الموالية للأشراف ، وأصبح نبأ مقتله حديث السّامر ، وعجالة المسافر ، ولم تكن لوعة الأسى ، وشدة الحزن ، عقدة في لسان الشريف ذي الشرفين مانعة عن تحريك أوتار القلوب ، وإثارة خفايا الأفئدة ، فما زال يستثير همم القبائل، ويستفز عواطفهم ، حتى أثارها نقمة صاخبة ، على منازل الغدر وبالخادعين ، بمن اجتمع تحت لوائه من القبائل المتفرقة، فنهض بهم إلى الجوف ، وجعل يستقرى منازل المعتدين ومزارعهم ، ويوسعها نسفاً وتدميراً ، ويتأثر الفارين منهم حتى أروى غليله ، وشفا غيظه ، وانتهى الأمر بنقل جثتي الشَّريفين هامدتين ، وآلت الأمور إلى دفن الشَّريف القاسم بن ابراهيم بعيان ، ودفن الشَّريف الفاضل بالحصن من بلاد وادعة ، وفيه يقول مفرج بن أحمد :

سقى قبراً بأرض بني عبيد ... بصحن الحضن رجاس الغمام[1]

ودخلت سنة ٤٦٩ فيها تواردت الأنباء بأن رجل من الاباضية[2] ببلاد الشرف يقال له ابن عبد المجيد الأباخي أدّعى الإمامة والتف حوله أهل الشرف، فعظم موقع هذا النبأ عند الأمير ذي الشرفين ، فجمع الجموع ، ونهض إلى بلاد الشرف لقتال الأباضي ، فدارت بينه وبين أتباع ابن عبد المجيد معركة بجبل المحطور[3] ، كان النصر فيها لذي الشرفين وأصحابه ، وقتل كثير من أتباع مدعي الإمامة ، وقضى على تلك البذرة ، وبعد حادثة الشرف قوي الأمل عند الأمير وأعاد الكرة ، فانتقل إلى الجوف ، وسار إلى نهم ، واستمال بني الدَّعام ، وتوثق منهم بالأيمان الغليظة والأقسام الباهضة ،

---

(١) رجست السماء رعدت وأوشكت على المطر .

(٢) ظللت الاباضية في جهات اليمن الشمالية إلى ما يقارب القرن الخامس وكانت اسرة مسلم اللحجي تدين بهذا المذهب .

(٣) المحظور : قرية من بلاد الشرق شمالي حجة .

ثم حدثت بينه وبين قبائل عَذر معركة طاحت فيها كثير من الرؤوس من الفريقين وفيها توتّرت العلاقات بين الأمير ذي الشرفين وأخيه سنان الدولة احمد بن جعفر ، فسار الأمير سنان الدولة إلى نواحي صعدة ، وبعد أخذ وَرَدّ تحسنت الأمور ، وعادت المياه إلى مجاريها ، ولم يلبث الامير أن باغته الحمام سنة ٤٧٨ .

وما زال حتى أزهق الموت نفسه شجاً لعدو أو لجاً لضعيف

واجتمعت الشّيعة بعد دفنه وبايعت ولده الأمير جعفر بن محمد بن جعفر وهو آخر قائم من أولاد الإمام القاسم بن علي العياني ، فانه ضعف سلطانهم لخلاف دَبّ فيما بينهم .

وقد كان الأمير ذو الشرفين ، قبيل موته قد تلوّن له الدّهر وقست عليه الأيّام ، ولبست له جلد النّمر ، ولما لم يجد لقوس الرّجاء منزعاً ، جنح إلى مكاتبة المكرَّم في الموافقة على الهدنة ، وأن يترك المكرّم له بعض البلاد اليمنية في الجهة الشّمالية ، فحالت الأقدار دون وصول ذلك الكتاب الى الصليحي بإمساك حامله له ، حتى عصفت رياح المنيّة بسوح الأمير ، ودعاه إلى داره الملك القدير ، فاستراح من جفوة الأيام ومعاشرة اللئام :

لين الثري للجسوم خير من صحبة العالم الجفاة

عودة الأمير الحبشي سعيد الأحول إلى زبيد

ودخلت سنة ٤٧٩ فيها عاد الامير سعيد الأحول إلى زبيد ، وأخرج عامل المكرم سعيد بن شهاب منها بصورة جميلة مكافأة له على حسن صنيعه مع الأحباش ومن يمت إليهم بسبب قال في أنباء الزمن (وفيها استقرت ولاية زريع بن العباس بن مكرم الهمداني في عدن وتوارثها أولاده من بعده)[1]

---

(١) غاية الأماني ص ٢٧١ .

وكان السَّبب في تملك آل زريع لعدن وما صاقبها من البلاد ان علي بن محمد الصّليحي ، كان قد أقر بني معن (وهم قوم من الأصابح) على عدن وألزمهم برفع خراجها إلى زوجة المكرم السَّيدة بنت أحمد وكان قد أصدقها عدن لَمّا زوّجها المكرم فلما قتل علي بن محمد ، تغلب بنو معن على ما تحت أيديهم ، فقصدهم المكرَّم وأخرجهم منها ، وَوَلّاها العباس ومسعود ابني المكرم الهمداني ، وكانت لهما سابقة محمودة وبلاء حسن مع المكرم لما دخل زبيد لإنقاذ أمه من أسر الأحباش ، فجعل للعباس حصن التَّعكر بعدن وباب البر وما يدخل منه وللمسعود حصن الخضراء وباب البحر ، وما يدخل منه إلى عدن واليه أمر المدينة أيضاً ، واستخلفهما للسَّيدة فحافظا على العهد، وكانا يحملان الى السيدة مائة ألف دينار في كل سنة وقد تنقص إلى أن مات العبَّاس بن المكرم فخلفه ولده زريع بن العباس ، وبقيا على ذلك الى أن قتلا في باب زبيد مع عامل السَّيدة[1] المفضل بن ابي البركات كما سيأتي .

ودخلت سنة ٤٨٠[2] فيها انتقل المكرم الصليحي الى ذي جبله بعد وفاة والدته أسماء بنت شهاب وفوّض أمر الملك إلى زوجته الحرة السيدة بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصّليحي واستخلف على صنعاء عمران بن الفضل الهمداني واختط بذي جبلة دار العز .

قتل سعيد الأحول وفرار جياش الى الهند

ودخلت سنة ٤٨١[3] فيها دبرت الحرة السّيدة على قتل سعيد الأحول فكتبت الى الحسين بن التبعي صاحب حصن الشعر بأن يستدعي الأمير الحبشي من زبيد ، ويقول له : أن المكرم قد أصابه الفالج وعكف على

---

(١) راجع عمان والخزرجي والجندي وقرة العيون ونزهة الأخبار.

(٢) غاية الأماني ص ٤٧١ .

(٣) غاية الأماني ص ٤٧٢ .

اللّذات وصار أمره في يد إمرأة ، وأنت أكبر ملوك اليمن وأحب الينا من بني الصّليحي فان رأيت أن تنهض إلى ذي جبلة من تهامة ، ونحن من الجبال فافعل ، فطمع الحبشي بهذه الأماني المعسولة ، ونهد من زبيد في ثلاثين ألفاً من العبيد ، وكانت السَّيدة قد أحكمت التدبير ، وكتبت لأسعد بن شهاب وعمران بن الفضل أن يهرعا الى زبيد فنزلا في ثلاثة آلاف فارس فدخلاها بعد خروج سعيد الأحول منها وهرب من بها من بني نجاح فلحق جَيَّاش بن نجاح بالهند ، وكان من خبره ما سيأتي .

وسار سعيد الأحول نحو الحسين[1] بن التّبعي فلما قارب حصن الشعر انقض عليه الجيشان أصحاب بن التّبعي ومن ألحق به من جنود السيدة :

وما هي إلاَّ دعوة واجابة ان التحمت والحرب بكر وتغلب
فأبصرت ما لم تبصرا من مشاهد ولا شهدت يوماً معدّ ويعرب

فقتل الأحول وأصحابه ، ولم ينج منهم إلاَّ الشريد ، وكانت أم المعارك زوجة سعيد الأحول معه بهذه الحرب فاحتزوا رأس زوجها وحملوه أمام هودجها كما فعل زوجها برأس علي بن محمد الصليحي مع زوجته أسماء بنت شهاب .

ولما وصلوا بالرأس وتلك المرأة البائسة إلى الحرة السيدة فرحت بذلك ، وأوغلت في الانتقام ولجَّت في التشفي وأمرت بنصب الرأس تحت طاقة أم المعارك وتمنّت لو أن مولاتها أسماء بنت شهاب حَيّة لترى هذه الفعلة النكراء ، ولأن كان ذلك العبد قد رأى الخرق مغنماً والتجاوز مغرما حيث بدا بفعلته الشنعاء فإنّ الحرة اسماء لم تحسن بما فعلته صنعا ، والتشفي طرف من العجز ، وهو خلق [في][2] المرأة طبعاً ، وقديماً كانت المرأة السَّبب

---

(١) الخزرجي وأنباء الزمن وقرة العيون .

(٢) زيادة من عندنا .

الأول لإثارة الحروب العاصفة والغارات الجارفة ، أيام العرب بما تثير في النفوس من أحقاد تنوسيت ، ولكن المرأة لا تنسى وهل المرأة إلا المرأة منذ وجد الانسان إلى أن تقوم الساعة :

فلا تحسبن هندا لها الغدر وحدها سجيّة نفس كل غانية هند

ولما قتل سعيد الأحول ولّى المكرم أسعد بن شهاب على زبيد فسلك طريقته المعروفة من الرّفق وحسن المعاملة ، وهرب جياش بن نجاح إلى الهند ، ورافقه وزيره خلف بن أبي طاهر الأموي ، فلبثا في الهند تسعة أشهر تزوج جياش في أثنائها بجارية هندية ، ثم رجعا الى اليمن آخر سنة ٤٨١ والجارية الهندية في خمسة أشهر من حملها ، ولما وصلا إلى عدن قَدَّم جياش وزيره الأموي الى زبيد ، وأمره أن يظهر في الناس موت جَيَّاش بأرض الهند ، ويستأمن لنفسه ، ويستقري أخبار موالي آل نجاح ، وأقاربهم ومن تربطه بالدّولة النجاحية رابطة حب وولاء ، وسار الأمير جَيَّاش إلى ذي جبلة متنكّراً في زي الهنود يتنَسَّم أخبار المكرم ، وبعد ان وقف على ما يهمُّه الوقوف عليه من أمر عدوّه ، هرع إلى زبيد ودخلها متنكرًّاً أيضاً ، فاجتمع بوزيره الأموي وأخبره عن مواليه ، وذي قرابته بما سرّبه ، وفتح له باب في استرجاع مجدهم الذّاهب ، ولم يزل يدأب هو ووزيره حتى جمعا من الأحباش خمسة الآلاف حربة ، وكان يأوي بجوار الدَّار السلطانية ويقصد مصطبة علي بن القم في كل صباح قال : فسمعته يوماً وهو يقول : والله لوجدت كلباً من آل نجاح لملكته زبيد وكان ابن القم وزيراً لوالي المكرم الأمير أسعد المذكور ، ثم انه اتصل بعلي بن القم ، وولده الحسين بن القم الشاعر المشهور[1] وهو على حال تنكره ، وكان اتّصاله بهما بواسطة لعب

---

(١) هو ابو عبدالله الحسين بن علي بن القم كان شاعر الدولة الصليحية له ديوان شعر منه نسخة لمكتبة بريطانيا توفي نحو سنة ٤٨٠ .

الشطرنج قال فلما أراد الله تعالى رجوع الأمر إليَّ لعبت أنا وحسين بن القم وليس معنا إلا أبوه على سريره ، وهو يعَلّم ولده ، فتراخيت له حتى غلبني قصداً للتَّقرب إلى قلب والده فطاش الحسين بن علي من الفرح وسفه عليّ بلسانه فاحتملته لأبيه ، فمد يده إلى الخرقة التي كانت على عيني : ـ (وكان قد جعل هذه الخرقة على عينه لئلاَّ يعرف وتشبه بأهل الهند) ـ فاحفظني ذلك ، فقام أبوه فقبَّح عليه فعله ، وقمت مغتاظاً ، فعثرت فقلت أنا جَيَّاش بن نجاح على جاري عادتي ، ولم يسمعني إلاَّ الشيخ علي بن القم فوثب مسرعاً خلفي يجرّ رداءه ، حتى أدركني فأمسكني وأخرج المصحف ، وحلف لي بما طابت به نفسي ، وحلفت له ، وليس معنا أحد ، ثم أمر باخلاء دار الأغر بن الصليحي ، وفرشت ونقلت إليها الجارية الهندية ، فلما كان الليل اتاني علي بن القم وقال : خبرنا لا يخفي على أسعد بن شهاب ، فقلت له أن معي بالمدينة خمسة آلاف حربة (وفي تلك اللَّيلة وضعت الجارية الهندية الفاتك بن جياش) وكان قد رأى الحسين بن سلامة وأخبره أن أمره سيعود إليه ليلة ولادة الجارية) فقال قد ملكت فاكشف امرك قال جياش : اني أكره قتل اسعد بن شهاب لأنه طالما قدر على أهلينا وذرارينا ، فعفا عنهم وأحسن إليهم ، فقال ابن القم : فافعل ما تراه ، فأمر بضرب الطُّبول والأبواق وثار معه كافة المدينة وخمسة آلاف من الحبشة واسر ابن شهاب ، فلما حضر اليه أكرمه جَيّاش وأولاه خيراً وسيره بجميع ما يملك من خيل ومال ، وعاد ملك آل نجاح كما كان قال الدبيع في كتابه بغية المستفيد[1] : وكان جياش يلقب بالملك العادل ويكنى بأبي طامى وكان فاضلاً وله شعر رائق وترسل فائق ، وهو مصنف كتاب «المفيد في أخبار مدينة زبيد » وهو كتاب متسع الإفادة عزيز الوجود ومن شعره :

اذا كان حلم المرء عون عدوّه عليه فإن الجهل أبقى وأروح

(١) بغية المستفيد ص ٥٤.

وفي العفــو ضعف والعقـوبــة قــوة إذا كنت تعفــو عن كفـور وتصفــح

بهذه الفكرة الشاذة والنفسيّة المزدوجة قضى على وزيره أبي طاهر الأموي المرواني وكان من أفراد الدَّهر نبلاً وفضلاً ، وهو الذي صحبه إلى الهنـد وكان له الأثر الصَّالح في إعادة الملك إليه فعاهده إن عاد الأمر إليـه ليقاسمنَّه الملك وقد وفّى له الحبشي واستوزره وسَمَّاه قسيم الملك ولما أراد أن يتزوَّج إمرأة من الفرسانيين أهـل موزع ، تمنـع بعض أهلها فـأرسل وزيـره هذا لاستـدراجهم واستمالتهم ، وبناء على ماله من مكانة في النفوس استشاره أولياء المرأة فأشار عليهم بـالامتنـاع لأنّهم يـرجعـون في النسب إلى تغلب ، والحبشي غير كفـوء للعربي لأهكذا أشار عليهم الوزير فاستدرجهم الحبشي بالمال حتى رضوا ولما سـألهم عن سبب امتناعهم ذكـروا له مـا اشار بـه الوزيـر ، فلم يتـورَّع الأميـر الحبشي عن قتل وزيره ظلماً وعدواناً .

وكأنه قـد وخزه الضمير وأنَّبه الـوجدان ، وأهـاب العدل وسمـع صوت الحقّ يلومه ويقبح فعله لاذ بنزعات الـطغاة وشـذوذ العتاة ، فـاستروح لكلمـة الطاغية بن الزيات[1] المأثورة إذا قال له المعذِّب أرحمني قال : (الرحمة خور في الطبيعة) فرقص على ذلك الإيقاع ونظم الأبيات المتقدمة ، قال الخزرجي وقد قتله يقول ابن القم[1] :

أخـطأت يـا جيـاش في قتـل الحسن فـقـأت والـله بـه عـيـن الـزمـن
ولـم يـكـن مـنـطويـاً عـلى دخـن مـبـرأً مـن الـفـسـوق والـدَّرن
كـان جـزاه حـيـن ولاك الـيـمـن قـتـلـكه ودفـنـه بـلا كـفـن

قال ولما قتل جياش الحسن استعظم الناس ذلك من جياش ، لأنـه كان موصوفاً بالعدل والحلم معظماً للعلماء مبجِّلاً لهم سيما الحسن بن أبي عقـامة

(١) ابن الزيات هو محمد بن عبـد الملك بن أبان بن حمـزة المعروف بـابن الزيـات وزر للمعتصم والواثق من بني العباس توفي سنة ٢٣٣ .
(١) الخزرجي وأنباء الزمن والجندي .

الذي قتله لعلمه وفضله ولأنه كان أحد الأسباب لجياش في أخذ الملك بتهامة[1] .

وفاة المكرم وقيام الداعي سبأ بن أحمد الصليحي

ودخلت سنة ٤٨٤ فيها مات المكرّم احمد بن علي بن محمد الصليحي بذي جبلة وأسند وصيته في الدعوة إلى الأمير الكبير الداعي سبأ بن أحمد الصليحي وفي الملك إلى زوجته الحرة السيدة . وقال الجندي ان المكرم تحرك من ذي جبلة إلى صنعاء فتوفي في بيت بوس في السنة المذكورة .

وكان مقرّ الدَّاعي سبأ بن احمد بحصن أشيح بمخلاف بلاد الهان (بلاد آنس) وهو حصن منيع يماثل حصن مسار في الارتفاع والمنعة ، وكانت بلاد الجبال خاضعة لبني الصليحي ، وزبيد والتهايم لجياش بن نجاح ، وقد مَرّت على البلاد برهة بعد تغلّب جياش على زبيد ، شبه سكون لعجز المكرّم عن مقاومة الأحباش ، فلما تولى سبأ بن احمد آثارها داحسية غبرا على زبيد وشنَّ الغارات[2] على التهائم ، ومن أشهر الوقائع ، وقعة الكظائم[3] على باب زبيد ، وكان كل واحد من الفريقين قد تحفَّز لمحو الفريق الآخر ، وأعد لذلك عدّته فحشد الدَّاعي سبأ عشرة آلاف راجل وثلاثة آلاف فارس وجمع جَيَّاش جموعه واستنجد بالشَّريف يحيى بن حمزة بن وهاس ، واتفق رأي امراء زبيد على مكاتبة سبأ والميل إليه فكاتبوه وخادعوه ، ولما اقترب بجنوده من المدينة ، ودارت رحا الحرب ثار الشريف يحيى بن حمزة ، وكان قد كمن متربِّعاً سنوح الفرصة ، فلما لاحت له حمل على القاضي عمران بن الفضل ،

---

(١) في مفيد عمارة ص ٢٠٧ ان هذه الأبيات قيلت بسبب قتل نجاح الحسن بن ابي عقامة فيحقق وعد قصة بوسط المذكور في زواج نجاح في السلوك منسوبة الى ابن عقامة المذكور فلعل الأمر البس على المؤلف رحمه الله والله أعلم.

(٢) في الأصل الغرات.

(٣) الكظائم : محل بالقرب من مدينة زبيد.

وطعنه طعنة نجلاء لا تسدّها عصائب الخمر ولا ثمر الرأ ، وقتل يومئذ الأمير قيس بن أحمد بن المظفر وانهزم أصحاب الأمير سبأ وعقر فرسه فسار في غمار المنهزمين على أقدامه ، حتى أركبه بعض أصحابه على جواده ، وكان الدّاعي سبأ قد وثق بمكاتبة أمراء جياش فلم يتحوط الاحتياط اللاّزم فكانت الدائرة عليه .

وبعد أيام عزم أولاد القاضي عمران إلى تهامة للأخذ بثأر ابيهما من قاتله الشريف فقتلاه غيلة ورجعا[٢] .

لم تكن وقعة الكظائم فاصلة بل كانت مثيرة وحافزة للفريقين على مواصلة الكفاح وشن الغارات فكانت الحبشة إذا جاء الشتاء تخرج من البلاد إلى جزيرة دهلك فتخلفها العرب وتستمر العرب في تهامة وزبيد إلى فصل الصَّيف إذ فيه تعود حكومة الأحباش سيرتها الأولى ، وهكذا دواليك ، وكانت الحكومة الصليحية تقبض خراج تهامة وتسقط عن الرَّعية ما سلَّمته لبني نجاح ايام الصَّيف والخريف فإذا جاء دور آل نجاح ، احتسبوا للرّعية ما دفعوه للحكومة الصليحية على هذا الحال استمرت الحالة برهة من الزمان .

زواج الداعي سبأ بن أحمد بالحرة السيدة

لما أكملت الحرة السيدة أيّام العدّة ، خطبها الدّاعي سبأ فكرهت ذلك ، وامتنعت فغضب سبأ وجمع جموعه ، وقصد حرب السيدة إلى ذي جبلة فجمعت هي أيضاً الجنود ، والتقى الجمعان فاقتتلا أيّاماً وثبت الفريقان يخطّان بدم القتلى صحيفة سوداء من أعجب ما سجّله طغيان القوة في صحائف التاريخ ، ولما تكافأت القوى توسّط أخو [السيدة][٣] لأمها

---

(١) الخزرجي ونزهة الأخبار.

(٢) انظر هذا في غاية الأماني ص ٢٧٥ .

(٣) ساقط من الأصل.

سليمان بن عامر الزّواحي، وأشار على الدَّاعي سبأ بمراجعة إمامه المستنصر[1] العبيدي ، فانصاع الداعي الى مقترح الزَّواحي ، ورجع بجنوده المسخرة الى مقره بحصن أشيح وبادر بإرسال رسولين ، ومعهما هدية نفيسة وزوَّدهما بكتاب إلى المستنصر فما كان بأسرع من عود رسولي الدَّاعي ومعهما جواب المستنصر ورجل آخر موفد من قبل الخليفة ، يحتّم على السَّيدة قبول الدَّاعي سبأ زوجاً لها ، ولَمَّا مثل رسول الخليفة بين السيدة ، وعندها وزراء دولتها ورجالها أبلغها سلام أمير المؤمنين ، وما منحها من الألقاب وأفاض عليها من النُّعوت ، وبعد ذلك قرأ عليها قرار مولاه ، ونَصّه[2] : وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ان تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصى الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً[3] وقد زوّجك أمير المؤمنين الأوحد الدَّاعي المنصور المظفر ، عمدة الخلافة ، أمير الأمراء أبي احمد سبأ بن احمد بن المظفر على ما حضر من المال ، وهو مائة ألف دينار وخمسون ألفاً اصنافاً[4] ، وعلى كره قبلت فهرع الدَّاعي سبأ إليها في جموع كثيرة ، وأقام بذي جبلة شهراً والحرة السيدة تنفق عليه وعلى أصحابه النَّفقات الواسعة ورأى من علو همتها ما حمله على النَّدم على خطبتها ، ثم أرسل إليها سرًّا ان تأذن له بالدخول إلى دارها ليتوهم الناس أنه قد خلا بها ، فأذنت له بالدُّخول الى بعض مقاصير الدَّار، وبعثت إليه جارية تشابهها ، وعرف الأمير سبأ حيلتها فقعد لا يرفع طرفه إلى الجارية وهي قائمة على رأسه ، فلما أصبح رفع مخيمه ورجع إلى حصنه ودخلت سنة ٤٨٥ وفيها مات زريع بن العباس

---

(١) المستنصر هو معد بن علي بن الحاكم بأمر الله الفاطمي تولى الحكم صغيراً سنة ٤٢٧ وتوفي سنة ٤٨٧ .

(٢) الآية ٣٦ سورة الأحزاب.

(٣) الخزرجي وأنباء الزمن (ص) .

(٤) جمع صنف وهي القطعة من القماش.

الهمداني صاحب عدن وولي بعده[1] أمر عدن ولده سبأ.

طائفة الغز الواصلة لإنجاد جياش بن نجاح

ودخلت سنة ٤٨٦[2] فيها استدعى جياش طائفة من الغز لمحاربة الدَّاعي سبأ بن أحمد ، فخرج منهم ثلاثة آلاف فلما فارقوا مكة ، وتوجّهوا نحو زبيد ندم الأمير جياش وخاف منهم ان يستولوا على البلاد ، وأمر عماله في الطرقات ان يضعوا لهم السُّم في الطَّعام والشَّراب فهلك أكثرهم ، ولم يخلص إلى زبيد منهم إلاّ دون الألف ، فلم يطمئن فؤاد ذلك الأمير ، وظلّ شبح الخوف منهم سمير أحلامه ، وهواجس أمانيه رغماً على قلّتهم وأبت نوازع نفسه إلاَّ جعل تلك الأرواح ضحايا طغيانها فجهّز منهم خمسمائة فارس إلى الجبال ، ولما وصلوا الى البون دس عليهم من قتلهم بالسم وبعد ذلك عاد على بقيتهم فأقطعهم وادي ذؤال[3] بعد ان فرق كلمتهم وافعم[4] صدورهم حقداً على بعضهم بعضاً ، وتركهم عبيداً مسخرين لإرادته .

ان الشجاع هو الجبال عن الأذى وأرى الجبري على الشرور حيانا[5]

ودخلت سنة ٤٩١ فيها مات الأمير سبأ بن زريع ، وولي الأمر بعده في عدن وأعمالها أخوه أبو السعود[6] .

وفاة الداعي سبأ بن احمد الصليحي

ودخلت سنة ٤٩٢ فيها مات الأمير الكبير الدَّاعي سبأ بن احمد

---

(١) في الأصل بعد.

(٢) غاية الأماني ص ٢٧٩ .

(٣) ذؤال: واد مشهور يسيل من جبال ريمة الاشباط ويصب في البحر الأحمر من ساحل الطائف ما بين وادي سهام ووادي رمع.

(٤) افعم صدورهم: ملأها.

(٥) من أبيات لأحمد شوقي.

(٦) انباء الزمن والخزرجي .

الصليحي ، وكان[1] شجاعاً كريماً فصيحاً أنوفاً ذا شمم وعفة ونزاهة واباء قال الجندي : كان من أكرم العرب وأعفهم وأشرفهم نفساً ، ما وطىء أمة ولا شرب مسكراً : وكان ممدوحاً يقصده الشعراء ويمدحونه فيثيبهم ، وربما مدحهم بشيء من الشعر مع الإنالة ، وإلى ذلك أشار ابن القم بقوله[2] :

ولما مدحت الهزيري ابن احمد ... اجاز وكافأني على المدح بالمدح
فعوضني[3] شعراً بشعري وزادني ... نوالاً فهذا رأس مالي وذا ربحي
شققت إليه الناس حتى رأيته ... فكنت كمن شق الظلام الى الصبح
[فقبح دهر ليس فيه ابن احمد ... ونزه دهر كان فيه من القبح][4]

قال عمارة[5] : لما قام ابن القم بين يدي سبأ ينشده هذه القصيدة التي منها هذه الأبيات منعه من القيام ، ورمى له بمخدة وأمره بالقعود عليها إكراماً ورفعاً عن[6] الحاضرين ، ثم لَمَّا فرغ من الإنشاء قاله : با [أبا][7] عبدالله انت عندنا كما قال المتنبي :

وفؤادي من الملوك وان ... كان لساني يرى من الشعراء

فانظر أيها الناظر في كتابي ، في فعل هذا القيل[8] وحسنه ، وما لاطف به هذا الشَّاعر وأحسن إليه مقالاً وفعالاً ، وكان الأمير سبأ بن احمد دميم الخلق ، قصيراً لا يكاد يظهر من السرج ان ركب .

---

(١) انباء الزمن وقرة العيون .
(٢) الأبيات في المفيد لعمارة ص ٢٤٣ .
(٣) في مطبوعة المفيد فعوض عن شعري بشعر .
(٤) هذا البيت ساقط من مطبوعة المفيد .
(٥) المفيد ص ٢٤٣ .
(٦) في مطبوعة المفيد عنا .
(٧) ساقط من الأصل والزيادة من المفيد .
(٨) لقب ملوك حمير القادمى .

السيدة بنت احمد بعد وفاة الداعي سبأ

لما مات[1] الداعي سبأ بن احمد أقامت السّيدة للذّب عن مملكتها والقيام بأمر دولتها المفضل بن أبي البركات بن الوليد الحميري ، وكان عاملاً على التعكر ، وما إليه ، وجعلت مكانه أخاه خالد بن أبي البركات ، وبعد مضي سنتنين على خالد المذكور في ولاية التعكر ، قتله الفقيه عبدالله ابن المصوع غيلة ، وكان خالد بن أبي البركات يجلّ الفقيه المذكور ويحترمه ، لعلمه وديانته فسهل له الحجاب ، بحيث لا يمنع عن الدّخول إليه في أي وقت أراد ، فدخل عليه في بعض غفلاته ، وقتله استحلالاً لدمه ، لكونه على مذهب الاسماعيلية ، وكان قد استصحب كميّة من المال ليستغوي به الجند المرتّب بذلك المعقل ، ولم يستشر غير نفسه ، فلما قتل خالداً المذكور صاح الفقيه وارتبك فتبادر إليه أهل الحصن والحقوه بمن قتل :

فأضحى كظهر الفحل جُبّ سنامه ... يدبّ إلى الأعداء احدب باركا

ثم انه طلع المفضل والياً على التعكر بدلاً عن أخيه ، وأظهر عداوة الفقهاء ، وقبض على أموال الفقيه وأراضي قومه قال الجندي : وهي الأملاك القديمة التي في ذي السفال ، وصار المفضل رجل البيت ، ومدير الملك والذّاب عنه ، وغزا عدن لاخضاع المتغلّبين على السيدة عن تسليم الخراج من بني زريع ، وانجد منصور بن فاتك لما استنجد بالسيدة كما سيأتي ، وسار الى زبيد فغنم الفقهاء بُعْده عن الحصن ووثبوا عليه ، فطلع من زبيد وشدّد عليهم الحصار ، ولما تيَقّنوا الضّعف وأحسوا بالهزيمة والاستسلام عمدوا إلى نسائه وجواريه ، فأخرجوهن إلى موضع مشرف من الحصن على محطته ، وأمروهن بضرب الدّفوف ورفع أصواتهن بالغناء[2] ، وعليهم ثياب الزّينة فلما

---

(١) غاية الأماني ص ٢٧٩ .

(٢) انظر خبر علماء التعكر في السلوك للجندي وغاية الأماني ص ٢٨٣ والمستبصر لابن المجاور وغيره .

نظر إليهن المفضل مات لوقته غيرة وأسفاً سنة ٥٠٤ ، ومن مبرّات المفضل بن أبي البركات جَرّه الغيل من خنوة[1] الى مدينة الجند ونحته لذلك الجبال والصخور ، وبذله كل مستطاع لتعبيد طرقه في بطون الأودية ، ومخارم الجبال وتجديد عمارة الجند .

ومن لطيف ما يروى عنه أنه لما كان بمحل امارته حصن التعكر كانت السيدة تنتقل من ذي جبلة إلى التعكر ايّام الصيف فإذا جاء الشتاء نزلت ذي جبلة ، وكانت ذخائرها وذخائر بني الصّليحي وما يعزّ عليهم من الأموال والتحف موضوعة به ، فذكروا أن المفضل قال لهايوماً : يا مولاتنا انظري ما كان لك في هذا الحصن فانقليه فإنّي لا أحب أن يكون لأحد علّ فيه طاعة ، فقالت : لا بأس عليك انت رجل البيت ، ولا تكلفك ما يسؤك ، ولما نزلت من الحصن لم تعد إليه حتى ماتت ، ولكنها تغيّرت عما كانت عليه من الاعتماد عليه في مهماتها وتنكرت له بعض التنكر ، ولما مات المفضل على الضفة المذكورة ، انتقلت السيدة إلى الربادي[2] ، وكاتبت الفقهاء بالنزول من الحصن على ان يشترطوا عليها ما شاءوا ، فأجابوا إلى ذلك ، ونزلوا بعد أن اشترطوا عليها شروطاً وفت لهم بها ، وجعلت فيه مولاها فتح بن مفتاح .

ذكر المتغلبين على صنعاء بعد بني الصليحي

لما تحول المكرم عن صنعاء إلى ذي جبلة استعمل على صنعاء القاضي عمران بن الفضل برهة ، ثم ولاّها حاتم بن الغشم بن المغلس ، ولما عزل القاضي عمران قال مخاطباً المكرم والأمير سبأ بن أحمد :

ولا تحرجا بالعزل أكباد معشر إذا غضبوا غلّ القنا وتكسرا

---

(١) خنوه : بكسر الحاء المعجمة والنون الساكنة قرية سميت بها عزلة خنوة الواقعة في منتهى مخلاف جعفر متصلة بوادي ظباء من أعمال ذي السفال وذي اشرق.

(٢) الربادي : عزله حصبة تقع جنوبي مدينة ذي جبلة.

فلو أن مـولانا[1] معـداً أتـاكمـا بعـزل تـولى الكـل منـا وأدبـرا
ولا تـفـرقـا من لـغـة والـداكمـا وعـودا الى عقـليكـمـا وتـدبـرا
فـإن انتمـا انكـرتمـا مـا نـظمتـه فصدقي غدا من طلعة الشمس أشهر

فلمـا مـات[2] الـداعي سبأ خـرجت صنعـاء وأعمـالهـا عن مملكـة الصليحيين ، واستـولى عليها السلطان الأجـل حـاتم بن الغشم المغلسي سنـة ٤٩٢ ، وكان ناهضاً كافياً معدوداً من كملة الرّجال ، وكان له من الولد ثلاثة ، وهم محمد وعبدالله ومعن ، فقام ولده محمد بكثير من أعمال أبيه في حياته ، وكـانت له حـظرات جنونيـة منها ، أنـه سمع يـوماً ضـرب الطبـول وأصـوات المزامير فاهتز لـذلك ، وأخـذته الأريحيـة فلبس لامة حـربة ، وركب جواده ، وأمر همدان بالرّكوب ثم خرج بهم يريد نجران ، فقالوا : أن بيننا وبين نجران مسافة بعيدة ، وليس معنا عدّة ولا زاد ولا رواحل ، فقـال : لا بد من ذلـك ، فقـالوا : دعنـا نعود إلى صنعـاء نتجهز ونعـود إليك ، فقـال : صبـوا دروعكم هاهنا ، ففعلوا فسمّي ذلك الموضع مصبّ الدُّروع من ذلك اليوم ، ثم رجعوا إلى صنعاء وخرجوا فسار بهم إلى نجران فاستباحها وعاد إلى صنعاء .

ومنها انه كان إذا تزوّج امرأة وأحبّها قتلها ، فتحامـاه النَّاس وامتنعـوا عن تزويجه ، ثم انه خطب إمرأة من بني الصّليحي أهل قيضـان[3] ، فلم يزوجـوه إلاّ بعد ضمان والـده وكفالتـه مع جمـع من رؤساء العـرب ، وأخبره والـده انه مقتول بها ان قتلها ، فقبل الولد ذلك ، وأقامت عنده ما شاء الله ، ثم قتلها ، وفَـرّ إلى حصن براش خـوفاً من أبيـه ، فلم يزل أبـوه يخادعـه حتى نـزل إليـه فقتله ، واحتـز رأسه وحمله على رمـح ودخل بـه صنعاء ، ولمـا فـوجئت ابنـة المقتول برأس ابيها جنت وحزن عليه أبوه ورثاه بأبيات منها :

---

(١) نزهة الأخبار والمراد بمعد الخليفة الفاطمي .

(٢) قرة العيون والخزرجي وابناء الزمن.

(٣) قيضان : حصن خارب من جبل بني الحارث من بلاد يريم.

وقلت لـه هـذا قصـاص بمـا جنت يـداك وكـان اللّه روحـك راحمـا
وكـنـت اذا جـشـمـتـه لـملمتـه رأيْت فتى للمعضل الخطب حاسما
وان حضـر اليـوم العبـوس رأيتـه اذا طـاشت الأحـلام أروع بـاسمـا

ودخلت سنة ٤٩٣ وما بعدها إلى سنة ٤٩٨ فيها مات جياش بن نجاح، وولي الأمر بعد ولده فاتك بن جياش ، وهو ابن الجارية الهندية ، فخرج عليه أخوه ابراهيم وعبد الواحد[١] ، وكانت بينهم عدة وقائع ، انتهت بظفر فاتك بأخيه عبد الواحد ، فأكرمه وصفح عنه وبالغ في برّه ، وأما ابراهيم فنزل بأسعد بن وائل الوحاظي الكلاعي الحميري ، فأكرمه بما لم يسبق إليه أحد ، وقال في انباء الزّمن[٢] انه لما ظفر بعبد الواحد سجنه في زبيد[٣]

الحرب بين الخطاب[٤] ابن أبي الحفاظ الحجوري وأخيه

ودخلت سنة ٥٠٠ فيها كان الحرب بين الخطاب بن الحسن وأخيه سليمان بن الحسن بن أبي الحفاظ بن حجور بن قدم بن جشيم الهمداني ، فاستنصر سليمان بصاحب زبيد فاتك بن نجاح وبالشريف صاحب المخلاف السليماني ، واستنصر الخطاب ببني الصليحي ، وفي النهاية تمكّن الخطاب من أخيه سليمان فقتله ، وكان الخطاب هذا قد قتل أخالد إسمه احمد بن الحسن ، قصاصاً كما زعم بأخت له قتلها احمد بن الحسن ففر سليمان عن البلاد ، وانتشرت كلمتهم ، وتمزّقت جامعتهم واستمر سليمان يجوس خلال الديار الخاضعة لحكم أخيه بمن معه من ألفاف القبائل، ويستنصر بصاحب زبيدة تارة وبالأشراف أخرى ، حتى أدّى ذلك إلى خراب البلاد ، وهلاك

---

(١) في الأصل عبد الوالد (سبق قلم) .
(٢) غاية الأماني ص ٢٨١ .
(٣) فراغ في الأصل.
(٤) هو السلطان الاجل الخطاب بن الحسن قال في اللآلىء ان بني الحفاظ كانوا دعاة للاسماعيلية وكان هذا الخطاب داعياً للخليفة الملقب الأمر بأحكام الله المنصور بن المستعلي (ص) .

العباد في سبيل المصالح الخصوصيّة ، وعلى حساب الأطماع الملتهبة ، والنفوس المتعطّشة إلى السّلب والنهب ، وكان مستقر ملك هذه الأسرة الجريب[1] من ناحية بني جلّ ودير ابن عنجر ويعرف الآن بسوق المحرّق وقلحاح ، قال الشرقي في لآليه : وفي قلحاح مآثر عظيمة وعمارة كثيرة قلَّ ما يوجد مثلها ، ولا أدري هل هي من مآثرهم أولا لأنهم لم يذكروه في أشعارهم مع كثرة ذكرهم لغيره من سائر القرى والقبائل ، الذين في تلك الجهة وقد ذكر في اللآلىء عدة قصائد للخطاب وأخيه سليمان[2] . وفيها مثال ناطق وصورة كاملة لما لحق البلاد وأهلها من الخراب والدمار والبؤس والإقتار ، بسبب الأخوين المذكورين ، فمن ذلك هذه القصيدة لسليمان يمدح الجريب ويذم اخاه الخطاب أولها :

إذا الله عمّ الأرض منه برحمة ... فروى منها محلها وخصيبها
فلا تخطئن أرض المحافر سهلها ... وأوعارها قبل البلاد نصيبها
بلاد تساوى بردها وحرورها ... فسيان كانون بها وأبيبها[3]
غزيرة أنهار تفيض مياهها ... وغير حرور حيث كان قليبها
واعذب ارض الله اما لشارب ... وخصّ بها طيبا وبرد اجريبها
اذا كانت العذراء للشمس منزلاً ... وقابل أيام الخريف صريبها
رأيت بها الأعناب والخوخ دائماً ... معَ التين والتفاح يرضيك طيبها

ومنها :

وفيها من الفتيان كل سيمذع ... تعاف الدّنايا[4] نفسه وتعيبها

تعاف

(١) الجريب: بفتح الجيم وكسر الراء قرية من بلاد حجور الشام .
(٢) وقد طبع ديوانهما مع حذف فاحش في السنوات الأخيرة وشردبوان الحطاب الحجوري مستقلاً الاستاذ اسماعيل قربان من على الاسماعيلية بالهند.
(٣) شهر ابيب: من شهور القبط.
(٤) في الأصل دنيا .

تـذكـرتهـا ذكـر البغي شبـابهـا وقـد حـال عمـا تبتغبـه مشيبهـا

ومنها في ذكر ما كان بينه وبين أخيه :

وأغـراه أقـوام إلـى أن أصـابنـي على الأمن فـالله الغـداة حسيبهـا
سعت بيننـا منهم عـقـارب اجنـة وبغضـاء لا يـألـوا سـريعـاً دبيبهـا
والفـوا صـبـيـا لا درايـة عنـده بضغن وأحقـاد طـوتـهـا قلوبـهـا
ولا بـأمـور بـيـنـنـا وغـبـائـن تُـزرّ عليها منـذ كـانت جيـوبهـا
ولـو أنني حـاذرت منـه الـذي اتى تبـاعـد عنـه عنـد ذاك قـريبهـا
ولكنني قلت الأخ الجـامع الـذي عنـاصـره لا يخلف الـدهـر طيبهـا
وأدّبتـه حتى غـدا بيـن قـومـه يشيـر إليـه الكـل هـذا أديبهـا
ولم اعتقـد فيه الـذي كـان ينطوي عليـه لـه نفس خـبيـث عيـوبهـا
وإن كنت لم أتـرك لـه نفـع درهم ولا غـلّة من زرع ارض يـصـيـبهـا
ولا سـاكن مـا بين حمًّى كنـانـة إلى السـرو إلاّ وحش ضبع وذيبهـا
وفي أسفل «المرباح» شامـا ومصعدا إلى «العرق»[1] قفرا دورهـا ودروبها
شَـنَنْتُ عليهـا غـارة بعـد غـارة الى ان ملتـه شـرقـا وغـربـا نهـوبهـا
واذرعت في سكـانهـا الـقتـلى كي يـروا بـأني احميهـا وأني أريبهـا
وابـدى لهم تقصيـره عن حمـائهم ومنعي عنهـا وهي تـدمي نـدوبهـا
فـلمـا رأيْت الـسيـف[2] رجـالهـا شجـاني قنـاهـا صبعـة وذهوبها
وذكـرت نفسي العفـو عنهـا وانني لصـافـح اجـرام الجنـاة وهـو بهـا
ومن هي حتى اجعـل الحـال منهم وتعـظم في صفحي وعفوي ذنـوبهـا

وحسبنا ما تنم عنه هذه الأبيات من روح الاستغلال والاستئثار ، وما كان لتعـارض المصـالـح والمنـافـع من أثـر في العمـران والسكـان ، وللسلطان

---

(١) بلد من حجور.

(٢) بياض في الأصل.

الخَطَّاب بن الحسن قصيدة تضمَّنت وقائع ابن مهدي كتبها إلى الشريف غانم بن يحيى بن حمزة بن سليمان صاحب المخلاف ، وجعلها ملحمة ضمنها ما سيقع من الأحداث ايام ابن مهدي وما بعده أولها :

اذا رحل في عقرب عبّها عبّا ... فخل التواني وانتظر كل ما ينبا
إذا حل في برج اكليل راسخ ... فقل يا هوان العجم يا غرّة الوبا
وابصر ابا يعقوب حرباً جرت به ... أمور واسباب تشب البلا شبّا
سيظهر يا مولاي غانم ظاهر ... يسقي بني الأحبوش كاسا له قبّا[1]

إلى آخرها وهي طويلة استند فيها إلى علم المستقبل ، وما سيكون فيه من أنباء وأحداث ، ونحن هنا لا نحب الخوض في صِحّة أنباء علم المستقبل وما جاء فيه من تنجيم وحدثان وملاحم ، وأحاديث منسوبة إلى النبي صلى الله وسلم عليه وعلى آله أو إلى الكتب القديمة كأخبار وهب بن منبه وكعب الاحبار وغيرهم ، ولا بأس ان نشير إلى طرف من ذلك ، فمنها ما صنعه كعب الأحبار لما دخل عمر بن الخطاب بيت المقدس، وأراد أن يجعل المصلَّى ، فعمد إلى كناسة كانت الروم دفنت فيها بيت المقدس ، وهو الهيكل في زمان بني اسرائيل فجثا في أصلها وحثا في قبائه وأمر النَّاس ان يصنعوا صنيعه ،وسمع تكبير النَّاس من خلفه ، فقال : ما هذا فقالوا : كبر كعب فكبّر النَّاس بتكبيره ، فقال : عليّ به ، فأتى ، فسأله : عن سبب تكبيره ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه قد تنبأ على ما صنعت نبيّ منذ خمسمائة عام ، وسرد له خبراً ذكره الطبري كله من الاسرائيليات التي ابتدعها هو وسواه ولا أصل لها ، وما أخبر به[2] عمر بن الخطاب من أنه سيموت بعد ثلاثة أيام ، وان التوراة نصَّت

---

(١) القب: المرّ.

(٢) والذي جزم به كثير من المحقّقين ان قتل عمر نتيجة لمؤامرة واتفاق جنائي غمس يده فيه الهرمزان وفيروز ابي لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة وجفيته الأنباري وكعب الأحبار راجع ما كتبه الأستاذ عبد الوهاب النجار (ص) .

على صفة عمر وحليته إلى غير ذلك هذا ما كان في القرن الأول .

وفي أيام الدَّولة الأموية والعباسية ، كان لأخبار الملاحم والحدثان ونحوها المقام الأول ، وقد وضعت الملاحم والاخبار واخترعت الأحاديث على عهد الدّولتين ، وكان لها في واعمالهما تأثير كبير فمن ذلك ما روى[1] ان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية لم يجد في الحرب الفاصلة بين حياة دولته وموتها ولا إنهزم مغلوباً ولكنه ، كان نظر في كتب الحدثان فوجد فيها ان طاعة المسودة[2] ، لا تجاوز الزاب[3] فقال : ذلك لوزرائه ، فقالوا له ان بمصر زاباً آخر قال فإليها نذهب ، والزاب الذي أراد علمه هو بأرض المغرب .

وروى (المبرد في كامله) حكاية أخرى جرت بين عبد الملك بن مروان وصديق له كان من أهل الكتاب فاسلم حذر عبد الملك أمور استقبالية الزَّمن منكرة فنفض عبد الملك ثوبه ، وقال : معاذ الله ، فقال له صاحبه : ما قلت شاكاً ولا مرتاباً ، وإني لا أجدك بجميع أوصافك ، فقال عبد الملك : ثم ماذا . قال : يتداولها رهطك، قال: إلى متى، قال: الى ان تخرج الرَّايات السود من خراسان : هذه لمعة من أخبار الملاحم والكتب القديمة كانت رائجة في القرون الأولى .

اما ما نسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فكثير منها ما رواه (الخطيب في تأريخه) في ترجمة الإمام القائم بأمر الله عبد الله بن احمد العباسي عن أبي سعيد الخدري : سمعت رسول الله (ص) يقول : منا القائم ، ومنا المنصور ، ومنا السفاح ، ومنا المهدي فأما القائم فتأتيه الخلافة

---

(١) راجع كتاب الامامة والسياسة (ص) .

(٢) يعني بني العباس .

(٣) الزاب: موضع في العراق وآخر بالمغرب يطلق على عدة بلدان منه بمسكره وقسطنطينية وطولعه وقفصة وغيرها (مراصد الاطلاع ص ٦٥٢) .

لم يهرق فيها حجمة دم ، وأما المنصور ، فلا ترد له راية وأما السَّفاح فهو يسفح المال والدم ، وأما المهدي فيملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلماً .

وقال (المسعودي) في مروج الذَّهب ، ولما حبس إبراهيم الامام بحرَّان وعلم ان لا نجاة له من مروان ، أثبت وصيته وجعلها إلى أخيه أبي العباس ، وأوصاه بالقيام بالدَّولة ، فإن هذا الامر صائر إليه لا محالة ، وانه بذلك أتتهم الرّواية .

والكلام على هذا الفن متشعب الأطراف يستغرق مجلَّدات وليس من غرضنا الخوض فيه وإنما اوردنا ما تقدم بمناسبة ملحمة السلطان الخطاب بن محسن الحجوري الهمداني .

قال في أنباء الزمن :[1] ودخلت سنة ٥٠١ فيها قتل مسعود بن العباس صاحب عدن وقام بعده ولده ابو الغارات بن مسعود .

ودخلت سنة ٥٠٢[2] فيها مات السلطان حاتم بن الغشم المغلسي الهمداني صاحب صنعاء وتولى بعده عبد الله بن حاتم ، قال الخزرجي : وكان يعرف بالشاب العادل فلبث في الإمارة سنتين ، وقتل مسموماً ، فتولّى بعده أخوه معن بن حاتم ، فحصل في ولايته قلق واضطراب[3] انكرته همدان، وفي مقدّمتها القاضي احمد بن عمران بن الفضل ، وكان زعيم همدان وعالمها فجمع همدان وخلع مَعْناً عن الأمر وساعدته سائر قبائل همدان على ذلك ، وذلك في سنة ٥١٠ ، وبعد أن خلع هذا الأمير انتقل الأمر إلى فخذ آخر من همدان ، وهم بنو القبيب ، وكان أول

---

(١) غاية الأماني (مختصر ابناء الزمن) ص ٢٨٢ .

(٢) غاية الأماني ص ٢٨٢ .

(٣) الخزرجي : العسجد المسبوك ص ٧٢ .

(٤) عبارة الخزرجي «تشويش وضبط» وقد أبدلها المؤلف رحمه الله بعبارة عصرية تتفق مع ثقافته وعلى هذا يسير في كثير من المواضع فلا حاجة الى التنبيه إليه هنا .

من تولّى منهم هشام بن القبيب ، وأخوه حماس بن القبيب ، واستقر الأمر فيهم مشتركاً بين الأخوين إلى أن توفي هشام في التاريخ الآتي .

ودخلت سنة ٥٠٣[1] فيها توفي فاتك بن جياش صاحب زبيد ، وترك ولده منصور صغيراً لم يبلغ الحلم ، فملكته عبيد أبيه ، وثار عليه عمه إبراهيم ونزل الى تهامة ، وقصد زبيد فخرج لحربه ، عبيد فاتك فانتهز عبد الله احمد خلو المدينة عن الحامية فثار بها وملكها ، ودخل دار الإمارة ، فأسرع خاصة الأمير الصغير بإخراج مولاهم ، خوفاً عليه من عبيد عمه الثائر الجديد عبد الواحد، وأدلوه من سور البلد ، ولما عرف إبراهيم ما كان من أخيه عبد الواحد أيس من زبيد واحلام الملك ولاذ بإبن ابي الحفاظ الحجوري ، وهو يومئذ بالحريب ، وسار منصور بن فاتك في عبيده وأتباعه إلى المفضل بن ابي البركات الحميري ، فنزلوا عليه وعلى الحرة السيدة فأكرما وفادتهم ، ثم إن مماليك منصور وأتباعه ، طلبوا من المفضل النصرة على أن تكون له ربع البلاد ، فهرع لنصرتهم ، وأخرج عبد الواحد من زبيد ، وثبت منصور ومماليكه في البلاد، وكان المفضّل هَمّ ان يغدر بهم ويملك البلاد ، لولا ما بلغه من إستيلاء الفقهاء[2] على حصنه كما تقدم .

ودخلت سنة ٥٠٤ فيها المفضل بن ابي البركات[3] وقد تقدم .

ودخلت سنة ٥٠٦ فيها استعادت الحرة السيدة حصن التعكر من الفقهاء .

ودخلت سنة ٥٠٧ وما بعدها إلى سنة ٥٠٩ لم يتفق فيها ما ينبغي ذكره .

---

(١) غاية الأماني ص ٢٨٣ .

(٢) يعني فقهاء التعكر من بني المصوع .

(٣) يعني فيها مات المفضل بن ابي البركات سبب غيرته على نسائه وقد رآهن يرقصن فوق حصنه كما تقدم فيما مضى .

ودخلت سنة ٥١٠ فيها جمع القاضي عمران بن الفضل قبائل همدان إلى الموضع المعروف بمصبّ الدروع ، وخلع معن بن حاتم عن الإمارة كما مر .

وفيها قدم من الدِّيار المصرية علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة مؤازراً للحرة الملك السيدة ودفاعاً بأمر الدَّعوة العبيدية ، ومعه عشرون فارساً ، وكان نبيهاً عاقلا حسن التدبير واسع الإطلاع ملمَّاً بمذهب الإسماعيلية فأقامته السيدة على سدتها محافظاً بذي جبلة ، وكانت خولان قد استطالت على الرَّعية ، واستخفت بأمر السيدة ، فأدَّبهم إبن نجيب الدولة ، وطردهم[١] من البلاد وغزا الأطراف ، ولما تَحَقَّقت السيدة فيه إكتفائه وَلَّته مخلاف الجند ، وأمرته بالنقلة إليه لتوسطه بين الأعمال واستمر على عمله إلى سنة ٥١٨ ، وفيها غزا زبيد فقاتل أهلها على باب القرتب[٢] وعاد ابن نجيب الدَّولة إلى الجند بعد أن صرع عن جواده وأشيع أنه قتل .

وفي سنة ٥١٩ أظهر الخلاف على السَّيدة، وقال : انها قد خرفت وشاخت ، فجمعت له ملوك اليمن وأمرتهم بمحاربته ، وكان لا يخالفها أحد منهم في صلح أو حرب ، فحصروه في الجند وكانت مسورة ، ولما أشتد عليه الحصر والقتال ، بعثت الحرة إلى وجوه القبائل المحاصرة بعشرة آلاف دينار[٣] مصرية ، وأمرت ان يذيعوا في العسكر ان المال من إبن نجيب[٤] الدولة فطلبت الجنود من سلاطينها أن ينفقوا عليهم ، وألا ارتحلوا فلم يعطوهم ، فارتحلوا وتفرَّق الناس ، وقيل لإبن نجيب الدَّولة ، هذا من تدبير

---

(١) الجندي والخزرجي وانباء الزمن .

(٢) القرتب : بلدة وضاحية من ظاهر جنوب مدينة زبيد.

(٣) في الأصل دنيا

(٤) يرد ذكره أحياناً في أصل الكتاب بابن نجيب الدولة بالباء الموحدة من تحته فلعله وقف على هذا في بعض المخطوطات التي ينقل عنها .

التي قلت : انها قد خرفت ، فركب إليها إلى ذي جبلة واعتذر مما فرط منه ، ولم يزل من أساطين مملكتها ، ورجال دولتها إلى أن قدم من الدِّيار المصرية ، الأمير الكذاب سنة ٥٢٠ فحسده وكاد له عند الخليفة الآمر بأحكام الله بأنه يريد قلب دولته، فأرسل العبيدي يستدعيه ، فلما ركب البحر غرقه ربان السفينة بمؤامرة رسول الخليفة العبيدي ومن معه ، وكانت السيدة قد أستوثقت له من رسل العبيدي بالأيمان الأكيدة والعهود الوثيقة فنسوا تلك العهود وأغرقوا رسولها أيضاً محمد بن الأزدي وكانت قد أرسلته بهدية وكتاب شفاعة لإبن نجيب الدولة، ولما بلغ السَّيدة الواقع ندمت لأنها كانت مانعت في أول الامر عن إرساله ، ولم تذعن إلاَّ بعد الأيمان والعهود ومن رسل العبيدي ولذلك ندمت ولات ساعة مندم .

ثم انها اقامت الداعي ابراهيم الحامدي[1] ، وفي أثناء مدته مات الخليفة الآمر بأحكام الله العبيدي[2] ، وقام الحافظ بعده كما سيأتي وذكر في أنباء الزمن[3] هذه الحوادث في سنة ٥١٠ وقال : ان إبن نجيب الدَّولة أركب في سفينة سواحلية إلى مصر معذّباً ومهاناً .

قيام الامام المحسن بن محمد

قال في اللآلىء المضيئة نقلاً عن العباب للعدوى[4] ، وقد ذكر نسب المحسَّن فقال : هو المحسن بن محمد بن المختار بويع له بالخلافة وتلقَّب

---

(١) هو ابراهيم بن الحسين بن ابي السعود الحامدي من كبار علماء الاسماعيلية وكان يسمى عندهم بوالد الجميع من مؤلفاته كنز الولد المطبوع في المانيا وغيره توفي سنة ٥٥٧ .

(٢) حكمه من سنة ٤٩٥ إلى سنة ٥٢٤ .

(٣) غاية الأماني ص ٢٨٥ .

(٤) هو العلامة الحسين بن علي بن صالح العدوي من أدباء اليمن في القرن التاسع الهجري ومن سنوحه الامام المهدي احمد بن يحيى المرتضى في كتابه العتاب في شرح أبيات الآداب منه نسخة خطه بمكتبة الاستاذ احمد بن ابراهيم العيزري بذمار ومصوره بمعهد المخطوطات بمصر.

بالمعيد لدين الله ، قال : وكان فقيهاً خطيباً شاعراً قتله الحدادون من أهل صعدة ، وقتلوا ولده وجماعة من شيعته في منزله واحرقوه ، واستصبحوا بشحمه بسبب انه قتل باطنياً كان ضعيفاً لهم وفي الحدائق الوردية[1] ان المحسن لما وصلته دعوة الامام أبي طالب الأخير ، قام بها أحسن قيام ونفذت أوامره بصعدة ونجران والجوفين والظاهر ومصانع حمير، وعن الأمير الحسين ان المحسن هذا ملك حصن ثلا وغيره من الحصون ، وهو الذي قتل عامر بن سليمان الزّواحي ثم قتله أهل صعدة وولده غدراً، فقام بثأره السيد الشريف الواصل من الديلم ، وأخرب صعدة وأعانه على ذلك شيخ الشيعة في وقته محمد بن عليان البحتري[1] ، وأمدّهم الأمير غانم بن يحيى بن حمزة السليماني بمال كثير، قال في انباء الزمن[2] ان مدد الشريف يحيى بن حمزة كان عشرة آلاف دينار ، فاجتمعت القبائل وحاصروا صعدة ، حتى طلب أهلها الأمان فأمنوهم ثمانية أيام ، ودخلت القبائل صعدة ، فانتهبوا ما بقي فيها ثم أخربوها وبالغوا في خرابها ، وتفرقت القبائل ، وبقيت صعدة خاوية مدة والله اعلم ، وقد أورد صاحب أنباء الزمن[3] خبر قيام المحسن سنة ٥١١ ، وقال في نسبه : هو المحسن بن أحمد بن المختار بن الناصر بن الهادي إلى الحق عليه السلام قال ودخلت سنة ٥١٢ إلى سنة ٥١٤[4] لم يتفق فيها ما يوجب الرَّقم .

ودخلت سنة ٥١٥ فيها قتل السلطان أسعد بن عيسى الوائلي الكلاعي صاحب مخلاف وحاظة ذكره الجندي وعمارة وأثنيا عليه .

ودخلت سنة ٥١٦ وما بعدها إلى سنة ٥١٩، وفيها قتل منصور بن فاتك

---

(١) في غاية الأماني ص ٢٨٨ لأنها خرجت ابنته إلى خولان .

(٢) غاية الأماني ص ٢٨٨ .

(٣) الغاية ص ٢٨٧ .

(٤) الغاية ص ٢٨٨ .

وزيره أنيس الفاتكي ، وكان جباراً غشوماً مهيباً شجاعاً كانت له مع العرب عدّة وقعات ، تحاموا تهامة لهولها ، ثم أنه طغى وتكَبَّر وشمخ بأنفه ، وضرب السّكة بإسمه، وركب بالمظلة، وهَمَّ بقتل مولاه منصور بن فاتك، فلما تحقّق ذلك عنه عمل منصور وليمة في قصره ودعاه إليها مع وجوه دولته ، ثم قتله وصادر أمواله ، ومن جواريه الحرة علم أبتاعها منصور من ذريته ، واستولدها فاتك بن منصور بن فاتك ، ورث الملك بعد ابيه ، وكانت الحرة علم عاقلة كاملة فاضلة قد رزقت من التَّوفيق والسَّداد والخير ما يتجاوز حد الواصف كانت كثيرة الحج والصدقة ، تحج بأهل اليمن برًّا وبحراً هكذا روى الخزرجي[1] والربيع[2] ، وقال الجندي : أنها كانت تجهز الحاج بالخفارة والزَّاد من زبيد إلى مكة ، فيأمن الأخطار ، والمكوس ، وكان فيها من تسديد الملك بحيث وكّل إليها سيدها منصور تدبير الملك ، فكان لا يقطع هو ولا أحد من أهل دولته أمراً دون مراجعتها ، وكانت تكرم الفقهاء والعُبَّاد وتحترمهم ، وهي التي اسقطت خراج أرض علي بن مهدي لِمَا بلغها عنه من النّسك والعبادة وببركتها أثرى وتموَّل ، وفي الخزرجي[3] ان قتل أنيس الفاتكي سنة ٥١٧ ، وفي قرة العيون[4] سنة ٥١٠

ثم استوزر منصور منّ الله الفاتكي ، وكان من أكابر الوزراء وأعيانهم شجاعاً كريماً جواداً متلافاً ، آزر الشُّعراء بالعظيم من عونه ، وزَوَّدهم بالجليل من سيبه[5] فأثنوا عليه الخير كله ، قال الخزرجي[6] نقلاً عن الفقيه محمد بن

---

(١) العسجد المسبوك ١٢٦ .

(٢) بغية المستفيد ص ٥٩ .

(٣) العسجد المسبوك من ١٢٣ .

(٤) قلت في مطبوعة قرة العيون ج ١ ص ٣٥٢ قتله سنة ١٧ ، كما هو مذكور في اصله العسجد المسبوك .

(٥) سيبة : عطاؤه ومنه قول المتنبي :

ومن الخير بطؤ سيبك عني اسرع السحب في المسير الجمام

(٦) انظر العسجد المسبوك والنقل من مفيد عمارة من ٢١٠ وفيه محمد بن عبدالله السهامي .

علي الهامي مؤدّب أولاد الوزير المذكور (اذكر اني جَلّدت مدائح الوزير في عشرة أجزاء كبار[1] من شعر المجيدين من الشعراء) ولم يكن نائله محصوراً على مرتزقة الشعراء فحسب ، بل كان ندى الكف كذلك لقاصده وطالب رفده ، تصدق على فقهاء الحنفية ، والشافعية ، بما أغناهم من الأرض ، وفي أيامه قصد ابن نجيب الدولة الاستيلاء على زبيد فصده منَّ الله الفاتكي وهزمه شر هزيمة كما تقدم .

وكان مع هذه الخلال فاسقاً متهتّكاً ، زير نساء (لا يرسل الساق إلاَّ ممسكاً ساقاً) ثم أنه تطاول ، وطمحت نفسه إلى الملك ، فاحتال على سيده وقتله بالسمّ، وملك ولده فاتك بن منصور ، وهو إذ ذاك طفل صغير، وكان أبوه قد توفي عن أكثر من ألف[2] سرية سراريه وسراري أبوه وغيرهما من آل نجاح ، فأمتدت إليهنّ يد منَّ الله المذكور، وعبث بأعراضهن ، ولم ينج من شره إلاَّ عشرين حظايا منصور بن فاتك ، فيهنّ الحرة علم ام فاتك الملك الطفل ، ثم ان هذا الوحش ، أراد ان يفترس ابنة معارك بن جياش، وكانت موصوفة بالجمال ، فأفتدت نفسها منه بأربعين بكراً من جواريها ، فلم يقنعه هذا الفداء، وعند ذلك دبرن حيلة للخلاص من شره ، فاحتالت بعضهن ومكنته من نفسها ، وبعد أن أكمل عمله ، مسحت مذاكيره بمنديل مسموم فهلك من ساعته ، وخرجت مسرعة ولحقت بالحرة علم ، ودخل عليه ولده فوجده لا حراك به ، فدفنه في إصطبل داره ، وغيَّب قبره ، ومن آثار هذا الوزير سور مدينة زبيد ، بعد الحسين بن سلامة ، وكانت وفاته سنة ٥٢٤ .

---

(١) وفيه مبالغة ظاهرة (ص).

(٢) هذه رواية الخزرجي واصحب قرة العيون ، ونحن نعتقد انها لا تخلو عن المبالغة فإن هذا العدد الكبير تضيق به قصور بغداد العباسية ومصر الفاطمية . ووو . فتأمل (ص) قلت : الخزرجي والديبع وقعا صريعي عمارة الذي نقلا عنه ، وقد أكثر في تاريخه من المبالغات والأساطير ولم يكن من يزاحمه في كتابة التاريخ في عصره حتى يصحح هفواته فالله المستعان.

وتولّى بعده الوزارة القائد زريق الكاتب الفاتكي ، وكان ضعيف التّدبير فاستقال ، وتقلّد منصبه أبو منصور مفلح الفاتكي ، وكان حازماً شجاعاً ، كريماً عفيفاً قال الخزرجي[1]: وكان النّاس يقولون لو كان له نسب في قريش كملت فيه شروط الخلافة ، وقد أنتهت به الحال الى الخروج من زبيد والاستيلاء على حصن كرش من جبل برع ، وشن الغارات من قبله على زبيد ، وعلى مزاحميه في منصب الوزارة من العبيد ، واستنجد بالشريف غانم بن يحيى السليماني ، فأمده بألف فارس وعشرة آلاف راجل وعلى رأسهم الشّريف غانم ، وقد جعل للشريف لقاء نجدته إسقاط الاتاوة التي كانت على الشريف لصاحب زبيد وهي عبارة عن خمسة وستين ألف دينار . وتنازل عن بعض الجهة الشمالية من تهامة ، مما هو تحت نفوذ أمراء زبيد ، فنهض الشريف ومفلح الفاتكي في جموعهم وقصدوا مدينة زبيد ، فخرج لمقابلتهم القائد سرور ، أحد المنافسين لمفلح المذكور إلى المهجم، ولما نشبت الحرب ودارت رحاها أنهزم الشريف وجنوده ، وتم النصر لسرور فقلّده مولاهم ، فاتك بن منصور المهجم ، وما يليها من الأعمال الشامية ، وعاد مفلح إلى حصن الكرش ومات به سنة ٥٢٧[2] وخلف ابنه منصور فحارب سرور، وهو أمير المهجم والقائم بأعمال الوزارة إقبال الفاتكي ، ثم أن أصحاب منصور، تخلوا عنه ، وخذلوه فطلبه من إقبال الأمان فأمنه ثم غدر به وقتله فغضب السُّلطان فاتك وهمَّ بإقبال الفاتكي ، فاعتذر إليه واسترضاه فسكت على وغل ولكن الوزير لم يطمئن الى ذلك السّكوت ، وأخذ يفكر في جريمة أخرى ، وهو قتل مولاه السلطان ، ولم يزل يحتال حتى تمكّن وسقاه السم سنة ٥٣١

---

(١) العسجد ص ١٢٧ .

(٢) الخزرجي وقرة العيون ، وأما صاحب أنباء الزمن فإنه استطرد هذه الحوادث في سنة ٥١٩ واعتبر ما بعدها من السنين إلى سنة ٥٢٤ خالية عما ينبغي ذكره وفي سنة ٥٢٤ ذكر طريق البصرة وحضرموت (ص) .

طريق البصرة وطريق حضر موت

قال في انبأ الزمن ودخلت سنة ٥٢٤[١] فيها انقطع الطّريق من اليمن الى البصرة والكوفة عن مرور التجار والقوافل الكبار ، وكانوا يسافرون في كل عام مرّتين على طريق اليمامة والحسأ ، وسبب إنقطاعها ضعف الدّولة العباسية وظهور القرامطة الفساق ، ولم يسلكها بعد ذلك أهل الجهات النجدية برفاقة من ساكني تلك الأطراف ، وكانوا يخرجون من نجران إلى بلاد الدواسر[٢] ثم الى[٣] البديع ثم الى الحسأ في اثني عشر يوماً ، وأما طريق الرجل من الجوف إلى البصرة فانقطعت بالمرة وقد يسلكها نادراً جماعة من البدو الإبل المضمرة يجعلون على أيديها وارجلها الأدم لكثرة الحرشات والعقارب الناهشات ، وعلى طريق قريبة يقطعونها الى البصرة ، وكانت عامرة مسلوكة أيام التبابعة ، ومن بعدهم ، إلى أن قيل ان داؤد بن المنصور بالله عبد الله حمزة أخربها وطم آبارها عند عوده من غزوة غزاها خوفاً من لحوق أهلها ، وقيل ان الريح عفت آثارها ، وصارت كثيباً من الرّمل ، والله اعلم . ، واما الطريق من اليمن الى حضرموت فمسلوكة من ثلاث جهات ، أحدها طريق شبوه يقطعها المار في ثلاثة أيام من بيحان إلى حضرموت ، والثانية يقطعونها كذلك في ثمانية أيام إلى مأرب، غير أنهم يحتاجون إلى حمل الماء على المطايا لانقطاعه في أكثرها ، وهي رمال ما بين الجوف وحضرموت ، وسكانها البدو من المعضة[٢] ، والعربان ، ولا يسلكها إلّا المخفُّون ، وأما أهل الأثقال فيخافون فيها من عدوان أهلها عليهم ، وإنما يسلكون طريق الساحل من عدن ، ومنهم من يخرج من رداع إلى بني ارض[٣] ثم إلى بلاد العوالقة[٤] ثم

---

(١) غاية الأماني ص ٢٩٢ .

(٢) المعضّة : بتشديد الضاد المعجمة طائفة من قبائل امتفرقة اهل ما نسبه يتنقلون ما بين الجوف نجران على اطراف الرملة .

(٣) بنو أرض : مناطق البيضاء ما بين رداع وبيحان .

(٤) ناحية مشهور من النواحي المجاورة للبيضاء ويافع .

إلى بلاد عبد الواحد[1] ثم الى بلاد هينين[2] ، ثم إلى حضر موت في عشرين يوماً تقريباً والله اعلم ، أنتهى ما اورده صاحب انباء الزمن[3] ، وقد نقلنا عنه هذه الجملة التأريخية الجغرافية بالحرف الواحد والعهدة عليه ، وسيأتي ما يدل على إن المواصلة بين اليمن وبغداد عن طريق البصرة والجوف وأرض الحشرات والعقارب الناهشات ، كانت مستمرة ، يقطعها الواحد والجماعة ، فمن ذلك إرسال الملك المظفر الرّسولي سفيره إلى بغداد عن طريق براقش[4] سنة ٦٥٠ لطلب تشريف سلطته على اليمن من هنالك ، والمرة الثانية عندما قتل الإمام أحمد بن يحيى سنة ٦٥٦ أزعج[5] المظفر رسوله إلى بغداد بذلك النَّبأ ولما وصل حامل تلك الرسالة الى براقش في جوف اليمن متوجِّهاً إلى البصرة ، لقي الخبر عن بغداد وسقوطها في أيدي التتر ، ومحو الخلافة والخليفة ، كل هذه الحوادث تشير إلى أن الطريق ما زالت تسلك وانها لم تنقطع بالمرَّة .

وأما طريق حضرموت فقد استوفينا الكلام عنها في ايام الإمام المتوكل على الله إسماعيل في القسم الثالث من هذا التاريخ فليرجع اليه من شاء.

ودخلت سنة ٥٢٧ فيها مات هشام بن القبيب الهمداني ، وانفرد بالأمر اخوه حماس فقويت شكوته وعظمت ولايته ، وفي أيامه جاءه صارخ من يام يشكو إستطالة اهل نجران[6] عليهم فغراء نجران واثخن بني الحرث ومن

---

(١) المعروفة الآن بالواحدي كانت من أهم قبائل النواحي التوسع وهم جيران العوالق شرقا بشمال وعاصمة بلادهم حبان .

(٢) من مدن حضرموت .

(٣) انظرها بنصها ايضاً في غاية الأماني ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

(٤) براقش: تقع بالجهة الجنوبية من معين ضمن وادي الجوف.

(٥) ازعجه في اللغة بمعنى أقلقه وطرده من مكانه .

(٦) نزهة الأخبار (ص) كذا يسميه المؤلف وفي المخطوط من الكتاب بعنوان نزهة الأفكار وهو

والاهم ، وفيهم نصارى فأسر كثيراً من بني الحرث ، وأتى بهم إلى همدان فأقتسموهم في موضع بالظَّاهر ، وسمي ذلك الموضع بالمقتسم واسنكوا الأسرى معهم وسَمُّوهم بالمقتسمين ، وغزا السلطان المذكور بلاد جنب ، وقتل منهم مقتلة عظيمة واستمرت الولاية إلى أن مات سنة ٥٣٣ .

ظهور الإمام علي بن زيد وقتله

ودخلت سنة ٥٣١ فيها ظهر الإمام المحتسب علي بن زيد بن إبراهيم بن الملح بن الإمام[1] المنتصر بالله محمد بن الإمام المختار بن الناصر بن الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام ، قام محتسباً من درب يرسم من اعمال صعدة وجمع جموعاً وخرج بها الى نواحي صعدة ولما بلغ الإمام أحمد بن سليمان ذلك ، نهض من الجوف لمناصرته ، وكان ذلك قبل دعوة الإمام أحمد بن سليمان ، فسار إليه ناصره هو وصنوه يحيى بن سليمان وصنوه عبد الله ولقوه إلى حقل صعدة في خيل ورجال وافرة ، واجتمعت إليه القبائل من همدان وخولان وكهلان ، وسائر قبائل قحطان ، فتقدم بهم إلى شظب وكان الإمام احمد بن سليمان قد أشار عليه بالزَّحف على صنعاء، فلم يقبل منه وأقام بشظب في بني حجّاج بمن معه ، فاستثقله أهل تلك الجهة لكثرة النَّفقة ، وتمالوا على الغدر به ، وبأصحابه ، وكان أهل الجهة يحملون إليهم الطَّعام فاجتمع منهم في بعض الأيَّام زهاء خمسمائة رجل ، وحملوا الطَّعام على عادتهم، وقد ستروا أسلحتهم تحت ثيابهم ، ثم وثبوا على أصحاب الإمام علي بن زيد فقتلوا منهم قتلاً ذريعاً ، وانهزم علي بن زيد فتبعوه وقتلوه وقبره في شظب مشهور رحمه الله وإليه أشار صاحب البسامة بقوله :

وفي ابن زيد لاهل الفكر معتبر لما تسنّم رأس الطود من شعر

= للداعي ادريس بن الحسن المتوفي سنة ٨٧٢ وقد يخلط بينه وبين اصله عيون الأخبار للمؤلف والأخير طبعت منه أجزاء رديئة تحقيق الى الغاية .

(١) اللآلىء المضيئة وأنباء الزمن.

وكـان قتله في جمادي الآخـرة من السَّنة ولـلإمام احمـد بن سليمان في ذلك قصيدة طويلة أولها :[1]

من ضيّع الحزم لم يرشد ولم يصب واغتاله الدَّهر بـالخذلان والنصب

ومنها :

دعـا ابن زيـد فلبينـا لـدعـوتـه وغيـره قـد دعـا قـدماً فلم نجب
وجاءه الناس من شام ومن يمن على الضوامر في ركب وفي خبب
حتى إذا صار من نجد إلى حرض ملك الأمير ومن مقرا[2] الى خلب[3]
كـاتبتـه غيـر وان من شؤابـة لهـا ولم تبرح بثافت[4] في عـز بـلا تعب

ومنها :

من اودتـه في يشيع[5] حين اعجبَني جيش اجيش كمثل العارض السكب
فقلت آثـر بـه صنعـاء ودع شـظبـا حتى تعـود فليس الـرأس كـالـذنب

إلى آخرها.

ودخلت سنة ٥٣٢ وفيها مـات الدَّاعي سبـأ بن أبي السعود الـزريعي قال الجندي رحمه الله : دخل الدَّاعي سبأ عدن فوقف بها سبعة أشهر ثم توفي في التـاريخ المـذكور ، ودفن في حصن التَّعكـر ، وقد تحـارب الدَّاعي سبـأ[6] ، وابن عمه علي بن ابي الغارات وسبب ذلك أنه لما تـولَّى علي بن أبي الغارات أساء السيرة في الرَّعية وبسط يده على ما كـان إلى سبأ بن أبي السعـود وكانت

---

(١) الأبيات في اللآلىء المضيئة (مخطوط).
(٢) مقري : هو ما يعرف الآن بمغرب عنس من بلاد ذمار، وفي اللآلىء «حفر» .
(٣) واد من تهامة.
(٤) هي اثافت سبق ذكرها .
(٥) يشيع : بلده عامرة في الشمال الغربي من ريدة وهي من بني عبد.
(٦) الخزرجي والجندي.

قد اتّسعت ولايته ، فكان له حصن التعكر[1] بعدن وباب البرّ وما يدخل منه ومن البرّ الدملوة[2] وسامع[3] ومطران[4] ويمين[5] وذبحان[6] وبعض المعافر ، وبعض الجند ، وقد صبر الداعي سبأ صبراً كاد يُخْرج الأمر من يده ، ولما عيل صبره ، قام لحرب علي بن ابي الغارات ، وضم إليه همدان وخولان وحمير ومذحج ، وبعد غارات وفتكات تمّ النصر لسبأ بن أبي السعود ، بعد إنفاق أموال طائلة ، وتنازل لأصحابه إلى درجة تدلّ على كمال عقله وعلو همته ، وتعرف هذه الحرب بحرب الرُّعارع ، وفيها يقول علي بن زياد المازني :[7]

خلت الرعارع من بني المسعود ... فعهودهم عنها كغير عهود
حلّت بها آل الزريع وانما المحسِّن ... حلت أسود وفي مقام أسود

وأقرت السّيدة سبأ بن أبي السعود على عمله ، وكان يحمل إليها الخراج المضروب ، حتى مات وتولّى بعده إبنه علي الأغر فلم تطل أيامه ومات سنة ٥٣٤ .

ودخلت سنة ٥٣٢ فيها[8] ماتت الحرة الملكة السيدة بنت احمد بن

---

(١) التعكر: هو المعروف بجبل شمسان فوق عدن وهو مسيطر على ميناء عدن من الشمال وهو غير
(٢) التعكر الجبل المذكور كثيراً في التاريخ وسيأتي ذكره.
الدملوة : حصن منيع يعتبر فرع من جبل الصلو في بلاد الحجرية وهو اليوم خرائب مندرسة.
(٣) سامع جبل وعزلة من ناحية المواسط وأعمال الحجرية وهو في الجنوب من جبل صبر.
(٤) مطران: حصن في سامع وهو اليوم خرائب وفي أسفله قرية تحمل اسم الحصن.
(٥) في الأصل (نمن) والتصحيح من قرة العيون ج ١ ص ٣٠٦ ، ويمين بضم الياء المثناة من
(٦) تحت ثم ميم وياء ونون حصن في ارض العزاعز من المعافر (الحجرية) في المغرب الشمالي من مركزالقضاء التربة بمسافة ٨ ك.م.
بضم أوله عزلة من قضاء الحجرية من أشهر قراها التربة .
(٧) هدية الزمن ص ٥٧.
(٨) الخزرجي وقرة العيون (ص) .

جعفر بن موسى الصّليحي عن ثمان وثمانين سنة ، وكان مولدها سنة ٤٤٤ ونشأت في كفالة الحرة اسماء بنت شهاب [١] زوجة المكرم علي بن محمد الصّليحي وكانت موضع عنايته وعطفه ورعايته ، وكان يقول لزوجه أسماء : هذه والله كافلة ذرارينا ، القائمة بهذا الأمر لمن بقي منا ، فأدبتها أسماء أحسن أدب ، وهذبتها أكمل تهذيب حتى كملت محاسنها ، وكانت قارئة كاتبة حافظة للأشعار والأخبار عارفة بالأنساب والتّواريخ وأيام العرب ، ولما عرفت به من رجاحة العقل وحسن التدبير للملك ، كان يقال لها : بلقيس الصُّغرى ، وبموتها أنقرضت الحكومة الصليحية بعد أن حكمت قرابة قرن سَخّرت البلاد لمصالحها ، وتركت الأمة اليمنية ، تعيش في جوٍّ مختنق وميدان ضيق ، رهن القواعد المرسومة ، والنّظريات المعلومة من دعاة الأسماعيلية ، وكانت الطبقة المتسيطرة ،تتلاعب بعقول العامة وتستأثر بكل موارد العيش ، ومرافق الحياة ، وتَتَمتّع بجميع وسائل الرفاه ، تحت ستار الدّعاية الإسماعيلية ، ولذلك تفككت عرى القومية وتلاشت العقلية، والمنتجات الفنية ، وفقدت ملكة الإبداع والابتكار ، وأصبح الإيمان بمزاعم الدعاة ، يفرض على النّاس فرضاً فتشابهت نتائج الأفكار كتشابه ميادين الحياة أيام تلك الحكومة ، ولله الأمر من قبل ومن بعد :

رويداً انها دول تدول وبعدها أخر
يظل الحق منهزما زمانا ثم ينتصر

وقبرت[٢] السيدة الملكة بالجامع الذي انشأته بذي جبلة غربي المقدَّم، وانتقل ما كان بيدها من الحصون والذّخائر والأموال إلى المنصور بن

(١) قال الجندي ان أحمد بن جعفر الصليحي مات تحت الهدم بعدن وهي إذ ذاك صغيرة فضمها علي بن محمد إلى زوجته أسماء (ص) .

(٢) هذا البحث إلى نهايته منقول من قرة العيون ، وفي انباء الزمن أن للسيدة الجناح الشرقي بجامع صنعاء وهي حقيقة لم يتكلم عليها أحد قبله فيما وقعت عليه أيدينا من المصادر وقد سبق الكلام على هذا في حوادث سنة ٢٦٥ (ص) .

المفضل بن أبي البركات الحميري ، فلما كبر وضعف عن كثير من الحركات ، وأحب السكون أبتاع الداعي محمد بن سبأ بن أبي السعود منه الحصون والبلاد بمائة ألف درهم ، قال عمارة : وهي ثمانية وعشرون معقلاً ما بين حصن ومدينة ، من ذلك جبلة وإب والتعكر[1] وحب[2] ، ونزل منصور بن المفضل إلى حصن تعز وصَبر[3] ، وهو أول من اتخذ ثعبات[4] متنزهاً ، وكان ينزل من الحصن فيقف بها الأيام، ولم يزل كذلك إلى أن توفي سنة ٥٤٢ ، وخلف إبنه احمد فقام مقامه الى سنة ٥٥٨ ثم طلع علي بن مهدي من تهامة فأبتاع منه تعز وحبُ انتقل هو إلى الجند فسكنها إلى أن توفي سنة ٥٦٣ والله تعالى اعلم ، فهذا ما كان من أخبار الدولة الصليحية وما يتعلق بها والله ولي التوفيق .

الامام المتوكل على الله احمد بن سليمان عليه السلام

وفي هذه السنة (٥٣٢) ظهر الامام المجتهد المحقق أبو الحسن أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر احمد بن الهادي إلى الحق عليه السلام ، ولد بنواحي حوث سنة ٥٠٠ ، ونشأ بها ، وسلك طريقة آبائه الأطهار ، في طلب العلوم والتشمير لمعالي الأمور ، فكان يتحفّزه للقيام بحمل أعباء الخلافة من صغره ، ويرى أن النّاس في حاجة ملحّة إلى رجل عظيم ، تكون فيه القدرة الكافية لكبح النّزعات الجامحة إلى الأثرة ، ومعالجة النُفوس المصابة بداء الجهل والعناد ، وكان دائم الحنين إلى الجهاد ،

---

(١) التعكر: هو الجبل المشهور يقع في ارض ذي الكلاع من مخلاف جعفر ويطل على ذي جبله ومدينة إب من الجنوب وعلى مدينة ذي السفال والجند من الشمال.

(٢) حب: حصن من عزلة سيران في بعدان وهو من أمنع الحصون .

(٣) صبر: جبل مشهور تقع في سفح منحدره الشمالي مدينة تعز، وهو على ارتفاع ٣٠٠٠ متر من البحر .

(٤) ثعبات : محله واقعة في سفح المتصل بجبيل الحجملية والتي تبعد عنها ساعة إلاّ ربعا.

وتحكيم الرِّماح السمهرية والمشرفيات الحداد لإرغام معاطس شمخت عن الحق ، ونفوساً حادت عن الرِّشاد وكان أيضاً يحز في نفسه ضَيْع الأشراف ، وإيثارهم الخمول وله في ذلك عدة قصائد منها قوله[1] :

لأحكمَّن صوارما ورماحا ولأبذلن مع السَّماح سماحا
ولأقتلن قبيلة بقبيلة ولاسلبن[2] من العدا أرواحا
ولأروينَّ السمر ممن ابتغى فإذا ارتوين أفدنني اصلاحا

إلى آخرها قال في اللالىء المضيئة : كان عليه السلام في العلم والعمل والشجاعة الغاية والنهاية ، ويقال فيه : القوّال الفعّال ، وأحسن ما يقال في وصفه ما قال هو في نفسه :

تزعزع مني الأرض خوفاً ورهبة إذا قلت ألجم يا غلام واسرج

انتهى .

وكان يرجو ان يقوم من العترة الزّكية بأمر الأمة من يصلح للقيام ولذلك تصامم عن إجابة دعوة الإمام علي بن زيد لما بلغته في بداية الأمر ، لأنه لم يبلغ المستوى اللاّئق بمنصب الإمامة من النّاحية العلمية ، ولكنه عندما سمع بأن المذكور قد جمع الجموع وقصد حرب صعدة رأى نفسه مضطرًّا لموازرته وقال : أنا إن خذلته ووقفت عنه كنت عوناً لأعداء الله ، وخاذلاً لأولياء الله ، وتقدم إلى نصرته هو وأخوته بمن قدر على جمعه كما مر ، ومما يدل على ما كان يرجوه من قيام من يصلح للقيام قوله :

اما انه لولا الرجاء لدعوة مباركة تهدى لدين الغواطم
وعلمي بأن الله ليس بغافل وان نعيم الدَّهر ليس بدائم
لأليت لا أخشى الزمان وصرفه ولو زارني يوماً بإحدى العظائم

---

(١) القصيدة في الحدائق الوردية ج ٢ ص ١٢٣ .
(٢) في الأصل ولا اسلبن.

بمـوت مريـح وهو أنجـع زائـر وكنت بهـذا رابحـاً غيـر غـارم
لأجل الذي شاهدت من أهل عصرنا وعـاينت من عصيانهم والمـآثم
نسـوا حقنـا واستأثـروا بنصيبنـا من الأمر هذا من كبار المظالم

ومنها[*]:

ولكن نصـر الله قـد آن وقتـه لنا يا بني الزَّهراء بنهضة قائم
كريم أخي عالم وفضل وسؤدد وذي همة تعلو السهى والنعائم
وصبر واقـدام وحـزم ونجـدة وشدّة بأس عند ضرب الجماجم

إلى آخرها : ولما عزم الإمام على إظهار دعوته نهض من الجـوف ومعه رجـلان إلى برط فبـايعه قـوم من دهمة ، وسـار إلى نجران ونـزل على الشيخ العـون بن زغبـة ففـرح بمقـدمـه ، وأطلعـه على مـا قـد ظهـر بنجـران من المنكـرات ، ووصلته قبـائل همـدان نجران وبـايعوه في شهـر صفر من السَّنـة وَوَزَّع كتب الدَّعوة إلى عموم البلاد اليمنية ، فلم يتحرك لهـا إلاَّ القليل الـذي لا يعتدُّ به ، ثم إنه وصل إليه صنوه الشريف يحيى بن سليمان في جمـاعة من الأشـراف وأشاروا عليـه بمغادرة نجـران إلى الجوف ليتـوسَّط لهمـدان ويكـرّر الإرسال إليهم فبادر بالانتقال ورافقه الشيخ العون بن زغبة ، وحـاتم بن سليمان اليامي ، وسالم بن الخطر اليامي ، وفي طريقه بايعته بنو عامر ، وأرسل لـوائلة فبايعوه ، وسـار الى برط ومكث بـه خمسة أيـام في أثنائهـا وافته جميـع قبائـل دهمة بدوها وحضرها ، وبايعوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر فشكر لهمدان وأثنى عليهم بهذه الأبيات :

أأغضي على صرف الزمان وجوره وارضى بخط نـاقص وخمـول
وقـد خصني ربي بأزكى عـطية وفضـل ومجد في الأنـام أثيـل
وحولي همدان بن زائد ذوو الحمى بنـاة العـلا من حاشـد وبكيـل
هم نصروا الهادي الى الحق جدنا بكـل رقيق الشفـرتين صقيـل

ولمـا بلغ السلطان جحاف بن ربيـع الدَّعـامي وصـول الإمـام الى بـرط

وعـزمه على النـزول ، كتب إليه لا يغشـاه بالنّـاس ، وإذا كان يـريـد الاتفـاق فسيلقاه إلى موضع يعيّنه الإمام لشدّة لحقت البلاد يومئذ ، ولكن الإمام أغضبه اقتراح الدّعام ، فنزل من برط ، وبات بالمراشي ، وسـار إلى خيوان وعـزم ان لا يطأ بلاد الجـوف إلاّ وقد تقلّص ظـل كل نفـوذ فيه لغيـره وسار إلى بلد بني ربيعة ، وكانت قد استدعتـه قبائـل خولان (صعـدة) فسار إليهم ، وكـل ما مـرّ بقبيلة من القبائل تلقوه بالسّمع والطاعـة ، وكذلـك فعلت خولان ، وكـان أهل الحقل وبعض رجال من غيرهم قد تآمروا على صدّه من إجتياز الحقل وإعلان الخلاف والتمرد ، وسبب ذلـك خوفهم ممـا سبق منهم إلى الأمير المحسّن في حياته ، وبعد وفاته ، ثم ما لحقهم من مقام الإمام علي بن زيـد ، فصاروا لا يسمعون بقائم من أهل البيت إلاّ وايقنوا انه يهتك استارهم ، ويخرب ديـارهم ولما علم الشرفاء بنو الهادي بما أئتمر به أهل الحقل ندبوا لقتالهم بني جماعـة فلبّت بنو جماعة وطلبت نزول الإمام في بلادهم ، فتحول الإمام إليهم ، ولمـا عزموا على الخروج لقتال أهل الحقل ، وتأكد أهل الحقل ذلـك ، عدلـوا الى استخدام المال ، وارسلوا الرُّؤساء بني جماعة بشيء من الحطام ، فرجعوا عن عزمهم ، وتخاذلوا عن نصرة الإمام ، وتركوه فسار عنهم إلى نجران ، وصادف في طريقه من المشكلات ما ينوء بحمله أفذاذ الرجال ، وكـل هذه الحـوادث في السنة الأولى من دعوته .

ودخلت سنة ٥٣٣ لم يكن هذا العام أسعد طالعاً على الإمام ودعوته من العـام الماضي ، ولكنـه ظـل مثـابـراً بهمـة لا تعـرف الملل ، وعـزيمـة تهـزأ بـالخطوب ، فـأقام بنجـران شهر صفـر وربيع من السنـة ، وجاءتـه قبائـل من همدان وجنب يحرّضـونه على الانتقـام لهم من بني الحارث النجـرانيين ، فلم

---

(١) سيـرة الامـام المتـوكـل على الله احمـد بن سليمـان والـلآلىء المضيئـة (ص) . (قلت) وقف المؤلف على سيرة المتوكل احمد بن سليمـان ومعه من الكتب التـاريخية النـادرة ولا أعرف من مخطوطاتها سوى قطعة لمكتبة جامع صنعاء وهي من تأليف العلامة سليمان بن يحيى الثقفي .

يلتفت إلى ما راموه ، وقال لهم : أنَا أطلب قوماً إن أمرتهم ائتمروا ، وإن نهيتهم انتهوا ، في كل وقت ، ولستم بهذه الصِّفة ، وما لبث أن وافته كتب الرّبيعة يستدعونه ، ويعدونه النصرة ، فتحول إليهم ، ومَرَّ ببلاد وادعة ونزل على الشيخ عمر بن احمد اليرسمي ، وحضرت إليه قبائل وادعة معتذرة عن تثاقلها عن نصرته، فعذرهم وسار إلى بلاد الربيعة[1]، وكانوا في حرب مع بني مالك[2] ، فلما اقترب منهم الإمام خاف أهل الحقل أن يميل إليه أحد الفريقين المتحاربين ، وبذلوا الأموال في سبيل الصُّلح بينهم ، حتى تم لهم ما أرادوه ، وكان فيه القضاء على آمال الإمام ، فقد تنكرت له الربيعة ، واخلفته ما وعدت ، وكذلك غيرها ممن بايعه ، والسّبب في تلون القبائل الأخرة[3]، دعايات قام بنشرها بعض رجاله الذين قد بايعوه وشهدوا بإمامته ، ولكنهم خافوه على مناصبهم التي كانت تدرّ عليهم الأموال باسم الزكاة[4] ونحوها ، فلم ييأس ، واستمر على نشر دعوته بمختلف الوسائل ، وأقام بحيدان ، وأمر بعمارة هجرة بموضع يقال له الجحفات بوادي حيدان ، ثم انه حشد القبائل ، فاجتمع له منهم زهاء ألف رجل وسار بهم يريد الحقل ، فلما بلغ بهم ساقين اقترحوا عليه أن يرسل للرَّبيعة لتنتظم إليهم ، فراسلهم الإمام ، وأوفد إليهم جماعة من الشرفاء والمشائخ ، فلم يلتفتوا إلى وفده ، ولا احسنوا ردَّه ، رغماً على ما بذله لهم من الأموال ، فلما عاين من معه إمتناع الرَّبيعة ، تخاذلوا عنه ، ورجعوا أدراجهم ، فنزل على بني بحر ، وأرادهم على القيام معه

---

(١) الربيعة قبائل من أسفل نجران انظر صفة جزيرة العرب ص ٢٢٨ .

(٢) قبائل ومواضيع من تلك النواحي (المخلاف السليماني) .

(٣) كذا أو لعلها «الأخرى» .

(٤) قلت كان من أكبر من جاهر الإمام احمد بن سليمان العداء هم طائفة المطرفية الذين لم يعترفوا بامامته ورأوا فيه عدم الكفاءة ، وكان المطرفية قد قوي نفوذهم في ذلك الوقت وأصبح لهم هجر وشيوخ علم لا تعترف بالإمامة قط. حين رأى منهم الإمام عبدالله بن حمزة الخطر الداهم على قواعد الإمامة فقام بحربه المشهورة عليهم كما سيأتي .

فـأجابـوه ، وطلبوا المهلة إلى خـروج عيد النحـر فـأنـظرهم الإمـام ، ثم أنهـا تجهَّزت جماعة من هذه القبيلة ، وسـاروا مع الإمـام غير بعيـد ، ثم رأوا أنهم قلّة لا يقوون على قتال فتركهم ورجع حيدان .

وفيهـا اجتمعت همدان لمـا كثر الاختـلاف بين أولاد النبيب ، وقصدت السلطان الأجـل حميد الـدَّولـة حـاتم بن عمـران بن الفضـل اليامـي ، كـريم همـدان وطلبوا منـه القيام بـالأمر وإصـلاح البلاد فـأجابهم إلى ذلـك ، ودخل صنعاء في سبعمائة فارس من همدان ، وسيأتي تفصيل ما كان بينه وبين الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان .

ودخلت سنة ٥٣٤ فيها عاد الإمام إلى تحشيد القبائـل ، وإثارتهم لقتـال من شذ عن جماعته، وفي مقدّمتهم أهل الحقل[١] فلما عاينت قبائل الحقل جند الإمام ، تقدمت إلى الإمام بالسَّمع والطاعة ، وانضمت في عداد الجنـد الذي معـه ، فسـار بهم إلى نجـران فتلقـاه السُّلطان هشـام بن نبـاتـة المـداني ، والعـون بن زغبة ، في أفـراس من بني الحارث وهمـدان ، ثم تقدَّم إلى قبـائل وادعـة ، فصلَّى بهم الجمعة ، وانتقـل إلى الهجر ، ثم سـار إلى كـوكبـان[٢] محل السُّلطان هشام فبات ليلته في ضيافة السلطان ، ولما أصبح اتتـه بنو زريـع وعلى رأسهم سلطانهم روح بن زريع ، وسألوه النُّزول في ضيافتهم ، هو ومن معهم فساعدهم الإمام ، وبات عنـدهم ليلة ، ثم عاد إلى مقـره ، وبعد أن تم له تقرير أمور البلاد ، وتثبيت أحوال الولاة غادرهـا إلى الجبجب ، وفيها مـات الدَّاعي الأغر علي بن سبأ وتولى بعده اخوه محمـد بن سبأ قـال الديبـع في قـرة العيون[٣] : وفي أيـامه قـدم رسول من مصـر من الخليفة بتقليـد الـدَّعـوة علي بن سبـأ ، فوجـده قد مـات فقلد الـدعـوة أخـاه محمـد بن سبـأ ، ونعتـه

---

(١) لعله حقل صعدة بالشمال من المدينة.

(٢) هو غير كوكبان المعروفة بحصنها والقريبة من شبام.

(٣) قرة العيون ج ١ ص ٣٠٩ .

بالمعظَّم ، ونعت وزيره الشيخ بلال بالنعوت الجليلة .

وقد أشار إلى الرسول الموفد صاحب أنباء الزمن[1] ، ولكنه خلط في اسمه قال : ومن خلال ذلك قدم رجل احمد بن علي بن الزبير برسالة من العبيدي صاحب مصر ، وذكر الخبر ، والرّسول المذكور ، هو القاضي الرشيد ابن الزبير أخو القاضي المهذب شاعر الوزير الطلائع بن زريك ، وزير الحافظ العبيدي ، وكان الغرض من إيفاده تقوية الروابط بين مصر واليمن ، فإنّها كانت قد تَوَتّرت العلائِق ورثّ الحبل ، وانقطعت الرابطة الروحية بموت الآمر بأحكام الله ، وأصبح الخليفة في زعم دعاتهم باليمن[2] مستوراً فلما مات الآمر آخر أيام السيدة ، وتولّى بعده الحافظ عبد المجيد[3] قطعوا الخطبة والدّعوة للحافظ المذكور ، وانكمشت الدّعوة الإسماعيلية ، تعمل عملها في ربوع اليمن ، وتقوم بالعجائب في سبيل المحافظة على مبادئها وتعاليمها ، وتدعو إلى الخليفة المستور ، فأراد الحافظ بإرسال داعيته القاضي استرداد النفوذ والسلطة الروحية ، ولكنه لم يفلح ، وأخفق مسعى داعيته ، وكان حظه من الأمير الزريعي الحبس والتنكيل (خلاف ما قاله الدبيع وصاحب أنباء الزمن) ولم يستطع خليفة مصر تخليص داعيته من الهوّة التي ارتطم فيها ، حتى كان من أخيه القاضي المهذب[4] إنشاء قصيدة مدح بها الدّاعي واستعطفه ورجاه لأخيه المسجون ، وكان من أثر هذه القصيدة إطلاقه والقصيدة المذكورة من غرر شعر القاضي المهذب وأولها :

---

(١) غاية الأماني ص ٢٩٧ .

(٢) راجع نزهة الأخبار (ص) .

(٣) هو عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله مولده سنة ٤٦٧ ووفاته سنة ٥٤٤ .

(٤) هو الأديب المهذب الحسن بن علي بن ابراهيم الزبيري الغساني من ادباء مصر له ديوان شعر وتفسير للقرآن يقال يقع في خمسين مجلداً توفي سنة ٥٦١ .
وأخوه القاضي الرشيد هو أحمد بن علي بن ابراهيم أديب اكثر شهرة من أخيه له مؤلفات كثيرة أغلبها فقد منها مقامته الحصيبة الفها في زبيد توفي سنة ٥٦٣ قتلاً .

يا ريع أين تـرى الأحبة يممـوا هل انجدوا من بعدنا أم اتهموا
نزلوا من العين السواد وان نأوا ومن الفؤاد مكـان مـا أنـا اكتم
رحلوا وفي القلب المعنّى بعدهم وجـه على مـر الـزّمـان مخيم

ومنها :

إني امرؤ قد بعت حظي راضيا من هـذه الـدنيـا بحـظي منهم
ما كان بعـد أخي الذي فارقته ليبـوح إلّا بـالشكـايـة لي فم
أقـوت مغـانيـه وعـطّل ربعـه ولـربما هجـر العـرين الضيغم
ورمت بـه الأهوال همـة ماجـد كالسّيف يمضي عزمـه ويصمم
يـا راحـلاً للمجـد عنـا والعـلا أتـرى يكـون لكم إلينـا مقـدم
يفديك قوم كنت واسط عقدهم ما ان لهم مذ غبت شمل ينظم
جهلوا قـطنـوا ان بعـدك مغنم لمـا رحلت وانمـا هـو مغـرم
ولقـد أقـر العين ان عـداك قـد هلكـوا ببغيـهم وانـت مسـلّم

ومنها في مدح الدّاعي :

أقيال بأس خير من حمل القنـا وملوك قحطان الذين همـوهمو
متـواضعين ولـو تـرى نـاديهم ما اسطعت من إجلالهم تتكلم
وكفـاهم شـرفـاً ومجـداً انهم قد أصبح الدّاعي المتوج منهم
هـو بدر تم في سمـاء عـلاهم وبنـو أبيـه بنـو زريـع أنجم
ملك حمـاة جنـة لعـفـاتـه لـكنـه لـلحـاسـدين جـهنّم

وكان[1] الدّاعي محمد المذكور كريماً جواداً مدحه جماعة من الشعراء وتـوفي بالدمـلوة سنة ٥٤٨ وقـام بعده بـالأمر ولـده عمران بن محمـد بن سبأ وسيأتي ذكره ان شاء الله .

---

(١) قرة العيون (ص) .

عزم الإمام إلى نجران واستيلاؤه على صعدة

ودخلت سنة ٥٣٥ فيها إئتنف الإمام الحشد لقصد نجران ، فسار في عسكر كثير فيه أربعمائة ترس ، وألف قوس ، وكان قد بلغه عن أهل نجران تذبذباً في الطاعة ، وكانت كتبهم تنم عن ذلك ، فكان كل فريق منهم يزكّي نفسه ، ويدل على غيره بأنه يتحفز للخلاف ، فأراد أن يعلم المفسد من المصلح ، ونهض إليهم بجموعه وطاف بلادهم ، وتوغّل فيها ، ولاح له ما اعتزم عليه بعضهم ، فلم يكترث بذلك وقابل الإساءة بالإحسان ، وأقام بنجران أياماً ، ورجع في حافرته إلى صعدة ، وكان أهل صعدة قد تواثقوا على حربه ، والإمتناع عن تسليم حصون بلادهم إليه ، ولكنهم اطمأنوا إلى ما سمعوا عنه من حسن السيرة بنجران ، فساعدوه على ما أراد وفتحوا له أبواب البلاد ، ولله در القائل :

ولم أر مثل الرفق في فعله ... اخرج للحية من جحرها

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وبعد أيام أقامها بصعدة تحول إلى الجبجب ، وهنالك بلغه أن انساناً شرب الخمر ، وخاف الحد فاستجار بالرُّبيعة فأجاروه ، وأتوا إلى الإمام متشفعين للشارب فقال لهم الإمام الحق لله ، ولا بدَّ من الحد ، وطلب الرجل وأمر بجلده ثمانين حد الشرب ، وبلغه أيضاً أن جماعة من بني مالك تراموا فيما بينهم ، فغضب لذلك وأمر بالنفير لحربهم ، فوصلته مشائخ آل سعود ، وهم أهل الجناية ، وقالوا : ما حكمت علينا في جناية هؤلاء الصِّبيان فافعله ، فإنا سامعون مطيعون ، فقال : لا بد من حبسهم أو هدم منازلهم فرأوا الخراب أهون عليهم من الحبس ، فامتثلوا فأرسل معهم من أخرب درْبالهم بالصَّعيد يقال له درب آل أبين ، قال في اللآلىء المضيئة : وكان عليه السَّلام يعاقب المحدثين تارة في أجسامهم بالجلد والحبس ، وتارة بخراب منازلهم ، على قدر اجتهاده ، وكان قد أخرب منازل على المحدثين ، منها

منزلان بصعدة ، ومنزلان بأسل[1] ، ودرب بالمحفا ، ودرب بزهوان ، ودرب بني معاد[2] ، فلما رأى النَّاس من شدّته في الصغائر ما رأوا ، اخضعوا له طوعاً وكرهاً ، وطابت له مخاليف صعدة ونجران ، وجرت فيها أقلامه ونفذت فيها أحكامه ، وسمع من كان منتزحاً بعدله وحسن سيرته فكاتبوه من كل ناحية، وكان ممن كاتبه السلطان هاشم والسلطان ابن احمد بن عمران ، والقاضي احمد بن عبد السلام[3] بن أبي يحيى ، وفي المكاتبة المذكورة من شعر ولده يحيى بن أحمد وذلك قوله :

أإنسان عيني ما تألفت انسانا فألفيته للقانع الود قنعانا

ومنه :

خليلي ان الدهر أعتب عاتبا عليه وأرضى بالرِّضا عنه غضبانا
كأن ليالـه تأدبن أوسطا عليها فدانت احمد بن سليمانا
إمام أمام الجيش منه عزيمة يشين بها من كل شأن له شانا

إلى آخرها فأجاب الإمام عليه بقوله :

انشر سري ينشي من الرُّوض افنانا ومسكا وكافورا وريحا وريحانا
أم الجوهر الشفاف أم سلك لؤلؤ تضمَّن ياقوتا ثمينا وعقيانا
ام العنبر[4] الشحري أم طرس ماجد حسبناه لما ان فضضناه بستانا
أرق من الماء المعين معانيا وأبهر من نور الغزالة برهانا
حبانا به القاضي الأجل ابن احمد بن عبد السلام النّدب يحيى وحيانا

وفيها نهض الإمام إلى الجوف بمن معه من همدان ، وقبائل صعدة ،

---

(١) أسَل: واد في بلاد دهمة من أعمال صعدة.

(٢) بنو معاد: عزلة من ناحية سحار وأعمال صعدة.

(٣) والد القاضي جعفر بن عبد السلام.

(٤) في الأصل العبر.

وغيرهم ، فأطاعه أهل الجوف وشوابة ، وبلاد أرحب ، ولما استتب له أمر بلاد الجوف ، رجع إلى بلاد بني جماعة ، فأصلح بينهم في دماء كانت مثار خلاف فيما بينهم ، وقابلته بنو ربيعة بالحرب ، فقاتلهم وأخرب ديارهم ، وانتقل إلى نجران لتأديبهم لما أحدثوه من العيث والفساد بعد رحيله عنهم ، فنكل بهم وأخرب قراهم فأجابته[1] يام من السَّهل والجبل ووادعة وشاكر ودهمة وبنو مرة وغيرهم طائعين مستسلمين فرجع إلى صعدة ظافراً منصوراً .

عزم الإمام لتأديب[2] الشقي ابن الطحل وفساد ابن القدمي ، وأهل الحقل

ودخلت سنة ٥٣٦ فيها بلغ الإمام أن عرفطة بن الطحل قطع طريق الحاج ، ومعه أهل عنز فنهض لحربهم إلى أن بلغ جانباً من العرض ، وبلغه أن قوماً من يرسم قتلوا رجلاً من بني حمزة وهربوا بلاد الرَّبيعة ، فأمر بخراب منازل الجناة المذكورين ولكنه خشي أن يتعدَّاهم الخراب إلى غيرهم ، فرجع عن قصد العنزيين لتدارك ذلك ، وكانت نيران الخلاف قد بدأت تتّقد بين بني مالك المأمورين بخراب منازل المجرمين وأهل صعدة ، فأصلح الإمام بينهم ، وسار إلى حيدان يحشد القبائل لحرب العنزِّيين فاجتمع له خلق كثير ، ولما بلغ أهل الحقل اجتماع القبائل وتلبيتهم نداء الإمام خافوا أن يستظهر عليهم ، وينيلهم السوء فسعوا في تفريق من اجتمع إليه ، وصاروا إلى رجل من أهل مجن يقال له محمد بن القدمي ، ووعدوه النصرة والمعاونة إن هو ثار على الإمام ، فخف ابن القدمي وعمد إلى قافلة آتية من نجران بعضها للإمام من صدقات وبعضها لتجار من نجران وصعدة ، وهي تمر وعطب[3] فنهبها ، وقتل رجلاً ممن كان معها ، وكان ذلك في أسفل بلاد البقرا ، ولما

---

(١) في الأصل: فاجأته.

(٢) في الأصل: لتائب.

(٣) العطب: القطن.

علم الإمام بذلك أراد أن يغزوهم وطلب من خولان وبلاد حيدان مناصرته ، فقالوا له : انا قد خرجنا معك مخارج كثيرة فلزمت على أيدينا وأطلقت أيدي بني جماعة في مخرج نجران ، فسار عنهم مغاضباً ، فلقيه جماعة من مشائخ بني جماعة فأخبرهم بخبره فأجابوه بالسمع والطاعة ، وانضم إليهم بنو بحر ، وقصدوا ابن القدمي إلى مجن ، وكان قد تحَصَّن منهم في درب حصين ، ولما عاينوا مناعة الحصن طلب رؤساء العسكر من الإمام الإمساك عن الحرب وسعوا في الصّلح فقال لهم الإمام : أنا لا أرضى إلاَّ بتنفيذ قول الله تعالى : ﴿انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ الآية[1] في ابن القدمي ، فقالوا له : سنأتيك به لتنفذ فيه ما أردت ، فلما كان من الغد وصلوا بأخ له وأربعة معه وقالوا دونك هؤلاء فقيدهم واحبسهم أمَّا محمد بن القدمي فإنه هرب في اللَّيل فقيَّدهم الإمام ، ثم علم ان ابن القدمي لم يخرج من الدَّرب ، وانما اختفى فغضب الإمام وأطلق المقيدين ، وأمر ابن القدمي ان يذهب إلى أخيه ، وإذن لذلك الجمع أن ينصرف لأنه عرف فيهم عدم النّصح ، وعزم على اعادة الكرة على ابن القدمي ، في فرصة أخرى فتفرَّق عنه أصحابه ، وبقي في أربعين رجلاً منهم ، فأراد أهل الحقل وابن القدمي إنتهاز الفرصة لقِلّة من معه ، وباغتوه في ثمانين رجلاً من خيارهم ، فثبت لهم الإمام حتى أعياهم ، فتفرقوا عنه وامسكوا ، وكانت الحرب بمجن ، ولما علمت القبائل القريبة هَبُّوا سراعاً لنصرة الإمام ، وقالوا : قد اجتهدنا في إغفال الحرب عن ابن القدمي بمخرجك إلى الشام ، والآن لا عذر لنا عن حربه ونكاله ، لما كان منه ، وكذلك فعلت القبائل البعيدة فشدّدوا الحصار والمضايقة لابن القدمي وأصحابه ، حتى أجلوهم عن الدَّرب[2] وهربوا منه ، فهدمه الإمام وكبس خندقه وبئره وأحرق أبوابه وأخشابه ، بعد أن قتل من أهل الدَّرب ثلاثة رجال ، وفي ذلك الوقت قال الإمام قصيدته التي أولها :

---

(١) الآية ٢٣ سورة المائدة.

(٢) يتكرر ذكر الدرب هنا وهو ما يقابل الحارة أو الضاحية في كلام الناس .

منـازلنـا لـلوافـدين منـازل وسـاحـاتنـا للواردين منـاهـل
وكل دخيل عندنا الدهر[1] مكرم وكـل غريب نحـونا فهـو آهـل
وكل امرىء في هذه الأرض عالم بـأني فعـول كلمـا أنـا قـائـل

ومنها :

دعوتكم في ساعة العسر معلناً فلم تسمعوا والكفر في الناس شامل
وكابدت هذا الناس وحدي وخانني صديقي وأقصاني وأعرض عاذل

ثم رجع إلى الجبجب ، وأما أهل الحقل فإنه زاد خـوفهم وعزمـوا على الغدر بالإمام فقصدوه إلى الجبجب ، برفاقة بني بحر مظهرين النّدم ومضمرين الغدر والخيانـة ، ولكنها خـابت مساعيهم وطـردهم الإمام من حضـرته وأكـرم وفادة بني بحر .

خلاف اهل الجوف

فيها وفد على الإمام السلطان جحاف بن الرَّبيع ، وكان هو الـوالي على الجوف من قبل الإمام[2] ، فذكر أن بعض قبائل الجوف تمردوا ونزعوا أيديهم عن الطَّاعة وحـالفوا السلطان فليتـه بن العطاف النهمي ، وجمعـوا البوادي من جنب ونهم وغيـرهم إلى الـوادي ، وقتلوا السلطان منيـع بن أرحب وغيـره من أنصار الإمام فأمر بجمع القبائل ، وكان ممن وصل إليه البحريون ، ومعهم ابن القدمي وقالوا هذا جارنا قد أتينا بـه اليك فشفع فيه السُّلطان جحـاف ، وسأل العطف عليه ، فقبل الإمام شفاعته وعفا عنه تـألّفا لبني بحـر ، ورعايـة لهم ، ونهض الى الجوف ، ولما دخل سوق الـدَّعام ، ألتفّت حـوله القبـائل التي لم تنـزع إلى العصيان وبعـد أن راسل القبـائل المتمـردة ، ودعـاهم إلى الـطاعـة حاصرهم في حصنهم ، فما كان بأسرع من طلبهم الأمان ، وإعلانهم الـطاعة فأمنهم ، وعاد إلى الجبجب وقد طوّع أهل الجوف البدو والحضر .

---

(١) في الأصل (الدوهر) .
(٢) في الأصل الأم.

ظهور علي بن مهدي الحميري

وفي[1] هـذه السنـة اشتهـر أمـر علي بن مهـدي بن محمـد بن علي بن داؤد بن محمد الرعيني ثم الحميري ، وكان يسكن بقـرية الغبـرة اسفل وادي زبيد وبها ولد ، وكان ابوه صالحاً فنشأ ابنه على طريقته ، محبًّا للعزلة متمسِّكاً بالعبادة غزير الدَّمعة واسع الفكرة كثير المحفوظات فصيح العبارة كثير الـوعظة والتحـذير من صحبـة الملوك ، له رحـلات إلى بيت الله الحـرام ، وفي أثنـاء رحلاته ، كان يأخذ عن علماء العراق ووعَّاظهم ، وكان يخبر عن المستقبل ، ويكاشف النَّاس بكثير من الأمور ، فيصدق فأفتتن النَّاس به وطار ذكره ، وكـان أوَّل ظهـوره سنة ٥٣١ ، واستمـر على الحال المـذكـور من الصَّـلاح والعبـادة والتَّردّد إلى حرم الله إلى سنة ٣٦ ، فنال من احترام العامة والخاصـة ، مكانـة عاليه ، ولا سيمـا عند الحـرة علم أم فاتـك بن منصور ملك زبيـد فإنهـا أمرت باسقاط خراج أراضيه ، وأراضي من يلوذ به من قريب وتابع ، قـال الجندي : فلم تمض مدة حتى أثروا وصـاروا أهل خيـول صاهلة وعـدد للحرب بـاهرة ، وفراسة شاهرة ، فكانوا في ركوب الخيل كما قال الشاعر :

فكـأنمـا نتجت قيـامـاً تحتهم وكـأنما ولـدوا على صهـواتهـا

انتهى : وسيـأتي الكـلام على بني مهـدي وحكـومتهم تفصيـلاً إن شـاء الله .

ثورة الشريف المهول بحقل صعده

ودخلت سنة ٥٣٧[2] فيها ثار الشريف عبدالله بن محمد المهول ، وكان أهـل الحقل هم الـذين حَرَّضـوه على الخروج ، فقصـد الرَّبيعـة ، ونحر على

---

(١) الخزرجي وانباء الزمن وقرة العيون (ص) .

(٢) قال في انباء الزَّمن ودخلت سنة ٥٣٧ لم يتفق فيها ولا فيما بعدها يوجب الذكـر . ودخلت سنة ٥٣٩ الى سنة ٤٣ وفي سيرة الإمام احمد ما حرّرنا من الحوادث لهذه السـنين .

مقابرهم ليثيرهم على الخلاف والخروج على الإمام فاجتمع له منهم جماعة ، وانضم إليهم غيرهم ، وقصد الإمام الى الجبجب ولما نشبت الحرب انهزم أصحاب الشريف ، وعادوا أدراجهم ، وفي ذلك يقول الإمام من قصيدة يعاتب بها الأشراف منها :

وغشيرتي متربّصون جميعهم بي عشرة في وقت كل عثار
لم آتهم بنكاية بل جئتهم بزيادة في المال والمقدار

ولم يزل مقيماً بالجبجب حتى بلغه ان أهل الحقل وبعض قبائل صعدة وغيرهم تجمعوا وأجمعوا على الخلاف ، فأغضبه ذلك وسار إلى البطنة فنزل على الشيخ حسن بن قيس وأقام عنده إلى آخر سنة ٥٣٨ ، وفي ذي الحجة منها أرسل الإمام إلى كافة الشرفاء بني علي بمكة قصيدة يدعوهم بها إلى الجهاد ودخلت سنة ٥٣٩ فيها فتك السلطان هشام بن نباتة النَّجراني بالسلطان روح بن زريع ، وكان الإمام قد عقد له أماناً فأغضبه هشام بن نباتة المذكور فجمع القبائل وسار إلى نجران لحربه وتأديبه ، ولما وصل نجران أخرب دور المعتدين وقطع نخيلهم وتَمّ له ما أراد من تأديبهم ، ثم رجع إلى البطنة وبعد أيّام انتقل إلى هجرته بحيدان ، فأقام بها سبعة أشهر ألف فيها كتابه المشهور بحقائق المعرفة في علم الكلام. قال الشرفي في اللآلىء المضيئة وهو كتاب جَيّد التَّصنيف حسن التأليف ، ووفد عليه أثناء تأليفه الشيخ ابو الحسين بن أبي القاسم من ناحية بلاد عنس وجماعة معه فتعلَّموه ونسخوا الكتاب وأعجبوا به[1] .

ودخلت سنة ٥٤٠ فيها ظهرت بصعدة منكرات وأمور قباح ، وكانت ولاية صعدة إلى آل الشمري ، فراسلهم الإمام وحَذَّرهم عاقبة الغي والضَّلال فلم يكترثوا بنصحه ونهيه ، ولما تحقق له ذلك ، جمع خولان لغزوهم ،

(١) من هذا الكتاب عدة نسخ خطية في مكتبة جامع صنعاء وغيره انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٥٣٥.

ولكن آل الشمري خافوا ، ففزعوا إلى جمع كميّة من المال من أهل صعدة وانفقوهالاحباط حركة الجيش المهيأ لتأديبهم ، فتم لهم المراد .

وفيها وفد على الإمام السلطان هشام بن نباتة معتذراً مما فرط منه فاعذره ، وأمنه وصرفه إلى بلاده .

ذكر من وفد على الإمام المتوكل من العلماء وخبر نزوله الى تهامة

ودخلت سنة ٥٤١ فيها كتب الشّريف علي بن عيسى وحمزة السليماني من مكة إلى الإمام المتوكل يخبره بوصول الشّيخ الفقيه زيد بن الحسن البيهقي[١] من بلاد خراسان ، وأنه يريد الإتصال بحضرة الإمام، فرحب به الإمام وأكرم نزله ، وكان الشّيخ المذكور عالماً ورعاً عابداً ، أوصل معه كثير من الكتب في فنون مختلفة ، فأقام بهجرة محنكة بوادي حيدان في ضيافة الإمام أيّاماً ، ثم انتقل الى صعدة وأقام بها مدة يدرس وينشر فضائل أهل البيت عليهم السلام .

وفيها أيضاً وفد على الإمام الشيخ الأجل محمد بن عليان[٢] كبير الشيعة بوقش وغيرها من الهجر ، ولما استقر بحضرته أرسل لجميع الشيعة من بلاد خولان وأهل الهجر[٣] فيهم فوصل منهم عدد كثير بايعوا الإمام وتابعوه ، وكان ممن وصل مع البيهقي رجل من فقهاء تهامة طلب من الإمام الإنتقال إلى جوار تهامة ومراسلة الشريف غانم بن يحيى بن حمزة بن وهاس السليماني ، وكافة الشرفاء من بني سليمان بالموعظة ونهيهم عمّا كانوا عليه من الظّلم والفسق

---

(١) كان قدومه لمناظرة المطرفية وقد ذكره صاحب كتاب التمييز بين الاسلام والمطرفية العلامة عبدالله بن زيد العنسي المتوفي سنة ٦٦٧ وفي مطلع البدور ترجمة لآخر هو زيد بن احمد بن الحسن البيهقي قال قدم هجرة حوث سنة ٦١٠ فلعله هو هو .

(٢) ترجم له مسلم اللحجي في تاريخه وعده من كبار علماء المطرفية .

(٣) الهجر هي مراكز العلم والتدريس .

فأجابه الإمام ، ونهض الى بلاد الأبقور[1] واستنفرهم معه فأجابوه ، وتحرك في جيش كبير حتى نزل بموضع يقال له الصبابة أعلا وادي جازان ، ولما علم به الشّريف غانم بن يحيى خشي أن تجتمع أهل تهامة عليه مع الإمام، فَفَرَّق الأموال على أهل البلاد ، ثم جمع الجنود وقصد الإحاطة بالإمام ومن معه ، ولكن ذلك الجند فشل وتفرق ، فلاذ الشريف بأهل الحبشة أمراء زبيد ، وطلب منهم النجدة فلم ينجدوه ، وأخيراً عدل عن هذا وذاك ، واستذرى[2] بالإمام، وبذل له الطّاعة فاستوثق[3] منه الإمام بالإيمان ، وعاد إلى الجبجب وأقام فيه إلى سنة ٥٤٢ .

ودخلت سنة ٥٤٣ فيها كانت الحرب بين يرسم [4] وأهل صعدة ، وكان الإمام بجبل بني عويمر[5] منهوكاً مما لحقه من المرض على إثر تهامة ، ولما عرف غَلَبة الصعديين ليرسم ، تقدم من موضعه لنجدة اليرسميين ، فدخل صعدة في عدد قليل فأحاط به الصَّعديون ، وحاصروه في الجهة التي دخل منها، ولم يتمكن من الخلاص إلاَّ بمشقة ، وعاد إلى محلّه متعباً منهوكاً ، واستقر فيه إلى أن كان إجتماع الأشراف للنَّظر فيمن يصلح للقيام بأمر الأمة كما سيأتي .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ودخلت سنة ٥٤٤[6] فيها أشترى الدَّاعي محمد بن سبأ الزريعي من السلطان منصور بن المفضل بن ابي البركات الحميري ما كان تحت يده من المدن والحصون كالتَّعكر ، وإب ، وجبلة ، وغيرها ، وقد تقدم ذكر الحصون

---

(١) الأبقور : قبيلة من خولان بن عمر لها بقية في سحار بالشمال من صعدة .

(٢) التجأ إليه .

(٣) في الأصل فستوثق .

(٤) يرسم سبق ذكرها وهي تقع في الغرب من الجنوبي من صعدة بمسافة نحو ميل .

(٥) في الأصل كتبه هكذا ثم كتب فوق الكلمة عوير (ظنا) : وبنو عوير من قبائل سحار في الجنوب الغربي من صعدة .

(٦) غاية الأماني ص ٣٠٠ .

والمدن المذكورة في السنة التي ماتت فيها السيدة الصليحية .

اجتماع الأشراف ومبايعتهم الإمام المتوكل على الله

ودخلت سنة ٥٤٥ فيها اجتمعت الأشراف في مدر من بلاد حاشد ، للنظر فيمن يصلح للإمامة والقيام بأعباء الأمة ، وكان هذا الاجتماع العظيم مؤلّفاً من كافة الاشراف العلويين ، فكان مجموعهم ينوف على الألف ، وحضر معهم من كبار الشّيعة وعلمائهم من يهمهم ذلك الأمر ، ولما كمل نظام عقدهم ، أفاضوا في البحث والتّنقيب عمّن يصلح منهم لمنصب الامامة والقيام بأمر الجهاد،وبعد إمعان في التّفكير ، قرروا أن الإمام المتوكل أحمد بن سليمان قد سبقهم في التّقدم إلى الجهاد ، وبَذْهم في القدرة على حلّ المشكلات ، وإخماد نيران الفساد ، فهو بها أولى ، فأجمع رأيهم على متابعته ولزوم جماعته واختاروا منهم ثلثمائة رجل للوفادة عليه، وإبلاغه القرار المجمع عليه ، فسار الوفد إلى حضرة الإمام الى الحجْبُ، ولماوصلوا إليه سرَّ بهم وأكرمهم ، ثم انهم عرضوا عليه قرار ذلك المؤتمر، فرفض قبول الأمر ، واعتذر لهم بما لقيه منهم من الإعراض والجفوة عندما كان يدعوهم في الأزمات التي لقيها من السنين الماضية ، فقالوا له : قد كنت تدعونا فلم نجبك فكانت لك الحجة علينا ، واليوم قد صارت لنا الحجة عليك ، وقد ألقينا مقاليدها اليك فقال : تالله لا كانت لكم الحجة عليَّ ، وبادر بالنّهوض إلى الجوف ، وفي أثناء مسيره ، وصله كتاب من أخيه عبد الله بن سليمان من حوث يقول فيه انه قد فشا الفساد، وفاضت الموبقات وركب الناس رؤوسهم في المنكرات ، واسترسلوا إلى الشّهوات بحيث لو أراد إصلاح قرية واحدة لتعذر عليه إصلاحها ، ولو جمع ما في قرية واحدة من قرى الظاهر من الخمر لسال إلى موضع بعيد ، ونبأ على تمكن الرذائل في النفوس ، فهو ينصح له بالرجوع من حيث أتى فلم يتأثّر الإمام بما في كتاب أخيه ، وقال : لا يلزمني أن أرجع لأجل كتاب ، بل أتقدّم إلى أوّل قرية فإن نزّهتها عن المنكرات

وقمعت أهلها فالذي بعدها يجري مجراها ، ولقيه الشيخ عيسى الوادعي ، فكان له نعم العون في إزالة المنكرات من بلاد وادعة ، ولما وصل إلى حوث تلقّاها أهلها بالسَّمع والطاعة ، وأتاه القاضي الأجل نشوان بن سعيد الحميري مهنئاً بقصيدة أولها :

سلام الله كل صباح يوم ... على خير البرية اجمعينا
على الغر الجحاجح من قريش ... أئمتنا الذين بهم هدينا

ومنها :

فأبلغ ساكني الأمصار إنَّا ... بأحمد ذي المكارم قد رضينا
بأكرم ناشيء أصلاً وفرعا ... وأعلا قائم حسباً ودينا
رضينا بالإمام وذاك فرض ... نقول به ونعلن ما بقينا

إلى آخرها : ثم نهض من حوث إلى بلد بني[1] قيس فلقيته بنو صرم[2] وبايعوه ، وكان يرغب في إجتماع العلويين بالجوف وانضمامهم إلى ذلك المحل ليكوّنوا قوّة يعتمد عليها عند الحاجة ، ولمارأى تقاعسهم عن هذه الغاية قال قصيدة يؤنبهم بها ، ويحضهم على الإنتقال معه إلى الجوف ، والعمارة بعمران وأولها :

يا بني هاشم بني الأخيار ... وبني المنجبين والأطهار

ومنها :

انتم فوق ما ذكرت ولكن ... قد بليتم بالقلّ والاعسار
واعتمدتم على الشحاذة والبرّ ... وذلّ السّؤال والاعتبار[3]

---

(١) بنو قيس : عزلة من ناحية خمر .

(٢) بنو صريم : من قبائل حاشد وهم بنو صريم بن مالك بن حرب بن وادعة بن عمرو بن عامر بن كاشح بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد ولها بطون كثيرة معروفة .

(٣) كذا في الأصل .

سير المقعدين والخذم والعميان والمطربين والشعار
ان هذا لهو الخسارة والعجز وهذا رأس نجد أو البتوار
فانكفوا يا بني علّى وقوموا واغضبوا من فعال أهل الصغار
واسمعوا ما اقول واتبعوني بجيوش وجحفل جرار
بمحل وهجرة في بلاد زيّنت بالأنهار والأشجار
فيها لمّ شملكم وإليها إجتماع الأعوان والأنصار

وهي أطول من هذا ، ولما انتقل إلى أثافت ، وصل اليه الشيخ طريف بن يحيى السنحاني، والشّريف محمد بن عبد الله العلوي ، في جماعة من أهل سناع واخبره بمقتل الشيخ محمد بن عليان في سوق سهمان ، والمتهم بقتله السلطان حاتم بن أحمد وسلمة بن الحسن الشهابي وذلك لِمَا عرفامنه من الجدّ في نشر دعوة الامام دسًّا عليه من قتله فغضب الإمام لهذا الخبر ، ونهض من فوره في جماعة من الأشراف ، وأهل سناع[1] إلى الجوف ،وعزم على إتّخاذه دار هجرة بعد أذن السلاطين ربيع بن الجحاف وكافة إخوته ، وبني عمّه ، وكذلك السُّلطان فليته بن العطاف النّهمي فأوسعوا له الجناب وتلَقّوه بالترحاب .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إنتقال الإمام إلى عمران وفتح صنعاء

ثم انه انتقل من الجوف إلى عمران بقصد التّقرب من صنعاء وجهاتها ، وعمر « المقيلد » وهو من المعاقل القديمة فحصنه وحفر بيره ، ولما علم السُّلطان حاتم جَهَّز جيشاً لمحاربته فتحركت القبائل لنصرة الإمام وهرع إليه أهل الهِجَرْ[2] من بكيل وبني شهاب ونواحيها ، فاجتمع منهم زهاء ألف وأربعمائة رجل فيهم خيار علمائهم وفقهائهم ، وأهل المعرفة منهم حاشاألفاف القبائل ورؤساء العشائر وخيار الأشراف فكسروا جيش السُّلطان حاتم ، وطلبوا

(١) سناع : قرية شرقي حدة على بعد ٨ ك.م من صنعاء .
(٢) أي العلماء وطلبة العلم .

من الإمام الزّحف على صنعاء ، فاغتنم الفرصة ونهض بذلك الجمع فسلك طريق براقش ومر بوادي محرز ، ثم طلع نقيل سامك[1] وكان حاتم بن أحمد قد عهد بمحافظة النقيل إلى أهل السِّر وخوفهم من الإمام وجنوده فانتدب منهم جماعة لصد من يقصدهم ، ولزموا رأس النقيل ، وبينما هم كذلك إذ عاينوا الإمام وجنوده يصعدون النَّقيل ، فتركوا مواضعهم ، واستقبلوا الإمام بالطاعة وطلب[2] الأمان فأمّنهم ، ونزل بموضع يقال له دار الخروب ، وهي أطلال قديمة ، ثم واصل سيره إلى أن وصل غيمان من بلاد بني بهلول من الأنباء فبايعته الأنباء وجاءته بنو شهاب في عساكر كثيرة الى غيمان فبايعوه واستنهضوه إلى بلادهم، فسار إلى حدّة بني شهاب ، وأقام بها أياماً ، ثم وصله السلطان سلمة بن الحسن الشّهابي ، وسلّم له بيت بوس ، فانتقل إليه الإمام ومكث فيه أياماً يراسل القبائل البعيدة كمذحج ، والهان ، وبكيل ، وغيرهم لمهاجمة صنعاء ، وفي أثناء هذه المدة أرسل بعض خدمته إلى صنعاء ليبتاع له ورقاً وصابونا فعلم به السلطان حاتم وطلبه اليه وسأله عن الإمام وقوته، ثم سلم إليه كتاباً إلى الإمام كتب فيه[3] :

أبا الورق الطلحي[4] تأخذ أرضنا ولم تشتجر تحت العجاج رماح
وتملك صنعا وهي كرسي ملكنا ونحن بأطراف البلاد شحاح

فلما وقف الامام على البيتين ، قال : نعم نأخذها إن شاء الله ، وسَرَّح الجنود لفتحها من ساعته وبقي في بيت بؤس ، وكانت همدان قد اجتمعت بصنعاء فدارت رحى الحرب ، واستمر الطّعن والضّرب على جوانب المدينة ، ثم إن اهل السّرار من أهل صنعاء دخلوا الجامع الكبير وأظهروا الخلاف ،

---

(١) سامك : بلد وواد في سنحان .
(٢) كذا ولعل الصواب «وطلبوا» .
(٣) البيتان في العسجد ص ٧٥ وقرة العيون ج ١ ص ٢٩١ وغاية الأماني ص ٣٠٢ .
(٤) الطلحي : القراطيس مفردها الطلحية (مولدة) .

وثاروا على همدان وسط المدينة ، فتمكّن الجند الهاجم من إحتلالها ، وتحصن السُّلطان وخاصته بغمدان[1] ، وأسرع بإرسال رسوله إلى الإمام يطلب الأمان له ولمن معه فأمّنه ، ولما خرج لمقابلته إلى بيت بوس وشاهد كثرة من اجتمع لحربه مع الإمام انشد :

غلبنا بني حوا بأسا ونجدةً ولكننا لم نستطع غلب الدهر
فلا لوم فيما لا يطاق وإنما يلام الفتى فيما يطاق من الأمر

وبعد أن عفا عنه الإمام طلب منه البيعة ، فبايعه ، ودخل الإمام في اليوم الثاني صنعاء دخولاً معظماً ، نظمت فيه القصائد ، وهَنَّته الشعراء وأقبل عليه النَّاس من كل جهة ، واستعمل على القضاء بصنعاء القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام[3] ، وأما السلطان حاتم فانه أنتقل إلى المنظر[4] ، واستقر بها برهة ثم بلغ الإمام عنه ما غيّر الصفو بينهما فالتقيا الى عِرم السدِّ وافترقا على غير طائل وسار حاتم الى حصن الظفر[5] ووقف حتى تفرقت الأشراف وزحف إلى صنعاء فخرج الامام لحربه إلى شعب الجن تحت براش، وكانت بينهما مناوشة .

وفي الخزرجي [6] : أن الإمام لما أطلع على البيتين المتقدِّمة نهض بعساكره من ذمار إلى موضع من بلاد سنحان يقال له الشرزة ، وكانت عساكره ثمانين ألفاً منها ألف وخمسمائة فارس ، والباقي رجّالة وكان المصاف في

---

(١) يعني قصر غمدان في الجهة الشرقية من المدينة .

(٢) انظرهما في العسجد ص ٧٥ وقرة العيون ج ١ ص ٢٩٢ وغاية الأماني ص ٣٠٢ .

(٣) هو شيخ العلماء ومفخرة اليمن رحل إلى العراق لطلب العلم ونقل علومها وألف المؤلفات الكثيرة وفاته نحو سنة ٥٧٣ .

(٤) هو المعروف بالروضة تحت صنعاء من جهة الشمال لمسافة ٥ ك.م وقد تنسب الى حاتم المذكور فيقال لها روضة حاتم لأنه أول من أسسها .

(٥) وفي بعض المصادر المظفر راجع الخزرجي (ص) .

(٦) الخزرجي : العسجد المسبوك ص ٧٥ .

الشرزة ، فانكسرت همدان ، وقتل منهم نحواً من خمسمائة أكثرهم من سنحان ، وانهزم السلطان حاتم إلى صنعاء وتبعه عسكر الإمام ، وخالفت اهل صنعاء مع الإمام وساق الخبر على النمط المتقدم ، وليس بصحيح فإنّ عزم الإمام إلى ذمار ، كان بعد هذا التاريخ كما ستراه ، وقد أعتمدنا على ما كتبه مؤلف السيرة .

قال في انباء الزمن[٢] : وفي هذه السَّنة نزل مطر في جميع اليمن يشبه الدَّم حتى بان اثره في الأرض والثياب .

ظهور دولة علي بن مهدي الحميري

ودخلت سنة ٥٤٦ قال في أنباء الزّمن : فيها كانت بيعة علي بن مهدي صاحب وادي زبيد ، وهي البيعة الثانية بعد موت عَلَم النجاحية على جهاد من في زبيد من بني نجاح ، ومن تابعهم من العرب ، وأمر أصحابه بقتل من خالف مذهبه ، وإن كان من قومه ، وهذي أول عقائده الفاسدة ، ثم ارتفع إلى محل يقال له الرأس من اعمال وصاب ، وانتقل منه إلى حصن الشرف[٤] وسمَّى من صعد معه من تهامة المهاجرين ، ومن اتاه من الجبال الأنصار ، وجعل على المهاجرين ابن عمه نقيباً وعلى الأنصار نقيباً وسمَّى النقيبين شيخي الإسلام ، وكان لا يخاطبه غيرهما ، وربّما احتجب عنهما أحياناً ، وهما يتصرَّفان في الأمور ، وما زال يكرِّر الغارات على زبيد حتى أخرب المحلات المتوسِّطة فيما بين الجبال وزبيد ، وكان يرى جهاد الحبشة آل نجاح واجباً لما هم عليه من الفساد ومخالفة رب العباد ، لكنه قابل المنكر بالمنكر ، ونهى عنه بما هو انكر[١] : انتهى .

(٢) غاية الأماني ص ٣٠٣ .
(٤) من وصاب ايضاً .
(١) غاية الأماني ص ٣٠٤ .

وذكر في حوادث سنة ٥٣٦ بيعته الاولى وأنه قصد مدينة الكدرا[٣] بمن بايعه ، وبها إذ ذاك القائد إسحاق بن مرزوق السحرتي فدحره عنها وأرجعه إلى الجبال فأقام بها ثم كتب إلى الحرّة علم يسألها الذّمة والعفو له ولأصحابه ، ففعلت على كره من أعيان دولتها وفقهاء بلادها ، وعاد إلى مزاولة أعمال الزراعة بوادي زبيدة مدة سنين حتى ماتت علم النجاحية سنة ٥٤٥ .

وذكر الجندي والخزرجي وغيرهما خبر ثورته الأولى ومبايعته سنة ٣٨ ثم عودته إلى الجبال ، ومكث الى سنة ٥٤١ وكاتب الحرّة علم يسألها الذمّة ففعلت وعاد الى وطنه وأقام يستغل املاكه فلما ماتت الحرة في التاريخ المتقدم ، بايعه أصحابه البيعة الثانية بقرية القضيب من أوطان زبيد سنة ٥٤٦ ولما انتظمت له البيعة ، قام فيهم خطيباً ، فقال في خطبته : والله ما جعل الله فناء الحبشة إلّا بي وبكم ، وعَمَّا قليل إن شاء الله سوف تعلمون والله العظيم ربّ موسى وهارون وإبراهيم اني عليهم ريح عاد وصيحة ثمود، واني احدثكم فلا أكذبكم ، واعدكم فلا أخلفكم ، ولئن كنتم أصبحتم قليلاً لتكثرن ، أو وضعاء لتشرفن ، أو أذِلّاء لتعزّن حتى تصيروا مثلاً في العرب والعجم « ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوابالحسنى »[٣] فالاناة الاناة فوحق الله العظيم على كل مؤمن موحد لأخدمنكم بنات الحبشة واخواتهن ولأخولنكم اموالهم واولادهم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا . الصالحات ليسخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم[٤] الآية

(٢) يعني صاحب انباء الزمن المؤرخ يحيى بن الحسين المتوفي سنة ١٠٩٩ . انظر هذا النص في مختصر الكتاب المذكور المسمى غاية الأماني ص ٢٩٩ .

(٣) الكدرا : مدينة خربة قديمة تقع في وادي سهام بين المراوعة والمنصورية .

(١) الآية ٣١ سورة النجم .

(٢) الآية ٥٥ سورة النور .

ثم قصد الجبال بجمع سَمَّاهم المهاجرين ، وأقام بموضع يقال له الداشر[1] ، ثم ارتفع عنه إلى حصن يقال له الشرف لبطن من خولان حالفهم وسماهم الأنصار ، ثم ساء ظنه بجميع عسكره فاحتجب عنهم وجعل للمهاجرين نقيباً وللأنصار كذلك وسَمَّاهما شيخي الاسلام ، فكان لا يدخل عليه غيرهما واستمر يوالي المغار على جهات زبيد ، حتى دمَّر القرى، وعطل المزارع ، واهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد ، ولقد كان هذا الرجل نسيج وحده في طغيان جمع بين القسوة والنَّزْوَة والزهد والشدّة ، والشجاعة والضراعة ، كان حنفي المذهب ، ولكنه يكفّر بالمعاصي ويقتل مرتكبيها ويستبيح قتل مخالفيه ، وسبي ذراريهم فخرب البلاد ، وأهلك العباد ، كان سيء الظن بأصحابه ، عظيم الإعتماد عليهم في تنفيذ دعوته ، شديد الوطأة عليهم أيضاً ، وقد استطاع بمكره وذكاء فطنته، أن يستولي على قلوب أتباعه ، وكانت قبيلة عك دعامة نهضته ، وأصل مادته استعملهم لتدعيم سلطته ففتكوا بقومه وقبيلته من حمير واستطالوا عليهم بسلطانه. حتى أذلّوا نخوتهم ، وارغموا معاطسهم ، وأخرجوهم من ديارهم ، وقد أشار إلى هذه الأحداث الشيخ العلامة البليغ أحمد بن خمرطاش الشراحي الرعيني الحميري الوصابي في مقصورته[1] التي ذكر فيها ابن مهدي وأحداثه ، وما فعلته عك بحمير من التشريد والتطريد ، وسرد فيها ما كان لملوك حمير من الغلب والملك ، ومن والاهم من سادات العرب وأول هذه المقصورة :

تأدب القلب تباريح الجوى وعاده عائد شوق قد ثوى

عزلة الداشر والشرف وحصن قواريـر اسما حصون ومحلات معروفة بوصاب السافل إلى الآن .

(١) تعرف بالخمر طاشية نسبة إلى مؤلفها وهي في مفاخر قحطان ونبذ من التاريخ والوعظ شرحها في القرن السابع الأديب سليمان بن موسى بن الجون الأشعري المتوفي سنة ٦٥٢ في كتاب مستقل اسماه «الرياض الادبية في شرح الخرطاشية» منه نسخة خطية في مكتبة لندن .

ومنهـا في ذكر الـدِّيار التي كـانت لحمير أيّـام علي بن مهدي ، فسـاروا عنهـا وتفـرَّقـوا تحت كـل كـوكب ، من جـراء مـا لحقهم من إرهـاق عـك وطغيانهم :

عفّى المسيـل فـالنخيـل فـالصـوى ... الى النقيـل فـالمقيـل فـالمـلا
فـالسفـح من سـرول فـاعـراض من ... بـالـه عني بـالـغ فـالـدوح الغضـا
فـملتـقى البـطنـان مـن بـطينـة ... فـملتـقى الأجـراع مـن رعـى الـلوا
فـالنهـج من قـولس فـالمسقط من ... حصن قـواريـر فـاكنـاف الحمـا

الى ان قال :

الـملك الـقـائـم مـن فـرع سبـا ... والقتـل والـتـطريـد في آل سبـا

إلى آخرها وهي طويلة وفيما سيأتي حركة بن مهدي

بقية اخبار الامام المتوكل بصنعا

كان دخول الامام صنعاء آخر العام المنصرم ، وما كاد يستقرّ بها ، حتى وفـد بنو الـزُّواحي ، وكان اليهم أمـر كوكبان فأذعنوا واطـاعـوا ورهنـوا بعض أولادهـم على تـسليـم الحـصن فـأبـى الشـريـف على ربـحي إلاَّ حـربـهم وحصارهم ، وأعانه على هذا العزم قوم من صنعـاء وزعموا ان أهـل كوكبان ان على مخلصين فـلا بد من معـالجة الشـر بـالشرّ كمـا يـداوي شـارب الخمـر بـالخمر ، ونهض الشـريف بجموعـه لحصار كـوكبان ، وقـد نهـاه الإمـام عن حـربهم إكتفـأ بـطاعتهم وانقيـادهم ، فلم ينتهِ الشـريف ، وأقـام محـاصـراً الكوكبان ، ولمـا وقع القتـال على الباب الـذي من جهة الضلع[٢] من نـاحية المغرب ، كان الجند الواقف بازاء هذه الجهة من قيلاب[٣] من ناحية مسور ،

---

(١) من مناهل لعسان (صفة جزيرة العرب ص ٢١٠) .
(٢) الضلع : جبل متصل بشبام كوكبان .
(٣) قيلاب : عزله بالشمال من مسور .

وهم قوم لا عادة لهم بالخيل ، وقتالها ،فلما داهمتهم همدان بخيولها أكثروا فيهم القتل وهزموهم ، وانهزم قائد الحملة أيضاً الشريف وأهل صنعاء إلى صنعاء ولسان حاله تنشد :

وانـي وايـاهم كـمن نـبـه الـقـطا ولـو لم يُنَبِّه بـاتت الـطير لا تسرى

وبعد هذه الهزيمة تداعت همدان للخلاف ، وأعلنت الفساد وعلى رأسها زعيمها السلطان حاتم بن أحمد واجتمعوا إلى الرحبة ، فصمد لهم قوم من جنب ، وانهزمت همدان ، ثم انهم تجمعوا مرة أخرى ، وهاجموا قرية منكل[1] وفتكوا ببعض من فيها ونهبوها ، فأراد أهل صنعاء الانتقام منهم ، وأجمعوا على الخروج لحربهم ، إلى علب ، فنهاهم الإمام لعلمه بعجزهم عن المقاومة ، فلم يقفوا عند نهيه وخرجوا فهزمتهم همدان ، وقتلت منهم ، وسار الشريف علي بن يحيى لاستنفار مذحج على كره من الامام ، فاجتمع له قوم من عنس ، وزُبيد ، وجنب ، فلقيهم حاتم بن أحمد بجموعه ، بموضع يقال له رعام[2] ، فكانت هنالك وقعة عظيمة انهزم فيها أصحاب الشريف ، وخرج الإمام من صنعاء، لإنجاد الشريف ، واستخلف على صنعاء السُلطان الخبير بن سلمة الشهابي ورجالاً من الأشراف وبني شهاب فأمسى بغيمان ووافته أنباء الهزيمة إليها ، فلم ير بدًّا من التقدم إلى ذمار ، ولما علم بعزمه حاتم بن احمد قصد صنعاء فدخلها ، ولم يغير على احد من أصحاب الإمام مخافة العواقب .

حرب القليس وسير الإمام الى الجوف

لما وصل الامام الى ذمار جمع خيلاً من جنب نحو ثلثمائة فارس ، وعارضه عبد الله بن يحيى في سبعمائة فارس ممدًّا لحاتم بن أحمد ، وكان

---

(١) لم نجد هذا الموضع في صفة جزيرة العرب ولا غيرها .

(٢) كسابقه .

حاتم قد جمع من همدان ونهد وسنحان خمسمائة فارس وثلاثة آلاف راجل ، ولما بلغه خبر عبدالله .بن يحيى ومن معه نهض لحرب الإمام ، والتقى الجمعان بموضع يقال له القليس[1] ، وهنالك تدانى الفريقان ، والتقت حلقتا البطان ودامت الحرب من أول النَّهار إلى آخره ، ثم حملت خيل حاتم على أصحاب الإمام حملة واحدة فأفترق أصحاب الإمام ثلاث فرق فرقة لحقت بالجند المحارب ، وفرقة لاذت بالجبل فارة ، وفرقة ثبتت معه ، ثم انه حمل بنفسه على الأعداء حتى خالط صفوفهم وفرقهم ذات اليمين وذات الشمال ، وخرج من بينهم ، ولحق بأصحابه الذين لاذوا بالجبل وأنجاه الله منهم وسار نحو الجوف في شهر جمادي الآخرة من السنة وأقام بعمران إلى شهر شوال ، ثم انتقل الى محله بالجبجب ، وأقام فيه إلى أن بلغه أن حاتم بن احمد يريد الخروج لحربه ، إلى تلك الجهة فأغضبه ذلك ، وعزم على أن يقصد حاتم ويحاربه في بلاده وبادر بالنّهوض الى خولان وله في ذلك قصيدة طويلة أولها :

على رسلكم يا أيها الطلقاء تأنوا ففي خير الامور أناء
اتستعجلون الشر منا وقبل ذا جرت نقم حلت بكم وبلاء

ومنها :

وما منكم إلاَّ أسير أسرته وأطلقته فالكل لي أسراء
ويوم دخلنا درب صنعاء عنوة وفيه رجال منكم ونساء
دخلنا وللنسوان من خوف بطشنا صراخ وللأطفال فيه ضغاء

ودخلت سنة ٥٤٧ فيها نهض الإمام بجموعه إلى مدع[2] فأقام فيه شهرين ثم سار إلى جبل مسور، ومنه إلى يناع ، وكان فيه الشريف علي بن

---

(١) من قرى جبل النبي شعيب ناحية بني مطر .
(٢) مدع : لأبضم الميم جبل وحصن منيع مطل على مدينة ثلا من الغرب الشمالي .

يخيى ، فتغيب من الإمام لأنه لم يحسن السيرة ولاقاء للإمام ، فأقام بيناع أياماً راسل فيها اهل الهِجَرْ ، وحرضهم على الجهاد ، وحَثّهم على متابعته ، وكانوا قد تقاعدوا عن نصرته وقالوا إلى حاتم بن أحمد ، فتابعوه ، وأجابوا، ثم تقدم الى نـواحي ذمار عن طـريق خولان ، وقـد انضم اليـه جميـع من مـرّ بهم من القبـائل كخـولان وجنب ومذحـج وغيرهـا ، وأصبـح ذا قـوة كـافيـة لإخضـاع حاتم بن أحمد وغيره ، فجاهر هذه القبائل بأنه يـريد بهم غـزو عدن ، فخـاف حـاتم بن أحمـد ، وهـرع إلى ذي جبلة ، وطلب من الـدَّاعي محمـد بن سبـأ الزريعي صاحب عـدن، أن يلاقيـه إلى ذي جبلة فلم يتأخـر محمد بن سبـأ ، ولما أتفقا عـرض حاتم بن أحمـد مسألـة الإمام والتفـاف قبائـل البلاد حـوله ، واتفاقه معهم على مهاجمة عـدن أول المحرم سنـة ٥٤٨ ، وعرفـا أنّه لا طـاقة لهمـا بحربـه ، فعدلا إلى استخـدام المـال ، وبـذل محمـد بن سبـأ لجنَبْ عشرين ألفاً ولمـذحج قـريباً منهـا وفرق في رؤسـاء العسكر وغيـرهم ، كميات وافـرة ، ولما رجـع أحمد بن حـاتم بهذه الأمـوال وفَرّقهـا على المـذكـورين ، أجمع رأيهم على مصارحـة الإمام بمـا ارتكبوه من الـدناءة ، فسـار إليه ألفـان منهم ، وهو برداع[1] العرش ، وقالوا له : يـا مولانـا قد أخـذنا بسببـك (لقمة كبيرة وإنّا نحب ان تسوّغـها لنـا) وتهب لنا صنعـاء وعدن ، في هـذه المدة ، وتخرج بنا حيثما أحببت إمّا لشبوة[2] ، واما لبيحان ،[3] واما لحضـرموت ، أو نجران أو الجوف ، أو صعدة ، فقال : أما صعدة ونجـران والجوف ، فهي لي ومن قبلي ، وأمّا غيرها فإني أخاف أن تحصل لكم لقمـة أخرى فتـأخذونهـا ، وغضب لإرتكاسهم في مهـواة الأطمـاع ، ورجـع عنهم إلى عمـران عن طـريق

---

(١) مدينة بالشرق من ذمار بمسافة ٥٣ ك.م وهي المعروفة برداع الكبرى وقيل لها رداع العرش ليفرق بينها وبين آخر تحمل نفس الاسم .

(٢) مشبوة : منطقة اثرية بين مأرب وحضرموت .

(٣) بيحان : بلدة في الجهة الجنوبية من البيضاء وفي جهة الشرق الجنوبي لحضرموت .

مراد[1] ، فوادى مأرب ، فالجوف ، ومنه إلى عمران وتكبَّد في طريقه هذه من المشاق ما يوهي القوى ، ويوهن الأعناق ، وروى الخزرجي[2] سبباً آخر لتخاذل قبائل جَنْب عن الإمام ، وهوانه وصل إلى جَنْب ، وكان بينهم قتول كثيرة ، فأراد الإمام أن يصلح بينهم، ويجمع كلمتهم ، فلما علم السلطان حاتم بن أحمد بذلك ، ركب في رجال من همدان ، وقصدهم إلى قرب ذمار ، فوصل ، وقد اجتمعت قبائل جنب بأسرها لملاقاة الإمام ، فدخل وسط الحلقة ، وهو على حصانه ، فلم ينكروه ، وقال : حياكم الله يا وجوه العرب ، لا يعيّب عليّ من خلفي فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، ولا وجهين في رأسه ، ثم قال : وصلناكم يا وجوه العرب لأمر لكم فيه شرف ، ولنا فيه عز إلى حين فرحّبوا به وعرفوا مقصده ، فقال : علمت أنكم في طلب الإصلاح ، وأخذ ذمم بينكم ، وهدم قتول من عشائركم ، فرأيت أن ألمّ شملكم؛ وأقطع عنكم ما تحاذرون، وأتحمل في مالي ديات قتلاكم فحمدته على ذلك ومن حضر من قبائل العرب ، ثم أفترق ذلك الجمع ، وراح معهم إلى ذمار ، وكتب إلى أهله بصنعاء :

مملوك بعضهم ووالد بعضهم ... وشقيق بعضهم وهذا جامع
أبليتهم حملي ديات عتيدة[3] ... ان المكارم في الرقاب ودائع
فليسرعوا من فورهم تصديرها ... متعمّدين نفاذ ما أنا صانع

وأنفذ بالكتاب رسولاً على الفور، فما لبث أن عاد الرَّسول بالمال وكانت ديات جمة، ففرقها لجَنْب ، وفرق جموع الأشراف انتهى .

ولما استقرّ الإمام بعمران هذه المرة ، وَجّه عنايته نحو الزِّراعة ، واتخذ مزارع واسعة وبينما هو مكبّ على عمله إذ وفد عليه ولده المطهر بن أحمد في

---

(١) جبل وعزلة من بلاد صرواح وأعمال مارب تسكنه قبيلة مراد المشهورة .
(٢) العسجد المسبوك ص ٧٦ .
(٣) في مطبوعة قرة العيون ج ١ ص ٢٩٤ «بينهم حملى ديات عتيدة» .

جماعة من الأشراف ، وذكروا له ما ظهر بصعدة من الاستهتار بشرب الخمرة وسألوه النّهوض إليهالإزالةالمنكر ، فلم يجد الإمام بدّاً من المسارعة والمسير اليها ، ولما دخلها أمر بإحضار من ثبت انه شرب وإقامة الحد عليه ، فأحضروا، وأمر بجلدهم واغلظ لهم في الكلام ، وأمر بهدم كنيسة كانت لليهود هنالك ، ثم خرج إلى الجبجب ، فأقام فيه أيّاماً ، ثم سار إلى مُسلِت ، ووقع الخوض في الصُّلح بينه وبين حاتم بن أحمد فالتقيا الى بيت الجالد ، وتقرر الصُّلح على منع الخطبة للباطنية بصنعاء وإظهار مذهب الهادي عليه السلام ، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، فقبل حاتم ذلك ، ونفذ شروط الصلح ، وعاد الإمام إلى الجوف ، ثم سار منه إلى الجبجب ، وأقام فيه ، ودخلت سنة ٥٤٨ والامور ساكنة .

تظاهر يام بمذهب الباطنية ومسير الإمام لحربهم

ودخلت سنة ٥٤٩ فيها بلغ الإمام أن قوماً من يام بالخانق[1] أظهروا مذهب الباطنية وارتكبوا المنكرات جهارية ، وتركوا صوم رمضان ، وأحيوا ليلة الإفاضة ، وجاءت إمرأة منهم تشكو إلى الإمام ، أن ولدها غشيها ، في تلك الليلة فغضب الإمام لذلك ، ونهض إلى بلاد بني شريف[2] وسنحان ، ودعاهم الى قتال يام فأجابوه وانضمت إليه أيضاً قبائل من نهد وخثعم وتثليث ، وبني عبيدة ، وسار بالجميع الى وادعة، فوافاهم وقد لزموا جنبتي وادي غيل جلاجل ، فقابلهم جند الإمام ، وعظم النزال واشتد الصدام ، وانهزمت يام ووادعة بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة ، وغنم أصحاب الإمام ما وجدوه ، وأقاموا ثلاثة أيام يهدمون منازل المفسدين ، حتى أجلوهم عنها إلى نجران ، واقفرت بلادهم ، وخلت عن أهلها ، وهي مسير ثلاثة أيام ، وفي هذه الوقعة يقول الإمام عليه السلام :

---

(١) سبق ذكره .

(٢) بنو شريف من قبائل خولان من بلاد صعدة .

الـله أكبـر اي نـصـر عـاجـل من ذي الجلال بفتح غيل جلاجل
كـم مِنَّـة مـنـه عـليّ ونـعـمـة وسعـادة تتـرى وفـضـل فـاضـل
كـفـرت بـه يـام ووادعـة مـعـاً وتجبَّـروا وتـمسـكـوا بـالبـاطـل
وأتـوا من الفـحشـاء كـل كـبيـرة فعـلاً وقـولاً فـوق قـول القـائـل

إلى آخرها : وبعدها رجع إلى الجبجب ، ومكث إلى آخر شهر شعبان من السَّنة ، وطلع مغرب بلاد خولان ، فصام هنالك رمضان ، وبلغه أن الشريف قاسم بن غانم بجبل العرو[1] طلع من تهامة لخلاف نشب بينه وبين أخيه وهاس بن غانم فواجهه الإمام إلى هنالك ، وأكرمه فطلب الشَّريف من الإمام النصرة على أخيه ، فرحَّب به الإمام ، وسار به إلى صعدة ثم انتقل به إلى الجوف ، وكان ما سيأتي .

قال في انباء الزمن[2] : وفيها كانت قصَّة أهل المعلّق وهي قرية ما بين الكدرا والمهجم ، وهي ان الله تعالى أرسل عليهم سحابة سوداء مظلمة أتتهم من جهة اليمن ، فيها رجف شديد وبرق ونار تلتهب ، فلما رأوا ذلك زالت عقولهم ، والتجأ بعضهم إلى المساجد فغشيهم الأمر ، واحتملت الريح أكثر القرية من أصلها بمن فيها من الناس والدَّواب حتى القتهم في محل نازح عن القرية بنحو خمسة أميال ، فوجدوا حيث ألقتهم الريح صرعى ولبعضهم انين ، ولم يلبثوا ان هلكوا .

وفيها أيضاً سقطت حجر من السماء فوقعت في الصَّلاحفة قريب من ذي جبلة ، وحصلت رجفة شديدة تزلزلت منها تلك الجهة بأهلها ، وفيها أيضاً حصلت زلزلة عظيمة من صنعاء إلى عدن ، هلك فيها عدد كثير من النَّاس ،

---

(١) العرو جبل بالغرب من صعدة بمسافة ٣٧ ك . م .

(٢) غاية الأماني ص ٣٠٨ والعسجد ص ١٣١ وفيه المغلف . وكذا في قرة العيون ج ١ ص ٣٦٢ قال في الهامش لا تزال معروفة إلى اليوم وتقع في الجهة الواقعة على شط نهر سردد على طريق المسافرين من الجبال الشمالية وتبعد عن الحديدة بمسافة يوم كامل .

وانهدم كثير من القرى والحصون فسبحان المخوف بالآيات .

وفي الخزرجي[1] قال : وفي سنة ٥٤٩ سقطت حجر من السماء فوقعت في الصلاحفة موضع قريب من ذي جبلة ، ووقعت رجفة شديدة تـزلزلت منهـا الأرض بـأهلها ، وذلـك في يـوم الجمعـة السـادس من شهـر ربيـع الأول من السنـة ، وانشقت السماء وسط النهـار وظهـر نجم وبعـده دخان في المخـلاف الأخضر[2] ، وحصلت بعد ذلك زلزلة شديـدة في اليمن من صنعاء إلى عـدن هلك فيهـا عـدد لا يحصى من النَّـاس، وانهـدم كثيـر من الحصـون والقـرى والمساكن ، وذكر أسماء الحصون والقرى والمساكن وعدد النفوس التي تلفت في هذا الزِّلزال، نرجو الله ان يعاملنا بلطفه ، وهو أرحم الرَّاحمين .

وقال في المستبصر[3] ما لفظه : ذكر المغلف والأسيخلة هما قريتان من أعمال الحبشة[4] إحداهما المغلف والثانية الأسيخلة فبينما القوم فيما هم عليه من أحوالهم ، الرجال تحرث والنساء تغزل والحمير تتناهق ، والكلاب تتنابح إذ ارتفعوا عن أعين الخلق إلى يوم القيامة ولم يـدر أحد مـا أصابهم ، ولا مـا فعل الله بهم ، ولا ما كان منهم وذلك سنة ٥٦٤ فبقوا مثلاً إلى يوم الـدين ، فيقال طار بك برق المغلف ، والاسيخلة ، وخسف بقـرية العمـالق من أعمال الأشعوب يماني صنعاء فأصبح الصباح ، ولم توجد عن القرية وأهلها ودوابهم من خبر سنة ٤٦٥ فاعتبروا يا أولي الأبصار انتهى .

وفيها تجهز الإمـام من الجوف لحـرب اسعد بن حسين صـاحب شوابـة وكان قد نكث بيعة الإمام واستدعى بقوم من همدان ، وجمع معهم من سفيان

---

(١) العسجد ص ١٣٢ وقرة العيون ج ١ ص ٣٦٢ .

(٢) يعني إب ونواحيها .

(٣) المستبصر لابن المجاور .

(٤) في هذه الرواية خلط ـ كعادة ابن المجاور ـ بين الخيال والواقع وفي هـذا الخبر تتبـادر إلى ذهنه مواضع يمنية فنظنها في الحبشة وكذا في تحديد التاريخ وقد أوردها المؤلف من بـاب التشابه بين الحادثتين .

خيلاً ورجلاً وتحصَّن بهم في حصنه وكان منيعاً فحاصره الإمام وضَيَّق عليه وما زال أصحابه يتقرّبون من درب حصن أسعد حتى أقتحموه فاستسلم من فيه ، وطلبوا الأمان فأمَّنهم الإمام واخرجهم بنفوسهم لا غير ، وأمر بأخذ ما كان في الدرب من أثاث وبقر وطعام ، وغير ذلك ثم أمر بهدم الدَّرب وإحراقه ، فلما نظر أسعد ما حلَّ بالدَّرب ، ومن فيه طلب الأمان والذِّمة لوصوله إلى الامام فأمنه ، فلَمَّا مثل بين يديه حلف له يميناً على عدم العود ، وكان قد سبق منه مثل ذلك ، فقال الإمام : لقد استبطأت انتقام الله لهذا على الإيمان التي يحلفها ويفجر فيها ، وعاد الإمام إلى الجوف ، وأقام فيه إلى سنة ٥٥٥ وفيها نهض لحرب الشريف وهاس بن غانم ، فانتقل إلى الجبجب ومعه الشريف قاسم بن غانم ، وطلب قبائل يام ووادعة ، وهمدان ونجران ، فلما وصلوا ، وهَمّ أن يتقدم ، قالوا له : ان الطريق على خولان ، فإن نهضت خولان نهضنا ، وكان الشَّريف وهاس قد أرسل بمثال لخولان فتقاعدوا عن نصرة الإمام ، وتعذَّر عزم تلك القبائل معه لإمتناع خولان فتحوَّل الإمام إلى بلاد عَنز[1] وخثعم ، فمرض هنالك ، واعتذر للأمير قاسم بما كان ، ورجع إلى الجبجب مريضاً ، وبلغه ان جماعة من صعدة تظاهروا بشرب الخمر ، فأمر من يأتي بهم إليه فأمتنعوا ، وأظْهروا الفساد فقصدهم الإمام ولما أظهروا المقاومة والإمتناع ، حاصرهم حتى ضاقت بهم الأقوات ونفد ما معهم ، فخرجوا إليه مستسلمين ، وسلَّموه مفاتيح دروبهم ، وطلبوا منه العفو فعفا عنهم ، وكانت مدة الحصار سبعة أشهر .

ودخلت سنة ٥٥١ فيها قتل القائد سرور صاحب زبيد بمسجده أثناء صلاة العصر ، وبقتله خِتمت دولة العبيد ، وكان الذي قتله رجل من أصحاب علي بن مهدي وإليه ينسب مسجد سرور بمدينة زبيد ، وكانت ولايته الوزارة سنة ٥٣١ وقد ترجمه الخزرجي واطال في الثناء عليه ، قال الجندي : وقد

---

(١) عنز : سبق ذكرها وفي صفة جزيرة العرب ص ٢٣٠ بالقرب من بيشة وجرش .

تأملت دولة الحبشة في ابتدائها وانتهائها ، فرأيت ابتداءها برجل مبارك ، وهو الحسين بن سلامة ، وانتهاءها برجل مثله ، وهو هذا سرور رحمه الله ، وقال الديبع في كتابه بغية المستفيد[1] وفي أيام وزراء آل نجاح عمل القاضي الرشيد أحمد بن الحسين بن علي بن ابراهيم بن الزبير الغساني الاسواني المجري الذي يدخل مدينة زبيد من النّاحية الشرقية بحكم الهندسة وكان أوحد عصره في ذلك انتهى

وقعة الشرزة[2] أو نجد شيعان ودخول الإمام صنعاء

بينما كان الإمام مشغولاً بحصار صعدة إذ بحاتم بن احمد يتوغّل في الجهة الشمالية، ويقصي عنها عُمّال الإمام فأخذ قلعة ضهر[3] ، ونجر[4] ، وتقدم لحصن ضباعين[5] فأخذه ، وسار إلى شوابه ، وكاد أن يستولي على سائر تلك الجهات ، فترك الإمام صعدة وانتقل إلى الظّاهر ، ثم إلى الجوف ووصله حاتم بن معن بن الغشم مناوياً لحاتم بن احمد فبايعه وكان قد استدعاه زيد بن عمرو كبير جنب إلى ذمار ، فانتهز الإمام الفرصة وهرع الى ذمار ، وكانت قد خربت وأقفرت عن السكان ، ولم يبق بها دَيّار ، فلما دخلها الإمام بذل جهوداً كبرى واستنفذ كل قواه في سبيل إعادة عمرانها واصلاح ما أفسدته مساعي زيد بن عَمرو ، السّاعي في خرابها فتراجع إليها أهلها ، وعمروها ، وشكروا صنيع الإمام ، ثم إنه انتقل منها إلى بلاد جنب ومعه زعيمها زيد بن عَمَرْو ، فأقام فيهم تسعة أشهر يعدّ العدة لمنازلة حاتم بن احمد ، ومهاجمة صنعاء ، فاجتمعت إليه القبائل من جنب وعنس ومذحج ، وزبيد ونهض بهم نحو

---

(١) بغية المستفيد ص ٦٤ .

(٢) قاع معروفة في بلاد سنحان على مقربة من قرية شعسان وعلى حدود خولان الطيال .

(٣) ضهر ـ واد بالقرب من صنعاء بمسافة سبعة كيلو وحصنه سمي فده (فلعله المعنى هنا) .

(٤) نجر: بلدة اثرية في بني حجاج ناحية عيال سريح بالجنوب من عمران بمسافة ٣ ك.م.

(٥) ضباعين بلدة عامرة من آل يحيى من جبل عيال يزيد.

صنعاء في شهر شعبان[1] سنة ٥٥٢ ، ولما بلغ الموضع المعروف بنجد الشرزة أو نجد شيعان[2] ، تلقّته جنود حاتم بن احمد ، وهنالك تلاحم الفريقان ، وتدانى الجمعان ، واستحر الطّعن والضرب ، وكادت الحنود الإمامية أن تولّي الأدبار ، فابتهل الإمام الى الله سبحانه ، وكان من جملة دعائه ذلك اليوم قوله : (اللهم انه لم يبق إلّا نصرك اللهم أن يظهر علينا القوم يذهب دينك) فأرسل الله تعالى ريحاً عاصفاً من جهة المشرق قابلت وجوه أعدائه فكانت الهزيمة عليهم ، وصاروا درئة لرماح الجند الأمامي ، ومرمى لطعانهم حتى انجلت المعركة عن خمسمائة قتيل وخمسمائة أسير من اصحاب حاتم بن احمد ، وتعقّبهم جند الإمام إلى صنعاء وخشى الإمام على صنعاء وأهلها من معرة الجند الفاتح ، فبات على غيل ابن الاسود[3] ، ثم نهض وجعل المعسكر بالحصبة[4] لئلا يضر الجند بأحد في المدينة وقد أمنّها وأمر بخراب درب غمدان ، وكان حاتم قد حصّنه وبالغ في إتقانه وطلب له رجل من مصر وبذل من الأموال في تشييده ما لا يحصى قال كاتب[5] سيرة الامام المتوكل انه لم يُبن في اليمن مثله ، وإلى حادثة الشرزة المذكورة وما تقدّمها من الأحداث أشار صاحب البسامة بقوله

واحمد بن سليمان فما رضيت ... بَعْلاً به وهو مرضي لدى[6] البشر
دعا وكان إماماً سيّداً علما ... برًّا تقياً ومن كل العيوب بري

---

(١) في انباء الزمن ان هذه الحادثة كانت سنة ٥٥٠ والأرجح ما ذكرناه اعتمادا على ما في سيرة الامام المتوكل .

(٢) شيعان : قرية مشهورة في سنحان جنوب شرقي صنعاء بمسافة ١٨ك.م.

(٣) هو الغيل الأسود بهريشق صنعاء من جانبها الغربي ومنابعه من سفح الجبل المعروف بحدين جنوبي صنعاء على مسافة ساعة واكثر سقيه في شمال شعوب وقد اندثر هذا النهر (انظر الحجري معجم البلدان ص ٧٨).

(٤) موضع شمالي صنعاء على مسافة نصف ساعة للراجل (الحجري ص ٢٦٢) .

(٥) هو العلامة المؤرخ سليمان بن يحيى الثقفي .

(٦) في نسخة من البسّامة «من» .

وصبحت خيله صنعاء معلمة لما غدا النكر فيها غير مستترِ
وحاصرت ما تما فيها عساكره فانقاد للحق بعد الضعف والخور
واجتاحه عند شيعان بملحمة ألف مضوا بين مأسور ومجتزر

ولما دخل الإمام صنعاء واستتب له الأمر ، انتقل إلى بيت بوس ، فأقام به شهر رمضان عند السلطان سلمة بن الحسن ، ثم بلغه ان حاتم بن احمد يراسل السُلطان سلمة ويؤامره على الفتك به ، ويعده على ذلك الأموال والضِياع والهبات الكثيرة ، فسار من بيت بوس الى سناع ، ومكث به إلى آخر سنة ٥٥ وكان السُلطان حاتم يريد الصلح والدُخول في الطاعة ، فكتب بذلك إلى الإمام واستعطفه ، فلم يقبل منه الإمام فلما أيس من عطف الإمام خشُن في مراسلته فكانت بينهما مهاجاة ومشاعرات أوردها في سيرته وذكرها الفقيه حميد في الحدائق[1] .

عزم الإمام إلى ذمار

ودخلت سنة ٥٥٣ فيها سار الإمام إلى ذمار ، فصالحه زيد بن عمرو على سبعة آلاف دينار في كل سنة ، ثم رجع إلى بلاد بني شهاب فأتاه بنو الزواحي يستنهضونه إلى كوكبان ، فنهض معهم وتسلّمه منهم وانقض على بيت ذُخار[2]، وأراد حصن بيت[3] عز وهو لمنصور بن جعفر الضريوة ، فامتنع عليه حصن بيت عز حتى وصلته رجاله من بني الدعام ، وسلاطين مسور من بني المنتاب ، فأعاد الكَرَّة على أصحاب ابن الضّريوة ، فظفر بهم وتسلّم الحصن وأمّن صاحبه وعفا عنه ، وعاد إلى الجبجب ، وقد عظم أمره واتسع نفوذه ، فراسله السلطان حاتم وسأله أن يرسل إليه ولده المطهر ليزوجه إبنته ،

---

(١)انظر الحدائق الوردية ج ٢ ص ١١٩ .
(٢) بالضم جبل مشهور يعرف اليوم بضلاع وبيت ذخار قرية فيه .
(٣) بيت عز موضع قريب من كوكبان .

ويملكه حصن براش[1] ، فكره الإمام مواصلته ورفض ذلك .

وفيها اشترى زيد بن عمرو حصن أشيح بثلاثة آلاف دينار ، وكتب إلى الإماء يستقدمه الى الحصن المذكور ، ولما وصل الإمام إلى حدة بني شهاب تلقّاه حاتم بن احمد وطلب منه الصّلح والهدنة فصالحه على الشروط المذكورة في الصُّلح الأول ، وسار إلى اشيح[2] وأقام به الى أن استنجده أهل زبيد .

ذكر مهاجمة علي بن مهدي لمدينة زبيد وأحداثه ، واستنجاد أهل زبيد بالإمام أحمد

قد حَدَّثناك على صفحات كتابنا عن ابن مهدي الواعظ النَّاسك ثم ذكرنا لك طرفاً من أخبار ابن مهدي الثَّائر ، وإليك الآن البيان عن ابن مهدي الطاغية السَّفاك .

لما قتل القائد سرور على الصفة المذكورة في التاريخ المتقدم ، عظم الخطب واستيقظ الهول ، وشَبَّت الفتنة ، واشتغل ولاة زبيد وأمراؤها ، بتنازع زهرة الحياة ، عن تدبير الملك وحياطته ، فكانت الأحداث تَتَوالى والمصائب تتعاقب على ما حول زبيد ، ومن بها لاهون بشهوة الحكم ، وفتنة المال ، وذلك البلاء المبرم والويل الرامك[3] ، والعدو اللَّدود يحصي عليهم أنفاسهم ويراقب حركاتهم ، ويستطلع أنباءهم ، حتى إذا غمرتهم الحيرة ، وأعماهم الهوى ، وحق عليهم القول وآل أن يبتلعهم الفناء في ظلمات مهاويه ، وينظمهم التاريخ في فجائعه ومآسيه ، وثب عليهم بجنود متعطِّشة الى الدِّماء قد ألهب نار حماستها روح زعيمها ومنطقه ، وأفعمهم ببلاغته وسحر بيانه ،

---

(١) بَرَاش اسم لعدة مواضع ولعل المعنى هو براش المعروف وهو حبل شامخ في الشرق من صنعاء .

(٢) أشيح ، يتكرر ذكره وهو حصن شهير في بني سويد من بلاد آنس ويعرف الآن بحصن ظفار في الشمال الغربي من ضوران بمسافة ٣٠ ك . م .

(٣) المقيم .

أن الحق معهم :

فمـا لهـم غيـر الـدمـاء مشارب ومـا لهم غـيـر النـفـوس مـطاعم
كأن الوغى قد صار في أنفس الورى هيـامـا فمن يقتـل يمت وهـو هـائم

قال الخزرجي[1] : انه لما رجع ابن مهدي من مدينة ذي جبلة من عنـد الداعي سبأ بن محمد بن سبأ الى حصن الشَّرف سنة ٥٤٧[2] ، دَبَّـر علي قتل القائد سرور الفاتكي ، فلم يزل يرصده حتى قتله سنة ٥٥١ ، فاشتغل رؤسـاء الحبشة بالتنافس والتحاسد على مرتبته ، وكانت الحرة علم قد تـوفّت قبله سنة ٥٤٥ ، فانفتح على أهل الدولة بعد القائد سرور باب الشّر المسدود ، وانحـل عقدها المشدود ، ففارق ابن مهدي حصن الشرف ، وهبط الى الدَّاشر ، وبينه وبين مدينة زبيد أقل من نصف يوم فتقرَّبت الرعايا إليه ، وعـرب البلاد ، وهم الذين كانوا رعايا الحبشة ، فكان الرَّجل من أصحاب ابن مهـدي يلقى أخاه أو قريبه أو معروفه ممن هو من رعايا الحبشة ، سواء كان راعي مـاشية أو حـارس ضيعـة فيفسده ، ولم يـزل الأمر على ذلـك إلى ان زحف ابن مهدي بجمـوعه الى باب المدينة في جيوش لا تحصى كثرة ، وحدث غير واحد من أهـل زبيد ممن أدرك الحصار ، قالوا : لم تصبر أمّـة على الحصار والقتـال ما صبـر عليه أهل زبيد ، وذلـك انهم قاتلوا ابن مهـدي اثنين وسبعين زحفاً ، يقتـل في كل زحف من عسكـره مثل مـا يقتل منهم ، وصبـروا على الضّـر والجـوع ، حتى أكلوا الميتة ، من شدة الجهد ، ثم انهم استنجدوا بالإمام أحمد بن سليمان ، قال في سيرة الإمام ، ما خلاصته : أنه لمّا وصـل إلى اشيح ، اقـام به شهـراً ووصله ولد لأحمد بن محمد بن الخضر الخـولاني ، صاحب حصن قـوارير[3]

---

(١) العسجد المسبوك ص ١٣٤ .

(٢) في العسجد (نسخة وزارة الاعلام المطبوعة) سنة ٥٤٩ .

(٣) يتردد ذكره وهو حصن كبير في وصاب السافل قال الحجـري حرب منـذ زمن قديم ويعـرف الآن بالمكمل .

بوصاب شاكياً ما لحقهم من ابن مهدي ، وذلك انه خطب إليهم فتاة لهم فلبوه ، فطلع إليهم في ثلاثة آلاف من أصحابه ، جعلهم تحت الحصن ، ودخل على إمرأته في ثلاثمائة رجل منهم ، فلما تمكنوا من الحصن شهروا سيوفهم وذبحوا من فيه من صغير وكبير ، ذكر وانثى ولم يُبقوا إلاّ على أربع عشرة امرأة منهن صهرته وبناتها فسباهن ، وأخذ جميع ما في الحصن من الأموال ، وكان معه قوم من رازح[٢] يقال لهم بنو منّبه زادوه جرأة ، فغضب الإمام لذلك ، وعزم على الانتقام من ابن مهدي فحشد قبائل جَنْب وتألف رئيسهم زيد بن عمرو ، وغيره من المشائخ بالمال ، فنهضوا معه وقصدوا زبيد[١] فباتوا بها ليلة ، وتقَدَّموا إلى الجليب تحت حصن قوارير ، وأمسوا هنالك ، ولما أصبحوا ، أرسل الإمام جماعة للكشف عن ابن مهدي ، فتقدمت طليعة إلى محله فوجدوه في نفر قليل ، ولم يكن قد علم بوصولهم ، وعادوا إلى معسكرهم يحثون أصحابهم على مباغتة الرّجل وانتهاز فرصة غفلته ، فقال لهم شيخهم جابر بن عبدالله الجَنْبي : ان كنتم تريدون أموال أهل زبيد ، فدعوا ابن مهدي إلى أن تفرغوا من زبيد وهو لكم من بعد ، وان لم تكونوا تطمعون في زبيد ، فخذوا ابن مهدي ، وخَذْلهم فتواصوا على كتمان الخبر عن الإمام وباتوا آمنين ، ولكن ابن مهدي انتبه لهم سريعاً ، وبَيّتهم تلك فما استيقظوا إلاّ من وقع السيوف ، وثبت الإمام في جماعة من أصحابه ، وحملوا على ابن مهدي ، فانهزم ، وقتل جماعة ممن معه ، ولما أصبح الإمام أراد أن يتقدم إلى موضع ابن مهدي فامتنع عليه أصحابه وأبوا إلاّ قصد زبيد فساعدهم وسار إلى زبيد ، وضرب مضربه بباب التبارق ، وقد ظفر جنده في طريقهم بقافلة لابن مهدي تحمل حَبًّا وسمنا ، فنهبوها ،

---

(١) رازح : أحد أقضية لواء صعدة يضم عدة قرى.

(٢) قلت : هذه المعلومات المهمة التي يوردها مؤلف الكتاب عن سيرة الإمام المتوكل هو مما ينفرد به ولا توجد في سائر كتب التاريخ اليمنية المعروفة .

وأدخلوها زبيد فتبلغ بها أهل المدينة ، وخرجت العلماء والقواد والعظماء لاستقبال الامام والسلام عليه ، وحمدوا الله على قدومه .

وكان أمير زبيد يومئذ فاتك بن محمد بن جياش ، وكان فاسقاً مسرفاً تروى عنه أمور قبيحة موحشة في نفسه ، فبات الإمام وأصحابه وهم يسمعون عزف القيان ، ونغمات الطنابير ، وأصوات الملاهي ، ففزعوا لذلك ، وحولوا مضاربهم إلى الميدان ، وحَرَّض الإمام على قتل فاتك ، ولم يزل يعمل الحيلة في ذلك ، حتى تمكن منه ولَمَّا شعر الأمير الحبشي بالخطر ، أرسل بعض جواريه بفدية إلى الامام على أن يعزله ويولي سواه ، فلم يقبل منه الفدية وأمر به ، فكسرت رقبته ، ورَمَى قوماً كانوا معه يفعلون المنكر بالحراب ، وبقتله انقرض ملك الأحباش من اليمن، «فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا»[1] .

فاذا الدار ما بها من انيس ... واذا القوم ما لهم من محسّ
غير ذكرى مآثر وعظات ... خلّدتها الدُّهور في عرض طرس
يجد الناظرون في اسطريها ... عبرة الدَّهر والزمان المؤس
واذا فاتك التفات إلى الما ... ضي فقد غاب عنك وجه التأسي

وبعد قتل الأمير المذكور ، أقام الإمام ثمانية أيَّام ، وجعل على زبيد رجلاً من من بني جياش يقال له محمد بن نجاح ، وكانت قوَّاد الحبشة تنفق على عسكر الإمام مدة إقامتهم في زبيد ، وأمَّا الإمام وخاصته فإنه كان ينفق عليهم من ماله ، وكان بعض قوَّاد الأمير فاتك قد اغتصب كميَّة كبيرة من مال فاتك واستجار بالإمام ، فاجتمع قوَّاد الحبشة ، وقالوا ان مع هذا مال ملك زبيد ، فقال لهم الامام : يكون معه مال من كان ، فقد أجرته وما معه .

ثم عزم على الخروج لحرب ابن مهدي الى رمع ، ولما خرج من

---

(١) الآية ٩٨ سورة مريم.

المدينة تأخر بعض أصحابه فأغلق عليهم اهل زبيد الباب وتقاعدوا عن الخروج ، معه لحرب عدوّهم ، ولم يفتحوا لهم الباب إلاّ بعد أن خاطب فيهم الإمام ، وقد أخذوا خيلهم وسلاحهم ، فانثنى الإمام عن حرب ابن مهدي ، وهَمَّ بمحاربتهم لإساءتهم إلى أصحابه ، ثم انه ترك الكل ، وعاد إلى ذمار ، وفي أثناء الطّريق راجعه أصحابه في أخذ المال الذي اخذه القائد ريحان على مولاه فاتك وقالوا هو لبيت المال، فقال : ما يسعني عند الله ، ولا ينبغي لي من المنعة ، وقد أجرته وماله ، وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ﴾[1] وأنا أعمل فيه بكتاب الله ، ولم يزل معه حتى أبلغه مأمنه ، انتهى المراد نقله في المسيرة فيما يتعلّق بزولة زبيد ، ثم ان ابن مهدي شدد الحصار على زبيد ، حتى دخلها قهراً يوم الجمعة ١٤ شهر رجب سنة ٥٥٤ ، فأقام بقية شهر رجب وشعبان ورمضان ، ومات سادس شوّال من السنة ودفن في المشهد القريب من مدرسة الميلين[2] وأوصى ولده أن يجعله جامعاً يصلّي فيه ففعل ثم أخربه بعض ملوك الغز وجعله اصطبلاً [3] ومن شعر بن مهدي :

عناق القنا والصافنات السوابق ألذّ وأشهى من عناق العواتق
وسهرتنا باللّيل فوق ظهورها ألذّ إلينا من رقاد النمارق

وهي قصيدة طويلة[4] قالها لما دخل زبيد ، وقام بعده ولده مهدي بن

---

(١) الأية ٦ سورة التوبة .

(٢) مدرسة الميلين : من مدارس زبيد يقول العاص اسماعيل بن علي الأكوع «نقع شرْقي الدار الناصري ومكانها اليوم أو قريب منه مدرسة الاسكندر بناها الملك المعز اسماعيل بن طغتكين بن ايوب » انظر المدارس الاسلامية ص ١٨ .

(٣) يقول ابن الديبع : ثم كان بعد ذلك يسمي معقاب عاتكة فجعل فيه محامل السلطان وغيرها من آلاتهم ثم خرب ولم يبق منه الا منارة سقطت في أول دولة الملك الظاهر الغساني سنة ٨٣١ انظر قرة العيون ج ٢ ص ٣٦٥ .

(٤) انظرها كاملة في قرة العيون ج ١ ص ٣٦٤ .

علي فدوّخ البلاد وذلّت لهيبته الأمراء والملوك وسيأتي تمام خبره وخبر أخيه عبد النبي بن مهدي بن علي في موضعه ان شاء الله .

وفي هذه السنة سار الإمام احمد بن سليمان من ذمار إلى عَيّان على طريق الجوف لما بلغه من إقدام عمر بن منيع السليماني، وأقاربه على إخراج ولد القاسم بن جعفر وأقاربه وأهله من درب عيان ، واخراب ذلك الدَّرب ، وكانوا يظنون ان ذلك يوافق غرض الإمام لميل ولد القاسم عنه ، فلما علموا بقرب الإمام من عيان ارتفعوا بمن معهم من دهمة إلى جبل شرقي عيان ، فأمر الإمام بقطع زروعهم ، وإخراب دورهم ، ثم عاد إلى مُسلت ومنه إلى الخارد بالجوف الأعلى فاستقر فيه ، وعمر حصناً منيعاً ، واجتمع حوله من أهل تلك الجهة ، جماعة للسكسون[1] بجواره ودخلت سنة ٥٥٥ فيها خالف أهل مقرا وريمة القريبة من صنعاء على الإمام ، وكان قد استعمل عليها ولده المطهر فشدَّد عليهم في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، والمحافظة على الصَّلوات ، فكان هذا الحزم سبب الفساد ، ومنعوا الواجبات ، فنهض الإمام لحربهم حتى وصل إلى بلاد حاشد ، كتب إليه حاتم بن أحمد ان يمر على صنعاء فإنها بلاده ، ومراده المكر فعرف الإمام مراده ، ورجع طريق الجوف ، ثم نهض إلى الجهة المخالفة ، فظفر بأهلها واجتمع بولده المطهر ، ثم تَوَجَّه إلى ذمار ، ومنه إلى إب ، ثم رجع إلى الجوف ولقاه ولده المطهر واستقر هنالك[2] .

ودخلت سنة ٥٥٦ فيها مات السلطان حاتم بن احمد اليامي ، وتولّى بعده ولده السلطان علي بن حاتم يوم وفاة أبيه فبايعة أهل همدان ، ثم رجع إلى حصنه ، ضهر فأقام فيه أيّاماً ، ثم خالف عليه أهل همدان ومالوا إلى

---

(١) في الأصل للكسون بتقديم السين .

(٢) انباء الزمن (ص) .

رجل من آل القبيب ، واجتمعوا في داره بناحية القطيع[1] من صنعاء وبلغ علي بن حاتم خبرهم، فنهض إلى صنعاء في جمع كثير من القبائل واجتمع من همدان سبعمائة فارس عند باب شعوب ، فلما وصل علي بن حاتم تفرق أكثرهم وقاتلته طائفة منهم قتالاً شديداً ، ثم ولوا عنه ودخل الدرب[2] ، وخرج أخوه عمران بن حاتم، وهو صبي صغير فقاتلهم في أزقة المدينة حتى قتل بسهم ، فاضطربت همدان لقتله خوفاً من علي بن حاتم ، فوهب لهم علي بن حاتم دم أخيه تأليفاً لهم ، وتسكيناً لاضطرابهم ، واستقرّ في صنعاء ، وبعد أيّام أخذ حصن ذي مرمر وكان لقوم من همدان وكوكبان والعروس[3] وكانا لبني الزّواحي ، وأخذ بكر وعمر هذه الحصون جميعها ، وملك الظاهر والمغارب ، وكان جواداً كريماً يقطع الرجل من همدان البلد والبلدين ويَمْنَعه من مضارَرَة أهلها ، وجعل على كل مخلاف عاملاً فمتى آن حصاد الثمرة ، أمر عماله أن يقيضوا من الرَّعية الخمس مجرّداً عن غيره من سائر المطالب على طريقة العبيديين[4]

وفيها نزل المطهر بن الإمام إلى تهامة للصّلح بين الشريف قاسم بن غانم وبني عمّه السليمانيين، وبعد إكمال عمله خفر قافلة الحاج ، وعاد معهم إلى صعدة ، فألحّ عليه أهل صنعاء بمرافقتهم إلى وطنهم فخرج معهم ، وفي أثناء الطريق باغته المرض . ودخل صنعاء عليلاً ومات بها ، فحمله السُّلطان علي بن حاتم إلى المنظر ، ودفنه بها وحزن عليه كثيراً ، ورثاه بقصيدة طويلة أرسلها إلى والده الإمام ، وقد ذكر هذه المرثاة ومرثاة الإمام كاتب السيرة .

وفيها أعاد الإمام الكَرّة على أهل صعدة ، وسار لحربهم في جنود كثيرة

---

(١) القطيع : حاره بصنعاء في الجانب الشرقي منها

(٢) المصدر نفسه (ص)

(٣) حصن العروس من حضور بالجنوب الغربي من صنعاء وهو مقابل لكوكبان من الجنوب

(٤) انباء الزمن (ص)

وكانوا قد أحكموا تحصين المدينة وجعلوا عليها خندقاً فأحاط بها عسكر الإمام ، واشتد الحرب حتى اقتحموا المدينة وكبسوا الخندق ، وثغروا السور أيضاً ، فخامر الصّعديين الفشل ، والقوا سلاحهم وتراسهم وسائر آلات الحرب ، فاستولى عليها الإمام واخرب كثيراً من دورها ، وعاد الى الجبجب وأذن لعسكره بالعود إلى أهلهم ، ثم انه نقل عائلته من الجبجب إلى الجوف ، فبلغه ان بني مالك ، وأهل صعدة فرحوا بانتقاله ، وانهم توعّدوا الأشراف ويرسم بالانتقام والطرد من البلاد فغار لذلك ، ولحقته الحميّة والرّأفة على أقاربه، وبني عمه ، وأنصاره ، ورأى انه لا معدى له من حمايتهم ، وقد كره مقامه الأول بالجبجب ، ولا يريد المقام بصعدة ، فطلع حصن تلمص[1] ، قال كاتب سيرته : وهو حصن عظيم جاهلي في طود شامخ منفرد من الجبال مطل على الحقل ، وحاكم عليه وإلى جنبه مدينة صعدة القديمة ، وكانت من المدن الكبار العظيمة ، واسمها في الجاهلية جمع . وبحصن تلمص هذا يضرب المثل ، وكان يسكنه في الجاهلية نوال بن عتيك نازع الأكتاف ، من ولاة سيف بن ذي يزن ، قال الشاعر :

اصبحت توعدني بأمر معضل حتى كأنك نازع الاكتاف
عبد ابن ذي يزن برأس تلمص بين الأرائك مسبل الاسجاف

فلما طلعه الإمام أحكم تحصينه ، وعبّد طرقه ، وحفر مناهله ، وشاد فيه الغرف والقباب بالجص والآجر ، ومكث فيه إلى شهر محرم سنة ٥٥٨ ، ثم سار إلى الجوف ومنه إلى مسلت ، فوافاه بمسلت صنوه الشريف عبدالله بن سليمان ، وذكر له ان السُّلطان منصور بن ابي النور العرجي صاحب مسور ، استطال على قوم بناحيته فأخذ حصنهم وعوّل عليه في القيام

---

(١) تلمص : بضم التاء واسكان اللام وضم الميم وصاد حصن مشهور في بلاد سحار من أعمال صعدة كانت تقوم في سفحه مدينة صعدة القديمة (المقحفي : معجم المدن والقبائل ص ٧١) .

لنصرة المظلومين فلم يجد الإمام بدًّا من القيام ، لإخراج الظالم العرجي من حصن اولئك القوم وتكبّد المشاق لذلك . واجتاز طرقاً وعرة المسالك ، حتى انه قال لبعض أصحابه : والله لو أعطيت عشرة آلاف على ان أنزل نقيل المَحْدَد[1] ، وهو الذي رجع منه الهادي[2] الى الحق عليه السلام ، وقال : ما افترض الله عليَّ جهاداً في هذه البلاد ، ولكني أطلب التُّقرب إلى الله في نصرة المظلوم ، ورفع يد الظالم ، وصلة الرَّحم في مساعدة صنوي[3] ، وإسعاف سؤاله ومقصده ، ولما قرب من الحصن المذكور ، أقبل عليه النَّاس ، فخاف العرَجِي على بلاده إن هو استمر في ظلمه وعناده ، فتخلى عن الحصن ، وسَلّمه لأربابه ، ورجع الإمام إلى الجوف ، واجتمع إليه آل الدعام ، وغيرهم ، فسار بهم إلى حصنه تلمّص وأقام به أيّاماً يراسل القبائل ، ويحرضهم على الاجتماع لقتال أهل صعدة ، فاجتمع منهم خلق كثير ، فتقدَّم بهم إلى صعدة وحاصرها أيّاماً ولم يتمكن منها لخيانة كانت من قبائل خولان ، فلما عرف ذلك أذن للجنود بالعود إلى بلدانهم .

وفيها وصل الشَّريف ابو الفضائل علي بن إدريس السليماني من أرض وساع[4] مهاجراً إلى الإمام في جماعة من أصحابه ، فأكرم الإمام نزلهم ، وأنزل الشَّريف وأهله وحشمه في حصنه تلمص واحلَّ الشرفاء الذين معه بدرب الأشراف وبعضهم بالجبجب.

قيام مهدي بن علي واحداثه

قد ذكر مهلك علي بن مهدي وأشرنا إلى قيام ولده عبد النبي وأخيه

---

(١) المحدد بفتح الدال وسكون الحاء المهملة ثم دالين مهملتين أولاهما مكسورة قرية آهلة بالسكان من آل الفليحي (صفة ١٢٣) .

(٢) انظره سيرة الهادي ص

(٣) الصنو : الشقيق.

(٤) عدَّة العقيلي في معجم جازان من أودية المخلاف السليماني .

مهدي بن علي ، فكان عبد النبي يتولّى أمور المملكة ، وأخوه مهدي أمور الجيش والسَّرايا فاستباح بلاداً كثيرة وقتل قتلات عظيمة ، واغار على لحج مرتين إحداهما في شعبان سنة ٥٥٦ والثانية في رمضان سنة ٥٥٨ فقتل من أهل [لحج][1] في الغارتين عدداً كبيراً وسبى الحريم ، ونهب أموالاً كثيرة وقيلت في ذلك الأشعار منها قول الهندي[2] الشاعر :

أتشرب الخمر في ربا عدن والبيض والسمر في الحصيب ظما
كلا ومهدي فارس بطل وصدر حيزوم يملأ الحزما[3]

ثم أغار على الجند في شوال من السَّنة المذكورة فحصرها أربعة عشر يوماً ، ودخلها غرة ذي القعدة سنة ٥٥٨ فقتل اكثر من وجد فيها من صغير وكبير ، ورماهم في البئر التي في المسجد وحرق أكثر دورها وأحرق المسجد بمن فيه من الضعفاء والعجائز ، واموال الناس والكتب ، والمصاحف وقتل أهل قرية الذنبتين[4] ، وكانوا قد اختفوا بأكمة ذي عراكض[5] فدل عليهم صوت حمار لهم ، فطلع اليهم وقتل منهم جماعة ، وقتل أهل قرية العربة واخرب مسجد الجند ، وعاد إلى زبيد وقد أصابته طائرة[6] تفطر منها جسمه ، بعد أن ظهر به شبه أحراق النار، فلم ينزل إلاَّ في محفة قد فرشت بالقطن المندوف ، فلما صار في زبيد توفي مستهل ذي الحجة في السنة المذكورة

---

(١) ساقط من الأصل .
(٢) كذا في الأصل وفي العسجد المسبوك ص ١٣٦ (ابن الهنيني) وفي قرة العيون ج ١ ص ٣١٦ . (ابن الهيبي) .
(٣) هذه رواية الخزرجي وبغية المستفيد وقرة العيون وأنباء الزمن (ص) .
(٤) الذُّنبتين : قرية خربة من بادية الجندي .
(٥) موضع قبلى الذنبتين انظر (العسجد المسبوك ص ١٣٧) .
(٦) هو المعروف عند اطباء العرب بمرض الطير وهو مرض جلدي يصيب الأعضاء الداخلية .

وقال الخزرجي[1] نقلاً عن صاحب العقد الثمين[2]إنه لما رجع من الجند الى زبيد أقام بها أياماً ثم مرض في المحرم سنة ٥٥٩ ، وتوفي يوم الأحد الثامن عشر من الشهر المذكور وقبر في المشهد مع والده واستقلَّ بالأمر بعده أخوه عبد النبي .

وقال الجندي : انه لما هلك علي بن مهدي خلفه إبنه مهدي ، ولما تمهدت له قاعدة الملك غزا البلاد ، فصالحه الدَّاعي عمران عن عدن والدَّملوة بمال ، فقبله ، ولم يعترضه ولا بلاده ، ثم طلع الجند والمخلاف فقتل في الجند ونواحيها مقتلة عظيمة الخ . . . [3] .

أحداث عبد النبي بن علي بن مهدي ، ومقتل الشريف وهاس

ما كادت تخمد نار فتنة مهدي بن علي بعدهلاكه حتى ائتنف النَّاس من فتنة أخرى كسابقتها أو أشد فقد استقلَّ بالأمر عبد النبي في سنة ٥٥٩ فأغار على أبين[4] وأحْرقها وقتل أهلها ، وما لبث أن عاد إلى زبيد بعد أن عاث وافسد في أبين وجهاتها ، ودخلت سنة ٥٦٠ فيها كان في تهامة مجاعة وقحط عظيم فهدأ عبد النَّبي ولم يتحرك حتى إذ أمطرت البلاد وأخصب النَّاس ، وأخذت الأرض زخرفها وازينت ، فاجأها ابن مهدي بأحداثه فقصد المخلاف السَّليماني ، وكان بينه وبين صاحبه الأمير الكبير الشريف وهاس بن يحيى بن غانم موادعة ومهادنة فختر[5] وغدر ، وباغت الشريف على غرة ، وليس معه غير عبيده وأهل المدينة وليس له وزر يعتصم به ولا حصن يفزع إليه ، فوقع

---

(١) العسجد المسبوك ص ١٣٧ .

(٢) لعله نفس الكتاب المسمى السمط الغالي الثمن لابن حاتم وهو من الكتب القيمة طبع في لندن تحقيق الدكتور ركس سميث.

(٣) الخزرجي وأنباء الزمن وقرة العيون (ص) .

(٤) أبين : مخلاف مشهور على ساحل البحر الهندي شرقي عدن .

(٥) ختر: غدر والختار الغدار والختر اقبح الغدر.

ابن مهدي وأصحابه في أهل الساعد[1] مدينة الشريف المذكور فقتلوا أهلها وقتلوا الامير وهاس وولده بعد أن دافعا عن نفسيهما وسبيت النساء ونهبت الأموال ، ولما بلغ الإمام مقتل الأمير وسبي الحريم ساءة ذلك واغتم غَمًّا شديداً ، وقال : لا رحم الله وهاسا لقد كان لنا غَمًّا وعاراً في حياته ومماته ، ثم كتب إلى أخيه الأمير قاسم بن غانم يعزّيه ويؤنبه وكافة بني هاشم بقصيدة أولها : [2]

هو الدهر يرضى اهله ثم يغضب ... ويبني لهم حيناً وحيناً يخرّب

ومنها :

كفعل ابن مهدي اللّعين وخربه ... وهم ثلة ترعى المواشي وتحلب

وما أظهروا من منكر في تهامة ... وخطب جسيم صدعه ليس يشعب

ومنها :

وصالوا على وهاس غدراً وبينه ... وبينهم عقد ولم يتطيّبوا

وفي هذه الحادثة الممضّة يقول عبد النبي قصيدته المسمّطة يرثي بها والده ويذكر فيها حوادثه وأخباره منها قوله :

وهاك فاسمع خبرا ... جاءت له الحبو كرى[3] ... من ساعد وتعشرا[4]

وعارض فيها هما

لوت بوهاس ضحىً ... فابتدرته مرحا ... فضل من تحت الرحى

مضرجاً مرغّما

---

(١) الساعد : عدّها الهمداني قرية من حكم (صفة ٩٧).

(٢) سيرة الإمام احمد.

(٣) الخزرجي وقرة العيون وبغية المستفيد.

(٤) الداهية والمعركة بعد إنقضاء الحرب.

(٥) تعثر: واد من أودية المخلاف السليماني .

إلى آخرها وهي طويلة تشهد له بالابداع وسعة الإطلاع[1]

قال صاحب انباء الزمن[2] نقلاً عن بعض المؤرخين[3] أفترق ملك اليمن في هذه المدة ، فكان عدن وأبين والدّملوة وتعز إلى نقيل صيد لآل زريع أهل عدن ، وذمار ومخاليفها لسلاطين جَنْب وصنعاء وأعمالها الى الظاهر ، وحدود الأهنوم لعلي بن حاتم صاحب صنعاء ، وصعده وما اليها للأشراف ، وشهارة وبلادها لأولاد القاسم العياني عليه السلام ، والجريب وما حاوله ، لولد عمر بن شرحبيل (آل أبي الحفاظ)[4] الحجوري وتهامة الشامية (المخلاف السليماني)[5] الى حرض للشريف وهاس بن غانم بن يحيى بن حمزة السليماني[6] ، وبلاد زبيد إلى حد حرض من جهة اليمن إلى عبد النبي بن علي ، ولم يزالوا كذلك إلى أن زالت دولتهم جميعاً ببني أيوب الآتي ذكرهم إن شاء الله قال : وأما الأمام احمد بن سليمان عليه السلام فإنّه لم يعمر داراً ولا جبى خراجاً ولا دَرّب دربا ، وانما مضى على الجهاد ، ومحاربة أهل البغى والفساد ، فجزاه الله عن الإسلام وأهله خيراً انتهى .

ودخلت سنة ٥٦١ فيها طلع احمد بن علي بن مهدي من زبيد لعمارة مدينته الجند في عسكر جرّار ، وابتدأ في عمارتها من يوم السّبت خامس شهر ذي القعدة من السنة ، واستمر إلى نهاية الشّهر المذكور ، ثم أغار على الجوة[7] وبها جيش الداعي عمران بن محمد بن سبأ الزريعي فدخلها جند إبن مهدي وحرقها ، وقد كانت سبقت له غارة على الجوة أيضاً في بعض الأعياد ،

---

(١) انظرها في العسجد المسبوك ص ١٤٢ وثغر عدن ج ٢ ص ١٢٧ .

(٢) غاية الأماني (مختصر انباء الزمن) ص ٣١٦ .

(٣) هو الحجوري في روضة الأخبار (مخطوط) .

(٤) ما بين القوس من زيادة المؤلف .

(٥) كسابقه .

(٦) في غاية الأماني «للشريف غانم بن يحي بن حمزة بن وهاس السليماني» .

(٧) الجوة : مدينة خربة في جبل الصلو تحت قلعة الدملوة.

وظفر بأهلها يومئذ فقال في ذلك الشاعر الهندي[1] :

بكرت نقل من الكماة ضراغما ... من آل مهدي هما احازما
وكذاك ليس تروق ابنية العلا ... إلاّ إذا كنتم لهنّ دعائما
صبحت اكناف الجواة بغارة ... شعواء طبقت الحماة جماجما
وحرمتهم فيها مطاعم عيدهم ... وتركتهم للمرهفات مطاعما

ودخلت سنة ٥٦٢ فيها طلع عبد النبي إلى الجند في جمادي الآخرة من السنة وعاد إلى زبيد وخرج إلى مخلاف جعفر وحصر حصن المجمعة[2] فأخذها ثم قصد مدينة إب فأخذها يوم الخميس الخامس من شهر ربيع الأول من هذه السنة وأخذ الشماحي[3] يوم الأحد الثامن من الشهر المذكور واستولى على البلاد ، وبث السَّرايا والجنود في كل جهة وسار إلى عدن فحاصرها

ودخلت سنة ٥٦٨[4] فيها طلع السلطان عمران بن محمد الداعي سباً إلى صنعاء يستنجد بالسلطان علي بن حاتم صاحب صنعاء فأكرمه ولم يتأخر عن نصرته ، وجمع همدان وسنحان وبني شهاب[5] ونهد وغيرهم ونهض بهم لحرب عبد النبي ، وكان السلطان الزريعي قد تقدمه إلى جَنْب ومذحج ، واستنفرهم للقتال فنفروا معه واجتمعت الجنود كلها في السّحول[6] وذلك سنة ٥٦٩ ، فنهضوا مجتمعين ، وقد تقدّمت جيوش ابن مهدي إلى حصن المسواد[7] وذي جبلة فتلقّتهم جيوش علي بن حاتم ، فانهزم أصحاب ابن

---

(١) كذا عند المؤلف كسابقه وفي العسجد «الهنيني»

(٢) حصن في الشوافي من أعمال إب

(٣) الشماحي : قرية من عزلة المواية من بعد ان .

(٤) هذه الحادثة كان وضعها هنا سهواً وسنأتي على بقية الحوادث التي من بعد سنة ٥٦٢ (ص) .

(٥) الخزرجي والجندي وقرة العيون وبغية المستفيد (ص)

(٦) السحول : بلد معروف ما بين مدينة إب جنوباً وحتى قفر يريم شمالاً

(٧) المسواد : جبل بالجنوب من مدينة إب فوق نقيل المحمول من جهة الشرق. .

مهدي وقتل منهم خلق كثير ، وأسر وغنم ودخل ذي جبلة ، فلم يجد بها أحداً من عسكر ابن مهدي، وكانوا قد هربوا ليلاً ، وانحاز بعضهم إلى دار الحرة أروى بنت علي بن محمد الصليحي ، فاستولى عليها السلطان علي بن حاتم وأجار الحرة ، وجميع من معها من عسكر ابن مهدي وغيرهم ، وما معهم من أموال وخيل وسلاح ، وبقي بها مدّة ، ثم نهض بعسكره إلى الجنَدَ ، فوجدها خالية من العسكر والرَّعايا فدخلها بعض العسكر ، وأقام السلطان علي بن حاتم خارج المدينة، وبلغه أن عبدالنبي في حصن تعز ، وقد اجتمع إليه أصحابه فخف علي بن حاتم ومن معه لمهاجمة تعز ، فلما دخل المدينة وجد عسكر عبد النبي قد اجتمعوا إلى ذي عدينة[1] ، فوقع القتال الشديد بين الفريقين ، فكانت الدائرة على أصحاب ابن مهدي ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وعقر من خيلهم شيء كثير ، وأخذ منها نحو مائة فرس ، ونهب من سلاحهم ، وعددهم شيء كثير ، ونهبت ذي عدينة يومئذ نهباً عظيماً ، وكان عبد النبي بن مهدي في أعلا حصن تعز على سطح من سطوحه وراء كتيبة تبرق ، فقال : ان صدقني ظنّي فهذا علي بن حاتم فقيل له : نعم تلك كتيبة همدان فأنشد متمثلاً :

واعلم بني بأن كل قبيلة ستذلّ ان نهضت لها قحطان

ثم رجع السلطان علي بن حاتم في أصحابه الى الجند وأخرب دار المملكة في الجند التي عمرها السلطان محمد بن سبأ بن أبي السعود ، ووافته الأنباء بأن العسكر الذي كان بالرعارع[2] محاصراً لعدن من قبل ابن مهدي قد هربوا فأراد ان يهبط تهامة ، فلم تطاوعه قبائل جَنْب على ذلك وتفرّقوا عنه ، وكتبوا لإبن مهدي :

رَحَلْنا وخَلَّفْنا السلاطين خَلْفنا فدونك يا عبد النبي عشاكا

---

(١) احد أحياء مدينة تعز .

(٢) الرعارع : مدينة كانت عاصمة مخلاف لحج أيام الزريعيين وهي اليوم خراب .

فأمر إبن مهـدي بصده عن طلوع نقيل صيد[1] وبعـد قتال عنيف تمكن علي بن حـاتم من طلوع النَّقيل وأراد ان يعيـد الكَّره علي عبـد النبي فلما علم بذلك راسله في طلب الصلح فأجابه السلطان علي بن حـاتم وشرط عليـه عدم التَّعرض لبني زريع فقبل عبد النبي وتم الصلح على ذلك.

قـال في أنباء الـزمن ودخلت سنة ٥٦٣ لم يتفق فيهـا ولا في السنة التي بعدها ما يوجب الذكر .

ودخلت سنة ٥٦٤ فيها وقعت حروب بين الإمام احمـد بن سليمان وبين الأشراف القاسميين وساق الخبر الآتي ، وقد وجدنا في سيرة الامـام الحوادث المحررة هنا قبـل خبر الاشـراف القاسميين وإليك البيان وذلـك من سنة ٥٥٩ وما بعدها فذكر : أن أصحاب ابن مهدي لما طلعوا إلى مخلاف جعفر وكانت محـطة جنب في نقيـل صيـد في اعـلاه عنـد حصن سمـاره وقـد أضـرّ بهم أصحاب ابن مهدي.

فوصل الامام الى بلد عنس ففرح الجنبيون بوصـول الإمام وأشـاعوا انـه وصل ممدًّا لهم ، فلمـا علم بذلـك جنود ابن مهـدي رجعوا زبيـد ولما وصلوا زبيـد ، بلغهم أن الامام تقـدَّم الى بلد عنس ، وزُبَيد وانـه لم يـأت في شـأن جَنْب ، وأعـادوا الكرة على جَنْب ، فكـانت بينهمـا حـرب في السَّحول أوقعـوا بجنب وأخذوا ابلهم وأزوادهم وجميع ما تحويه محطّتهم ، فعظم الهول واشتد الخـطب على أهل ذمـار ، واستعدوا لمغـادرة البلاد والفـرار إلى حيث يعـوي الذّئب[2] ، خوفاً من إبن مهدي وفرقاً من جنده، فدخـل الإمام ذمـار ، وسَكَّن روعهم ، وجمـع جَنْباً وأخـذ عليهم العهود في المتـابعـة ، ولمـا علم بـذلـك أصحاب ابن مهدي وعلى رأسهم زعيمهم أحمد بن علي الحرامي ، وكـان قد

---

(١) هو ما يعرف الآن بسمارة في رأس جبـل صيد بين الأشـراف القاسميين إب ويـريم منتهى حقل اقتاب) .

(٢) من الأمثال يقال في حيث يعوي الذئب أي بالغ في الهرب.

نزع يده عن الطاعة ، وأقام بأكناف تهامة مما يلي الجبال، فرح وكتب إلى الامام يستقدمه ويستدعيه ويعده الموازرة ، وانه سيدخل عكًّا[1] في الطاعة وهم قوة ابن مهدي وأنصاره فكتب إليه الإمام كتباً منها كتاب دعوة ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم[2].

من عبد الله المتوكل على الله والداعي إليه والمجاهد في سبيله أمير المؤمنين أحمد بن سليمان بن الهادي إلى الحق المبين يحيى بن الحسين بن رسول الله صلى الله عليهم أجمعين وآلهم الطيبين إلى الكافة من المسلمين الرَّاغبين في الاعتصام بحبل الدين ، سلام عليكم ، فاني أحمد إليكم الله الذي بهر برهانه وغمر إحسانه ، وعمت آلاؤه ، وحسن بلاؤه ، وأسأله ان يصلي على جدنا محمد خاتم الأنبياء ووصيه سيد الأوصياء والشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وعلى عترته الأبرار المصطفين الأخيار الذين هم ينابيع العلم وعيونه ، ورضاب الحق ومعينه ، مفاتيح أقفاله ، ومصابيح حرامه وحلاله ، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله حكاية عن ربه عز وجل انه قال: انت شجرة علي أغصانها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها خلقتها من طينة عليِّين وخلقت شيعتكم منكم انهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف لم يزدادوا لكم إلاّ حُبّا ، وقد شيد ذلك ما روي عن جدنا رسول الله انه قال: في كل خلف من أهل بيتي عدول ينفوي عن هذا الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين : ثم اني أتيتكم عباد الله من أفضل أهل بيت نبيّكم على ما لا يتوارى نوره ، ولا يتبارى مسيره فانهم علائق للنجاة ، ووثائق للفوز من المهلكات ، قال جدنا رسول الله

---

(١) اي قبيلة عك وهي من الأزد من ولد عدنان بن عبدالله بن الأزد بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

(٢) هذه الرسالة نموذج من الأدب السياسي الذي كان يتعاطى خلال القرن السادس (زمن كتابة هذه الرسالة) وقد نقلها المؤلف من الكتاب النادر سيرة الإمام أحمد بن سليمان فيفهم.

صلى الله عليه وآله وسلم « مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق وهوى[1] » فكما علمتم عباد الله ان أمة نوح كلها هلكت إلاّ من ركب في السَّفينة ، فكذلك يهلك من أمة نبينا من لم يتمسك بعترته الطاهرة الأمينة ، وهذا موضع التشبيه بين الأمتين ، والتنبيه على عظم خطر الحالتين ، ، والذي لا يتمارى فيه العارفون ، ولا يختلف في صحته المتفقون ، « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون »[2] فرض الله سبحانه مودَّتنا أهل البيت على قاصي الأمة ودانيها، ومطيع البريّة وعاصيها ، فقال عزمن قائل « قل لا اسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى »[3] وقال رسول الله « أحبوا لله لما يغذوكم من نعمه ، وأحبُّوني لحبّ الله وأحبوا أهل بيتي لحبّي وروى عنه أنه قال ان الله تعالى جعل أجرى عليكم المودة في القربى واني سائلكم غداً ومحف لكم في المسئلة، وحرَّم بغضنا على الأحمر والأسود، وجعلنا بَاباً إلى عذاب الأبد ، والهلاك المخلد[4] وإحباط محاسن الأعمال ، وحرمان الجزيل من النَّوال ، وقد شهد بذلك ما روى عن جابر بن عبد الله ، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وقال أيها الناس من بغضنا أهل البيت بعثه الله يهودياً ، قلت : يا رسول الله وإن صام وصلّى وزعم انه مسلم قال وان صام وصلّى وزعم أنه مسلم ، فنحن أولو الأمر الذين أمر الله سبحانه بطاعتهم واوجب على عباده فرض متابعتهم :

إلى أن قال : ولما انتهى الأمر في هذا الزَّمان إليَّ وَوَجب فريضة النَّظر في المهمات عليّ، ورأيْت ما شاع من الطّغيان والمنكر ، وظهر من الفساد في البر والبحر ، لم يسعني في دين الإسلام ولا جاز لي في مذاهب الأسلاف

---

(١) حديث اخرجه البزار عن ابن عباس وعن الزبير انظر «الفتح الكبير» ج ٣ ص١٣٣ .

(٢) الآية ٤٣ سورة العنكبوت .

(٣) الآية ٢٣ سورة الشورى.

(٤) حديث أخرجه الترمذي عن ابن عباس.

(٥) في الأصل الملحد.

الكرام ، أن أتسربل سرابيل الونى ولا أسدل على نفسي أستار الهوينا ، ولا أركن إلى زهرة الحياة الدنيا ولا أن أطلب لذّتها التي تبيد وتفني ، وقد سمعت الله يقول ﴿ من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها ﴾[1] الآية فعلمت ان لزوم الفريضة لي بالدعاء للحق إلى الله ،والجهاد في سبيله قال تعالى ومن احسن قولاً ممن دعا إلى الله .

وقال : ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ الآية[2] ولا شك في وجوب الاجابة عليكم وتوجّه فرضها إليكم قال تعالى ﴿ يا قومنا أجيبوا داعي الله ﴾[3] الآية .

معاشر المسلمين أجيبوا دعوتي فإنّي أدعوكم إلى أن تحيوا ما أحياه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، إلى آخر الكتاب وهو طويل جدًّا .

ولما وصل ذلك الكتاب وما معه من الكتب إلى إبن الحرامي اطلع عليه أصحابه ، وكان فيهم ابن عمٍّ له من فقهاء الشافعية فتدسس إلى مكاره إبن عمه ، وما اكثر دسائس الأصدقاء الأشرار ، وسعى في إيصال الكتب إلى عبد النبي بن مهدي فاستطار لبُّ عبد النبي ، وتضاعف قلقه ، وبذل كل قواه في إستمالة ابن الحرامي وأصحابه رؤساء عك ، حتى أوقعهم في حبائل مكره ، ومصائد مكيدته بما أنهد لهم من الصِّلات ، وزخرف من الأقوال ، ثم عرضهم على السَّيف فقتل من رؤساء عك ثلثمائة فارس وخمسين فارساً ، فيهم ابن الحرامي وغيره من رجالهم المعدودين ، وتلك عاقبة من أسرف في الثِّقة وأثمن غير أمين :

إذا أنت حمَّلت الخؤون أمانة فانك قد اسندتها شر مُسند

---

(١) الآية ١٥ سورة هود .

(٢) الآية ١٠٤ سورة آل عمران .

(٣) الآية ٣١ سورة الأحقاف .

فقـد ارتكب ابن الحـرامي غلطتين عـظيمتين أولاهمـا : إفشـاء سِـرّه وإظهار ما يجب كتمانه ، والثانية ركونه إلى عـدوّه وإنجذابـه إلى فخّه وبـذلك هلك وأهلك .

(وغـرة مرة من فـعـل غـرّ وغرة مـرتين فعـال مـوق)[1]

قـال كاتب سيـرة الإمام احمـد بن سليمـان وعنـه نقلنـا هـذه الأخبـار : (ويقتـل هؤلاء الرِّجـال ضعف أمر بني مهـدي ، واختـل حـالهم ولم تبق لهم طـاقـة يبلغون بهـا حيث كـانـوا يبلغـون ، وافتـرق أولاد إبن مهـدي في ذات بينهم) .

وكـان الإمام قـد أرسل القـاضي علي بن عبد الأعلى بن ابي يحيى إلى عـدن داعياً لـه ومعه نسخـة من كتاب الـدَّعـوة التي قـدمنـا ، وصـاحب عـدن يومئذ ، عمران بن محمد بن سبأ ، ففرح بمقدمه وسَرّه حركة الإمام ، وجمعـه القبائل لمحاربة ابن مهدي الذي أضرَّ بمخاليفه ، وأخذ أكثـر بلدانه ، وجعله خائفاً يترقَّب مهاجمة عدن ، وإلحاقه بأمس الدَّابر ، فأعـاد سفير الإمـام ورجلاً من قبله ، ومعهما هدايا وتحف نفيسة قدمها كشاهد على إخلاصه ، وطلب من الإمام المواجهة إلى المخلاف ، فلم يلتفت الإمـام إلى ذلك ، وكـانت قبائـل همدان وجَنْب ومذحج ، وسنحان قد عاهـدوه على النصرة والنّهـوض معه إلى زبيـد ، فنهد بهم إلى مقراً وترامت أنبـاء حـركتـه إلى بني مهـدي ، فمـاجـوا واضطربوا ، ولاذوا بحصن قوارير فتَيَقّن الإمام فوزه ورجحان كفته إن هو أقدم بمن معه من الجنود المتحمسة لمحو بني مهـدي ، واستئصالهم ، ولكنـه فكر فيما بأيدي بني مهدي من سبايا الأشراف السليمانيين وحمير وهمدان وخـولان والحبشة ، وعرف أنهم سيقهرون ويغلبون ، وتؤخذ السبايا من أيـديهم وتصبح في قبضة جيوشه الموتورة ، وعندئـذ يصعب تداركهـا ويتعذر استخراجها من أيديهم، كما أنه ليس من السهل كبح نزعـاتهم الجامحـة إلى السَّلب والاستئثار

---

(١) موق : حمق .

(وتلك معرة الجيش) فأراد الإمام صرف ذلك الجند عن مجد الفتح ، وعزة الظفر ، حتى يستنهض بني سليمان وكافة بني حسن إيثاراً لهم بلذة الإنتقام ، وزهو الغلب ، لأنهم أحق بالعز من سواهم وأسلس قياداً لسلامة طباعهم من خلق الكبر والمنافسة المتأصلة في نفوس غيرهم من القبائل اليمنية ، فاعتزم العود وتأجيل القضاء على الخصم الى فرصة أخرى ، فانحل نظام ذلك الجمع ، وقلعت المضارب ورجع إلى وقش[1] وكانت المطرفية[2]، قد خافت فوصل إليه بعض رؤسائهم معترفين بالخطأ ، طالبين عفوه ، فعفا عنهم ، وهرب بعضهم دفاعاً عن عقيدته فأقر القاضي جعفر بن عبد السلام بهجرة وقش ، ومكث الإمام هنالك برهة ، ألّف فيها كتابه الرَّد على من طعن في سيرته[5] ثم انتقل إلى الجهات الشامية من بلاد الظاهر[4] وكان قد اصيب بالعمى فكان ما سيأتي .

خلاف الشريف فليته بن القاسم القاسمي واحداثه

لما أصيب الإمام بالكمه[1] استبشر بذلك بعض عداته ، وحسنوا للشريف فليته القاسم القيام ونكث البيعة ، فبادر الشريف ، وكاتب الأشراف الحسينية ونهض بمن معه إلى من[6] حضور وجهاته ، وقصد أثافت ، فلما بلغها قام فليته بن العطاف النهميّ يحرض النّاس على الجهاد مع الإمام، ودخل بجماعة من الأشراف والشيعة مَصْنعة أثافت ، فحلف له الجميع على السمع والطاعة والجهاد معه للإمام أحمد بن سليمان .

---

(١) وقش: محل اثري من ناحية البستان غربي صنعاء كان مقر وقاعدة المطرفية.

(٢) مذهب نشأ في ذلك الوقت ومؤسسه هو مطرف بن شهاب واليه ينسب ومن مرتكزاته القول بأن العالم يحيل ويستحيل والتأثر في كثير من أقوالهم بأفكار المعتزلة .

(٣) سبق ذكرها .

(٤) بلاد الظاهر يتردد ذكرها وهي الجهات الشمالية من حاشد ونواحيها .

(٥) العمى .

(٦) كذا في الأصل.

ولما علم بذلك الإمام تقدّم إلى حوث، ثم سار إلى بهمان [1] في جماعة من الأشراف الهادويين والشيعة ، فخرج أصحاب فليته بن العطاف النهمي في لقائه الى بهمان ، وبادرهم أصحاب الشّريف فليته وأحاطوا بالإمام ومن معه فلم يثبت من أصحاب الإمام إلاّ نفر قليل ،دخل بهم درب القدمان ، فاحاط به القوم إحاطة السّوار ، وتخاذل بقية من ثبت معه ، حتى لم يبق معه غير ثلاثة رجال فأسروه ونهبوا ما معه ونقلوه إلى اثافت ، فبقي بها أياماً ، ثم ان السُّلطان علي بن حاتم كاتب الأشراف وقبح فعلهم ، واستشار حماسة السلاطين بني الدَّعام ورجالات نهم وغيرهم ، وأمرهم بالإجتماع والحركة لإخراج الإمام ، وكانت زوجة الإمام ابنة فليته بن العطاف النهمي ، قد قصدت السُّلطان مؤمل بن جحاف النّهمي تحثّه على جمع قبائل بكيل لإستنقاذ الإمام ، فسارع مؤمل وجمع زهاء ألف وخمسمائة رجل من بكيل جلّهم من الرؤساء وأهل النَّجدة والبأس ، وقصد الشريف فليته إلى أثافت ، وكان إخوة الشّريف المذكور ، قد خرجوا للسباق فتأمر البكيليون أو يطلق الإمام ، ولما عرضوا عليه حاجتهم ، وعرف ما إئتمروا به اضطر إلى التّنازل ، واطلق الإمام ، بعد أن أخذ منه العهد ومن أصحابه أن يذهب الى الشّام وإلاّ يبغيه شرًّا ، فخرج الى خيوان ثم سار إلى حوث ، فأقام بها أيّاماً ، وقصد صنعاء بعد أن كتب إلى صاحبها السلطان علي بن حاتم من حوث بما لحقه من الشرفاء ومن وازرهم بهذه القصيدة .

أبنيّ اني في الحياة وبعدها ... أوصيك ان أخا الوصاة الأقرب
لا تنسين أباك يعثر بينهم ... أعمى يدبّ على اليدين وينكب
ويجرّ للحبس الشّديد وبعده ... يؤذى بكل كريهة ويعذّب
لكنني أسد فروس ناله ... كمه العمى فسطا عليه الثعلب
وكذلك الثّعبان يجرح بعضه ... فالذر يتبع جرحه والجندب

---

(١) موضع يقع في خيار حاشد جنبوي حوث.

Book title: تاريخ اليمن الإسلامى من سنة ٢٠٤ ق - إلى سنة ١٠٠٦
Author's name: حبشى،عبد الله محمد,مطاع، احمد بن احمد بن محمد
Publisher's name: منشورات المدينه
Cover: 1
Section: ج1
User's first name & Last name: homy samir
Name of site: www.noorlib.irNoor digital library
Download Date: 1393/07/24
Number of downloaded pages: 8
Download limit: From page 361 to page 368



نسيوا صنائعنا وما قدَّمته بعيان حيث تشتتوا وتشعبوا
زعموا وقالوا لا تقيم بأرضنا وكذاك لا ينجيك منا الجبجب[1]

إلى آخرها : ولما وصل الى السلطان علي بن حاتم أكرمه وأقام عنده أياماً يستثير حماسته بالأشعار ولطائف الأخبار ، فمن ذلك قوله

يقولون لي لم لا تخاف ابن حاتم عليًّا على تلك الحوادث بالأمس
فقلت لهم قد كنت عند فليته فأخرجني رأس الحجاز من الحبس

فعزم السُّلطان على النهوض لنصرة الإمام ، وحَشَد القبائل لذلك المرام انتهى ما أورده كاتب سيرة الإمام وكاتب التتمة المنحقة بالسِّيرة ولم يوضحا ما فعله علي بن حاتم ولا ما آل إليه أمر الإمام ، فلنرجع الى ما كتبه صاحب أنباء الزمن قال : ودخلت سنة ٥٦٥[2] فيها وقعت حروب بين الإمام أحمد بن سليمان وبين الأشراف القاسميين في وادعة[3] الظاهر ، فخرج الإمام في بعض أيام الحرب يلقى[4] جماعة من أهل البلاد في نفر قليل من عسكره ، فوثب عليه الأشراف فأسروه وسجنوه في مصنعة أثافت ، فسار أولاد الإمام إلى السُّلطان علي بن حاتم يستنجده على الأشراف ، فكتب الى الأشراف في إطلاق الإمام فأطلقوه وسار إلى حوث[5] فأقام فيه مدة ، ويقال انه وافق السُّلطان علي بن حاتم في كوكبان ، وذكر له ما أسداه إليه من الجميل ،وطلب منه النّصرة على الاشراف واستعان به على حربهم ، فخرج معه السلطان إلى الظَّاهر في جيش عظيم ، وحارب الأشراف في مصنعة اثافت ، فامتنعوا عليه

---

(١) الجبجب : موضع هناك سبق ذكره .
(٢) غاية الأماني ص.
(٣) وادعة : من قبائل الهمدانية وتتوزع في جهات مختلفة منها وادعة حاشد المذكورة هنا على مقربة من خمر .
(٤) في الغاية ليلقى .
(٥) حوث يتكرر ذكرها وهي بلدة مشهورة من بلاد حاشد .

فأخرب قرى عبس[1] ودروبهم [2]وقطع أعنابهم ووصل اليه الشيخ جعفر بن يعفر بأهل وادعة وطلبوا منه الأمان فأمّنهم وافترق الجميع فتوجه الإمام إلى يسنم ورجع السلطان علي بن حاتم إلى صنعاء إنتهى ومثلها رواية الخزرجي[3] بالحرف .

وفاة الامام أحمد بن سليمان عليه السلام[4]

ودخلت سنة ٥٦٦ في ربيع الآخر منها مات الإمام أحمد بن سليمان بعد أن ترك من الآثار ما يخلد على مرّ الزمان ، ودفن بحيدان[5] من بلد خولان وقبره مشهور مزور ومدّة خلافته ثلاثٌ وثلاثون سنة غالب فيها الزَّمان وصارع الحوادث بعزيمة حديدية ، وجلد غريب وهمّة وثابة ، وإرادة قوية حقّقت ما تقوله الحكماء ان مراد النفس أكبر منها على الدوام ، وان قدرة الإنسان في الوجود لا حدّ لها فملك صنعاء ، ونجران ودخل زبيد ، وخطب له بخيبر وينْبع خطب له به الشريف الحسن بن عبد الكريم الحسني ، ونفذت ولايته إلى الجيل والدَّيلم وأصابه العمى في آخر عمره كما تقدَّم .

وكان أديباً شاعراً عالماً متبحراً معدوداً في طليعة كوكبة أئمة الإجتهاد وأفذاذ الجهابذة النُّقاد له عدة مؤلفات معظمها في الرَّد على المطرفية ومن أشهرها كتاب « حقائق المعرفة » في علم الكلام وكتاب « الحكمة الدرية والدلالة النورية »[6] في فضائل أهل البيت عليهم السلام وكتاب « اصول

---

(١) عبس مدينة بالشمال الغربي من حجة بمسافة ١١٣ ك . م وتقع في جزاز جبال حجور .

(٢) في الأصل ودوبهم والتصحيح من غاية الأماني ص ٣١٨ .

(٣) يسنم ينكر ذكرها وهي قبيلة وسمى بها واد عظيم في وسط جماعة بالشمال الغربي من صعدة .

(٤) العسجد المسبوك ص ١٣٩ .

(٥) راجع انباء الزمن والحدائق الوردية واللآلىء المضيئة .

(٦) مدينة مشهورة بالغرب الجنوبي من صعدة لمسافة ، . كيلومتر .

(٧) انظر مخطوطاته في كتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ٥٣٥ .

الاحكام في الحديث »[٧] ، وغير ذلك ، وقد مر بك كثير من أخلاقه ، وأعماله وعرفت مما سقناه من الكوائن والكوارث ، فلقى من الإتعاب في سبيل ما كان يرمى إليه من توحيد الأمة اليمنية وتوجيهها إلى غاية واحدة لإختلاف المآرب والغايات .

ودخلت سنة ٥٦٧ فيها قام الأمير يحيى بن الإمام أحمد في صعدة ، وبلادها ، ولم يزل فيها إلى أيام الدولة الأيّوبية وكان من أمره ما سيأتي .

ودخلت سنة ٥٦٨ فيها طلع السلطان الداعي عمران بن محمد بن سبأ إلى صنعاء يستنجد بالسلطان علي بن حاتم الخبر المتقدم[١] .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) المصدر السابق ص ٥٣٤ .

(٢) تقدم وضع هذا الخبر سهواً بعد حوادث سنة ٥٦٢ (ص) .

الفهـــرس

تمهيد ٥
مقدمة المحقق ٣٧
الشهيد المطاع ٤٠
المطاع مؤرخاً ٤١
المؤرخ الثائر ٥١
بنو زياد وأول من ملك منهم ٥٧
ابو الجيش اسحاق بن ابراهيم ٦٠
آخر طفل من بني زياد مرجان العبد واحداثه ٦٥
انتقام نجاح واستيلاؤه على زبيد ٦٧
ذكر عمال بني العباس على اليمن ٦٨
أول دولة الحواليين ٧٠
ظهور الدولة العلوية ـ الإمام الهادي ونسبه ٧٤
خبر صلح الإمام بين قبائل صعده وعزمه إلى نجران ٧٩
عزم الإمام إلى وشحة ثم إلى برط ٨١
خلاف أبو دغيش الشهابي ٨٢
الدعام وانتقال الإمام إلى خيوان وغدر أرحب ٨٤
ابو العتاهية ونسبه ٨٨
عزم الإمام إلى نجران وثورة ابن عباد ٩٠
ابو جعفر محمد بن عبدالله العلوي وولايته على نجران ٩٢
دخول الإمام صنعاء ٩٣
إنتفاض أهل صنعاء وظهر على الإمام ٩٨

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عودة الإمام إلى صنعاء ثانية ١٠٢
انتفاض أهل نجران ومسير الإمام لتأديبهم ١٠٣
الخلاف بين آل يعفر وعبيدهم ١٠٤
دخول علي بن الحسين جفتم صنعاء وخروج ابي القاسم
محمد بن الإمام من السجن ١٠٨
خلاف أهل نجران ١١٠
وصول الإمام عليه السلام إلى نجران ١١١
نزول الإمام إلى تهامة وعزم أبي القاسم لحرب القرامطة ١١٣
اليمن وحظه من الدعابات الثلاث ١٢١
أحوال صنعاء بعد عزم الطاغية عنها ورجوع الإمام الهادي ١٣٠
رجوع الطاغية إلى صنعاء ١٣٢
نجران وما كان به من الأحداث ١٣٢
مقتل ابن بسطام ١٣٦
رجوع الإمام إلى صعدة وقتل عامله على نجران ١٣٧
اخبار القرامطة واستيلاء الإمام على صنعاء ١٤٣
وفاة الإمام الهادي عليه السلام ١٤٤
قيام الإمام المرتضى محمد بن يحيى عليه السلام ١٤٦
بقية أخبار القرامطة ١٤٧
خلافة الإمام الناصر احمد بن يحيى عليه السلام ١٤٩
هلاك الطاغية علي بن الفضل القرمطي ١٥١
بقية أخبار الإمام الناصر ووقعة نغاش ١٥٥
وفاة الإمام المرتضى محمد بن يحيى ١٥٩
حرب الباطن ومقتل الحسين بن الإمام الهادي ١٦١
وفاة الإمام الناصر ١٦١
دخول حسان بن عثمان الحوالي صعده ١٦٥
خلاصة الأحداث بين أولاد الناصر ١٦٧
وفاة الأمير اسعد بن أبي يعفر الحوالي ١٧٢

مكتبة تكاپتي علوم اسلامي

هلاك منصور بن حسن ومقام الشاوري وقتله ١٧٤
احداث علي بن وردان والاسمر آل الضحاك ١٧٨
استنجاد الضحاك بآل زياد ١٧٨
قيام الإمام المنتصر لدين الله محمد بن المختار ١٧٩
قيام الداعي الإمام يوسف بن يحيى بن الناصر ١٨٠
نزول عبدالله بن قحطان لمحاربة ابن زياد ١٨٥
الإمام المنصوب بالله القاسم بن علي العياني ١٨٦
نهوض الإمام القاسم إلى صعدة وانتقاله إلى عيان ١٨٨
الإمام القاسم بعيان وانتقاض بعض قبائل خولان ١٨٩
رجوع الإمام إلى عيان ومسيره إلى الجوف ١٩١
مسير الإمام القاسم بن علي إلى نجران وخبر الصلح ١٩٢
رجوع الإمام إلى صعده ١٩٤
كتاب الإمام القاسم بولاية الزيدي على صنعاء ١٩٦
وصول الأشراف ووفد عنس إلى الإمام القاسم ١٩٧
احتلال صعده واحداث المليح بن ابراهيم وأخبار الزيدي ١٩٨
عزم الإمام لحرب نجران ١٩٩
الوحشة بين الإمام والقاسم الزيدي ٢٠٠
ولاية جعفر بن الإمام على صنعاء ووثوب الزيدي عليها ٢٠٢
في سيرة الإمام القاسم ماخلاصته ٢٠٣
احداث الزيدي واضطراب الأحوال ٢٠٤
الدسائس والمؤامرات وانتفاض الأشراف ٢٠٥
خروج الإمام القاسم من صنعاء وانتشار دعاية الزيدي ٢٠٧
اطلاق الزيدي جعفر بين الإمام وطلبه الصلح ٢٠٨
بقية أخبار الداعي يوسف ٢١١
دعوة الإمام المهدي الحسن بن العلم العياني ٢١٢
دخول الإمام المهدي صنعاء وقتل الشريف الزيدي ٢١٣
احداث زيد بن محمد الزيدي ٢١٤

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

اعتزام الرجوع إلى صنعاء وقتله ٢١٥
نفوذ الأحباش أمراء زبيد في بلاد الجبال ٢١٩
ظهور المعيد الناعطي ٢٢٠
الإمام ابو هاشم النفس الزكية ٢٢٢
الإمام ابو الفتح الديلمي ٢٢٤
قيام علي بن محمد الصليحي وأخباره ٢٢٦
عزم الشريف الفاضل إلى صعده ٢٣٣
عزم الصليحي إلى جنوب اليمن ومحاربة آل الكرندي ٢٣٧
مسير الصليحي للحج ومقتله ٢٤٢
أحوال صنعاء بعد قتل الصليحي وظهور الإمام حمزة ٢٤٥
رجوع الشريف الفاضل إلى اليمن ٢٤٧
استنجاد الحرة اسماء وولدها المكرم ٢٤٨
انذار الأحباش ودخول المكرّم زبيد ٢٤٩
ما كان بين الأشراف والمكرم بعد عوده من زبيد ٢٥٠
اتخاذ الأشراف لشهارة معقلاً ٢٥١
الإمام أبو الفتح الديلمي والشريف الفاضل ومهاجمة صنعاء ٢٥٣
حصار شهارة وما بعده من الأحداث ٢٥٧
استيلاء الشريف الفاضل على صعدة ٢٦٠
احتلال حصن مسور والاستيلاء على بلاد المغرب ٢٦١
محاولة المكرم لاسترجاع يناع ٢٦٣
مصرع الشريف الفاضل ٢٦٦
الأمير بعد هلك الشرفين ٢٦٨
عودة الأمير الحبشي سعيد الأحول إلى زبيد ٢٦٩
قتل سعيد الأحول وفرار جياش إلى الهند ٢٧٠
وفاة المكرم وقيام الداعي سبأ بن احمد الصليحي ٢٧٥
زواج الداعي سبأ بن أحمد بالحرة السيدة ٢٧٦
طائفة الغز الواصلة لإنجاد جياش بن نجاح ٢٧٨

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

السيدة بنت احمد بعد وفاة الداعي سبأ ٢٨٠
ذكر المتغلبين على صنعاء بعد بني الصليحي ٢٨١
الحرب بين الخطاب ابن ابي الحفاظ الحجوري وأخيه ٢٨٣
قيام الإمام المحسن بن محمد ٢٩١
طريق البصرة وطريق حضرموت ٢٩٦
ظهور الإمام علي بن زيد وقتله ٢٩٨
الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام ٣٠٢
عزم الإمام إلى نجران واستيلاؤه على صعدة ٣١٠
عزم الإمام لتأديب الشقي ابن الطحل ٣١٢
خلاف أهل الجوف ٣١٤
ظهور علي بن مهدي الحميري ٣١٥
ثورة الشريف المهول بحقل صعدة ٣١٥
ذكر من وفد على الإمام المتوكل من العلماء ٣١٧
اجتماع الأشراف ومبايعتهم الإمام المتوكل ٣١٩
إنتقال الإمام إلى عمران وفتح صنعاء ٣٢١
ظهور دولة علي بن مهدي الحميري ٣٢٤
بقية أخبار الإمام المتوكل بصنعاء ٣٢٧
حرب القليس وسير الإمام إلى الجوف ٣٢٨
تظاهر يام بمذاهب الباطنية ومسير الإمام لحربهم ٣٣٢
وقعة الشرزة أو نجد شيعان ودخول الإمام صنعاء ٣٣٦
عزم الإمام إلى ذمار ٣٣٨
ذكر مهاجمة علي بن مهدي لمدينة زبيد وأحداثه ٣٣٩
قيام مهدي بن علي وأحداثه ٣٤٧
احداث عبد النبي بن علي بن مهدي ٣٤٩
خلاف الشريف فليته بن القاسم القاسمي وأحداثه ٣٥٩
وفاة الإمام احمد بن سليمان عليه السلام ٣٦٢

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی